الأكثر مبيعاً 1 في أمريكا

دانيال ستيل

DANIELLE STEEL



الفِديَة

RANSOM



الدار العربية للعلوم ـ ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يضم هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

RANSOM

حقوق الترجمة العربية مرخص بها قانونياً من المؤلفة

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينها وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

ردمك 978-9953-87-178-3

الطبعة الأولى

1428 هـ - 2007 م



الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961)
ص.ب: 5574-13 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: 786230 (1-961) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (9611)
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (9611)

الفصل الأول

وقف بيتر ماثيو مورغان أمام الطاولة يوضب أغراضه: محفظة بداخلها أربعمئة دولار نقداً، وأوراق إطلاق السراح التي يحتاج إلى أخذها معه، بالإضافة إلى الورقة التي تتضمن إقراره بإطلاق سراحه المشروط. إنه يرتدي الثياب التي أعطتها له السلطات الرسمية. إنه يرتدي سروال جينز، وقميصاً قطنياً أبيض مع قميص من الدنيم فوقه، وينتعل حذاء رياضياً وجوربين من اللون الأبيض. إنها ثياب مختلفة كثيراً عن تلك التي كان يرتديها عندما جاء إلى هنا. لقد أمضى أربعة أعوام وثلاثة أشهر في سجن بيليكان باي. وهي الفترة الدنيا التي قضى الحكم بتمضيتها في السجن، والتي كانت فترة طويلة جداً بالنسبة إلى جريمة أولى. لقد قُبض عليه مع كمية كبيرة جداً من الكوكايين، وجرت محاكمته من قبل الولاية، وإدانته من قبل هيئة المحلفين، وحكم عليه بالسجن في بيليكان باي.

في البداية، كان يبيع الكوكايين فقط للأصدقاء. ولم تكن هذه الأموال كافية فقط لدعم العادة التي طورها عن غير قصد، وإنما أيضاً كافية لتلبية كل احتياجاته المالية، وكذلك احتياجات عائلته ذات يوم. لقد جنى مليون دولار تقريباً خلال الأشهر الستة التي سبقت اعتقاله، لكن حتى هذا المبلغ لم يسدّ الثغرة التي أحدثها نتيجة تلاعباته المالية: مخدرات، استثمارات سيئة، بيع سلع وهمية ومحفوفة بالكثير من المخاطر. لقد عمل في مجال البورصة لبعض الوقت، وواجه المشاكل مع هيئة السندات المالية والصيرفة، ولكن ليس بالقدر الذي يدعو إلى إحالته للمحاكمة، لقد كان ذلك

يستدعي توقيفه من قبل الشرطة الفدرالية وليس من قبل سلطة الولاية، لكن هذا لم يحصل أبداً. كان ينفق أكثر مما يجني، وبفارق كبير، لقد واجه الكثير من الأخطار الكبيرة، وأدمن كثيراً على المخدرات، وخرج مع رفاق السوء، وفي النهاية، أصبحت الطريقة الوحيدة لتسديد ديونه لتاجره تتمثل في ترويج المخدرات له. كما واجه أيضاً مشكلة مع الشيكات المزورة والاختلاس، لكنه كان محظوظاً في هذه المسألة أيضاً. فقد قرر صاحب عمله ألا يرفع قضية ضده بعدما جرى توقيفه نتيجة اتجاره بالكوكايين. ما الجدوى؟ فهو لا يملك المال على كل حال، مهما كان المبلغ الذي سرقه، وهو في الواقع مبلغ صغير نسبياً مقارنة مع حجم الأمور الأخرى، لقد اختفى المال منذ مدة. ما من طريقة ممكنة لاسترداد الأموال. شعر صاحب عمله في ذلك الوقت بالأسف عليه. فقد كان بيتر يملك طريقة في سحر الأشخاص وجعلهم مولعين به.

كان بيتر مورغان مثال الرجل الشاب الذي سلك الطريق الخاطئة. ففي بعض الأوقات، اختار الطريق السيئة جداً مرات عدة، وفوّت على نفسه كل الفرص الذهبية التي حظي بها. لقد شعر أصدقاؤه وشركاؤه في العمل بالأسف ليس عليه وحسب، وإنما أيضاً على زوجته وأولاده الذين أصبحوا ضحايا مخططاته الجنونية وأحكامه الفاسدة. لكن كل من عرفه كان يقول إن بيتر مورغان رجل جيد في الصميم. يصعب تحديد الأشياء التي جعلته يسلك المسار الخطأ.إلاّ أن حقيقة الأمر تشير إلى أن أموراً كثيرة دفعته إلى سلوك ذلك المسار ولفترة طويلة.

مات والد بيتر حين كان في الثالثة، وهو سليل أسرة مشهورة من نخبة الطبقات الراقية في نيويورك. تضاءلت ثروة العائلة على مرّ السنوات، وقبل أن يكبر بيتر، كانت أمه قد تدبرت أمر تبديد ما تركه والده. وبعد فترة وجيزة من موت والده، تزوجت أمه من رجل شاب أرستقراطي وثري جداً. كان وريث عائلة مصرفية مهمة، اهتم ببيتر

وشقيقيه، وعلّمهم وأحبهم، وأرسلهم إلى أفضل المدارس الخاصة مع أخويه غير الشقيقين اللذين دخلا إلى حياة بيتر نتيجة زواج أمه من ذلك الرجل. بدت العائلة متكاملة، وثرية بلا شك، رغم أن إدمان الوالدة على شرب الكحول ازداد باطراد مع الوقت، وأفضى في النهاية إلى إرسالها إلى مصح، تاركة بيتر وشقيقيه أيتاماً من الناحية العملية. فزوج أمه لم يتبناهم أبداً بطريقة قانونية، وتزوج ثانية بعد سنة واحدة من وفاة والدة بيتر. لم تجد زوجته الجديدة أي سبب ليتحمل زوجها ذلك العبء، المالي وغير المالي، نتيجة ثلاثة أولاد ليسوا أولاده. قبلت بتحمل مسؤولية الولدين اللذين ولدا نتيجة زواجه السابق، رغم أنها أرادت إرسالهما بعيداً إلى مدرسة داخلية. لكنها لم تقبل بأي شيء له علاقة بالأولاد الثلاثة الذين تطفلوا على زواجه السابق من والدة بيتر. إن كل ما رغب بتقديمه زوج الأم السابق تمثل بتسديد أقساط المدرسة الداخلية، ومن ثم الكلية، إضافة إلى مصروف ملائم، لكنه شرح - بطريقة ساذجة نوعاً ما - أنه لم يعد باستطاعته أن يقدم لهم المأوى في منزله، ولا أن يعطيهم المزيد من الأموال.

بعد ذلك، كان بيتر يمضي إجازاته في المدرسة، أو في منازل الأصدقاء، الذين نجح في إقناعهم باصطحابه إلى منازلهم. لقد كان بيتر يمتلك سحراً غريباً. فبعدما توفيت أمه، تعلم بيتر العيش بذكاء. فهذا كل ما يملكه، وقد نجح في ذلك. والحب والاهتمام الوحيدان اللذان حصل عليهما خلال تلك السنوات جاءا من أهل أصدقائه.

حصلت غالباً حوادث صغيرة، أثناء إقامته مع أصدقائه خلال العطل المدرسية. فالمال اختفى، ومضارب التنس تبخرت بطريقة غامضة، والأغراض اختفت مع رحيله. كان يستعير الثياب ولا يردها أبداً. وذات مرة، تبخرت ساعة ذهبية في الهواء، وطردت خادمة مسكينة نتيجة ذلك. تبيّن لاحقاً أن بيتر كان ينام معها. كان في السادسة عشرة حينها، واستمرت عائدات الساعة التي باعها في إمداده بالمال طوال ستة أشهر.

كانت حياته بمثابة كفاح مستمر للحصول على ما يكفي من المال لتلبية احتياجاته. وكان يفعل كل ما بوسعه لتلبية تلك الاحتياجات. كان لطيفاً جداً، ومهذباً، وحلو المعشر، بحيث بدا دوماً بريئاً كلما تعثرت الأمور. استحال التصديق أن ولداً مثله يمكن أن يكون مسؤولاً عن أية سرقة أو جريمة.

في مرحلة ما، قال الطبيب النفسي في المدرسة إن بيتر يكشف عن ميول اجتماعية مَرَضية، لكن حتى مدير المدرسة وجد صعوبة في تصديق ذلك. شك الطبيب النفسي بذكاء أنه تحت المظهر الخارجي الخادع، يملك بيتر ضميراً أقل مما ينبغي. وكان المظهر الخارجي المخادع جميلاً جداً. كانت تصعب معرفة حقيقة بيتر الفعلية الكامنة تحت القشور. وفي النهاية، كان ناجياً مذهلاً. كان ولداً ساحراً، وذكياً، وجميلاً واجه الكثير من الإخفاقات الصعبة في حياته. لا يوجد أحد ليعتمد عليه، باستثناء نفسه، وكان مجروحاً في الصميم. فوفاة والديه، وتخلي زوج أمه عنه، وعدم منحه أي مال تقريباً، وإرسال شقيقيه اللذين لم يرهما أبداً إلى مدرستين داخليتين مختلفتين في الساحل الشرقي، كلها أمور أثرت فيه. ولاحقاً، حين أصبح في الكلية، جاء خبر وفاة أخته البالغة من العمر ثمانية عشر عاماً نتيجة الغرق بمثابة ضربة أخرى لتلك الروح الشابة المتزعزعة أصلاً. نادراً ما تحدث عن التجارب التي عاشها، أو الأحزان التي نجمت عنها، وبدا في الإجمال شاباً طيباً، متفائلاً، متزناً يستطيع سحر أي كان تقريباً، وهذا ما حصل فعلاً في معظم الأحيان. لكنّ الحياة لم تكن سهلة أبداً معه، رغم أنه لا يمكنك معرفة ذلك أبداً عند النظر إليه. فما من دليل ظاهر على المآسي التي عاشها لأن الندوب كانت عميقة ومخفية تماماً.

وقعت النساء بين يديه مثلما تقع الفاكهة عن الأشجار، ووجد فيه الرجال صحبة جيدة. شرب الكثير من الشراب في الكلية، حسبما تذكر الأصدقاء لاحقاً، لكنه لم يبدُ يوماً فاقداً للسيطرة، ولم يكن كذلك. ليس بشكل واضح على الأقل. فالجروح في روح بيتر كانت عميقة ومخفية.

كان بيتر مورغان مسيطراً على كل شيء. ويملك دوماً خطة لكل شيء. حافظ زوج أمه على وعده وأرسله إلى جامعة ديوك، ومن هناك حصل على منحة كاملة لكلية إدارة الأعمال في هارفارد، وتخرج منها مع شهادة ماجستير. امتلك كل الأدوات التي احتاج إليها، إضافة إلى تفكير ذكي، وطلّة جميلة، وبعض العلاقات المهمة التي أقامها في المدارس الراقية التي ذهب إليها. اتضح بلا أي شك أنه شخص قادر على الوصول بعيداً. فلم يشك أحد قط في قدرة بيتر مورغانْ على النجاح. كان عبقرياً في المال، أو هكذا بدا، ووضع مجموعة منوعة من الخطط. حصل على وظيفة في شركة للسمسرة في وول ستريت بعدما تخرج، وبدأت الأمور تتخذ المنحى الخطأ بعد سنتين من تخرجه. فقد خرق بعض القواعد، وزوّر بعض الحسابات، و"استعار" القليل من المال. تعثرت أموره لفترة، ثم نجح كالمعتاد في الوقوف على رجليه. ذهب للعمل في شركة استثمار مصرفية، وأصبح الفتى الذهبي في وول ستريت لفترة وجيزة. فقد كان يملك كل ما هو لازم لتحقيق النجاح في حياته، باستثناء العائلة والضمير. امتلك بيتر دوماً خطة لكل شيء، وخطة للوصول إلى خط النهاية بصورة أسرع. تعلم شيئاً واحداً من طفولته وهو أن الحياة يمكن أن تنقلب رأساً على عقب في غضون ثانية، وعليه الاهتمام بنفسه. هناك القليل من الفترات المحظوظة في الحياة؛ إذا كانت موجودة أصلاً. ومهما كان الحظ الموجود، فإنك أنت الذي تصنعه.

في عمر التاسعة والعشرين، تزوج من جانيت، شابة رائعة صودف أنها ابنة رئيس الشركة حيث يعمل، ورزق منها خلال سنتين بطفلتين رائعتين. كانت حياته مثالية، وأحب زوجته وعشق طفلتيه. بدا أخيراً أن الطريق أصبحت ممهدة أمامه، إلى أن عادت الأمور إلى المسار الخطأ مجدداً من دون وجود سبب يمكن لأي كان أن يفهمه. فكل ما تحدث عنه هو جني الكثير من المال، وبدا مهووساً بتلك الفكرة، مهما كلفه الأمر.

رأى البعض أنه يستمتع كثيراً. فالأمور كلها سهلة معه. لقد عاش حياة ذهبية، وعمل بكدّ، وأصبح جشعاً، وخرجت حياته شيئاً فشيئاً عن سيطرته. في النهاية، سيطر عليه حب الطرق المختصرة ورغبته في الحصول على أي شيء يريده. بدأ يُنجز الأعمال بسرعة ومن دون إتقان، ويعقد صفقات مشبوهة، ولكن من دون فعل أي شيء يمكن أن يطرد بسببه، وإنما ما من شيء استطاع حموه تحمله. بدا بيتر وكأنه على طريق سريعة متوجهة نحو الخطر. حصلت عدة محادثات جدية بين بيتر وحميه، أثناء التنزه في عقارات أهل زوجته في كونيكتيكات، وظن والد جانيت أنه حقق مراده. لتبسيط الأمور، حاول أن يوضح لبيتر أنه لا يوجد شيء اسمه غداء مجاني أو قطار سريع للنجاح. وحذّره من أن نوع الصفقات التي يعقدها والمصادر التي يستخدمها، ستعود لتطارده يوماً ما. وربما في وقت قريب جداً. تحدث أمامه عن أهمية الاستقامة، وكان واثقاً من أن بيتر سيصغي إليه. لقد أحبه. لكن كل ما نجح في فعله هو جعل بيتر يشعر بالقلق والضغط.

في عمر الحادية والثلاثين، بدأ بيتر يتعاطى المخدرات على سبيل الاستمتاع في بادئ الأمر. قال إنه لا يوجد أذى فعلي في ذلك، وإن الجميع يتعاطونها، وهي تجعل كل شيء أكثر مرحاً وأكثر إثارة. قلقت جانيت كثيراً حيال هذه المسألة. في عمر الثانية والثلاثين، أصبح بيتر مورغان في ورطة كبيرة، إذ فقد السيطرة على إدمانه على المخدرات، رغم ادعاءاته بعكس ذلك، وبدأ يبدد أموال زوجته، إلى أن أوقف والدها المال عنه. بعد سنة واحدة، طلب منه مغادرة الشركة، وانتقلت زوجته للعيش مع أهلها، وهي محبطة ومصدومة من التجارب التي عاشتها مع بيتر. لم يسئ يوماً معاملتها، لكنه كان دوماً تحت تأثير الكوكايين، وخرجت حياته عن السيطرة بشكل كامل. في وقت لاحق اكتشف حموه الديون المترتبة على زوج ابنته، والأموال التي اختلسها "سراً" من الشركة، ونظراً لعلاقته به،

والإحراج المحتمل الذي قد يسببه له ولجانيت، عمد إلى تسديد ديونه. وافق على منح جانيت حق الرعاية الكاملة للفتاتين، اللتين أصبحتا حينها في عمر الثانية والثالثة على التوالي. خسر لاحقاً حقه في زيارتهما إثر فضيحة طاولته مع ثلاث نساء وكمية كبيرة من الكوكايين على متن يخت في شرق هامبتون. كانت الفتاتان تزورانه آنذاك، واتصلت المربية بجانيت على هاتفها الخلوي من اليخت. وحين هددته جانيت بأن تطلب له خفر السواحل، طرد بيتر المربية والفتاتين من اليخت، وبعدها لم تسمح له جانيت برؤيتهما مجدداً. لكنه في ذلك الحين بدأ يواجه مشاكل أخرى. فقد اقترض كميات كبيرة جداً من المال لتسديد كلفة إدمانه على الكوكايين، وخسر كل المال الذي يملكه في استثمارات غير محسوبة المخاطر في السوق. بعد ذلك، لم يستطع الحصول على وظيفة رغم اعتماداته الجيدة وذكائه الكبير. ومثلما فعلت أمه قبل أن تموت، اتخذ سبيلاً لولبياً. فلم يكن فقط مفلساً، وإنما أيضاً مدمناً على المخدرات.

بعد مرور عامين على تخلي جانيت عنه، حاول الحصول على وظيفة في شركة استثمارات مشهورة في سان فرانسيسكو حيث كان يقيم، إلاّ أنه لم ينجح، وبدلاً من ذلك لجأ إلى بيع الكوكايين. كان في الخامسة والثلاثين، ورمى نصف العالم وراءه بسبب الديون السيئة، لقد كان سيجني ثروة كبيرة حين جرى توقيفه بسبب حيازة كمية كبيرة من الكوكايين بقصد الاتجار، لكن لو لم يتم توقيفه ما كان سيفي بكامل ديونه، فقد كان مديناً بخمسة أضعاف المبلغ الذي كان سيجنيه من العملية، وكانت لديه بعض الديون المخفية لدى بعض الأشخاص الخطيرين جداً. ومثلما قال الأشخاص الذين عرفوه حين سمعوا بأمره: كان يملك كل شيء بين يديه، ونجح في نسف كل شيء إلى الأبد. لقد كانت ديونه تحتاج إلى ثروة لتسديدها، وحين اعتقل كان التجار الذين يزودونه بالمخدرات والأشخاص الذين يمولونهم يهددونه بالقتل. لم يسدد بيتر أياً من ديونه لأنه لم يكن يملك المال للقيام

بذلك، وفي مثل هذه الحالات، حين يذهب الأشخاص إلى السجن، تلغى ديونهم، أو يُنسى أمرها. وفي أسوأ الحالات، يقتل الدائنون المدينين وهم في السجن، أو إذا كان المدين محظوظاً، فيعفى من ديونه. وهذا ما أمل بيتر أن يحصل معه.

حين ذهب بيتر مورغان إلى السجن، لم يكن قد رأى ابنتيه منذ عامين، كما أنه لم يكن يتوقع أن يراهما مجدداً. بدا متماسكاً أثناء المحاكمة، وأبدى ذكاءً وندماً حين أدلى بأقواله. حاول محاميه إطلاق سراحه بشروط، لكن القاضي كان أذكى من ذلك. فقد مرّ عليه أشخاص مثل بيتر من قبل، وإن لم يكونوا كثراً، لكنه لم يشاهد حتماً شخصاً مثله أضاع هذا الكم الكبير من الفرص التي أتيحت له. لقد قرأ بيتر جيداً، ولاحظ أن هناك شيئاً مقلقاً فيه. فمظهره لا يتطابق مع أفعاله. لم يكترث القاضي لعبارات الندم التي كررها بيتر. بدا لبقاً وإنما غير صادق. إنه محبوب بلا شك، لكنّ الخيارات التي اتخذها مقرفة. وحين وجدته هيئة المحلفين مذنباً، حكَمَ عليه القاضي بالسجن لسبع سنوات، وأرسله إلى بيليكان باي، في مدينة كريسانت، وهو سجن مشدد الحراسة، يقطن فيه 3300 من أخطر المجرمين في سجون كاليفورنيا، يقع السجن على مسافة ثلاثمئة وسبعين ميلاً شمال سان فرانسيسكو، وعلى بعد أحد عشر ميلاً من حدود أوريغون. بدا الحكم قاسياً جداً بالنسبة إلى بيتر، ورأى أنهم وضعوه في مكان لا ينتمي إليه.

حين أُطلق سراح بيتر كان قد أمضى في ذلك السجن أربع سنوات وثلاثة أشهر. تخلص من إدمانه على المخدرات، واهتم بشؤونه الخاصة، وعمل في مكتب آمر السجن، ولا سيما على الكمبيوترات، ولم يحصل على أي تقرير تأديبي خلال الأعوام الأربعة. ورأى آمر السجن الذي عمل معه أنه نادم بالفعل. بدا بوضوح لكل من عرفه أن بيتر لا ينوي التورط في المشاكل مجدداً. لقد تعلم الدرس. لقد أخبر بيتر هيئة السجن أن الهدف

الوحيد الذي يصبو إليه هو رؤية ابنتيه مجدداً، وأن يكون الوالد الذي تستطيعان الافتخار به يوماً ما. جعل بيتر الأمر يبدو وكأن السنوات الست أو السبع الأخيرة في حياته كانت بمثابة مرحلة مشؤومة في حياة صافية وصريحة، ونوى إبقاء حياته بمنأى عن المشاكل من الآن وصاعداً. وصدقه الجميع.

لقد أُطلاق سراح بيتر بمجرد أن كان هنا مجال يتيحه القانون، عليه الآن البقاء في شمال كاليفورنيا لمدة سنة، وتم تعيين مراقب له في سان فرانسيسكو. كان يخطط للعيش في مركز لإعادة التأهيل ريثما يعثر على عمل، وأخبر هيئة الرقابة في السجن بأنه يخجل من نفسه. سيقبل بأي عمل يستطيع الحصول عليه، إلى أن يقف مجدداً على رجليه، حتى لو اضطر إلى العمل اليدوي، طالما أنه يعمل بشرف. لكن لم يشك أحد أبداً في قدرة بيتر مورغان في العثور على وظيفة. صحيح أنه ارتكب بعض الأخطاء الكبيرة، لكن حتى بعد أربعة أعوام في بيليكان باي، ما زال يبدو رجلاً ذكياً ولبقاً، وهو فعلاً كذلك. تمنّى محبوه – بمن فيهم آمر السجن – أن يسعفه الحظ في العثور على المكان الملائم ليبدأ حياته من جديد. لديه كل الدوافع الملائمة لذلك. كل ما يحتاج إليه الآن هو فرصة. وأملوا جميعاً في أن يحظى بالفرصة حين يخرج من السجن. أحب الناس دوماً بيتر، وتمنوا له الخير. جاء آمر السجن بنفسه ليودعه ويصافح يده. لقد عمل بيتر بشكل حصري معه طوال الأعوام الأربعة الماضية.

"لنبقَ على اتصال"، قال آمر السجن، وهو ينظر إليه بحنان. لقد دعاه إلى منزله الخاص خلال العامين الماضيين، لمشاركته العيد مع زوجته وأولاده، وكان بيتر مذهلاً، ذكياً، دافئاً، مرحاً، ولطيفاً بالفعل مع المراهقين الأربعة أولاد آمر السجن. لقد كان يمتلك طريقة لطيفة في التعاطي مع الأشخاص، سواء كانوا كباراً أو صغاراً. حتى أنه أوحى لأحدهم بتقديم طلب منحة من جامعة هارفارد. وتم قبول الشاب هذا الربيع. شعر آمر

السجن كما لو أنه يدين لبيتر بشيءٍ ما، لقد أحب بيتر آمر السجن وعائلته بصدق، وكان ممتناً للّطف الذي أظهروه له.

قال بيتر بمرح: "سأكون في سان فرانسيسكو طوال السنة المقبلة، أتمنّى أن يسمحوا لي بالعودة إلى الشرق سريعاً، لأرى ابنتيّ". لم يحصل حتى على صورة فوتوغرافية لهما منذ أربعة أعوام، ولم يرهما شخصياً منذ ستة أعوام. أصبحت إيزابيل وهيثر في الثامنة والتاسعة على التوالي، رغم أنهما لا تزالان في عينيه أصغر بكثير. لقد منعته جانيت منذ وقت طويل من الاتصال بهما، وأيّد أهلها موقفها. لقد توفي زوج والدته، الذي تحمل نفقاته التعليمية، قبل وقت طويل. واختفى شقيقاه قبل أعوام طويلة. لا يملك بيتر مورغان أي أحد وأي شيء. لديه فقط أربعمئة دولار في محفظته، ومراقب في سان فرانسيسكو، وسرير في منزل متواضع في جادة ميشون، التي كان جل قاطنيها من الإسبان، وكانت قبلاً ضاحية جميلة إلاّ أنها أدنى مستوى في هذه الأيام. إن القسم الذي سيقطن فيه بيتر أصبح بائساً جداً. إن المال الذي يملكه لن يكفيه لفترة طويلة، أضف إلى ذلك أنه لم يحصل على قصة شعر جيدة منذ أربعة أعوام، والأشياء الوحيدة التي بقيت له في العالم هي مجموعة من أسماء الأشخاص في عالم التكنولوجيا والاستثمارات التجارية في سيليكون فالي، وأسماء تجار المخدرات الذين تعامل معهم قبلاً وينوي البقاء بعيداً عنهم. لا يملك فعلياً أية مشاريع مستقبلية. سيتصل ببعض الأشخاص حين يصل إلى المدينة، لكنه عرف أيضاً أن هناك احتمالاً كبيراً بأن يعمل في غسل الصحون أو في محطة للوقود، رغم أن هذا الأمر مستبعد برأيه. فهو يحمل في النهاية شهادة ماجستير من جامعة هارفارد، وذهب إلى ديوك قبل ذلك. في أسوأ الأحوال، يستطيع البحث عن بعض الأصدقاء القدامى من أيام الدراسة، الذين ربما لم يسمعوا بأنه ذهب إلى السجن. لكنه لم يوهم نفسه بأن الأمر سيكون سهلاً. إنه في التاسعة والثلاثين، ومهما فسّر الأمر، ستبقى الأعوام

الأربعة الماضية وصمة في سيرته الذاتية. أمامه طريق طويلة وشاقة يجب سلوكها. لكنّه بصحة جيدة، وقوي، وخالٍ من المخدرات، وذكي، ولا يزال وسيماً بشكل لافت. سيحدث له شيء إيجابي في نهاية المطاف. إنه متأكد من ذلك، وكذلك كان آمر السجن.

"إتصل بنا"، قال آمر السجن مجدداً. إنها المرة الأولى التي يتعلق فيها بمحكوم عمل معه. لكنّ الرجال الذين تعاطى معهم في بيليكان باي مختلفون كثيراً عن بيتر مورغان.

تم تشييد بيليكان باي ليكون سجناً آمناً جداً يأوي أخطر المجرمين الذين أرسلوا قبلاً إلى سان كوانتين. ومعظم المسجونين في بيليكان هم من فئة المسجونين المحكومين بالسجن الانفرادي. كما أن السجن نفسه مزود بأحدث الوسائل الميكانيكية والمعلوماتية، مما يتيح له احتجاز أخطر الرجال في البلاد. وقد لاحظ آمر السجن على الفور أن بيتر لا ينتمي إلى هذه الفئة. وحدها الكميات الكبيرة من المخدرات التي كان يتاجر بها، والأموال المرتبطة بها، أوصلته إلى هذا السجن المشدد الحراسة. لو كانت التهم أقل خطورة، لأمكن إرساله بسهولة إلى سجن آخر أقل تشدداً. لم يحاول الهروب، ولم يكشف عن عنف، ولم يتورط أبداً في حادثة واحدة طوال فترة سجنه هنا. كان شخصاً متحضراً جداً. والرجال القلائل الذين تحدث معهم خلال الأعوام الماضية احترموه، وبقي بعيداً عن مجموعة كبيرة من المشاكل المحتملة. جعلته علاقته الوثيقة مع آمر السجن محترماً جداً، ووفرت له مساراً آمناً. لم ينشئ علاقات مع العصابات، أو المجموعات المعروفة بالعنف، أو المجرمين المشاكسين. اهتم بشؤونه الخاصة. وبعد أكثر من أربعة أعوام، بدا أنه يغادر بيليكان باي سالماً نسبياً. حافظ على هدوء أعصابه، وأمضى عقوبته بسلام. قرأ الكثير من المقالات القانونية والمالية، وأمضى وقتاً كبيراً في المكتبة، وعمل بلا تعب لصالح آمر السجن.

كتب آمر السجن بنفسه رسالة تنويه فيه، وأرسلها إلى هيئة المراقبة. قصته هي قصة رجل شاب دخل المنعطف الخطأ، وكل ما يحتاج إليه الآن هو فرصة للعودة إلى المسار الصحيح. وكان آمر السجن واثقاً من أنه قادر على فعل ذلك. تطلع إلى سماع أخبار جيدة من بيتر وعنه في المستقبل. في سنّ التاسعة والثلاثين، لا تزال أمام بيتر حياة كاملة، فيما تقف خلفه تربية مذهلة. ويؤمل أن تثبت الأخطاء التي اقترفها بأنه تعلم درساً مهماً من نوع ما. لم يشك أحد في التزام بيتر الآن بما هو صائب وصحيح.

كان بيتر وآمر السجن لا يزالان يتصافحان، فيما كان على وشك المغادرة، حين نزل مراسل ومصوّر من صحيفة محلية من شاحنة صغيرة، وتوجها إلى المكتب حيث استلم بيتر للتو محفظته. ثمة سجين آخر يوقع أوراق إطلاق سراحه، لقد تبادل السجين الآخر نظرة وإيماءة بالرأس مع بيتر. يعرف بيتر من يكون ذلك الرجل؛ الكل يعرفونه. لقد التقيا في صالة الرياضة والقاعات بين الحين والآخر، وكان يأتي في العامين الأخيرين بشكل متواتر إلى مكتب آمر السجن. لقد أمضى سنوات وهو يبحث عن العفو من دون جدوى، وكان معروفاً بأنه محامي السجن غير الرسمي والذكي جداً. اسمه كارلتون واترز، وهو في الحادية والأربعين، وأمضى في السجن أربعاً وعشرين سنة لارتكابه جريمة. لقد ترعرع في السجن.

تمت إدانة كارلتون واترز بجريمة قتل جاره وزوجته، ومحاولة فاشلة لقتل أولادهما. كان عمره سبعة عشر عاماً في ذلك الحين، فيما كان صديقه وشريكه في الجريمة في السادسة والعشرين. اقتحما منزل ضحاياهما وسرقا مئتي دولار. حكم على شريك واترز بالإعدام قبل أعوام عدة، ولطالما زعم واترز أنه لم يشارك أبداً في القتل. كان موجوداً هناك فقط، ولم يبدل يوماً حرفاً واحداً من روايته. لطالما قال إنه بريء، وقال

إنه ذهب إلى منزل الضحايا من دون علم مسبق بنية صديقه. حصل الأمر بسرعة وبطريقة سيئة، وكان الأولاد صغاراً جداً ليؤيدوا قصته. كانوا صغاراً بحيث لا يمكنهم أن يشكلوا أي خطر يتمثل في تعرفهم على الجناة، ولذلك تم ضربهم بشدة ثم تركوا وشأنهم. كان الرجلان ثملين، وزعم واترز بأنه كان فاقد الوعي خلال الجريمة ولا يتذكر أي شيء.

لم يصدق القاضي قصته، واعتبر أثناء المحاكمة بمثابة الراشد، رغم سنه، وجرت إدانته، وخسر القضية بالاستئناف. أمضى معظم حياته في السجن، أولاً في سان كوانتين، ومن ثم في بيليكان باي. وقد نجح في التخرج من الثانوية أثناء وجوده في السجن، وأنهى نصف الدروس في كلية الحقوق. كتب عدداً من المقالات بشأن الأنظمة التصحيحية والقانونية، وطوّر علاقة مع الصحافة على مرّ السنوات. فنظراً لاحتجاجاته وادعاءاته بالبراءة أثناء فترة حبسه، أصبح واترز سجيناً مشهوراً. كان محرراً في صحيفة السجن، ومعروفاً من قبل كل واحد في السجن تقريباً. أتى الناس إليه لطلب النصائح، وكان محترماً جداً بين أهل السجن. لم يكن يملك طلة مورغان الأرستقراطية. كان كارلتون خشناً، وقوياً، وضخماً. كان يمارس رياضة رفع الأثقال، وهذا ما بدا عليه جلياً. وعلى رغم الحوادث المتعددة في أيامه الأولى حين كان لا يزال شاباً ومتهوراً، كان سجيناً نموذجياً خلال العقدين الماضيين. إنه رجل قوي ومخيف المظهر، لكنّ سجله في السجن نظيف وسمعته برونزية، إن لم تكن ذهبية. كان واترز هو من أبلغ الصحيفة بخبر إطلاق سراحه وسرّ بحضورهم.

لم يكن واترز ومورغان صديقين أبداً، لكنهما احترما دوماً بعضهما البعض عن بعد، واشتركا في بعض المحادثات البسيطة بشأن مسائل قانونية فيما كان واترز ينتظر لرؤية آمر السجن. قرأ بيتر عدداً من مقالات واترز في صحيفة السجن، وفي الصحيفة المحلية، وكان يصعب

عدم التأثر بهذا الرجل. وسواء كان بريئاً أم مذنباً. فلديه تفكير ذكي، وعمل بكدّ لتحقيق شيء ما رغم تحدي ترعرعه في السجن.

فيما خرج بيتر عبر البوابة، وهو يشعر أن نفسه يكاد ينقطع بسبب الارتياح، نظر إلى الخلف مرة واحدة، ورأى كارل واترز يصافح يد آمر السجن فيما المصور من الصحيفة المحلية يلتقط له صورة. عرف بيتر أنه سيذهب إلى مركز لإعادة التأهيل في موديستو. لا تزال عائلته تعيش هناك.

قال بيتر فيما وقف جامداً لبرهة، وأغمض عينيه، ثم نظر شزراً إلى الشمس: "الحمد لله". بدا وكأنه ينتظر هذا اليوم منذ دهر. مرر يده فوق عينيه كي لا يرى أحد الدموع المنهمرة منهما، فيما أومأ برأسه إلى حارس، وتوجه نحو موقف الباص. عرف مكانه، وكل ما يريده الآن هو الوصول إلى هناك. مشى مسافة عشر دقائق وفيما أوقف الباص وصعد إليه، كان كارلتون واترز يأخذ آخر صورة له أمام السجن. أخبر المراسل الصحافي مجدداً أنه كان بريئاً. وسواء كان كذلك أم لا، ابتكر قصة مثيرة، وأصبح محترماً في السجن خلال الأربعة والعشرين عاماً الماضية، واستغل كل ادعاءاته بالبراءة. تحدث طوال سنوات عن خططه لتأليف كتاب. أما الشخصان اللذان قتلهما، والأولاد الذين أصبحوا أيتاماً نتيجة ذلك، قبل أربعة وعشرين عاماً، فقد أصبحوا طيّ النسيان. حجبهم في مقالاته والكلمات المنمقة مع مرور الوقت. كان واترز ينهي المقابلة الصحافية فيما وصل بيتر مورغان إلى محطة الباص، واشترى بطاقة إلى سان فرانسيسكو. أخيراً، لقد أصبح حراً.

الفصل الثاني

أحب تيد لي العمل في مناوبة المساء. إنه يفعل ذلك منذ وقت طويل بحيث أصبح الأمر يلائمه. إنها عادة قديمة ومريحة. لقد عمل منذ الساعة الرابعة من بعد الظهر حتى منتصف الليل في الشؤون العامة، المفتش التحري لي في شرطة سان فرانسيسكو. تولى قضايا السرقة والاعتداءات، أي الفورة الاعتيادية في النشاطات الجرمية. أما قضايا الاغتصاب فتذهب إلى قسم الجنس، فيما الجرائم إلى قسم القتل. في البداية، عمل لمدة سنتين في قسم القتل، ولم يحب الأمر. كان الأمر محزناً جداً بالنسبة إليه، ولطالما رأى الرجال المحترفين في هذه المسألة غريبين.

كانوا يجلسون مع بعضهم لساعات، ينظرون إلى صور ضحايا مقتولين. أصبحت كل نظرتهم إلى الحياة مشوهة نتيجة إجبار أنفسهم على استيعاب ما يرونه. أما عمل تيد فكان يميل أكثر إلى الروتين، لكنه بدا له أكثر متعة. فكل يوم مختلف. أحب جانب حل المشاكل من خلال مقابلة المجرمين مع الضحايا. إنه يعمل في الشرطة منذ تسعة وعشرين عاماً، منذ أن كان في الثامنة عشرة. وهو يعمل كتحرٍ منذ عشرين عاماً تقريباً، وهو جيد في ما يقوم به. عمل أيضاً في قسم تزوير بطاقات الاعتماد لفترة، لكنّ هذا العمل بدا مضجراً جداً. القضايا العامة هي المفضلة لديه، تماماً مثل مناوبة المساء. لقد ولد وترعرع في سان فرانسيسكو، في قلب تشايناتاون. جاء أهله من بيكين قبل أن يولد، وجاءت معهم الجدتان أيضاً. كانت عائلته متأصلة في التقاليد القديمة. عمل والده في مطعم طوال حياته،

وكانت أمه خياطة. التحق شقيقاه بقسم الشرطة أيضاً، تماماً مثله، مباشرة بعد التخرج من الثانوية. الأول شرطي عادي في تندرلوين ولا يريد أن يصبح أكثر من ذلك، فيما الثاني في شرطة الخيالة. لقد تفوق عليهما معاً، وكانا يحبان ممازحته لهما بشأن ذلك. وظيفة التحري مسألة مهمة جداً بالنسبة إليه.

زوجة تيد أميركية من أصول صينية من الجيل الثاني. تتحدر عائلتها أصلاً من هونغ كونغ، وتملك المطعم الذي عمل فيه والده قبل أن يتقاعد. بهذه الطريقة تعرّف إليها تيد. وقعا في الغرام في عمر الرابعة عشرة، ولم يواعد من يومها أية امرأة أخرى. لم يكن واثقاً مما يعنيه ذلك. لم يكن مغرماً كثيراً بها، وهذه هي حاله منذ أعوام، لكنه مرتاح معها. إنهما صديقان الآن، أكثر من كونهما عاشقين. إنها امرأة جيدة. شيرلي لي تعمل ممرضة في قسم العناية الفائقة في مستشفى سان فرانسيسكو العام، وتشاهد ضحايا الجرائم العنيفة أكثر مما يشاهد هو. وهما يجلسان مع زملائهما في العمل أكثر مما يجلسان مع بعضهما. لقد اعتادا على ذلك. يلعب الغولف في يوم الإجازة، أو يصطحب أمه لشراء الحاجيات أو أي شيء آخر تريده. أما شيرلي فتحب لعب الورق أو الذهاب للتسوق مع صديقاتها، أو ترتيب شعرها. نادراً ما يأخذان الإجازة في اليوم نفسه، ولا يقلقان كثيراً بشأن ذلك. بعد أن كبر الأولاد الآن، تضاءلت واجباتهما تجاه بعضهما البعض. لم يخططا للأمر بهذه الطريقة، لكنهما يعيشان حياتين منفصلتين، وهما متزوجان منذ كانا في التاسعة عشرة. أي منذ ثمانية وعشرين عاماً.

تخرج ابنه البكر من الجامعة في السنة الماضية، وانتقل للعيش في نيويورك. أما الولدان الآخران فلا يزالان يدرسان في الكلية، في نظام جامعة كاليفورنيا، الأول في سان دييغو والثاني في لوس أنجلوس. لم يشأ أي من الأولاد الثلاثة الانخراط في الشرطة، ولم يعاتبهم تيد على ذلك. كان هذا الخيار الصحيح بالنسبة إليه، لكنه يريد لهم شيئاً أفضل، رغم أن

الشرطة جيدة بالنسبة إليه. حين يتقاعد، سيحظى براتب تقاعد كامل. لا يتخيل نفسه وهو متقاعد، رغم أنه سيمضي ثلاثون عاماً على عمله في السنة المقبلة، وتقاعد الكثير من أصدقائه قبل فترة طويلة من ذلك. لا يملك فكرة عما سيفعله حين يتقاعد. في السابعة والأربعين، لا يريد مهنة ثانية. لا يزال يحب المهنة الأولى. إنه يحب عمله والأشخاص الذين يعمل معهم. شاهد تيد الرجال يأتون ويذهبون على مرّ السنوات، إذ تقاعد بعضهم، واستقال بعضهم، وقتل بعضهم، وأصيب بعضهم. إنه يعمل مع ذات الشريك منذ عشر سنوات خلت، وقبل ذلك عمل مع امرأة لبضعة أعوام. بقيت في العمل أربعة أعوام، ثم انتقلت إلى شيكاغو مع زوجها، والتحقت بالشرطة هناك. لا يزال يتلقى منها بطاقات معايدة في كل عيد، وعلى الرغم من تحفظاته الأولى، أحب العمل معها.

أما الشريك الذي عمل معه قبل ذلك، ريك هولمكويست، فقد ترك الشرطة، وانضم إلى مكتب التحقيقات الفدرالي. لا يزالان يلتقيان على الغداء مرة كل أسبوع، ويمازحه ريك بشأن قضاياه. لطالما أوضح ريك لتيد أن ما يفعله في مكتب التحقيقات الفدرالي أكثر أهمّيّة، أو على الأقل هذا هو رأيه. لكن تيد لم يكن واثقاً جداً. فحسب ما يراه، تحلّ الشرطة قضايا أكبر، وتلقي بمزيد من المجرمين خلف القضبان. أما معظم العمل الذي ينجزه مكتب التحقيقات الفدرالي فهو جمع المعلومات، والمراقبة، لتتدخل من ثم الوكالات الأخرى وتستلم العمل منه. تتداخل قضايا الكحول، والتبغ، والأسلحة النارية مع عمل ريك معظم الوقت، ومع وكالة الاستخبارات المركزية، ووزارة العدل، والنيابة العامة الأميركية، والماريشالات الأميركيين. لكن في معظم الوقت، لا يتدخل أحد في قضايا تيد في الشرطة، إلا إذا اجتاز المشتبه به حدود الولاية، أو ارتكب جرماً فدرالياً، فحينها يتدخل بالطبع مكتب التحقيقات الفدرالي.

بين الحين والآخر، لا يزال تيد وريك يعملان معاً على قضية مشتركة، ويحب تيد ذلك. لقد بقيا صديقين حميمين طوال الأربعة عشر عاماً التي مضت على ترك ريك لقسم الشرطة، ولا يزالان يكنّان الكثير من الاحترام لبعضهما. لقد تطلق ريك هولمكويست قبل خمسة أعوام، لكن لا مجال للشك أبداً في زواج تيد من شيرلي. مهما كانت حالهما، أو كيفما أصبحت علاقتهما على مرّ السنوات، الأمر ملائم لهما. ريك مغرم حالياً بموظفة شابة في مكتب التحقيقات الفدرالي، ويتحدث عن إمكانية الزواج مجدداً. كان تيد يحب ممازحته بشأن ذلك. أحب ريك الادعاء أنه صارم، لكنّ تيد عرف كم هو لطيف.

ما أحبه تيد في العمل في مناوبة المساء - ولطالما فعل - هو السلام الذي يجده عند العودة إلى المنزل. يكون المنزل هادئاً وشيرلي نائمة. إنها تعمل في النهار، وتذهب إلى العمل قبل أن يستيقظ هو في الصباح. في الأيام الغابرة، حين كان الأولاد صغاراً، كان الأمر ملائماً لهما. فكانت هي توصلهم إلى المدرسة في طريقها إلى عملها، فيما لا يزال تيد نائماً. أما هو فكان يعيدهم إلى المنزل، ويلعب معهم الرياضة في أيام الإجازة، كلما استطاع، أو يحضر على الأقل مبارياتهم. وكانت شيرلي تعود إلى المنزل مباشرة بعد ذهابه إلى عمله، وعليه، كان يتواجد أحدهما دائماً مع الأولاد. وحين يعود هو إلى المنزل، يكون الجميع نائمين. على ذلك أنه لا يرى الأولاد كثيراً، ولا هي، فيما كانوا يكبرون شيئاً فشيئاً، لكنّ هذا كان ملائماً إذ لم يضطرّا إلى دفع أجرة مربية، ولم يقلقا يوماً بشأن الرعاية النهارية. كان كل شيء محلولاً. صحيح أن ذلك أرخى بثقله عليهما، فهما لم يمضيا الوقت معاً. ففي مرحلة ما، قبل عشرة أعوام وخمسة عشر عاماً، استاءت شيرلي كثيراً من عدم رؤيتها له. تجادلا كثيراً بشأن ذلك، وأخيراً، حل السلم بينهما بعدما استسلما لما يفرضه عليهما دوام العمل. جرّب كلاهما العمل في النهار لبعض الوقت، لكنهما تجادلا أكثر وأكثر، كما أنه

جرّب العمل الليلي لبعض الوقت إلاّ أنه عاد إلى مناوبات المساء مجدداً. فهذا يلائمه.

حين عاد تيد إلى المنزل تلك الليلة، كانت شيرلي نائمة والمنزل هادئاً. أصبحت غرفة الأولاد فارغة الآن. لقد اشترى منزلاً صغيراً في جادة صانسيت قبل أعوام، إنه يحب السير على الشاطئ، ومراقبة الضباب في أيام العطلات. فهذا يشعره بأنه إنسان مجدداً، ومسالم، خصوصاً بعد أن يكون قد عمل على قضية صعبة، أو أمضى أسبوعاً سيئاً، أو عانى من شيء مزعج. هناك الكثير من الكلام السياسي في قسم الشرطة، الأمر الذي يوتره أحياناً، لكنه كان في الإجمال شخصاً طيباً وسهل المعشر. لهذا السبب ربما لا يزال مستمراً مع شيرلي. إنها الشخص الحاد الطبع في العائلة، إنها الشخص الذي يغضب ويسخط، هي التي ظنت أن زواجهما وعلاقتهما يجب أن يكونا أفضل مما هما. أما تيد فكان قوياً، وهادئاً، وثابتاً. في مرحلة ما، قررت شيرلي أن هذا كاف، وتوقفت عن محاولة الحصول على المزيد منه، والتذمر منه، ومن الحياة التي اختفت من زواجهما. لقد تخليا عن شيء ما، واستبدلا الشغف بالألفة والقبول. لكنّ تيد عرف تماماً أن كل شيء في الحياة يخضع للمناوبة، ولا يتذمر من أي شيء. إنها امرأة جيدة، لقد رزقا بأولاد رائعين، ولديهم منزل مريح، وهو يحب مهنته، والرجال الذين يعمل معهم طيبون. لا يمكنك طلب أكثر من ذلك، أو على الأقل هو لم يطلب أكثر من ذلك، وهذا هو الأمر الذي أزعجها دوماً. كان راضياً بما قدمته له الحياة، من دون طلب المزيد.

أرادت شيرلي أكثر بكثير مما طلب تيد من الحياة. في الواقع، لم يطلب هو أي شيء. كان راضياً بالحياة كما هي، ولطالما كان كذلك. وجّه كل طاقاته إلى عمله وأولاده. ثمانية وعشرون عاماً. إنه وقت طويل ليبقى فيه الشغف مستمراً. لم يشك يوماً في أنه يحبها. وافترض أن شيرلي تحبه. لم تكن تثبت ذلك، ونادراً ما كانت تصرح بذلك. لكنه تقبلها مثلما هي،

تماماً مثلما تقبل كل الأشياء، الجيدة والسيئة، المخيبة للأمل والمريحة. أحب أمان العودة إليها في المنزل كل ليلة، حتى لو كانت نائمة. لم يتحدثا مع بعضهما منذ أشهر، أو ربما منذ سنوات، لكنه يعرف أنه إذا حصل أمر سيئ، ستكون موجودة بجانبه، مثلما سيكون هو موجوداً بجانبها. هذا كافٍ بالنسبة إليه. إن الإثارة التي يعيشها ريك هولمكويست مع صديقته الجديدة لا تعنيه. لا يحتاج تيد إلى الإثارة في حياته. يريد فقط ما لديه. وظيفة يحبها، امرأة يعرفها جيداً، ثلاثة أولاد يعشقهم بجنون، والسلام.

جلس أمام مائدة المطبخ، وتناول فنجان شاي، واستمتع بالصمت في المنزل المسالم. قرأ الصحيفة، ونظر إلى بريده، وشاهد التلفزيون قليلاً. في الثانية والنصف، استلقى في السرير بالقرب منها، وراح يفكر في الظلمة. لم تتحرك، ولم تعرف أنه مستلقٍ بالقرب منها. لا بل إنها ابتعدت عنه، وتمتمت شيئاً وهي نائمة، فيما أدار هو ظهره لها، وراح يُفكّر في قضية تشغله. لديه مشتبه به هو واثق تماماً من أنه يُحضر الهيروويين من المكسيك، وسيتصل بريك هولمكويست بشأن ذلك في الصباح. وفيما ذكّر نفسه بضرورة الاتصال بريك حين يستيقظ، تنهد بنعومة وخلد إلى النوم.

الفصل الثالث

كانت فرناندا بارنز تُحدّق في كومة الفواتير، فيما جلست أمام مائدة المطبخ. شعرت وكأنها تنظر إلى كومة الفواتير نفسها طوال الأشهر الأربعة التي مضت على وفاة زوجها؛ والتي حصلت بعد أسبوعين من العيد، لكنها عرفت جيداً أيضاً أنه حتى لو بدت هذه الكومة هي نفسها، فإنها تكبر يوماً بعد يوم. كلما يصل البريد، تكون هناك إضافات جديدة. ثمة سيل لا ينتهي أبداً من الأخبار السيئة والمعلومات المريعة منذ موت ألان. وآخر هذه المعلومات هو أن شركة التأمين ترفض دفع بوليصة تأمينه على الحياة. كانت تتوقع ذلك هي والمحامي. لقد توفي في ظروف غامضة أثناء رحلة صيد إلى المكسيك. خرج إلى متن المركب في وقت متأخر من الليل فيما كان رفاقه في السفر ينامون في الفندق. كان أفراد الطاقم خارج المركب، في مقهى محلي، حين صعد هو إلى المركب وسقط منه على ما يبدو. احتاجوا إلى خمسة أيام للعثور على جثته. ونظراً للظروف المادية وقت وفاته، والرسالة المريعة التي تركها لها، المليئة باليأس، شكّت شركة التأمين في أنه انتحار. في الواقع، شكّت فرناندا في ذلك أيضاً. وقد سلّمت الشرطة الرسالة إلى شركة التأمين.

لم تعترف فرناندا بذلك أمام أحد، باستثناء المحامي، جاك واترمان، لكنّ الانتحار كان أول شيء خطر في بالها حين اتصلوا بها. قبل ذلك، كان ألان في حالة صدمة وخوف طوال ستة أشهر، وظل يقول لها إنه سيغير الأوضاع، لكنّ الرسالة أوضحت أنه حتى هو لم يعد يثق بما يقوله في

النهاية. كان ألان بارنز أحد أولئك الأشخاص الذين حققوا أرباحاً مفاجئة في ذروة عصر الإنترنت، وباع شركة صغيرة إلى مليونير بقيمة مليوني دولار. لقد أحبت حياتهما قبلاً، فلقد كانت تلائمها تماماً. كانا يملكان منزلاً صغيراً ومريحاً في ضاحية راقية في بالو ألتو، قرب مجمع ستانفورد، حيث التقيا في الكلية. تزوجا في دار العبادة في ستانفورد في اليوم التالي للتخرج. وبعد ثلاثة عشر عاماً، حقق الضربة الكبيرة. كان ذلك أكبر مما حلمت به، أو أملت به، أو احتاجت إليه أو أرادته. في البداية، لم تستطع حتى فهم الأمر. فجأة أصبح يشتري اليخوت والطائرات، ومخزناً تعاونياً في نيويورك حيث كان يعقد الاجتماعات هناك، ومنزلاً في لندن زعم أنه لطالما أراده، بالإضافة إلى ملكية مشتركة في هاواي، ومنزلاً في المدينة واسعاً جداً بحيث بكت حين رأته للمرة الأولى. اشتراه من دون أن يسألها. لم تشأ الانتقال إلى قصر. أحبت المنزل في بالو ألتو الذي عاشا فيه منذ ولادة ابنهما ويل.

رغم احتجاجات فرناندا، انتقلوا إلى المدينة قبل أربعة أعوام، حين كان ويل في الثانية عشرة، وآشلي في الثامنة، وسام في عمر السنتين تقريباً. أصرّ ألان على أن تستخدم مربية لتتمكن من السفر معه، الأمر الذي لم يعجب فرناندا. كانت تحب الاهتمام بأولادها. لم تعمل أبداً في مهنة، وكانت محظوظة لأن ألان جنى دوماً مالاً كافياً لإعالتهم. في بعض الأحيان، كانوا يعانون من صعوبات ماليّة، لكن حين كانوا يعانون من ذلك كانت فرناندا تتقشف وتعصر النفقات المنزليّة ريثما يتخطون الأزمة. أحبت التواجد في المنزل مع الأولاد. وُلِدَ ويل بعد تسعة أشهر من يوم زفافهما، وعندما كانت حاملاً بابنها البكر عملت بدوامٍ جزئي في مكتبة، ثم توقفت كلياً عن العمل. نالت شهادة في تاريخ الفنون من الجامعة، وهي شهادة لا تلقى استحساناً في سوق العمل، إلا إذا نال الحائز عليها فيما بعد شهادة الماجستير، أو حتى درجة الدكتوراه، ومارس التدريس أو عمل في

متحف. باستثناء هذه الشهادة، لا تملك فرناندا أي مهارات مميزة. كل ما تعرفه هو كيف تكون زوجة وأماً، وكانت في كليهما جيدة. كان أولادهما سعداء، وراضين، وواعين. فبالرغم من أن آشلي في الثانية عشرة وويل في السادسة عشرة، أي في عمرين صعبين نسبياً، إلاّ أنها لم تواجه يوماً مشكلة واحدة مع أولادها. أولادها مثلها لم يرغبوا في الانتقال إلى المدينة. فكل أصدقائهم في بالو آلتو.

كان المنزل الذي اختاره لهم ألان ضخماً جداً. شيّده رأسمالي مشهور باعه حين تقاعد وانتقل إلى أوروبا. لكنه بدا مثل القصر بالنسبة إلى فرناندا. لقد ترعرعت في ضاحية شيكاغو، وكان والدها طبيباً ووالدتها مدرّسة. لطالما كانوا مرتاحين، وكانت توقعاتها بسيطة على عكس ألان. كل ما أرادته هو الزواج من رجل يحبها، وإنجاب أولاد رائعين. أمضت الكثير من الوقت في مطالعة النظريات التربوية التجريبية، وسحرتها علاقة علم النفس بتربية الأولاد، وشاركت أولادها حبها للفنون. شجعتهم على أن يكونوا كل ما حلموا به. ولطالما فعلت الشيء نفسه مع ألان. لكنها لم تتوقع أن يحول أحلامه إلى حقيقة بالدرجة التي فعل بها ذلك.

حين قال لها إنه باع شركته بمليوني دولار، كاد يغمى عليها، وظنت أنه يمزح. ضحكت عليه، وتصوّرت أنه بضربة حظ غير اعتيادية، باع الشركة بألف أو ألفين أو خمسة، أو حتى عشرة آلاف، ولكن ليس أبداً بمليونين. كل ما أرادته هو مال يكفي لدخول الأولاد إلى الجامعة والعيش بارتياح لبقية حياتهم. ربما ما يكفي ليتمكّن ألان من التقاعد في سن محترمة، بحيث يستطيعان قضاء سنة سياحة في أوروبا، وجرّه معها في المتاحف. تحب قضاء شهر أو شهرين في فلورنسا. لكنّ الربح الكبير الذي حققه كان أبعد من الحلم. وغاص ألان في ذلك الحلم بثأر.

لم يشترِ فقط المنازل والتعاونيات، ويختاً وطائرة، وإنما قام ببعض الاستثمارات المحفوفة بالمخاطر وذلك في مجال التكنولوجيا. وكلما فعل

ذلـك، كـان يطمئن فرناندا بأنه يعرف ماذا يفعل. كان يركب على أعلى الموجة ويشعر بأنه لا يقهر. كان واثقاً بنسبة ألف في المئة من قراراته، وكـان ذلـك نقيض ما تشعر به فرناندا. بدأا يتشاجران بسبب ذلك، وكان يضحك على دموعها. كان يستثمر المال في شركات أخرى لم تثبت بعد قدراتها، فيما أسعار السوق ترتفع بسرعة، وتحول كل شيء لمسه تقريباً إلى ذهب طوال ثلاث سنوات. بدا أنه مهما فعل، أو مهما جازف، لا يخسر المال، وهذا ما كان يحصل بالفعل. تضاعفت فعلياً ثروتهم الجديدة الهائلة خلال أول سنة أو سنتين. واللافت أنه استثمر في شركتين وثق تماماً فيهما، فيما حذره الآخرون من إمكانية الخسارة. لكنه لم يصغ إلى أحد، لا إليها ولا إلى الآخرين. وصلت ثقته في نفسه إلى أعلى القمم فيما زيّنت هي المنزل الجديد، ومازحها هو على تشاؤمها الكبير وحذرها الشديد. في ذلك الوقت، رغم أنها أصبحت معتادة على ثروتهم الجديدة، وبدأت تنفق المال أكثر مما ينبغي، استمر ألان في القول لها بضرورة الاستمتاع بالأمر وعدم القلق. ذهلت عند شرائها لوحتين انطباعيتين مهمتين من مزاد كريستي في نيويورك، وارتعدت فعلياً فيما علّقتهما في غرفة الجلوس. لم يخطر في بالها أبداً أنها قد تمتلك هاتين اللوحتين يوماً ما، أو أي شيء يشبههما. هنّأها ألان على قرارها الجيد، فلقد كان يحلق عالياً، ويستمتع كثيراً، وأرادها أن تستمتع هي أيضاً.

لكن حتى في ذروة حياة ألان المهنية، لم تكن فرناندا يوماً متهورة، ولم تنسَ أبداً بدايتها المتواضعة. فعلى عكس عائلتها، عاشت عائلة زوجها في جنوب كاليفورنيا حياة ترف. فلقد كان والده رجل أعمال، أمّا أمّه فكانت في صباها عارضة أزياء وأصبحت فيما بعد ربة منزل. واقتنت العائلة السيارات الفارهة، ومنزلاً جميلاً، كما اشتركت في نادٍ ريفي. وحين ذهبت فرناندا إلى منزلهم للمرة الأولى تأثرت فعلاً، رغم أنها اعتبرتهم سطحيين نوعاً ما. فلقد كانت والدة ألان ترتدي معطفها المصنوع

من الفرو في ليلة معتدلة، في حين أن والدة فرناندا التي تعيش أشهر الشتاء القارسة في الغرب الأوسط لم تحصل يوماً على واحد مثله، ولم ترغب في ذلك أصلاً. إن إبراز مظاهر الثروة مهم بالنسبة إلى ألان أكثر مما هو بالنسبة إليها، لدرجة أن نجاحه الكبير بين ليلة وضحاها ميّز بينهما أيضاً. فندمه الوحيد هو أن أهله لم يبقوا على قيد الحياة لرؤية ذلك، فلقد كان هذا سيعني لهم الكثير. أما هي فلقد شعرت نوعاً ما بالارتياح لأن والديها قد توفيا – إثر حادث سيارة في ليلة مثلجة قبل عشرة أعوام – قبل أن يريا ما وصل إليه زوجها، لأن شيئاً ما في داخلها قال لها دوماً إن والديها كانا سيصدمان من الطريقة التي ينفق فيها ألان المال، ولا تزال تشعر بالعصبية حتى بعد شرائها اللوحتين. كانتا على الأقل استثماراً، أو هذا ما أملته على الأقل. وقد أحبتهما فعلاً. لكنّ معظم ما اشتراه ألان كان للمظاهر فقط. وظل يذكرها دوماً بأنه قادر على شراء ما يريده.

استمرت الموجة في الصعود قرابة الثلاث سنوات، فيما استمر ألان في الاستثمار في شركات أخرى والمغامرة بقوة في بورصة شركات تكنولوجية محفوفة بالمخاطر. كانت لديه ثقة هائلة في حدسه، بطريقة تجافي المنطق في كثير من الأحيان. أطلق عليه أصدقاؤه وزملاؤه في عالم الإلكترونيات اسم راعي البقر المجنون، وكانوا يمازحونه بشأن ذلك. وفي أغلب الأحيان، شعرت فرناندا بالذنب لأنها لا تقدم له الكثير من دعمها. كان يفتقد إلى الثقة في النفس حين كان ولداً، ووبخه والده مراراً على عدم كونه أكثر وقاحة، وأصبح فجأة واثقاً جداً من نفسه بحيث شعرت أنه يرقص دوماً على الحبل ولا يشعر بالخوف أبداً. لكنّ حبها له تخطّى كل الهواجس، وكل ما استطاعته في النهاية هو التصفيق له من بعيد. لا شك في أنها لا تستطيع التذمر من أي شيء، فخلال ثلاث سنوات، تضاعفت ثروتهم الصافية ثلاث مرات وأصبحت تساوي نصف مليار دولار؛ وكان الأمر يفوق التصور.

لطالما كانت هي وألان سعيدين معاً، حتى قبل أن يجنيا الثروة. فلقد كان رجلاً طيب المعشر، يحب زوجته وأولاده. كانا يتشاركان فرحة كبيرة كلما أنجبت ولداً، وكان يعشق فعلاً أولاده، تماماً مثلها هي. كان فخوراً خصوصاً بابنه ويل، الذي كان بطلاً رياضياً بطبيعته. وحين شاهد آشلي للمرة الأولى في حفلة الباليه، في عمر الخامسة، انهمرت الدموع على وجنتيه. كان زوجاً رائعاً ووالداً مذهلاً، وقدرته على تحويل الاستثمار المتواضع إلى ربح كبير ستمنح أولاده فرصاً لم يحلموا قط بها. ولطالما تحدث عن فكرة الانتقال إلى لندن لمدة سنة في مرحلة ما، بحيث يتمكن الأولاد من الدراسة في أوروبا. وبما أن فكرة قضاء أيام في المتحف البريطاني كانت إغراء كبيراً بالنسبة إلى فرناندا لم تتذمر حين اشترى المنزل في ساحة بيلغراف بمبلغ عشرين مليون دولار. كان هذا أعلى سعر يدفع ثمن منزل هناك في التاريخ الحديث، ولكنّه كان منزلاً رائعاً بلا شك.

لم يعارض الأولاد – ولا هي – الذهاب إلى هناك لتمضية شهر بعد انتهاء المدرسة. أحبوا استكشاف لندن. أمضوا بقية الصيف على متن يختهم في جنوب فرنسا، ودعوا بعض أصدقائهم من سيليكون فالي للانضمام إليهم. أصبح ألان أسطورة في ذلك الحين، وكان هناك آخرون يجنون المال بقدره تقريباً. لكن كما في طاولات القمار في لاس فيغاس، حمل البعض أرباحهم واختفوا، فيما أعادها البعض الآخر إلى الطاولة واستمروا في المقامرة. كان ألان يجري الصفقات باستمرار، ويخوض في استثمارات هائلة. لم تعد تفهم تماماً أي شيء مما يفعله. كل ما فعلته هو إدارة المنازل والاعتناء بالأولاد، وتوقفت تقريباً عن القلق بشأن عمله. تساءلت ما إذا كان هذا هو سرّ الغنى. احتاجت إلى ثلاث سنوات لتؤمن فعلياً في ذلك، ولتشعر في النهاية بأن حلم نجاحه حقيقي.

إلاّ أن الفقاعة انفجرت أخيراً بعد ثلاث سنوات من الفورة الأساسية. إذ حصلت فضيحة طالت إحدى شركاته، شركة استثمر فيها الكثير بصفته

شريكاً صامتاً. لم يعرف أحد فعلياً ما إذا كان قد استثمر فيها، أو إلى أي مدى، لكنه خسر أكثر من مئة مليون دولار. والمذهل في تلك المرحلة أن الأمر لم يؤثر كثيراً على ثروته. قرأت فرناندا أن شيئاً ما يحصل في الشركة عبر الصحف، وتذكرت أنها سمعته يتحدث عن الأمر، وسألته عن الأمر، إلاّ أنه طلب منها عدم القلق. فبرأيه، مئة مليون دولار لا تعني أي شيء بالنسبة إليهم. إنه في طريقه ليصبح صاحب ثروة توازي مليار دولار تقريباً. لم يشرح لها الأمر، في تلك المرحلة كان يقترض بضمان أسهمه التي كانت أسعارها تحلق عالياً، وحين بدأت تنهار، لم يستطع بيعها بسرعة كافية لتغطية الديون. عمد إلى زيادة أصوله من خلال الاقتراض لشراء المزيد من الأصول.

أما الضربة الثانية فكانت أقوى من الأولى، وبضعف القيمة تقريباً. وبعد الضربة الثالثة، بدأ ألان يقلق. فجأة أصبحت الأصول التي اقترضها لا توازي شيئاً وكل ما بقي له هو الدين. وما حصل بعدها كان أشبه بغوصة كبيرة جرفت معها كل عالم الإلكترونيات. في غضون ستة أشهر، تحول كل ما جناه ألان إلى دخان، وأصبحت قيمة الأسهم التي كانت تساوي مئتي دولار سنتات قليلة. كان التأثير في عائلة بارنز أشبه بكارثة، على أقل تقدير.

تذمّر كثيراً بسبب ذلك، فباع اليخت والطائرة، فيما أكد لفرناندا ولنفسه بأنه سيشتريهما مجدداً – أو حتى شيئاً أفضل – في غضون سنة، حين يعود السوق للتحسن مجدداً، لكنه طبعاً لم يفعل. فالأمر لم يقتصر على أنه خسر ما يملكه، وإنما كانت الاستثمارات التي أجراها تنفجر ضمناً، وتسبب ديوناً هائلة فيما انهارت كل استثماراته المحفوفة بالمخاطر مثل أبراج الورق. وفي نهاية السنة، كان يواجه ديناً كبيراً يوازي ثروته. ومثلما فعلت حين حقق الربح الكبير والمفاجئ في الشركة الأولى، لم تستوعب فرناندا تماماً مضاعفات ما يحصل لأنه لم يشرح لها أي شيء

تقريباً. كان متوتراً على الدوام، يتكلم دوماً على الهاتف، ويسافر من طرف إلى آخر في العالم، ويصرخ عليها حين يكون في المنزل. بين ليلة وضحاها، أصبح رجلاً مجنوناً. كان مذعوراً جداً، ولسبب وجيه.

كل ما عرفته قبل العيد في السنة الماضية هو أنه مديون بمئات ملايين الدولارات، وأن معظم أسهمه لا تساوي أي شيء. عرفت ذلك تماماً، لكنها لم تملك أية فكرة عما سيفعله لتسوية ذلك، أو كم سيصبح وضعهم مأساوياً. واللافت أنه أجرى العديد من الاستثمارات باسم شركاء مجهولي الهوية وشركات مغفلة، تم إنشاؤها من دون ذكر اسمه علناً. نتيجة ذلك، لم يستوعب العالم الذي يعمل فيه فداحة وضعه، ولم يشأ أن يعرف أحد بأي شيء. أخفى الأمر بسبب الكبرياء لأنه لم يشأ أن يتوتر الناس عند العمل معه. بدأ يشعر بأنه محاط بحلقة من الإخفاق، مثلما شعر قبلاً بأنه محاط بعطر النصر. أصبح الخوف فجأة مسيطراً على كل الهواء حوله، فيما ذعرت فرناندا بصمت، وأرادت دعمه معنوياً، لكنها خافت كثيراً مما سيحصل لهما ولأولادهما. وحين سافر إلى المكسيك مباشرة بعد العيد راحت تحثّه على بيع المنزل في لندن، والتعاونية في نيويورك، والجمعية المشتركة في هاواي. ذهب إلى هناك لعقد صفقة مع مجموعة من الرجال، وأخبرها قبل أن يذهب أنه إذا نجح الأمر، فسيعوّض ذلك عليهم معظم خسارتهم. وقبل أن يسافر، اقترحت عليه بيع المنزل في المدينة والعودة مجدداً إلى بالو ألتو، لكنه قال لها إنها سخيفة. طمأنها بأن كل شيء سيعود إلى ما كان عليه قبلاً، بسرعة ولا داعي للقلق. لكنّ الصفقة في المكسيك لم تحصل.

مضى على وجوده هناك يومان فقط حين حصلت فجأة كارثة أخرى في حياته المالية. فقد انهارت ثلاث شركات رئيسية في غضون أسبوع واحد، وانهار معها اثنان من أكبر استثماراته. باختصار، أصبح في

الحضيض. كان صوته خشناً حين اتصل بها ذات ليلة من غرفة الفندق. فلقد كان يفاوض طوال ساعات، لكنّ الأمر لم ينجح، ولم يبقَ لديه أي شيء للتفاوض بشأنه، أو مبادلته. بدأ يبكي فيما كانت تصغي إليه، وطمأنته فرناندا بأن الأمر لن يحدث فرقاً بالنسبة إليها، وأنها تحبه مهما كانت ظروفه. لكنّ هذا لم يعزّه. بالنسبة إلى ألان، إنها مسألة هزيمة ونصر، تسلق جبل إفريست ثم السقوط عنه مجدداً، والاضطرار إلى البدء من جديد. لقد بلغ الأربعين عاماً قبل أسابيع قليلة، واختفى فجأة النجاح الذي عنى كل شيء بالنسبة إليه طوال أربع سنوات. كان مخفقاً تماماً، على الأقل في نظره هو. وما من شيء قالته نجح في تعزيته. قالت له إنها لا تهتم، وإن هذا لا يهمها، وإنها ستكون سعيدة في كوخ صغير معه، طالما أنهما مع بعضهما ومع أولادهما. لكنه جلس في الطرف الآخر، وبكى، وأخبرها أن الحياة لم تعد تستحق العيش. قال إنه سيكون أضحوكة حول العالم وأن المال الوحيد الذي يملكه هو بوليصة التأمين على حياته. ذكّرته بأنهما لا يزالان يملكان منازل عدة لبيعها، والتي تساوي مجتمعة مئة مليون دولار تقريباً.

"هل لديك فكرة عن نوع الدين الذي نواجهه؟" سألها، فيما ارتعد صوته، لكنها لا تملك طبعاً أية فكرة لأنه لم يخبرها أبداً. "نحن نتحدث عن مئات الملايين. علينا بيع كل شيء نملكه، ومع ذلك سنظل مديونين طوال العشرين سنة المقبلة. لست واثقاً حتى ما إذا كنت أستطيع إخراج نفسي يوماً من هذه الورطة. نحن نواجه ديوناً كبيرة جداً حبيبتي. لقد انتهى الأمر. فعلاً، لقد انتهى الأمر". لم تستطع مشاهدة الدموع تنهمر على وجنتيه، لكنها استطاعت سماعها في صوته. ورغم أنها لم تفهم الأمر جيداً، إلاّ أنه بسبب استراتيجيات استثماره الغريبة، وزيادة فاعلية أصولهم، والاقتراض باستمرار لشراء المزيد، خسر كل شيء. خسر أكبر بكثير من ذلك. فالديون التي يواجهها كبيرة جداً.

قالت له بحزم: "لا، لم ينته الأمر. يمكنك إعلان الإفلاس. وسأحصل أنا على وظيفة، وسنبيع كل شيء. وماذا بعد؟ لا أهتم لكل ذلك أبداً. لا أهتم إذا وقفنا على زاوية الشارع لبيع أقلام الرصاص، طالما أننا معاً". كانت هذه فكرة طيبة والموقف الصحيح، لكنّه كان شارد الذهن كثيراً للإصغاء إليها.

اتصلت به مجدداً في وقت متأخر من تلك الليلة، لمجرد طمأنته مجدداً لأنها كانت قلقة عليه. لم يعجبها ما سمعته عن بوليصة التأمين على حياته، وخافت عليه أكثر مما خافت على وضعهم المالي. عرفت أن الرجال يفعلون أشياء مجنونة أحياناً، بسبب المال الذي يخسرونه أو العمل الذي يخفقون فيه. كان كل غروره متمحوراً حول ثروته. وحين اتصلت به عبر الهاتف، لاحظت أنه كان يشرب. الكثير على ما يبدو. كان يتلعثم في الكلمات واستمر يقول لها إن حياته انتهت. انزعجت كثيراً بحيث فكّرت في السفر إلى المكسيك في اليوم التالي لتكون معه، فيما يتابع هو مفاوضاته، لكن في الصباح، وقبل أن تتمكن من فعل أي شيء حيال ذلك، اتصل بها أحد الرجال الذين كانوا هناك. كان صوته خشناً، وبدا محطم الفؤاد. كل ما يعرفه هو أن ألان صعد لوحده على متن المركب الذي استأجروه، بعدما خلدوا جميعاً إلى النوم. فلقد كان الطاقم خارج المركب حين صعد ألان إليه في وقت متأخر من الليل، وقاده بنفسه. كل ما يمكن قوله هو أنه سقط من على متن المركب قبل حلول الصباح. تم العثور على اليخت من قبل خفر السواحل المحليين بعدما أبلغ القبطان عن فقدانه، ولم يتم العثور على ألان في أي مكان. لم يؤدِ البحث المكثف إلى أي شيء.

والأسوأ من ذلك، أنه حين ذهبت إلى المكسيك بنفسها في وقت متأخر من ذلك اليوم، سلمتها الشرطة الرسالة التي تركها لها. احتفظوا بنسخة عنها في سجلاتهم. تقول الرسالة إن الوضع ميؤوس منه جداً، وإنه لن يتمكن أبداً من تسلق السلم مجدداً، وإن الأمر انتهى بالنسبة إليه، وإنه

يفضل الموت على مواجهة الرعب والخزي حين يعرف العالم كم كان أحمق، وما هي الفوضى التي أحدثها. كانت الرسالة بمثابة كارثة، وأقنعتها أكثر فأكثر أنه انتحر، أو أراد ذلك. أو ربما كان ثملاً جداً وسقط عن متن المركب. ما من طريقة للتأكد من ذلك أبداً. لكنّ الاحتمال الأكبر هو أنه قتل نفسه.

سلّمت الشرطة الرسالة إلى شركة التأمين، لأنها مضطرة لذلك. واستناداً إلى أقواله، رفضت الشركة دفع قيمة بوليصة التأمين على حياته، وقال محامي فرناندا إنها على الأرجح لن تدفعها أبداً؛ فالدليل واضح تماماً.

حين عثروا على جثة ألان أخيراً، كل ما استطاعوا معرفته هو أنه مات نتيجة الغرق. ما من دليل على عنف، كما أنه لم يطلق النار على نفسه، بحيث يمكن القول إنه قفز أو سقط، لكن بدا من المنطقي القول حينها إنه أراد الموت، نظراً لكل ما قاله لها مباشرة قبل الحادث وما كتبه في الرسالة التي تركها لها.

كانت فرناندا في المكسيك حين تم العثور على جثته، طافية على شاطئ مجاور بعد عاصفة قصيرة. كانت تجربة مرعبة ومؤلمة، وشعرت بالامتنان لأن الأولاد ليسوا موجودين لرؤية ما يحصل. فعلى رغم احتجاجاتهم، تركتهم في كاليفورنيا، وذهبت إلى المكسيك لوحدها. بعد أسبوع، وبعد روتين حكومي لامتناهٍ، عادت أرملة مع بقايا ألان في تابوت وضع في الصندوق المخصص لشحن البضائع على متن الطائرة.

كانت الجنازة مؤلمة جداً، وقالت الصحف إنه مات في حادث مركب في المكسيك، لأن هذا ما اتفق الجميع على قوله. فلا أحد من الأشخاص الذين كان يعمل معهم لديه فكرة عن مدى سوء وضعه، وأبقت الشرطة محتويات رسالته بمنأى عن الصحافة. لم يعرف أحد أنه أصبح في الحضيض، أو حتى أسوأ من ذلك؛ برأيه هو على الأقل. ولم يتوقع أحد أن تملك هي ومحاميه صورة واضحة عن المجموع الكامل لكوارثه المالية.

كان أكثر من مفلس، لأنّ الديون وصلت إلى حدّ مرعب بحيث تحتاج إلــى سنوات عدة لترتيب الفوضى التي أحدثها. وفي الأشهر الأربعة التي مضت على وفاته، باعت كل ممتلكاتهم، باستثناء منــزل المدينة، الذي كان محجــوزاً في ممتلكاته. لكن ما إن يسمحوا لها بذلك فستبيعه. لحسن الحظ أنه وضع كل الممتلكات الأخرى باسمها، كهدية منه لها، ولذلك استطاعت بــيعها. هناك الكثير من الضرائب المعلقة، والتي يجدر بها دفعها سريعاً، وســتعرض اللوحتين الانطباعيتين في المزاد في نيويورك في شهر يونيو. كانــت تبيع كل شيء غير محجوز، أو تخطط لفعل ذلك. طمأنها المحامي جاك واترمان بأنها إذا عمدت إلى تصفية كل شيء، بما في ذلك المنــزل فــي النهاية، فقد تخرج من القصة بلا خسارة، ومن دون أي فلس باسمها. فأغلبــية ديــون ألان متصلة بكيانات شركات، وسيعلن جاك إفلاسها، لكنّ أحــداً لا يعــرف لغايــة الآن المــدى الذي وصل إليه انهيار عالم ألان، وســتحاول إبقــاء المسألة بهذه الطريقة، احتراماً لذكراه. حتى الأولاد لم يعرفوا كل المضاعفات بعد. وبعد ظهر يوم مشمس من شهر مايو، جلست فــي المطبخ وهي تشعر بالخدر وتبدو مذهولة، محاولة استيعاب الأمر بعد أشهر على وفاته.

ستذهب لاصطحاب آشلي وسام من المدرسة بعد عشرين دقيقة، مثلما تفعــل كــل يوم. أما ويل فيعود عادة من الثانوية إلى المنــزل لوحده، في ســيارة البــي أم دبيلــيو التي اشتراها له والده قبل ستة أشهر، في ذكرى ميلاده السادسة عشرة. في الحقيقة، كانت فرناندا بالكاد تمتلك المال الكافي لإطعــامهم، ولا تــستطيع الانتظار لبيع المنــزل بهدف تسديد المزيد من الديــون أو حتى تخفيفها قليلاً. عرفت أنها ستضطر للبحث عما قريب عن وظيفة، ربما في متحف. لقد انقلبت كل حياتهم رأساً على عقب، ولا تعرف ما الذي يجب قوله للأولاد. عرفوا أن شركة التأمين ترفض دفع البوليصة، وزعمت أن التحقق من صحة ممتلكات والدهم جعل الأمور صعبة لبعض

الوقت. لكنّ أياً من الأولاد الثلاثة لم يعرف أن والدهم خسر كل ثروته، أو أن الــسبب الحقيقي لامتناع شركة التأمين عن الدفع هو أن والدهم انتحر. قــيل للجمــيع إنه حادث. وبما أنهم غير مدركين للرسالة أو للظروف، لم يــشك الأشــخاص الذين كانوا معه في أن الأمر مغاير لذلك. وحدها هي، والمحامون، والسلطات يعرفون حقيقة ما حصل؛ في الوقت الحاضر.

كانــت تــستلقي فــي السرير كل ليلة، تفكر في آخر حديث بينهما، وتعــيده في رأسها مراراً وتكراراً. كان ذلك كل ما استطاعت التفكير به، وعــرفت أنهــا ســتلوم نفــسها إلى الأبد لأنها لم تذهب إلى المكسيك قبل حصول الحادث. كانت حلقة لامتناهية من الذنب والاتهام الذاتي مع الرعب المــضاف للفواتيــر المــتدفقة باستمرار، والديون اللامتناهية التي تركها وراءه، مــن دون وجود أي شيء لتسديدها. كانت الأشهر الأربعة الأخيرة بمثابة رعب تام بالنسبة إليها.

شعرت فرناندا بأنها معزولة تماماً نتيجة كل ما حصل لها، والشخص الوحــيد الــذي عرف ما تعانيه هو المحامي جاك واترمان. كان متعاطفاً، وداعماً، ورائعاً، واتفقا ذلك الصباح على أن تطرح المنــزل للبيع في شهر أغــسطس. لقد عاشوا هنا خلال الأعوام الأربعة والنصف الماضية، وبات الأولاد يحــبونه الآن، لكنها لا تستطيع فعل أي شيء حيال ذلك. ستضطر إلى طلب مساعدة مالية لإبقائهم في مدارسهم، ولم تتمكن حتى من فعل ذلك بعــد. فهي لا تزال تحاول إبقاء فداحة كارثتهم المالية سرّاً. إنها تفعل ذلك مــن أجــل ألان، وكــذلك لتفادي الذعر العام. فطالما أن الأشخاص الذين يديــنون لهم بالمال لا يزالون يعتقدون أنهم يملكون موارد مالية، سيعطيها ذلك القليل من الوقت الإضافي للدفع لهم. وهي تعزو التأخير في الدفع إلى الحجز والضرائب. إنها تراهن على الوقت، ولا يعرف أحد ذلك.

تحــدثت الأوراق عن توقف عدد من الشركات المتنوعة التي استثمر فــيها. لكن لحسن الحظ أن أحداً لم يجمع بعد الصورة الكارثية كلها، ربما

لأن الرأي العام لا يعرف أنه كان المستثمر الرئيسي فيها. إنها شبكة من الرعب والأكاذيب التي تطارد فرناندا ليلاً نهاراً، فيما تتصارع هي مع حزن فقدان الرجل الوحيد الذي أحبته، وتحاول توجيه أولادها عبر المخاطر المحجوبة وحزنهم على والدهم. كانت هي نفسها مذهولة ومرعوبة جداً بحيث صعب عليها معظم الوقت استيعاب ما يحصل لها.

ذهبت لزيارة الطبيب في الأسبوع الماضي لأنها بالكاد كانت تنام خلال الأشهر الماضية، وعرض عليها تناول الأدوية، لكنها لم تشأ ذلك. أرادت فرناندا أن ترى ما إذا كانت تستطيع تجاوز الأزمة من دون تناول أي شيء. لكنّها شعرت بأنها محطمة كثيراً، ويائسة جداً، بحيث تحاول وضع قدم أمام الأخرى يوماً بعد يوم، والاستمرار، ولو لأجل أولادها فقط. يتوجب عليها تنظيم الفوضى والعثور في النهاية على طريقة لإعالتهم. لكن في بعض الأحيان، وخصوصاً في الليل، كانت تغمرها موجات من الذعر.

ألقت فرناندا نظرة خاطفة على الساعة في مطبخ الغرانيت الأبيض العملاق حيث جلست، ورأت أن أمامها خمس دقائق للوصول إلى مدرسة الأولاد، وعرفت أن عليها الاستعجال. وضعت رباطاً مطاطياً حول الكدسة الجديدة من الفواتير، وألقتها في العلبة حيث تحتفظ بكل الفواتير الأخرى. تذكرت أنها سمعت في مكان ما عن أشخاص يغضبون من أحبابهم الذين توفوا، ولم تصل هي بعد إلى هذه المرحلة. كل ما فعلته هو البكاء، والتمني لو أنه لم يكن غبياً كفاية للتهور هكذا بنجاحه إلى أن دمّره، ودمّر حياتهم معه. لكنها ليست غاضبة، وإنما فقط حزينة، وخائفة جداً.

بدت قصيرة القامة بسروال الجينز والقميص الأبيض القطني والصندل فيما خرجت مسرعة من الباب وهي تحمل حقيبتها ومفاتيح السيارة. لديها شعر أشقر طويل وأملس تشده في ضفيرة إلى الخلف، مما يجعلها تبدو للوهلة الأولى شبيهة كثيراً بابنتها. آشلي في الثانية عشرة، لكنّ آشلي تكبر بسرعة، وأصبحت بطول أمها تقريباً.

كان ويل يصعد على الدرج الأمامي للمنزل فيما خرجت هي مسرعة، وأغلقت الباب وراءها وهي شاردة الذهن. إنه صبي طويل وصاحب شعر داكن، يشبه والده إلى حدٍّ بعيد. لديه عينان زرقاوان كبيرتان، وبنية رياضية. يبدو أشبه برجل وليس بصبي هذه الأيام، وهو يفعل ما بوسعه ليكون داعماً لأمه. فهي باكية أو غاضبة طوال الوقت، وهو قلق عليها أكثر مما يظهر لها. توقفت لبرهة على الدرج ووقفت على رؤوس أصابعها لتقبيله. إنه في السادسة عشرة، لكنه يبدو وكأنه في الثامنة عشرة أو حتى في العشرين.

"هل أنتِ بخير، أمي؟" إنه سؤال عديم الجدوى. فهي ليست بخير منذ أربعة أشهر. تكشف دوماً عن ذعر في عينيها، وصدمة وشرود في الذهن، ولا يسعه هو فعل أي شيء حيال ذلك. اكتفت بالنظر إليه، وأومأت برأسها.

قالت له وهي تتجنب عينيه: "نعم، سأذهب لاصطحاب آش وسام. سأحضر لك شطيرة حين أعود إلى المنزل".

ابتسم لها وقال: "أستطيع فعل ذلك بنفسي. لديّ مباراة الليلة". إنه يلعب اللاكروس والبايسبول، وهي تحب الذهاب إلى مبارياته وتدريباته، ولطالما فعلت ذلك. لكنها أصبحت في الآونة الأخيرة شاردة جداً حين تذهب بحيث لم يكن واثقاً من أنها تراه.

عرض عليها: "هل تريدين أن أذهب لإحضارهما؟" أصبح هو رجل المنزل الآن. كانت صدمة كبيرة بالنسبة إليه، كما هي بالنسبة إليهم جميعاً، وهو يفعل ما بوسعه ليكون على قدر المسؤوليات الملقاة على عاتقه. لا يزال يصعب عليه التصديق أن والده مات ولن يعود أبداً. إنها صدمة هائلة جداً بالنسبة إليهم جميعاً. بدا وكأنّ أمه أصبحت شخصاً مختلفاً هذه الأيام، لقد أصبح قلقاً بشأن طريقتها في قيادة السيارة. فقد أصبحت بمثابة تهديد على الطريق.

"أنــا بخير". طمأنته، مثلما تفعل دوماً، لكنها لا تقنعه ولا تقنع نفسها، واستمرت في المشي نحو سيارتها، وفتحت الباب، ولوّحت له، ودخلت إلى السيارة. بعد برهة، انطلقت بعيداً، ووقف يراقبها لبرهة، وشاهدها تتجاوز إشارة التوقف عند المنعطف. بدا بعد ذلك وكأنه يحمل ثقل العالم كله على كتفـيه، ففـتح الـباب الأمامـي للمنــزل بمفتاحه، ودخل إلى المنـزل الصامت، وأغلق الباب وراءه. بسبب رحلة صيد غبية إلى المكسيك، غير والده حياتهم إلى الأبد. كان يذهب دوماً إلى مكان ما، ويفعل شيئاً ما يعتبره مهماً. خلال الأعوام القليلة الماضية، لم يكن أبداً في المنــزل تقريباً، وإنما خارجاً في مكان ما، يجني المال. لم يحضر أياً من مباريات ويل منذ ثلاثة أعوام. وحتى لو لم تكن فرناندا غاضبة منه على ما فعله لهم بسبب موته، لا شـك في أن ويل غاضب جداً. فكلما نظر الآن إلى أمه، وشاهد الحالة التـي هي فيها، يكره والده على ما فعله بها، وبهم جميعاً. لقد تخلى عنهم. يكرهه ويل على ذلك، رغم أنه لا يعرف القصة الكاملة.

الفصل الرابع

حـين نــزل بيتر مورغان من الباص في سان فرانسيسكو، وقف ينظر حوله لبرهة طويلة. لقد أنــزله الباص في جنوب السوق؛ في منطقة غيـر مألوفة بالنسبة إليه. فقد كانت كل نشاطاته، حين عاش هنا، متمركزة في ضواحي أفضل. كان يملك منــزلاً في باسيفيك هايتس، وشقة في نوب هـيل اسـتعملها للاتجار بالمخدرات، وعقد صفقات الأعمال في سيلكون فالـي. لم يدخل أبداً إلى الضواحي الفقيرة، لكن نظراً لوضعه الحالي بعد خروجه للتو من السجن، فإنه ينسجم تماماً مع حيث يقف.

مـشى فـي شـارع الـسوق لبـرهة، محاولاً الاعتياد على تحرك الأشـخاص مـن حـوله مجدداً، وشعر أنه ضعيف ومصدوم. عرف أنه سيتجاوز هذه المشكلة سريعاً. لكن بعد أربعة أعوام ونصف العام تقريباً في بيلـيكان بـاي، شعر كأنّه بيضة من دون قشرة في الشوارع. توقف أمام مطعـم فـي الـسوق، ودفع ثمن شطيرة برغر وفنجان قهوة، وفيما تذوق طعمهمـا، والحرية المرافقة لهما، شعر أنها أفضل وجبة يأكلها في حياته. بعد ذلك، وقف خارجاً، يراقب الأشخاص. ثمة نساء وأولاد، ورجال يبدون وكـأنهم يذهـبون عمداً إلى مكان ما. ثمة أشخاص مشرّدون يستلقون أمام عتـبات الأبـواب، وأشخاص ثملون يتجولون. كان الطقس دافئاً وجميلاً، مـشى بيتـر في الشارع، من دون هدف محدد في عقله. عرف أنه حين يـصل إلى مركز إعادة التأهيل، سيخضع للقوانين مجدداً. أراد تذوق طعم الحـرية أولاً قبل الذهاب إلى هناك. بعد ساعتين، استقل باصاً، بعدما سأل

أحدهم عن التعليمات، وتوجه إلى جادة ميشون، حيث يقع مركز إعادة التأهيل.

يقع المركز في الشارع السادس عشر. حين نزل من الباص، مشى قليلاً حتى عثر عليه، ثم وقف خارجاً، ينظر إلى منزله الجديد. إنه مختلف كثيراً عن الأماكن التي عاش فيها قبل أن يدخل إلى السجن. لم يتوقف عن التفكير في جانيت، وابنتيه الصغيرتين، سأل نفسه أين هما يا ترى. لقد اشتاق كثيراً إلى ابنتيه خلال الأعوام الماضية. قرأ في مكان ما أن جانيت تزوجت مجدداً؛ قرأ ذلك في مجلة حين كان في السجن. لقد انتهت حقوقه الأبوية قبل أعوام عدة. تخيل أن زوجها الجديد تبنى الفتاتين. لقد خرج هو قبل زمن بعيد من حياتها، ومن حياة ابنتيه. أخرج الذكريات من رأسه، فيما صعد على درج مركز إعادة التأهيل. تم افتتاحه لاستقبال المدمنين على المخدرات والسجناء الذين أطلق سراحهم قبل انتهاء فترة أحكامهم.

طغت على مركز إعادة التأهيل رائحة القطط والبول والطعام المحترق، وكان الطلاء متقشراً عن الجدران. إنه مثل الجحيم بالنسبة إلى حامل شهادة ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد. لكن، هكذا كان أيضاً بليكان باي، وقد صمد هناك لأكثر من أربعة أعوام. وعرف أنه سيصمد هنا أيضاً؛ فإنّ لديه في النهاية قدرة كبيرة على الصمود.

كان هناك رجل أسود نحيل وطويل من دون أسنان يجلس أمام مكتب، ولاحظ بيتر أن هناك آثاراً على كلا ذراعيه. كان يرتدي قميصاً قصير الأكمام ولم يهتم على ما يبدو لتلك الآثار، ورغم بشرته الداكنة، ثمة دموع موشومة على وجهه، وهذا دليل على أنه كان في السجن. نظر إلى بيتر وابتسم، فبدا مرحباً ومسروراً. لاحظ في عيني بيتر تلك النظرة المصدومة التي تلي إطلاق السراح من السجن.

"هل أستطيع مساعدتك يا رجل؟" عرف من الطلة، والثياب، وقصة الشعر – بالرغم من الأصول الأرستقراطية الظاهرة لبيتر – أنه كان في السجن هو أيضاً. فقد اتضح كل شيء من طريقة مشيته، والحذر الذي راقب به الرجل الجالس أمام المكتب. عرفا فوراً أنهما يملكان رابطاً مشتركاً بينهما. يملك بيتر الآن شيئاً مشتركاً مع الرجل الجالس أمام المكتب أكثر مما يفعل مع أي شخص آخر من عالمه. لقد أصبح هذا عالمه.

أومأ بيتر برأسه، وسلّمه أوراقه، قائلاً إنه يفترض به المجيء إلى مركز إعادة التأهيل، فنظر إليه الرجل الجالس أمام المكتب، وأومأ برأسه، وأخذ مفتاحاً من درج المكتب، ووقف.

قال له: "سأريك غرفتك".

أجاب بيتر بتهذيب، "شكراً". لقد انتصبت كل دفاعاته مجدداً، مثلما كانت طوال أربعة أعوام. عرف فقط أنه أكثر أماناً هنا مما كان في بيليكان باي. لكنّ الحشد هو نفسه تقريباً، وسيعود العديد منهم إلى حيث كانوا. لا يريد العودة إلى السجن، أو انتهاك إطلاق سراحه المشروط، بسبب شجار أو الدفاع عن نفسه في مشاجرة.

صعدا طابقين على السلالم ومرّا بقاعات كريهة الرائحة. كان المبنى من الطراز الفيكتوري القديم، وأصبح بحاجة إلى ترميم منذ زمن بعيد فتم تحويله لهذا الغرض. يقطن المنزل رجال فقط. في الأعلى، تفوح رائحة القطط وصناديق الأوساخ التي نادراً ما يتم تغييرها. مشى مراقب المركز حتى نهاية القاعة، وتوقف أمام باب، وطرق عليه. لا جواب. فتحه بالمفتاح، ودفع الباب، فيما دخل بيتر خلفه إلى الغرفة. إنها بالكاد أكبر من خزانة. ثمة سجادة عتيقة مكسوة بالبقع على الأرضية، وسرير بسيط، وخزانتان من الأدراج، ومكتب قديم، وكرسي. تطل النافذة الوحيدة على الجهة الخلفية لمنزل آخر يحتاج بشدة إلى الطلاء. الوضع مثير

للاكتئاب. على الأقل، كانت الزنزانات في بيليكان باي عصرية، حسنة الإضاءة، ونظيفة. أو على الأقل هكذا كانت زنزانته. بدا هذا مثل فندق رخيص.

شرح له المراقب، "الحمام في القاعة السفلية. ثمة رجل آخر في هذه الغرفة، وأظن أنه الآن في العمل".

"شكراً". لاحظ بيتر أنه لا توجد شراشف على السرير، وأدرك أن عليه شراءها بنفسه، أو النوم مباشرة على الفراش، مثلما يفعل الآخرون. كانت معظم أغراض رفيقه في الغرفة مبعثرة على الأرض. المكان فوضوي جداً، وقف محدقاً خارج النافذة لبرهة طويلة، وشعر بأشياء لم يحس بها منذ أعوام طويلة. يأس، وحزن، وخوف. ليس لديه فكرة إلى أين يذهب الآن. عليه العثور على وظيفة، فهو بحاجة إلى المال، وعليه البقاء نظيفاً. من السهل التفكير في تجارة المخدرات مجدداً لإخراج نفسه من هذه الفوضى. فمشروع العمل في ماكدونالدز أو غسل الأطباق في مكان ما لم يعجبه. صعد إلى السرير العلوي بعدما غادر المراقب، واستلقى هناك، محدقاً في السقف. بعد برهة، خلد إلى النوم محاولاً عدم التفكير في كل ما يجدر به فعله.

في اللحظة نفسها تقريباً التي دخل فيها بيتر مورغان إلى غرفته في مركز إعادة التأهيل في شارع ميشون في سان فرانسيسكو، دخل كارلتون واترز إلى غرفته في مركز إعادة التأهيل في موديستو. الغرفة التي خصصت له كان يشغلها أيضاً رجل سجن اثنتي عشرة سنة في سان كوانتين، ويدعى مالكولم ستارك. كان الرجلان صديقين قديمين، وابتسم واترز ما إن رآه. لقد أعطى ستارك نصيحة قانونية ممتازة، سمحت في النهاية بإطلاق سراحه.

"ماذا تفعل هنا؟" بدا واترز مسروراً برؤيته، فيما كشف ستارك عن ابتسامة عريضة. لم يفشِ واترز سره، لكن بعد أربعة وعشرين عاماً في

السجن، لا يزال مصدوماً من خروجه. لذا، ارتاح كثيراً لرؤية صديق.

"خرجت الشهر الماضي. أمضيت خمس سنوات في سوليداد وخرجت العام الماضي. أعادوا سجني قبل ستة أشهر بسبب حيازة سلاح ناري. ليست قضية كبيرة. خرجت للتو مجدداً. هذا المكان ليس سيئاً. أظن أنه يوجد هنا بعض الرجال الذين تعرفهم".

"ولماذا أمضيت خمس سنوات في السجن"، سأل واترز وهو يرمقه. كان شعر ستارك طويلاً، ولديه وجه خشن ومليء بالندوب. لقد شارك في الكثير من الشجارات حين كان ولداً.

"قبضوا عليّ في سان دييغو. كنت أعمل في تهريب المخدرات عبر الحدود". كان يعمل في تجارة المخدرات حين التقى بواترز للمرة الأولى. هذا هو العمل الوحيد الذي يتقنه ستارك. إنه الآن في السادسة والأربعين، ترعرع في وضع مزرٍ جداً، ويتاجر بالمخدرات منذ كان في الخامسة عشرة، وهو مدمن عليها منذ كان في الثانية عشرة. لكن المرة الأولى التي دخل فيها إلى السجن كانت بسبب القتل. فقد قتل أحدهم حين فشلت صفقة لبيع المخدرات. "لم يصب أحد بأذى هذه المرة". أومأ واترز برأسه. لقد أحب هذا الرجل، رغم أنه رأى أنه من الغباء دخوله إلى السجن مجدداً. كما أن التهريب عبر الحدود عمل وضيع جداً. فذلك يعني أنه يتم استئجاره لنقل المخدرات عبر الحدود، ولم يكن على ما يبدو ذكياً في ذلك، إذ تم اعتقاله. لكن هذا ما يحصل معهم جميعاً عاجلاً أم آجلاً. أو مع معظمهم على الأقل.

سأل واترز، "من يوجد هنا أيضاً؟" بالنسبة إليهم، هذا أشبه بنادٍ أو أخوية للرجال الذين كانوا في السجن.

"جيم فري، وبعض الرجال الآخرين الذين تعرفهم". تذكر كارلتون واترز أن جيم فري كان في بيليكان باي بسبب محاولة قتل وخطف. دفع له رجل ما ليقتل له زوجته، وفشل في العملية. حكم عليه وعلى الزوج

بالسجن لمدة عشر سنوات. يعتبر سجن بيليكان باي، وسان كوانتين قبله، بمثابة كلية للجرائم. إنهما مكانان موازيان نوعاً ما لشهادة الماجستير في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد التي يحملها بيتر مورغان. سأله ستارك، "إذاً، ماذا ستفعل الآن، كارل؟" كما لو أنه يناقش مشاريع العطلة الصيفية أو مشروع عمل سيباشران فيه.

"لديّ بعض الأفكار. عليّ الرجوع إلى محاميّ، وهناك بعض الأشخاص الذين أريد رؤيتهم بخصوص وظيفة". يملك واترز عائلة في المنطقة، وهو يعدّ الخطط منذ أعوام.

قال ستارك متطوعاً: "أنا أعمل في مزرعة، أوضب الطماطم، إنه عمل قذر لكنهم يدفعون جيداً. أريد أن أقود شاحنة. لكنهم قالوا إنه عليّ العمل في التوضيب لمدة ثلاثة أشهر، إلى أن يتعرفوا عليّ جيداً. لا يزال أمامي شهران. إنهم بحاجة إلى رجال إذا أردت العمل". اقترح عليه ستارك ذلك بطريقة عفوية، محاولاً أن يكون مفيداً.

ابتسم واترز وقال: "أريد أن أرى إذا كان باستطاعتي العثور على وظيفة في مكتب. أصبحت ضعيفاً". كان يبدو كل شيء سوى ذلك مع بنيته المميزة، لكنّ العمل اليدوي لا يروق له. سيرى إذا كان باستطاعته الحصول على شيء أفضل. ومع الحظ الجيد، قد يتمكّن من ذلك. فموظف الموارد الذي عمل معه خلال العامين الماضيين أعطاه إفادة جيدة، واكتسب مهارات جيدة في الكمبيوتر أثناء وجوده في السجن. وبعد المقالات التي كتبها، أصبح كاتباً مقبولاً. ما زال يرغب في تأليف كتاب عن حياته في السجن.

جلس الرجلان مع بعضهما وتحدثا لبرهة، ثم خرجا لتناول العشاء. يجدر بهما تسجيل دخولهما وخروجهما، والعودة قبل التاسعة مساء. كل ما استطاع كارلتون واترز التفكير فيه حين ذهب إلى المطعم مع مالكولم هو غرابة الشعور عند المشي في شارع مجدداً، والخروج لتناول العشاء. لم

يفعل ذلك منذ أربعة وعشرين عاماً، منذ كان في السابعة عشرة. لقد أمضى ستين في المئة من حياته في السجن، رغم أنه لم يضغط على الزناد. على الأقل هذا ما قاله للقاضي، ولم يتمكنوا أبداً من إثبات أنه فعل ذلك. لقد انتهى الأمر الآن. تعلم الكثير من الأمور في السجن والتي ما كان ليتعلمها في مكان آخر. السؤال هو ماذا سيفعل بها. في الوقت الحاضر، لا يملك أية فكرة.

أخذت فرناندا آشلي وسام من المدرسة، ثم أوصلت آشلي إلى مدرسة الباليه، وعادت إلى المنزل مع سام. كالعادة، وجدا ويل في المطبخ. كان يقضي معظم وقته في المنزل يأكل، رغم أن هذا ليس بادياً عليه. إنه رياضي، نحيل وقوي، وطوله يتجاوز 180 سنتم بقليل. كان طول ألان 185 سنتم، وافترضت أن ويل سيصبح بهذا الطول قريباً، وفقاً للمعدل الذي ينمو به.

"في أي ساعة مباراتك؟" سألت فرناندا، فيما سكبت كوباً من الحليب لسام، وأضافت تفاحة إلى طبق البسكويت، ووضعت الطعام أمامه. كان ويل يأكل شطيرة والتي بدت وكأنها على وشك الانفجار من كثرة ما حشاها بالحبش، والطماطم، والجبن، وكان يغمس الشطيرة في الخردل والمايونيز. يستطيع الولد الأكل كثيراً.

قال ويل بين اللقمة والأخرى: "ليست قبل السابعة، هل ستأتين؟" ألقى نظرة خاطفة عليها، وتصرف كما لو أنه ليس مهتماً، لكنها عرفت أنه مهتم. فهي تذهب دوماً إلى مبارياته. حتى الآن، مع وجود الكثير من الأمور الأخرى في عقلها. تحب أن تكون هناك لأجله، وبقربه، فهذه وظيفتها. أو هكذا كانت حتى الآن. سيتوجب عليها فعل شيء آخر سريعاً. لكن في الوقت الحاضر، لا تزال أماً بدوام كامل وتحب كل دقيقة من ذلك. فالتواجد مع أولادها أصبح الآن أكثر أهمية بالنسبة إليها بعد موت ألان.

"وهل أفوتها؟" ابتسمت له، وبدت متعبة، محاولة عدم التفكير في كدسة الفواتير الجديدة التي وضعتها في العلبة قبل أن تذهب لإحضار الولدين من المدرسة. بدا أنه يوجد المزيد من الفواتير كل يوم، وهي تتضاعف بشكل هائل. لم تكن لديها فكرة عن مقدار الأموال التي أنفقها ألان. ولا عن طريقة تسديدها الآن. عليهم بيع المنزل سريعاً، بالمبلغ الممكن الحصول عليه. لكنها حاولت عدم التفكير في ذلك فيما تحدثت إلى ويل. "مع من ستلعبون؟"

"فريق من مارين. إنهم مقرفون. يجب أن نفوز نحن". ابتسم لها، وبادلته ابتسامة عريضة، فيما تناول سام البسكويت وتجاهل التفاحة.

قالت من دون أن تدير حتى رأسها: "هذا جيد. تناول تفاحتك سام". وتمتم هو بالإجابة.

قال لها: "لا أحب التفاح". إنه ولد رائع في السادسة من عمره أحمر الشعر مع نمشٍ على وجهه، وعينين بنيتين.

"إذاً تناول دراقة. تناول بعض الفاكهة، وليس فقط بسكويت". حتى في خضم الكارثة، تستمر الحياة. المباريات الرياضية، رقص الباليه، الوجبات الخفيفة بعد المدرسة. إنها تحاول عيش الحياة الطبيعية لأجلهم. وكذلك لأجلها هي. فأولادها هم الشيء الوحيد الذي يساعدها على الصمود.

قال سام: "ويل لا يأكل الفاكهة". وبدا وكأنه نزق. لديها أولاد من كل الألوان، إذا صح القول. يملك ويل شعراً داكناً مثل والده، وآشلي شعراً أشقر مثلها، وسام شعراً أحمر ساطعاً رغم أن أحداً لم يفهم تركيبة تلك الجينات. فما من شعر أحمر أبداً في العائلة، في كلتا الجهتين. ومع عينيه البنيتين الكبيرتين، ومجموعة النمش، بدا أشبه بولد في إعلان أو رسوم متحركة.

"يأكل ويل كل ما هو موجود في الثلاجة، حسبما يبدو. لا يبقى لديه مجال للفاكهة". أعطت سام دراقة وحبة مندرين، وألقت نظرة

سريعة على ساعتها. لقد تجاوزت الساعة الرابعة، وإذا كانت مباراة ويل في السابعة، فإنّ عليها تقديم العشاء في السادسة، كما يجب عليها إحضار آشلي من الباليه في تمام الخامسة. لقد أصبحت حياتها الآن مقسمة إلى أجزاء صغيرة، وكانت دوماً كذلك، إلاّ أنها مقسمة بشكل أكثر وضوحاً الآن، ولم يعد لديها أحد لمساعدتها. فبعد فترة وجيزة من موت ألان، تخلت عن مدبرة المنزل والخادمة التي كانت تساعدها على الاهتمام بسام قبلاً. لقد تخلصت من كل تلك المصاريف وهي الآن تنجز كل شيء بنفسها، بما في ذلك العمل المنزلي. لكن الأولاد أحبوا ذلك على ما يبدو. أحبوا وجودها معهم طوال الوقت، رغم إدراكها بأنهم يشتاقون إلى والدهم.

جلسوا معاً أمام مائدة المطبخ، فيما تذمر سام من ولد في الصف الرابع نمّر عليه ذلك اليوم في المدرسة. قال ويل إن عليه تقديم مشروع علمي هذا الأسبوع، وسألها ما إذا كانت تستطيع إحضار سلك نحاسي له. ثم نصح ويل شقيقه الصغير بشأن ما يجب فعله مع المتنمرين. إنه في المدرسة الثانوية، فيما يذهب الولدان الآخران إلى المدرسة المتوسطة. ما زال ويل يحافظ على علاماته المدرسية نفسها منذ شهر يناير، لكنّ علامات آشلي انخفضت كثيراً، وقالت معلمة سام إنه يبكي كثيراً. ما زالوا جميعاً مصدومين. وهكذا هي فرناندا، فهي تشعر وكأنها تبكي طوال الوقت. لقد أصبح الأولاد معتادين على ذلك الآن. فكلما دخل ويل أو آشلي إلى غرفتها، يجدانها تبكي. تحاول أن تكون بمظهر أفضل أمام سام، رغم أنه ينام في سريرها منذ أربعة أشهر، ويسمعها تبكي أحياناً. تبكي حتى خلال نومها. شكت آشلي أمام ويل قبل أيام قليلة بأن أمهم لم تعد تضحك أبداً، حتى أنها بالكاد تبتسم. بدت مثل الزومبي.

قال ويل بإحساس: "ستعاود الضحك. امنحيها الوقت". لقد أصبح راشداً أكثر هذه الأيام، ويحاول أخذ دور والده.

يحتاجون جميعاً إلى الوقت للتعافي، ويحاول هو أن يكون الرجل في العائلة؛ أكثر مما اعتقدت فرناندا أنّه ضروري. تشعر أحياناً أنها بمثابة عبء عليه الآن. سيذهب إلى مخيم لاكروس هذا الصيف، وهي مسرورة لأجله. أعدّت آشلي الخطط للذهاب إلى منزل صديقة لها في تاهو، فيما سيذهب سام إلى مخيم نهاري، ويبقى معها في المدينة. إنها مسرورة لأن الأولاد سيكونون مشغولين، فسيعطيها ذلك الوقت للتفكير، وفعل ما يجب فعله مع المحامي. أملت فقط أن يباع المنزل بسرعة حين يعرضونه للبيع، رغم أن هذا سيشكل صدمة بالنسبة إلى الأولاد أيضاً. ليس لديها فكرة عن المكان الذي سيعيشون فيه بعد بيع المنزل؛ ربما في مكان ما صغير ورخيص. عرفت أيضاً أنه عاجلاً أم آجلاً سيتضح للجميع أن ألان كان مفلساً تماماً وغارقاً في الديون حين مات. لقد فعلت ما بوسعها لحمايته حتى الآن، لكنّ الحقيقة ستظهر في النهاية. ليس هذا من الأسرار الممكن الاحتفاظ بها إلى الأبد، رغم أنها واثقة من أنّ أحداً لم يعرف به بعد. كانت جنازته جميلة وموقرة وتم مدح مزاياه – مهما كانت – وعرفت أن هذا ما كان يريده ألان.

حين ذهبت لإحضار آشلي قبيل الساعة الخامسة، طلبت من ويل الانتباه إلى سام. توجّهت إلى مدرسة سان فرانسيسكو للباليه، حيث تتلقى آشلي الدروس ثلاث مرات أسبوعياً. لن تتمكن من دفع تكاليف هذا لاحقاً. فبعد قول وفعل كل شيء، كل ما سيتمكنون من فعله هو الذهاب إلى المدرسة، وإبقاء سقف فوق رؤوسهم، وتناول الطعام. سيكون كل شيء آخر مختصراً، إلا إذا حصلت على وظيفة رائعة، وهذا أمر غير محتمل. لم يعد الأمر مهماً. هناك القليل من الأشياء المهمة. إنهم على قيد الحياة، ويحبون بعضهم بعضاً. هذا كل ما تهتم به الآن. أمضت الكثير من الوقت وهي تسأل نفسها عن سبب عدم فهم ألان لذلك. لماذا فضل الموت على مواجهة أخطائه، أو الحظ السيئ، أو الحكم السيئ، أو كل شيء آخر؟ لقد

وقع في شرك الصفقات بحيث وصل إلى القمة ثم تجاوزها، على حساب كل شخص آخر. كانت فرناندا والأولاد يفضلونه هو على كل ذلك المال. في النهاية، لم يحصل أي شيء جيد منه. فلقد حصلوا على بعض الأوقات الجيدة، وبعض الألعاب الممتعة، والكثير من المنازل، والجمعيات، والتعاونيات التي لا يحتاجون إليها. أمّا اليخت والطائرة فكانا بمثابة ترف غير ضروري بالنسبة إليها. لقد خسروا والدهم، وخسرت هي زوجها. إنه ثمن باهظ جداً بالنسبة إلى أربع سنوات من الترف المذهل. تمنت لو أنه لم يجنِ أساساً كل هذا المال، ولم يغادروا أبداً بالو آلتو. كانت لا تزال تفكر في ذلك، مثلما تفعل غالباً الآن، حين توقفت في شارع فرانكلين أمام مدرسة الباليه. وصلت إلى هناك فيما كانت آشلي خارجة للتو من المبنى وهي ترتدي ثوب الرقص وتنتعل الحذاء الرياضي، وتحمل بين يديها حذاء الرقص.

حتى في عمر الثانية عشرة، بدت آشلي رائعة الجمال مع شعرها الأشقر الطويل الشبيه بشعر فرناندا. لديها قسمات بارزة ووجه جميل. إنها تتحول ببطء من طفلة إلى امرأة، ورأت فرناندا غالباً أن التحول ليس بطيئاً جداً بقدر ما أرادته هي. فالطلة الجدية في عينيها جعلتها تبدو أكبر من عمرها بسنوات. لقد كبروا جميعاً خلال الأشهر الأربعة الماضية. شعرت فرناندا أنها أكبر بمئة سنة، على عكس ما تشير إليه بطاقة هويتها والتي تعلن أنها ستبلغ الأربعين في الصيف القادم.

سألت فرناندا ابنتها بعد أن جلست في المقعد الأمامي، فيما اصطفت السيارات خلفها في شارع فرانكلين، وبدأت تطلق العنان لأبواقها، "كيف كان الصف؟" وما إن دخلت آشلي إلى السيارة، ووضعت حزام الأمان، حتى انطلقت أمها في اتجاه المنزل.

"كان جيداً". ورغم أنها مولعة عادة بالباليه، إلاّ أنها بدت متعبة وغير متحمسة. يحتاج كل شيء إلى المزيد من الجهد الآن، بالنسبة إليهم جميعاً.

شـعرت فـرناندا وكأنها تسبح عكس التيار منذ أشهر. وهكذا بدت آشلي أيضاً. إنها تشتاق إلى والدها، مثلما يفعل أخواها وأمها.

سـألت فـرناندا، "لـدى ويل مباراة الليلة. هل تودين الذهاب؟" فيما توجهتا شمالاً في شارع فرانكلين وسط زحمة سير كبيرة.

هـزت آشلي رأسها بالنفي. "لديّ فروض". كانت تحاول على الأقل، رغـم أن علاماتهـا لم تظهر ذلك. لكن حتى فرناندا لم تكن توبخها على ذلـك. عـرفت أنه لا يمكنها الحصول على علامات جيدة. شعرت وكأنها تخلت عن كل شيء في الوقت الحاضر. فإجراء بعض الاتصالات الهاتفية، وفـرز الفواتيـر، والاهـتمام بالمنـزل والأولاد، ومواجهة الحقيقة بشكل يومي هي أمور أكثر مما تستطيع تحملها.

"أريـدك أن تهتمـي بسام الليلة فيما أكون أنا خارجاً. اتفقنا؟" أومأت آشـلي برأسـها. لم تتركهما فرناندا أبداً لوحدهما قبلاً، لكن لا يوجد أحد لتتركهما معه الآن. لا تملك فرناندا أحداً للاتصال به لمساعدتها. فنجاحهم الفوري عزلهم عن الجميع. كما أن فقرهم الفوري عزلهم أكثر. الأصدقاء الـذين بقوا معها طوال سنوات استغربوا ازدياد ثروتهم المفاجئ. أصبحت حـياتهم مختلفة جداً، بحيث فرّق بينهم أسلوب عيشهم الجديد. وجاء موت ألان والمخاوف التي تركها لها ليعزلاها أكثر فأكثر. لا تريد أن يعرف أحد حقـيقة وضعهم المأساوي. حجبت كل الاتصالات التي تتلقاها، ونادراً ما كانـت تعـاود الاتـصال بأصحابها. ما من أحد تريد التكلم إليه. باستثناء أولادهـا، والمحامـي. لديها كل علامات الاكتئاب التقليدية، ولكن هل هذا مـستغرب؟ أصـبحت فجأة أرملة في عمر التاسعة والثلاثين، وهي توشك على خسارة كل شيء كان لديهم، بما في ذلك المنـزل. كل ما بقي لها هو أولادها.

حين عادت إلى المنـزل، حضّرت العشاء ووضعته على المائدة في تمـام السادسة. حضّرت البرغر والسلطة، ووضعت لهم وعاء من رقاقات

الـبطاطا المقلية. ليس هذا طعاماً صحياً، لكنهم يحبونه على الأقل. أخذت طـبقها ولـم تـضع فيه قطعة برغر، ثم رمت معظم السلطة خاصتها في الـنفايات. نـادراً ما تشعر بالجوع، وكذلك حال آشلي. لقد أصبحت أطول وأنحـف خلال الأشهر الأربعة الماضية، الأمر الذي جعلها تبدو فجأة أكبر سناً.

كانـت آشـلي في الطابق العلوي تحضّر فروضها، فيما سام يشاهد التلفـزيون، حين غادرت فرناندا وويل المنـزل في تمام السابعة إلا ربعاً وتوجها إلى بريسيديو. كان يرتدي ثياب وقبعة البايسبول، ولم يتحدث معها كثيراً. كانا هادئين ومفكرين، وحين وصلا إلى هناك، ذهبت للجلوس على أحـد المقاعد مع بقية الأهل. لم يتحدث أحد إليها، ولم تحاول هي استهلال أيـة محادثة مع أحد. لا يعرف الأشخاص ما يجب قوله لها. فحزنها جعل الجميع يشعرون بالغرابة. بدا وكأنّ الأشخاص خافوا من أن تكون الخسارة معدية. فالنساء اللواتي يعشن حياة طبيعية، وآمنة، ومريحة ولديهن أزواج لا يردن الاقتراب منها. أصبحت فجأة وحيدة للمرة الأولى منذ سبعة عشر عاماً، وشعرت كأنها منبوذة فيما جلست تراقب المباراة بصمت.

سجّل ويل هدفين. ربح فريقه بنتيجة ستة أهداف مقابل لا شيء، وبدا مسروراً حين عادا إلى المنـزل. إنه يحب الربح ويكره الخسارة.

عرضـت علـيه، "هـل تريد التوقف لشراء البيتزا؟" تردّد ثم أومأ برأسه. خرج مع المال الذي أعطته إياه، وأحضر معه بيتزا كبيرة مع كل شـيء فيها، ثم التفت وابتسم لها حين دخل إلى السيارة، وجلس في المقعد الأمامي مع علبة البيتزا على حرجه.

"شـكراً، أمـي... شكراً لأنكِ أتيت..." أراد أن يقول لها شيئاً أكثر، لكـنه لم يعرف كيف. أراد أن يقول لها إن حضورها الدائم لمبارياته يعني لـه الكثير، وتساءل لماذا لم يفعل والده ذلك. فمنذ أن كان ولداً صغيراً، لم يـشاهده ولـو مـرة واحـدة في مباريات اللاكروس. اصطحبه ألان إلى

مباريات الوورلد سيريز، والسوبر بول، مع بعض شركائه في العمل. لكنّ هذا كان مختلفاً. لم يذهب أبداً إلى مباريات ويل. أما هي ففعلت، وخلال عودتهما إلى المنزل، ألقت نظرة سريعة عليه، فيما ابتسم لها. إنها واحدة من تلك اللحظات الذهبية التي تحصل بين الحين والآخر بين الأمهات وأولادهن، والتي تبقى في الذاكرة إلى الأبد.

كانت السماء وردية وبنفسجية قليلاً فوق الخليج، فيما شقت طريقها إلى مدخل المنزل، ونظرت إلى السماء لبرهة، فيما خرج ويل من السيارة مع البيتزا. للمرة الأولى منذ أشهر، أحست بالكفاءة، والسلام، والراحة كما لو أنها تستطيع تحمل ما قدمته لها الحياة، وأنهم سيخرجون جميعاً من الأزمة. قالت لنفسها إن الأمور قد تجري على ما يرام في النهاية، وأقفلت السيارة، ولحقت بويل على درج المنزل. كانت تبتسم لنفسها فيما أصبح هو في المطبخ، وأغلقت هي الباب خلفها بهدوء.

الفصل الخامس

راجع كارلتون واترز مراقبه مثلما كان مقرراً، بعد يومين من إطلاق سراحه. تبيّن له أنه يتشارك نفس المراقب مع مالكولم ستارك، فذهبا لزيارة المراقب معاً. طُلب من واترز زيارة المراقب أسبوعياً، مثلما كان يفعل ستارك. صمم ستارك على عدم العودة إلى السجن هذه المرة. بقي سجله نظيفاً منذ خروجه، وهو يجني ما يكفي من المال في مزرعة الطماطم لتغطية مصاريفه، والخروج لتناول الطعام في المقهى المحلي، والتمكن من شراء بعض قناني الجعة. ذهب واترز للتقدم بطلب وظيفة في مكتب المزرعة حيث يعمل ستارك. قالوا له إنهم سيبلغونه الجواب يوم الاثنين.

اتفق الرجلان على الخروج معاً في عطلة نهاية الأسبوع، رغم قول كارلتون إن هناك بعض أفراد العائلة الذين يودّ رؤيتهم يوم الأحد. حذّر المراقب كارلتون ومالكولم بضرورة البقاء في المنطقة، علماً أنهما يحتاجان إلى إذن للخروج من المقاطعة، لكنّ واترز أخبر ستارك أن أقاربه على مسافة باص واحد. لم يرهم منذ أن كان ولداً صغيراً. تناولا العشاء في مطعم مجاور ليلة السبت، وذهبا للسهر في نادٍ ليلي، حيث شاهدا البايسبول على التلفزيون، ثم عادا إلى المركز في تمام التاسعة مساء. لا يريد أي منهما التورط في المشاكل. لقد أنهيا عقوبتيهما، ويريدان الآن السلام، والحرية، والحفاظ على سجل نظيف. قال واترز إنه يأمل في الحصول على الوظيفة التي تقدم بطلبها في اليوم السابق، وإلا سيضطر

إلى البحث مجدداً عن شيء آخر. لكنه لم يكن قلقاً بشأن ذلك. خلد الرجلان إلى النوم في تمام العاشرة، وحين نهض ستارك في السابعة من صباح اليوم التالي، كان كارلتون قد ذهب وترك له رسالة. قال إنه قد ذهب لرؤية أقاربه، وسيراه مجدداً تلك الليلة. رأى ستارك لاحقاً أن كارل سجل خروجه عند المراقب في تمام السادسة والنصف من ذلك الصباح. أمضى بقية اليوم وهو يتجول حول المركز، ويشاهد مباراة بايسبول على التلفزيون، ويتحدث إلى الآخرين. لم يفكر قط مجدداً في المكان الذي ذهب إليه كارلتون. قال إنه سيكون مع أقاربه، وحين سأل أحدهم ستارك عن مكان كارلتون، قال له ذلك.

خرج مالكولم ستارك مع جيم فري في منتصف اليوم تقريباً، وذهبا إلى أقرب مطعم واشتريا التاكو للعشاء. فري هو الرجل الذي تم استئجاره لقتل زوجة رجل، لكنه أخفق في المهمة، وانتهى به الأمر مع الرجل الذي طلب منه قتل زوجته في السجن. لكنهما لا يتحدثان أبداً عن حياتهما الإجرامية حين يكونان معاً. لا يفعل ذلك أي منهما. كانا يفعلان ذلك في السجن بين الحين والآخر، لكنهما صمما على وضع الماضي وراءهما بعدما خرجا إلى العالم. إلا أن علامات السجن بادية على مظهر فري. فهناك وشوم على ذراعيه، مع وشم لدموع السجن المألوفة على وجهه. بدا وكأنه لا يخاف من أي أحد وأي شيء. يستطيع الاهتمام بنفسه، وبدا ذلك بوضوح.

جلس الرجلان يتحدثان بشأن مباراة البايسبول تلك الليلة، ويأكلان التاكو، ويتحدثان عن المباريات التي شاهداها، واللاعبين الذين أعجبوهما، ويشربان نخب بعضهما، ويتأسفان على اللحظات التاريخية في البايسبول التي تمنيا لو أنهما شاهداها. كانت محادثة يمكن أن تجري بين رجلين في أي مكان آخر، وابتسم ستارك حين تحدث فري عن الفتاة التي التقاها أخيراً. التقاها في محطة الوقود حيث يعمل. فلقد كانت تعمل نادلة في

مقهى قرب محطة الوقود. قال إنها أجمل امرأة رآها في حياته، وتشبه مادونا كثيراً، الأمر الذي جعل ستارك يقهقه عالياً. لقد سمع مثل هذه الأوصاف قبلاً - في المركز - الأمر الذي جعله يشكك دوماً في نظر الرجل. لا تشبه النساء أبداً الأوصاف التي يذكرها الرجال عنهن. لكن إذا كان هذا رأي جيم فري، فلن يجادله. يحق للرجل بأحلامه وأوهامه.

سأله مالكولم ستارك باهتمام، "هل تعرف أنك في المركز؟"

"نعم. أخبرتها. أمضى شقيقها وقتاً هنا بسبب سرقة سيارة حين كان ولداً. لم تكن قلقة بشأن هذا". إنه عالم كامل من الأشخاص الذين يقيسون الوقت على ما يبدو وفقاً لمن ذهب إلى السجن، ولكم من الوقت، من دون أن ينزعجوا أبداً من ذلك. إنه أشبه بنادٍ، أو مجتمع سري. لديهم طريقة في العثور على بعضهم البعض.

"هل خرجت معها؟" ثمة امرأة تعجب ستارك أيضاً، في مزرعة الطماطم، لكنه لم يتجرأ على الاقتراب منها بعد. فمهاراته في مواعدة النساء صدئة قليلاً.

قال فري بغرابة: "أظن أنني سأدعوها للخروج في عطلة نهاية الأسبوع المقبلة". حلموا جميعاً بالرومنسية والمغامرات الجنسية الجامحة حين كانوا في السجن. وبعد أن خرجوا، صعب عليهم تحقيق ما حلموا به. إنهم مبتدئون في العالم الحقيقي، في الكثير من النواحي. ولعل مطاردة النساء هي الأصعب على الإطلاق. في معظم الوقت، كان الرجال في مركز إعادة التأهيل يخرجون مع بعضهم، باستثناء المتزوجين بينهم. لكن حتى هؤلاء يحتاجون إلى الوقت للتعرف إلى زوجاتهم مجدداً. لقد اعتادوا كثيراً على عالم من الرجال، خالٍ من النساء، بحيث يسهل عليهم في العديد من النواحي البقاء في عالم ذكوري بالكامل، تماماً مثل الكهنة أو الرجال الذين أمضوا فترة طويلة في الخدمة العسكرية. فالنساء يشكلن إضافة غير مريحة إلى هذه المعادلة. المجتمع الذكوري مألوف بالنسبة إليهم، وأكثر بساطة.

كـان ستارك وفري يجلسان على الدرج الأمامي للمركز، يستمتعان بالنسيم العليل، حين وصل كارلتون واترز تلك الليلة. بدا مرتاحاً ومسترخياً، كما لو أنه أمضى يوماً ممتعاً، فيما ابتسم للرجلين. كان يرتدي قميصاً قطنياً أزرق مفتوحاً فوق قميص قطني مع سروال جينز وجزمة رعاة بقر، علماً أن جزمته كانت متسخة كثيراً. لقد مشى مسافة نصف ميل تقريباً من محطة الباص، على طريق وسخة، في ليلة ربيعية جميلة. وبدا في معنويات جيدة. كان يبتسم وبدا مرتاحاً.

سأله ستارك بتهذيب، "كيف حال أقاربك؟" من المضحك كيف تجري الأمور هنا وما هي الأسئلة المفترض طرحها. في السجن، كان من الأفضل دوماً الحفاظ على الصمت وعدم طرح أي سؤال. ففي أماكن مثل بيليكان باي، ينزعج الأشخاص من الأسئلة.

"بخير، حسبما أظن. لا بد أن شيئاً ما حصل. استقليت باصين للوصول إلى مزرعتهم، ولا أعرف إذا كانوا قد ذهبوا إلى مكان آخر. أخبرتهم أنني سأزورهم، لكن أظن أنهم نسوا. تجولت قليلاً، وجلست على شرفتهم لبعض الوقت، ثم تجولت في المدينة، وتناولت شيئاً ما. ثم استقليت الباص عائداً". لم يكن منزعجاً من ذلك. بدا وكأنه من الجيد الركوب في الباص إلى أي مكان والجلوس تحت أشعة الشمس. لم تتح له فرصة القيام بمثل هذه الأمور منذ أن كان ولداً. وبدا هو أشبه بولد فيما جلس على الدرج معهم. بدا أكثر سعادة من اليوم السابق؛ إذ يبدو أن الحرية تلائمه تماماً. بدا وكأن عبئاً كبيراً انزاح عن كتفيه، فيما اتكأ على الدرج، وابتسم له مالكولم ستارك ابتسامة عريضة. حين فعل ستارك ذلك، كان من الممكن الملاحظة بوضوح أنه لا يملك أية أضراس خلفية، وإنما فقط أسناناً أمامية.

مازحه ستارك، "حسب اعتقادي، أظن أنك كنت تكذب عليّ بشأن أقاربك، وأمضيت يومك مع امرأة". بدا واترز راضياً ومصاباً بالدوار مثلما يفعل الأشخاص بعد ممارسة الجنس.

ضحك كارلتون واترز بصوتٍ عالٍ على ما قاله ستارك، وقذف حصى صغيرة إلى الطريق، ولم يعلّق بأي شيء إضافي. وفي تمام التاسعة، وقفوا جميعاً، وتمططوا، وعادوا إلى الداخل. إنهم يعرفون واجباتهم. وقعوا على سجل الدخول، وتوجهوا إلى غرفهم. تحدث هو وستارك لبرهة، فيما جلس كل منهما على سريره، فيما ذهب جيم فري إلى غرفته. لقد اعتادوا على الروتين الليلي المسالم والمألوف، ولم يعترضوا على قوانين المركز أو حظر التجول.

توجب على ستارك النهوض في الساعة السادسة للذهاب إلى العمل في اليوم التالي. وفي تمام العاشرة، نام كلا الرجلين، تماماً مثل سائر الأفراد في المركز. عند النظر إليهم، وهم ينامون بسلام، لا يشك أحد كم أن هؤلاء الرجال خطرون، أو كم كانوا كذلك قبلاً، ومدى الأذى الذي ألحقوه بالعالم قبل أن يصلوا إلى هنا. لكنهم تعلموا مبدئياً دروسهم.

الفصل السادس

مثلما تفعل دوماً، أمضت فرناندا عطلة نهاية الأسبوع مع أولادها. لدى آشلي تمرين لحفلة باليه تستعد للمشاركة فيها خلال شهر يونيو، بعدما أنهت تمرينها أوصلتها فرناندا بعد ذلك إلى السينما لمشاهدة فيلم، وتناول العشاء مع الأصدقاء. تولت فرناندا إيصالها إلى كل مكان، فيما جلس سام على المقعد الأمامي قربها. دعت صديقه للعب معه يوم السبت، وذهبا لحضور إحدى مباريات ويل فيما كانت آشلي تتدرب على الباليه. يبقيها الأولاد مشغولة، وهي تحب ذلك. فهذا هو خلاصها.

يوم الأحد كانت آشلي نائمة، وكان سام يشاهد فيلم فيديو، أما ويل فكان يعمل على مشروع علمي للمدرسة فيما صوت التلفاز يصدح في غرفته، لقد كان يشاهد مباراة لفريق العمالقة، إلاّ أنهم كانوا يخسرون، وكانت المباراة مضجرة، فلم يعرها اهتماماً كبيراً. أما فرناندا فكان لديها الكثير من الأعمال المكتبية، وكانت تحاول التركيز من دون جدوى فيما راجعت أوراق الضرائب التي أعطاها إياها المحامي لملئها. كانت تفضل الذهاب في نزهة على الشاطئ مع الأولاد. اقترحت ذلك عند الغداء، لكنّ أياً منهم لم يكن في مزاج جيد. أرادت الهروب فقط من عمل الضرائب. أخذت للتو استراحة، ودخلت إلى المطبخ لإحضار فنجان شاي، حين سمعت فجأة انفجاراً قوياً بدا قريباً جداً منهم. بدا وكأن الانفجار حصل مباشرة قربهم، ثم ساد بعد ذلك صمت طويل، فيما ركض سام إلى الغرفة وحدّق فيها. كانا مذعورين.

سألها وهو يبدو قلقاً، "ما هذا؟"

أجابت فرناندا، "لا أعرف. لكنّه بدا قوياً جداً". استطاعا سماع صفارات سيارات الشرطة من البعيد.

"بدا كبيراً جداً". قال ويل مصححاً فيما ركض إلى الغرفة، ونزلت آشلي إلى الأسفل بعد دقيقة وهي تبدو مرتبكة، ووقفوا جميعاً في المطبخ يتساءلون عما حدث. بدا وكأن صفارات سيارات الشرطة وصلت إلى شارعهم، وتقترب منهم بسرعة. هناك الكثير منها، ومرّت ثلاث سيارات شرطة بسرعة أمام نوافذهم مع أنوارها الوامضة. "ماذا حصل برأيكِ، ماما؟" سأل سام مجدداً وهو يبدو متحمساً. بدا وكأن قنبلة انفجرت في منزل أحد الجيران، رغم أن فرناندا اعتبرت ذلك مستبعداً.

أجابت، "ربما حصل انفجار غاز". فيما نظروا جميعاً خارج النافذة، وشاهدوا المزيد من الأضواء الوامضة تمرّ قربهم. فتحوا الباب الأمامي، ونظروا إلى الخارج. بدا وكأنّ عشرات سيارات الشرطة اجتمعت في الشارع، مع وصول المزيد منها، إضافة إلى ثلاث سيارات للإطفاء. توجهت فرناندا مع الأولاد إلى جانب الطريق، ولاحظوا النار تشتعل في سيارة أمام المبنى المجاور، فيما وجه رجال الإطفاء خراطيم الماء إليها. خرج الناس من منازلهم، وأصبحوا جميعاً في الشارع، يثرثرون مع بعضهم البعض. اقترب بعضهم من السيارة المحترقة بسبب الفضول، لكنّ الشرطة أشارت لهم بضرورة الابتعاد، فيما وصلت سيارة ضابط الشرطة إلى مسرح الحادث، لكن ضخامة الإثارة انتهت حينها بعد أن خمدت النار المشتعلة من السيارة.

"يبدو وكأن سيارة اشتعلت، ولا بد أن خزان الوقود انفجر". شرحت فرناندا بحذر. لقد انتهت الإثارة تقريباً. لكنّ رجال الشرطة والإطفاء كانوا في كل مكان، فيما خرج ضابط الشرطة من سيارته.

قال ويل باهتمام فيما وقفوا خارجاً: "ربما كانت قنبلة في السيارة". أخيراً، عادوا إلى المنزل فيما راح سام يتذمر. يريد أن يرى سيارات الإطفاء، لكنّ الشرطة لن تسمح لأحد بالاقتراب من مكان الحادث. هناك العشرات من رجال الشرطة أمام المبنى، يطوقون مسرح الحادث، فيما يصل المزيد منهم تباعاً. لا يفترض بسيارة مشتعلة أن تستدعي كل هذا الاهتمام، لكن لا شك في أن الانفجار بدا كبيراً جداً. فقد قفزت في الهواء حين سمعته.

بعد أن عادوا إلى المنزل، علّقت فرناندا، "لا أظن أنها قنبلة في سيارة، أظن أن انفجار خزان الوقود يعطي مثل هذا الصوت الكبير. ربما كانت السيارة تحترق منذ وقت، ولم يلاحظ أحد".

أضافت آشلي، وهي تبدو مذهولة، "ولماذا تشتعل السيارة؟" بدا الأمر غبياً بالنسبة إليها، لكنه أخافها على أية حال.

"يحدث ذلك. ربما رمى أحدهم سيجارة ولم ينتبه إليها. شيء من هذا القبيل. أو ربما تخريب متعمد". رغم أن هذا بدا مستبعداً. خصوصاً في حيهم. لا تعرف فرناندا ما يجب بها اقتراحه أيضاً لشرح المسألة.

قال ويل: "ما زلت أظن أنها قنبلة في سيارة". وقد بدا مسروراً لأن شيئاً ما ألهاه عن مشروعه العلمي. إنه يكره إنجازه، ويصلح أي عذر لتفاديه، ولا سيما قنبلة في سيارة.

قالت آشلي لويل مع نظرة اشمئزاز: "أنت تلعب النينتندو كثيراً، ما من أحد يفجر السيارات إلاّ في الأفلام أو التلفزيون".

بعد ذلك، عاد كل واحد منهم لمتابعة نشاطه. تابعت فرناندا عملها على الأمور الضريبية التي طلب المحامي جاك واترمان منها إنجازها. وفيما غادر الغرفة، قال ويل إنه لا يستطيع إنهاء مشروعه من دون المزيد من الأسلاك النحاسية، وهو لا يملكها حالياً، فوعدته أمه بإحضار المزيد منها يوم الاثنين. وجلست آشلي مع سام، تشاهد نهاية فيلم الفيديو معه.

مرّت ساعتان إضافيتان قبل أن تغادر آخر سيارات الشرطة، فيما غادرت سيارات الإطفاء قبل وقت طويل من ذلك. لقد عاد الهدوء ليخيم من جديد. قامت فرناندا بتحضير العشاء، وعندما كانت تضع الأطباق في آلة غسل الأطباق رنّ جرس الباب. ترددت أمام الباب الأمامي، ونظرت عبر منظار الباب، وشاهدت رجلين يقفان خارجاً، يتحدثان إلى بعضهما البعض. لم تشاهدهما أبداً من قبل. كانت ترتدي الجينز وقميصاً قطنياً، فيما كانت يداها مبللتين حين سألت من الطارق. قالا إنهما من الشرطة، لكنها لم تلاحظ أن مظهرهما يوحي بذلك. فهما لا يرتديان البزة الرسمية، وكانت تفكر في عدم فتح الباب حين أمسك أحدهما بشارته، ورفعها أمام المنظار لتتمكن من رؤيتها. فتحت الباب بحذر، ونظرت إليهما. كانا محترمين، واعتذرا على إزعاجها، ووقفت هي تنظر إليهما بارتباك.

"هل من خطب؟" لم يخطر في بالها أولاً أن زيارتهما لها علاقة بالسيارة التي شاهدوها تحترق بعد الظهر، أو بالانفجار الذي سمعوه حين انفجر خزان الوقود على الأرجح. لم تتخيل لماذا جاءا لرؤيتها. وتذكرت لبرهة الأيام المرعبة بعد موت ألان، والتعاطي مع السلطات في المكسيك.

"كنا نتساءل ما إذا كنا نستطيع التكلم معكِ لدقيقة". كانا شرطيين يرتديان ثياباً عادية، الأول ذو أصول آسيوية والآخر يبدو أن أصوله تعود للقوقاز. كانا حسني المظهر وفي عمر الأربعين تقريباً، يرتدي كل منهما سترة رياضية وقميصاً وربطة عنق. قالا إنهما التحريان لي وستون، وسلّماها بطاقتيهما فيما وقفا أمام القاعة الأمامية يتحدثان إليها. ما من شيء ينذر بالسوء فيهما، ونظر إليها الرجل ذو الأصول الآسيوية وابتسم. "لم نقصد إخافتك سيدتي. حصل حادث في الشارع قرب منزلكِ بعد ظهر اليوم. إذا كنتِ في المنزل، لا شك في أنكِ سمعته". كان لطيفاً ومهذباً، وجعلها تشعر فوراً بالارتياح.

"نعم، سمعناه. بدا وكأن سيارة اشتعلت، وأفترض أن خزان الوقود انفجر".

قال التحري لي: "هذا افتراض منطقي". كان يراقبها، كما لو أنه يبحث عن شيء ما. ثمة شيء فيها بدا أنه يحيّره. لم يقل التحري الآخر أي شيء. ترك شريكه يتولى الكلام.

سألتهما فرناندا، "هل تودان الدخول؟" كان واضحاً أنهما غير مستعدين بعد للمغادرة.

"هل تمانعين؟ سنأخذ فقط دقيقة واحدة من وقتك". أدخلتهما إلى المطبخ، وعثرت على صندلها تحت طاولة المطبخ. كانا رجلين محترمين، وشعرت بالإحراج للوقوف والتحدث إليهما وهي حافية القدمين.

"هل تودّان الجلوس؟" أشارت إلى طاولة المطبخ، التي أصبحت نظيفة تقريباً. استعملت الإسفنجة لإزالة بقية الفتات، ورمتها في حوض غسل الصحون، ثم جلست معهما. "ماذا حصل؟"

"ما زلنا نتحرى. نريد أن نطرح على الجيران بعض الأسئلة. هل كان يوجد أحد في المنزل حين سمعتِ الانفجار؟" رأته يلقي نظرة سريعة حول الغرفة، ويتأمل المطبخ الأنيق. إنه عبارة عن غرفة كبيرة وجميلة، فيه رفوف من الغرانيت الأبيض، ومعدات كهربائية حديثة، وثريا بيضاء كبيرة. إنه يتناغم مع ضخامة بقية المنزل. فالمنزل مهيب، وكبير، ورسمي جداً، ويتناسب تماماً مع نجاح ألان عندما اشتروه. لكنها بدت طبيعية جداً ومسترخية فيما تأمل التحري لي سروال الجينز، والقميص القطني، والشعر المربوط إلى الخلف في رباط مطاطي. بدت للوهلة الأولى مثل ولد، وبدا جلياً أنها كانت تُحضّر العشاء، الأمر الذي فاجأه. ففي منزل مثل منزلها، توقع رؤية طاهية. وليس امرأة جميلة في سروال الجينز وحافية القدمين.

قالت فيما أومأ هو برأسه: "كان أولادي معي".

"وهل من شخص آخر؟" إضافة إلى الطاهية، توقع رؤية الخدم ومدبرة منزل أيضاً. فهذا المنزل من النوع الذي افترض أن يكون عادة مكتظاً بالموظفين. ربما أيضاً خادمة أجنبية أو اثنتان، أو حتى كبير للخدم. بدا غريباً جداً أن تكون وحدها هنا. افترض أن يكون الخدم في إجازة يوم الأحد.

قالت ببساطة: "لا، فقط نحن. أنا والأولاد".

سألها، "هل كان زوجك في المنزل؟" ترددت، ونظرت بعيداً. ما تزال تجد صعوبة في شرح الأمر. الوضع جديد عليها، ولا تزال الكلمة تؤلمها كلما لفظتها.

"لا، أنا أرملة". كان صوتها ناعماً، وكاد يختفي حين لفظت الكلمة. إنها تكرهها.

"أنا آسف. هل خرج أي منكم من المنزل قبل سماع الانفجار؟" بدا لطيفاً فيما طرح الأسئلة، ولم تعرف السبب، لكنها ارتاحت له. لغاية الآن، كان التحري لي وحده يتولى الكلام. أما الشرطي الآخر، التحري ستون، فلم يقل أي شيء لغاية الآن. لكنها شاهدته ينظر من حوله، ويراقب المطبخ. بدا وكأنهما يتأملان كل شيء، ويتمعنان فيها هي أيضاً.

"لا. خرجنا بعد ذلك، ولكن ليس قبلاً. لماذا؟ هل حصل شيء آخر؟ هل أشعل أحدهم النار في السيارة؟" قد يكون هذا عملاً تخريبياً، وليس حريقاً بريئاً في النهاية، قالت لنفسها.

ابتسم بسرور، "لا نعرف بعد، هل نظرتم إلى الخارج، أو شاهدتم أحداً في الشارع؟ هل من شيء غير اعتيادي، أو أحد مشكوك في أمره؟"

"لا. كنتُ أنجز بعض الأعمال المكتبية على مكتبي، وأظن أن ابنتي كانت نائمة، وأحد ولديّ يشاهد فيلم فيديو فيما الولد الآخر ينجز مشروعاً علمياً للمدرسة".

"هل تمانعين إذا سألتهم؟"

"لا. لا بأس. أنا واثقة من أن الصبيين سيعتبران الأمر مثيراً. سأذهب لمناداتهم". ثم التفتت إليهما فيما وقفت في الباب وراقبها تيد لي. "هل ترغبان في شرب شيء ما؟" ألقت نظرة خاطفة عليهما، وهزّا رأسيهما، لكنهما ابتسما وشكراها. كانا مهذبين جداً معها. قالت: "سأعود خلال دقيقة". وصعدت السلالم بسرعة للوصول إلى غرف الأولاد. أخبرتهم أن الشرطة في الأسفل وتريد أن تطرح عليهم بعض الأسئلة. وكما توقعت قبلاً، بدت آشلي منزعجة. إنها تتحدث على الهاتف، ولا تريد أن يقاطعها أحد. وبدا سام متحمساً.

"هل سيعتقلوننا؟" بدا في الوقت نفسه خائفاً ومتفائلاً. وأجبر ويل نفسه على الابتعاد عن لعبة النينتندو قبل أن يرفع حاجبه ويبدو محتاراً.

"هل كنت محقاً؟ هل كانت قنبلة في سيارة؟" بدا متفائلاً.

"لا، لا أظن ذلك. قالا إنهما لا يعرفان بعد ما الذي حصل، لكنهما يريدان أن يعرفا إذا رأى أحد منكم شخصاً أو شيئاً مشكوكاً في أمره. ولا، سام، لن يعتقلونا. لا يظنون أنك أنت من فعل ذلك". بدا سام لبرهة خائب الأمل، ووقف ويل، ولحق بأمه على السلالم فيما اعترضت آشلي.

"لماذا يجدر بي النزول إلى الأسفل؟ كنتُ نائمة. ألا تستطيعين قول هذا لهم؟ أنا أتحدث إلى مارسي". ثمة مسائل مهمة يجب مناقشتها. مثل الصبي في الصف الثامن في المدرسة الذي أبدى أخيراً بعض الاهتمام في آشلي. بالنسبة إليها، هذا أكثر أهميّة وأكثر إثارة من الشرطة.

"قولي لمارسي إنك ستعاودين الاتصال بها. ويمكنك إخبار التحريين بنفسك أنكِ كنتِ نائمة". قالت فرناندا فيما سبقتهم إلى الأسفل، ولحقوا بها إلى المطبخ. دخل الأولاد إلى الغرفة مباشرة بعدها، ووقف التحريان وابتسما لهم. إنهم مجموعة جميلة من الأولاد، وكانت هي امرأة جميلة. شعر تيد لي فجأة بالأسف عليها، ومن شكل وجهها حين أجابته، شعر أن وفاة زوجها حديثة العهد. لديه حدس في الأمور، بعد ثلاثين عاماً تقريباً

من طرح الأسئلة ومراقبة الناس حين يجيبون. بدت مجروحة حين أجابته، لكنها بدت أكثر ارتياحاً الآن، محاطة بأولادها. لاحظ أن الصبي الصغير الأحمر الشعر يبدو مثل العفريت الصغير، وكان يحدق فيه باهتمام.

قال سام: "تقول أمي إنك لن تعتقلنا". وضحك كل من في الغرفة، وابتسم له تيد.

"هذا صحيح، بنيّ. قد ترغب ربما في مساعدتنا في التحقيق. ما رأيك في ذلك؟ يمكننا تفويضك، وحين تكبر، قد تصبح تحرياً".

قال سام معتذراً: "أنا في السادسة من عمري". كما لو أنه يود مساعدتهما لو كان أكبر سناً.

"لا بأس. ما اسمك؟" كان التحري لي لطيفاً مع الأولاد، وجعل سام يشعر فوراً بالارتياح.

"سام".

"أنا التحري لي. وهذا زميلي، التحري ستون".

قاطع ويل، "هل كانت قنبلة". وبرمت آشلي عينيها نحو شقيقها، وهي مقتنعة بأن هذا سؤال سخيف. كل ما تريده هو العودة إلى الأعلى، والتكلم على الهاتف.

قال تيد لي بصدق: "ربما، قد تكون كذلك. لسنا واثقين بعد. علينا انتظار الأدلة الجنائية. سيفحصون السيارة عن قرب. قد تتفاجأ بما يجدونه". لم يخبر الأولاد، لكنهم عرفوا أصلاً أنها قنبلة. لا جدوى من إخافة الجيران من خلال إخبارهم الآن. ما يريدون معرفته هو من نفذ العملية. "هل خرج أي منكم من المنزل أو نظر عبر النافذة قبل سماع الانفجار؟"

"أنا". أجاب سام بسرعة.

"أنت؟" نظرت إليه أمه مندهشة. "هل خرجت من المنزل؟" بدا الأمر مستبعداً بالنسبة إليها، ونظرت إليه بطريقة مشككة، مثلما فعل أخوه

وأخته. ظننت آشلي أنه يكذب ليبدو مهماً أمام الشرطة.

"نظرت عبر النافذة. كان الفيلم مضجراً".

"وماذا رأيت؟" سأل تيد باهتمام. كان الصبي ظريفاً جداً، وذكّره بأحد أولاده حين كان صغيراً. لديه نفس الطريقة الصريحة والمضحكة في التحدث إلى الغرباء، ولذلك كان يحبه كل من يلتقي به. "ماذا رأيت، سام؟" سأل تيد وهو يجلس على إحدى كراسي المطبخ كي لا يصبح طويلاً جداً بالنسبة له. كان رجلاً طويلاً، وحين جلس، نظر إليه سام مباشرة في العينين من دون تردد.

"أشخاص يقتلون بعضهم". قال سام بحزم واشمئزاز.

"خارج النافذة؟"

"لا. في الفيلم. لهذا السبب، كان مضجراً. التقبيل سخيف".

حتى ويل ابتسم على هذا التعليق، وقهقهت آشلي فيما راقبته فرناندا بابتسامة حزينة، متسائلة ما إذا كان سيشاهد التقبيل مجدداً في الحياة الحقيقية. ربما ليس وهي على قيد الحياة. فقط في حياته هو. أبعدت الفكرة عن رأسها، فيما طرح عليه تيد المزيد من الأسئلة. "ماذا رأيت خارجاً؟"

"السيدة فاربر تنزه كلبها. إنه يحاول دوماً عضّي".

"ليس هذا لطيفاً. هل شاهدت أحداً آخر؟"

"السيد كوبر مع حقيبة الغولف. إنه يلعب الغولف كل يوم أحد. وكان هناك رجل يمشي في الشارع، لكنني لا أعرفه".

سأل تيد بطريقة عفوية تقريباً، "كيف كان شكله؟"

قطّب سام حاجبيه عند التفكير في ذلك. "لا أتذكر. أعرف فقط أنني رأيته".

"هل بدا غريب الأطوار أو خائفاً؟ هل تذكر أي شيء عنه؟" لكن سام هزّ رأسه.

"أعرف فقط أنني رأيته، لكنني لم أنتبه كثيراً. كنت أنظر إلى السيد كوبر. اصطدم بالسيدة فاربر بسبب حقيبة الغولف، وراح كلبها ينبح عليه. أردت أن أعرف ما إذا كان الكلب سيعضّه".

سأل تيد باهتمام، "وهل فعل؟"

"لا. شدّت السيدة فاربر اللجام، وصرخت عليه".

"صرخت على السيد كوبر؟" سأل، وهو يبتسم، فيما كشف سام عن ابتسامة عريضة. لقد أحبه، وكانت الإجابة عن أسئلة تيد ممتعة.

"لا". شرح سام بصبر، "صرخت على الكلب كي لا يعضّ السيد كوبر. ثم عدت لمشاهدة التلفزيون. وبعد ذلك، حصل الانفجار".

"هل هذا كل ما رأيته؟"

ركّز سام مجدداً، وأومأ برأسه. "أوه، وأظن أنني شاهدت سيدة أيضاً. لا أعرفها أيضاً. كانت تركض".

"في أي اتجاه كانت تركض؟"

أشار سام بعيداً عن المكان الذي انفجرت فيه السيارة.

"كيف كان شكلها؟"

"لا شيء مميز. بدت وكأنها تشبه آشلي".

"هل كانت مع الرجل الذي لم تعرفه؟"

"لا، كان هو يمشي في الاتجاه الآخر، وارتطمت به. نبح عليها كلب السيدة فاربر أيضاً، لكن السيدة تجاوزتهما مسرعة. وهذا كل ما رأيته". قال سام مستنتجاً، ثم ألقى نظرة خاطفة على الآخرين، وهو يبدو محرجاً. كان خائفاً من أن يتهموه بالسعي للفت الأنظار. فهم يفعلون ذلك أحياناً.

قال له تيد: "هذا ممتاز، سام". ثم نظر إلى أخيه وأخته.

"وماذا عنكما؟ هل رأيتما أي شيء؟"

قالت آشلي: "كنتُ نائمة". لكنها لم تعد عدائية. أحبته. وكانت الأسئلة ممتعة.

أضـــاف ويل، "كنت أنجز مشروعي العلمي، لم أنظر خارجاً إلى أن سمعت الانفجار. كنت أشاهد مباراة العمالقة، لكنّ الانفجار كان قوياً جداً".

قال تيد، وهو يومئ برأسه: "أراهن أنه كان كذلك". ثم وقف مجدداً. "إذا تذكـــر أحـــدكم أي شيء آخر، اتصلوا بنا. تملك أمكم رقمنا". أومأوا جميعاً برؤوسهم، وبعد تفكير، طرحت عليه فرناندا سؤالاً.

"لمـــن كانت السيارة؟ هل لأحد الجيران، أو مجرد سيارة مركونة في الـــشارع؟" لم تتمكن من معرفة ذلك مع وجود كل سيارات الإطفاء حولها. وبعد ذلك، بات من الصعب التعرف على السيارة بعد أن التهمتها النيران.

"سيارة القاضي ماكينتر. إنه أحد جيرانكم. ربما تعرفونه. إنه خارج المديـــنة، لكنّ السيدة ماكينتر كانت هنا. كانت على وشك الخروج والذهاب إلـــى مكان ما، وأخافها الانفجار فعلاً. لحسن الحظ أنها كانت لا تزال في المنـــزل عندما حصل الحادث".

قال سام بصدق: "لقد أخافني الانفجار أنا أيضاً".

اعترفت فرناندا، "لقد أخافنا جميعاً".

أضـــاف ويل بإصرار، "بدا وكأنهم فجروا المبنى بكامله، أراهن أنها كانت قنبلة في سيارة".

قال تيد متطوعاً: "سنبلغكم عندما نعرف". لكنّ فرناندا شكّت في أنهم سيفعلون ذلك.

سألت فرناندا باهتمام، "هل تظن أن القاضي ماكينتر كان مستهدفاً إذا كانت قنبلة؟"

"لا أعتقد. قد يكون مجرد حادث عشوائي بالصدفة". لكنها لم تصدقه هـــذه المرة. فقد كانت هناك الكثير من سيارات الشرطة في مكان الحادث،

ووصلت سيارة الضابط بسرعة كبيرة. بدأت تفكر أن ويل محق فعلاً. إنهم يبحثون بلا شك عن شخص ما، ويجرون تدقيقاً متأنياً. وهذا كثير برأيها لو كان الحادث مجرد حريق عشوائي.

شكرهم التحري لي، ثم تمنّى لهم هو وزميله ليلة سعيدة حين غادرا، أقفلت فرناندا الباب وراءهما مع نظرة شاردة.

قالت فرناندا لسام: "هذا مثير". شعر أنه مهم جداً بعد الإجابة عن كل الأســـئلة. تحدثا عن ذلك خلال صعودهم إلى الطابق العلوي، ثم توجه كل واحد إلى غرفته، وعادت فرناندا لإنهاء تنظيف المطبخ.

"ولـــد ظـــريف". قـــال تيد لي لجيف ستون فيما توجها إلى المنـــزل التالي، حيث لم يشاهد أحد أي شيء أيضاً. تحقّقا من كل المنازل في الحيّ، بمـــا في ذلك منـــزل آل فاربر ومنـــزل آل كوبر اللذين ذكرهما سام. لم يـــشاهد أحـــد أي شيء، أو على الأقل لا يتذكر أحد أي شيء. كان تيد لا يـــزال يفكّـــر في الصبي الصغير الرائع الأحمر الشعر بعد ثلاث ساعات، حين عادا إلى مكتبهما، وسكب لنفسه فنجان قهوة. كان يضيف الكريما إلى القهوة، حين لفظ جيف ستون تعليقاً عشوائياً.

"حـــصلنا على نشرة حول كارلتون واترز هذا الأسبوع. هل تذكره؟ الـــرجل الـــذي قتل شخصين حين كان في السابعة عشرة، وتمت محاكمته علـــى أنه راشد، واستأنف الحكم مليون مرة تقريباً، وحاول الحصول على عفو. لكنه لم يحصل عليه أبداً. لقد خرج هذا الأسبوع. وأرسل إلى مركز إعـــادة التأهـــيل في موديستو، حسبما أظن. ألم يكن ماكينتر القاضي الذي أصـــدر الحكم في تلك القضية؟ أذكر أنني قرأت ذلك في مكان ما. قال إنه لـــم يشك ولو للحظة في أن واترز مذنب. فادعاءات واترز بأن شريكه هو مـــن ضـــغط على الزناد وتولى القتل، فيما كان هو يقف هناك، بريئة مثل الطفـــل الصغير. أعدم الشخص الآخر بواسطة حقنة قاتلة في سان كوانتين بعد أعوام قليلة. أظن أن واترز كان في بيليكان باي".

"ما الذي تقوله لي إذاً؟" سأل تيد فيما ارتشف القليل من القهوة الساخنة. "أن واترز فعلها؟ ليس هذا تصرفاً ذكياً من قبله، إذا كان هو الفاعل. يحاول تفجير القاضي الذي أصدر الحكم، بعد أربعة وعشرين عاماً، ويومين فقط على خروجه من السجن؟ لا يمكن أن يكون بهذا الغباء. إنه رجل ذكي. قرأت بعض مقالاته. إنه ليس بهذه الحماقة. يعرف أنه سيحصل على بطاقة ذهاب بلا إياب إلى بيليكان باي في قطار سريع هذه المرة، وسيكون هو أول شخص يشتبهون به. لا بد أن شخصاً آخر فعل ذلك، أو أنه حادث عشوائي. لا بد أن القاضي ماكينتر حكم على الكثير من الأشرار قبل أن يتقاعد. واترز ليس الشخص الوحيد الذي أرسله إلى السجن".

"كنتُ أفكر فقط. إنها مصادفة مثيرة. إلا أنها تستحق التدقيق. هل تريد الذهاب إلى موديستو غداً؟"

"طبعاً. ولمَ لا؟ إذا كنت تظن أن هناك جدوى من ذلك. أنا لا أظن ذلك. لكنني لا أمانع من زيارة الريف. يمكننا العودة من هناك بحلول الساعة السابعة. قد يظهر شيء آخر بين الحين والآخر". لكنّ أحداً لم يشك في أي شيء أو أي شخص لغاية الآن. لقد تحريا في كل منزل.

الشيء الوحيد الذي تبيّن هو تأكيد الأدلة الجنائية على أن الانفجار كان فعلاً قنبلة في سيارة. قنبلة كبيرة كانت ستلحق الكثير من الأذى بالقاضي وزوجته لو كانا في السيارة. لكن تبيّن أن القنبلة انفجرت قبل أوانها. كانت القنبلة مزودة بساعة توقيت، ونجت زوجة القاضي من الانفجار بفارق خمس دقائق. حين اتصلوا بالقاضي على الرقم الذي أعطتهم إياه زوجته، قال إنه مقتنع بأن أحداً ما يحاول قتله. لكنه رأى – تماماً مثل تيد – أن كارلتون واترز احتمال بعيد. فقد بذل الكثير من الجهد للفوز بحريته، ولن يجازف بها بهذه الطريقة بعد مرور يومين فقط على إطلاق سراحه.

"الرجل أذكى من أن يفعل ذلك". علّق القاضي عبر الهاتف، "قرأت بعض المقالات التي كتبها. لا يزال يزعم أنه بريء، لكنه ليس غبياً كفاية لمحاولة تفجيري في ذات الأسبوع الذي يخرج فيه من السجن". هناك عشرة احتمالات أخرى على الأقل، لأشخاص يشك في أنهم غاضبون منه، وخرجوا من السجن. كان القاضي قد بدأ تقاعده منذ خمس سنوات.

على كل حال، ذهب تيد وجيف إلى موديستو، ووصلا إلى مركز إعادة التأهيل فيما كان مالكولم ستارك، وجيم فري، وكارلتون واترز عائدين للتو من العشاء. أقنعهم جيم فري بالذهاب إلى المقهى في محطة الوقود، ليتمكن من رؤية صديقته.

"مساء الخير أيها السادة". قال تيد ممازحاً، فيما أصبح الرجال الثلاثة فجأة حذرين وعدائيين. يستطيعون شمّ رائحة رجال الشرطة من مسافة ميل.

"ما الذي جاء بكما إلى هنا؟" سأل واترز، بعد أن سمع من أين أتيا.

شرح تيد، "حصل حادث صغير البارحة، انفجار في سيارة القاضي ماكينتر. قد تتذكر الاسم". قال وهو ينظر في عيني واترز مباشرة.

"نعم، أذكر. إنه يستحق ذلك". قال واترز من دون تردد. "أتمنّى لو كنت أملك الرصاص لقتله بنفسي، لكنه لا يستحق أن أعود إلى السجن من أجله. هل قتلوه؟" سأل بتفاؤل.

"لحسن الحظ لا. إنه خارج المدينة. لكن من فجر السيارة كاد يقتل زوجته. نجت من القنبلة بفارق خمس دقائق تقريباً".

قال واترز: "يا للعار". وهو يبدو غير خائف البتة. كان لي يراقبه، ومن السهل ملاحظة كم كان ذكياً. كان بارداً مثل جبل جليدي في القطب الجنوبي، لكنّ تيد مال إلى موافقة القاضي رأيه. لا مجال أبداً لأن يجازف واترز بالعودة إلى السجن بارتكاب شيء أحمق مثل تفجير سيارة القاضي الذي أصدر الحكم، رغم وجود الاحتمال على الدوام خصوصاً وأنه بارد

إلى هذا الحدّ. يستطيع الوصول إلى هناك بالباص، وزرع القنبلة، ثم العودة إلى موديستو مجدداً، قبل حلول موعد منع الدخول والخروج في مركز إعادة التأهيل، مع بعض الوقت الإضافي. لكنّ حدس تيد قال له إنه ليس الرجل المطلوب. إلا أن الرجال الثلاثة ليسوا قديسين. فهو يعرف من يكون الرجلان الآخران، ومنذ كم من الوقت خرجا من السجن. يقرأ تيد دوماً نشرات السجن حين تصل إليهم. وتذكر اسميهما. إنهم مجموعة من المشاغبين. لم يصدق أبداً ادعاءات واترز بالبراءة، ولا يثق فيه الآن. فكل المحكومين يزعمون أنهم مظلومون، وأنه تم إيقاعهم في الشرك من قبل صديقاتهم، أو شركائهم الهاربين، أو المحامين. لقد سمع ذلك مرات عدة. كان واترز زبوناً صعباً، وأكثر لطفاً مما يريده تيد. لديه كل صفات المريض الاجتماعي، الرجل الذي يملك القليل أو لا شي أبداً من الضمير، وهو بلا شك رجل ذكي.

سأله تيد لي، "بالمناسبة، أين كنت البارحة؟" فيما وقف واترز يراقبه بنظرة جليدية.

"هنا. استقليت الباص لرؤية بعض الأقارب. كانوا خارجاً، فجلست على شرفتهم لبعض الوقت، ثم عدت، وجلست هنا مع الرفاق". ما من أحد للمصادقة على الجزء الأول من ادعاءاته، ولذلك لم يزعج تيد نفسه في الاستفسار عن الأسماء.

"كم هذا لطيف. وهل من أحد للتأكيد على كلامك؟" سأل تيد وهو ينظر مباشرة إلى عينيه.

"سائقا الباصين. ما زلت أملك بطاقات الباص، إذا كنت تريدها".

"دعنا نراها". بدا واترز غاضباً، لكنه صعد إلى غرفته، وأحضرها. كشفت عن مكان في منطقة موديستو، وتم استعمالها بوضوح. فلم يبقَ سوى نصف البطاقات. لكن ما من شيء ينفي أنه لم يمزق البطاقات بنفسه، رغم أن تيد لي لا يظن أنه فعل. بدا واترز غير مهتم البتة حين أعاد إليه

تيد البطاقات. "حسناً، انتبهوا إلى أنفسكم أيها الرجال. سنعود لنراكم أحياناً، إذا حصل أي شيء". عرف الرجال أن لديه الحق في طرح الأسئلة عليهم، أو حتى تفتيشهم، كلما أراد ذلك. فالرجال الثلاثة تحت المراقبة.

أضاف جيم فري بصوت خافت حين غادرا، "نعم، ولا تدع الباب يصطدم بمؤخرتك أثناء خروجك". سمع تيد وجيف ما قاله، لكنهما لم يتفاعلا، بل توجها إلى السيارة، وعادا أدراجهما، فيما راقبهما واترز مع نظرة كره في عينيه.

علّق مالكولم ستارك، "خنزيران". ولم يقل واترز أي شيء، بل استدار في مكانه وعاد إلى الداخل. تساءل ما إذا كان كلما حصل حادث في سان فرانسيسكو، سيأتيان إليه ويطرحان عليه الأسئلة. يمكنهما فعل أي شيء يريدانه معه، ولا يستطيع هو فعل أي شيء، طالما أنه تحت المراقبة. الشيء الوحيد الذي لا يريده هو العودة إلى السجن.

سأل تيد شريكه أثناء طريق العودة، "إذاً، ما رأيك؟ هل تظن أنه بريء؟" كان تيد محتاراً، ورأى أن كل شيء محتمل. ما زال قلبه يشكك فيه، لكنّ عقله قال له إن القنبلة وضعت من قبل شخص آخر. لا يمكن أن يكون واترز غبياً جداً لفعل شيء كهذا. إنه ذكي. لكن توجب على تيد الاعتراف بأنه بدا مثل رجل سيئ. فالعبوة زرعت ربما كإنذار على إمكانية حصول أشياء أكبر لاحقاً، لأن القنبلة الموقوتة كان يمكن أن تقتل فقط القاضي أو زوجته لو كانا في السيارة أو يقفان قربها عند انفجار القنبلة.

أجاب جيف ستون، "في الواقع لا. لا أظن أنه بريء، أظن أن هذا الرجل شرير جداً ليكون بريئاً. أظن أنه ذكي كفاية ليصل إلى المدينة، ويزرع القنبلة في سيارة ماكينتر، ويعود أدراجه إلى هنا من دون أن يفوّت الغداء. أظن أنه قادر على ذلك. لكنني أظن أيضاً أنه أذكى من أن يفعل ذلك. لا أظن أنه هو من فعلها هذه المرة. لكنني أكثر ميلاً لعدم الوثوق به

بحيث أستطيع تبرئته. أظن أنه سيعود. سنسمع أخباره مجدداً". لقد شاهدا رجالاً مثله يعودون إلى السجن مرات عديدة.

وافق تيد، "ربما يجدر بنا الحصول على صوره الفوتوغرافية وعرضها في الشارع، لربما تعرف أحد إليه. قد يتذكره ولد آل بارنز، إذا رأى صورة له. لا تعرف أبداً".

قال جيف: "لا ضير في ذلك". وهو يومئ برأسه، ويفكر في الرجال الثلاثة الذين رآهم للتو. خاطف، ومجرم، وتاجر مخدرات. إنهم مجموعة مقرفة وشريرة. "سأسحب الصور حين نصل. يمكننا أخذها إلى الحي يوم الثلاثاء لنرى ما إذا كان أحد يتذكر أنه رآه في الشارع".

"أظن أن أحداً لن يفعل". قال تيد فيما أصبحا على الطريق السريع مجدداً. كان الجو حاراً في موديستو، ولم تعطهما الرحلة أي شيء، لكنه على كل حال كان مسروراً لأنهما ذهبا. لم يشاهد أبداً كارلتون واترز قبلاً، وثمة شيء مثير في رؤيته مباشرة. جعله الرجل يشعر بالقشعريرة، وكان تيد واثقاً تماماً من أنه سيراه مجدداً. فهو من هذا النوع من الرجال. لا يمكن إصلاح أي شيء فيه. لقد أمضى أربعة وعشرين عاماً في السجن، وكان تيد واثقاً من أنه أكثر خطورة مما كان قبل دخوله إليه. لقد أمضى في السجن ثلثي حياته تقريباً. إنها فكرة مسببة للاكتئاب، وأمل تيد فقط ألا يقتل أحداً مجدداً قبل أن يعود.

قاد التحريان السيارة بصمت لبعض الوقت، ثم تحدثا عن انفجار السيارة مجدداً. سيحضر جيف لائحة عبر الكمبيوتر بكل الأشخاص الذين حكم عليهم القاضي ماكينتر خلال العشرين عاماً الماضية، وسيعرف من يوجد منهم خارج السجن. قد يكون المتهم شخصاً آخر خرج من السجن منذ فترة، قبل كارل. الشيء الوحيد الذي يعرفانه بالتأكيد هو أن العمل لم يكن عشوائياً. كان هدية موجهة إلى القاضي حصراً، أو إلى زوجته إذا لم يكن إليه هو. لم تكن هذه فكرة مطمئنة، لكن تيد افترض أنهما سيعرفان في

النهاية من يكون الفاعل. لم يكن كارلتون واترز خارج الاحتمالات بعد. فما من أحد للمصادقة على ادعاءاته، لكن لا يوجد أيضاً أي دليل يدينه، وشك هو وجيف في أنه لن يكون هناك أي دليل. إذا كان واترز هو من فعل ذلك، فإنه ذكي جداً، وقد لا يتمكّنا أبداً من إدانته. لكن على كل حال، بعد مقابلته الآن، سيستمر تيد في مراقبته. وتصوّر أنه في أحد الأيام، سيعود كارلتون واترز للظهور على الشاشة مجدداً. هذا أمر محتم تقريباً، فهو من هذا النوع من الرجال.

الفصل السابع

رنّ جرس الباب في تمام الخامسة من يوم الثلاثاء، فيما كانت فرناندا في المطـبخ، تقرأ رسالة من جاك واترمان، يذكر فيها الأشياء الواجب بيعها وما هو السعر المتوقع منها. كانت تقديراته متحفظة، لكنهما أملا في أنها إذا باعت كل شيء، بما في ذلك المجوهرات التي اشتراها لها ألان – وهناك الكثير منها – فقـد تـتمكّن من بدء حياة جديدة من الصفر وليس أدنى من ذلك، وهذا هو خوفها الأسوأ. في أحسن الأحوال، عليها البدء من لا شيء، وليس لديها فكرة كيف ستتمكن من إعالة نفسها خلال السنوات القليلة المقبلة، وتعليم أولادها في الجامعــة حين يصلون إلى هذه المرحلة. في الوقت الحاضر، كل ما تستطيع فعله هو الوثوق بقدرتها على التوصل إلى فكرة ما. عليها الآن الكفاح كل يوم، والاستمرار في النضال، وبذل ما بوسعها لعدم الغرق.

كان ويل في الطابق العلوي ينجز بعض الفروض، أو يدّعي ذلك. أما ســام فكــان يلعــب في غرفته، وكانت آشلي تتمرن استعداداً لحفلة الباليه ويفترض أن تنتهي في الساعة السابعة. ستحضّر فرناندا لهم العشاء جميعاً في وقت متأخر، مما يعطيها المزيد من الوقت للاكتئاب. وفيما كانت تجلس في المطبخ، شعرت بالذهول حين سمعت جرس الباب. لم تكن تتوقع أحداً، وكان انفجار السيارة قبل يومين آخر شيء خطر في بالها حين توجهت إلى الـباب، وشـاهدت تيد لي عبر المنظار. كان بمفرده، وكان يرتدي قميصاً أبـيض، وربطــة عـنق داكنة، وسترة رسمية. بدا محترماً كثيراً في كلتا المرتين اللتين شاهدته فيهما.

فـتحت الـباب والدهشة على وجهها، وأدركت مجدداً كم هو طويل. كان يحمل مغلفاً بني اللون بين يديه، وبدا متردداً في الدخول إلى أن طلبت مــنه فــرناندا. لاحــظ التوتر في عينيها، فيما كان شعرها منسدلاً، وبدت مــرهقة جداً. تساءل عمّا يزعجها، فلقد بدت وكأنها تحمل ثقل العالم على كتفيها. لكن حين دخل، ابتسمت، وبذلت جهداً لتكون لطيفة.

"مرحبا أيها التحري. كيف حالك اليوم؟" سألت مع ابتسامة متعبة.

"أنــا بخير. أنا آسف لأنني أزعجتك. أردت المرور لأعرض عليكم صـــورة". ألقــى نظرة من حوله، كما فعل يوم الأحد. يصعب عدم التأثر بالمنـــــزل، والتحف الباهظة الثمن الموجودة فيه. بدا أشبه بمتحف. وفي سروال الجينــز والقميص القطني – مثلما كانت يوم الأحد – بدت وكأنها في المكان غير المناسب مع أسلوبها العفوي. ففي المكان الذي تعيش فيه، بــدا وكأنه يفترض بها نــزول السلالم في فستان سهرة، وهي تجر معطفاً مــن الفــرو خلفهــا. لكنها لم تكن على ما يبدو من هذا النوع من النساء. عــرف تيد في حدسه أنها أعجبته. بدت مثل شخص عادي، وامرأة لطيفة، وإنمــا حــزينة. كان حزنها طاغياً عليها، وأدرك تماماً أنها متعلقة كثيراً بأولادهــا، وتحاول حمايتهم بقوة. يفهم تيد الأشخاص دوماً بصورة جيدة، ووثق في حدسه بشأنها.

"هل عثروا على الشخص الذي فجّر سيارة القاضي ماكينتر؟" سألت فــيما قادته إلى غرفة الجلوس، وأشارت إليه للجلوس على إحدى الأرائك المخملــية الــناعمة والمريحة. كانت الغرفة مفروشة بالمخمل، والحرير، والبروكاد البيج فيما بدت الستائر وكأنها تعود لقصر. لم يكن ظنه في غير محله؛ فقد اشترتها هي وألان من قصر قديم في مدينة البندقية، وأحضراها إلى المنـــزل.

"لــيس بعــد. لكننا نتحقق من بعض الخيوط. أردت أن أريك صورة فوتوغرافية لمعرفة ما إذا كنت ستتعرفين على أحد، وإذا كان سام هنا، أود

أن يلقي نظرة عليها أيضاً". لا يزال قلقاً بشأن الرجل المجهول الذي رآه سام، والذي لم يستطع سام تذكّره بالتفصيل. سيكون الأمر سهلاً جداً إذا تعرّف سام على هوية كارلتون واترز في الصورة. لقد حصلت أشياء أكثر غرابة، رغم أن تيد لم يتوقعها. حظه ليس جيداً هكذا عادة. فالعثور على المشتبه بهم يحتاج عادة إلى وقت أطول، لكنّ الحظ يحالف الطيبين أحياناً. وتمنّى أن تكون هذه المرة من تلك الأوقات الجيدة.

أخرج تيد صورة كبيرة من المغلف، وأعطاها إياها. حدّقت في الوجه، كما لو أنها تسمّرت به، ثم هزّت رأسها، وأعادت له الصورة. قالت بصوت خافت: "لا أظن أنني رأيته أبداً".

"على الإطلاق؟" ألحّ تيد، فيما راقب كل حركة وتعبير لديها. ثمة شيء قوي وضعيف فيها في الوقت نفسه. من الغريب رؤيتها حزينة جداً في هذا المنزل الرائع، لكنها خسرت زوجها قبل أربعة أشهر فقط.

قالت بصدق: "لا أظن ذلك، ثمة شيء مألوف في وجهه، لكنه يملك واحداً من تلك الوجوه. هل رأيته في مكان ما؟" قطّبت حاجبيها، كما لو أنها تعود بذاكرتها إلى الخلف، وتحاول التذكر.

"يحتمل أنكِ رأيتهِ في الصحف. لقد خرج للتو من السجن. إنه صاحب قضية مشهورة. دخل إلى السجن بسبب جريمة ارتكبها في عمر السابعة عشرة، مع صديق له. ظل يدّعي البراءة طوال أربعة وعشرين عاماً قائلاً إن الشخص الآخر هو الذي ضغط على الزناد".

"كم هذا مريع؛ أياً كان الذي ضغط على الزناد. هل تظن أنه كان بريئاً؟" بدا لها قادراً على الإجرام.

قال تيد بصدق: "لا. لا أظن، إنه رجل ذكي. ومن يعلم، ربما أصبح الآن يصدق قصته. سمعت ذلك قبلاً. فالسجن مليء بالرجال الذين يقولون إنهم أبرياء وينتهون هناك بسبب قضاة سيئين أو محامين فاشلين. لا يوجد عدد كبير من الرجال، أو النساء، الذين يعترفون بأنهم ارتكبوا الجريمة".

"ومن قتل؟" كادت فرناندا ترتعد. إنها فكرة مريعة.

"بعض الجيران. اثنان. كاد وشريكه يقتلان أيضاً ولدي المغدورين، لكنهما كانا مجرد طفلين ولم يزعجا نفسيهما بقتلهما. كانا صغيرين جداً ليتعرفا إليهما. قتلا الوالدين من أجل مئتي دولار، والأشياء الأخرى التي عثرا عليها في المحفظة. نشاهد هذا طوال الوقت. عنف عشوائي؛ القضاء على حياة بشرية من أجل حفنة من الدولارات، أو القليل من الحشيشة، أو مسدس يدوي. لهذا السبب لم أعد أعمل في قسم القتل. الأمر محزن جداً. تبدئين بطرح أسئلة على نفسك حول الجنس البشري، ولا تملكين الإجابة عنها. الأشخاص الذين يرتكبون هذه الجرائم ينتمون إلى فئة خاصة. يصعب علينا نحن البقية أن نفهمهم". أومأت برأسها، وهي تُفكّر في أن ما فعله بدل ذلك لم يكن أفضل كثيراً. تفجير السيارات ليس أمراً ممتعاً أيضاً، وكان بالإمكان قتل القاضي أو زوجته بسهولة. لكن الحادثة بلا شك أقل فظاظة من الجريمة التي تم نسبها إلى كارلتون واترز. حتى صورته الفوتوغرافية جعلتها ترتعد خوفاً. ثمة شيء جليدي ومرعب فيه، يظهر حتى من خلال الصورة الفوتوغرافية. لو رأته قبلاً، لكانت عرفته حتماً. لم تشاهد أبداً كارلتون واترز من قبل.

"هل تظن أنك ستعثر على الشخص الذي فجّر السيارة؟" سألت باهتمام. تساءلت عن نسبة الجرائم التي يحلونها، ومقدار الجهد الذي يبذلونه. بدا متحمساً جداً لعمله. إنه يملك وجهاً جميلاً، وعينين لطيفتين، وسلوكاً ذكياً ولطيفاً. ليس مثلما توقعت أن يكون تحرٍ في الشرطة. لقد توقعته نوعاً ما أن يكون أكثر قساوة. لكنّ تيد لي بدا متمدناً نوعاً ما، وطبيعياً جداً.

قال تيد بصدق: "قد نعثر على المفجر، سنحاول حتماً. إذا كان العمل عشوائياً فعلاً، يصبح الأمر حينها أكثر صعوبة، لأنه ما من إيقاع أو منطق في ذلك، ويمكن أن يرتكبه أي شخص. لكن المذهل هي الأمور التي تظهر

عند التنقيب تحت السطح. وبما أنه قاضٍ، أظن أنه يوجد دافع ما. لربما يكون الفاعل شخصاً ما أرسله القاضي إلى السجن ويظن أنه لا يستحق الحكم الذي ناله، وقرر الانتقام. إذا كان الأمر على هذا النحو، ثمة احتمال كبير أن نعرف الحقيقة. لهذا السبب فكّرت في واترز، أو بالأحرى كان شريكي من فعل. لقد خرج واترز الأسبوع الماضي من السجن. كان القاضي ماكينتر هو من حكم عليه بالسجن.

أربعة وعشرون عاماً هي وقت طويل لكي تبقى نار الضغينة مشتعلة فيه، ومن غير الذكي تفجير سيارة القاضي في الأسبوع الذي يخرج فيه. واترز أذكى من ذلك، لكنه ربما يشعر بارتياح أكبر في السجن. إذا كان المجرم أحد المحكومين وقرّر الانتقام، فسيظهر في النهاية. فالشخص الذي فعلها سيتكلم في النهاية، ونتلقى نحن اتصالاً هاتفياً من مخبر. معظم المعلومات التي نحصل عليها تكون من أشخاص مجهولين أو مخبرين مأجورين". إنها ثقافة كاملة لا تعرف عنها فرناندا أي شيء، ولا تريد ذلك. ورغم أن الأمر مخيف، كان من الجميل أيضاً سماعه يتكلم عن الموضوع. "يتصل الكثير من هؤلاء الأشخاص ويرتبطون ببعضهم بطريقة ما. وهم ليسوا ممتازين في الاحتفاظ بالأسرار. يشعرون وكأنهم مجبرون على التكلم، وهذا من حسن حظنا. في غضون ذلك، علينا التحقق من كل خيط نحصل عليه، ومن كل شكوكنا. حتى الآن لا شيء حول واترز إلاّ الشكوك، وهي شكوك لا تدعمها أي أدلة، لكنها تستحق التأكد منها على كل حال. هل تمانعين إذا جعلت سام يرى الصورة؟"

"على الإطلاق". الآن، أصبحت هي كذلك تشعر بالفضول لمعرفة ما إذا كان سام سيتعرف عليه، رغم أنها لم تشأ تعريضه للخطر بسبب التعرف إلى مجرم قد يحاول إيذاءه والانتقام منه لاحقاً. التفتت إلى تيد وسألته، "ماذا لو تعرف عليه؟ هل ستبقى هوية سام طيّ الكتمان؟"

قال برفق: "طبعاً. لن نعرض أبداً ابن ست سنوات للخطر، أو حتى شخصاً راشداً بسبب ذلك. نفعل كل ما بوسعنا لحماية مصادرنا". أومأت برأسها، وهي تشعر بالارتياح، ولحق بها إلى الأعلى للوصول إلى غرفة نوم سام. ثمة ثريا هائلة مُعلّقة في الأعلى أصابته بالذهول حين نظر إليها. لقد اشترتها فرناندا من فيينا، من قصر آخر، وشحنتها إلي سان فرانسيسكو على شكل قطع كريستال صغيرة منفردة.

طرقت على باب غرفة سام، وفتحته فيما وقف تيد مباشرة خلفها. كان سام يلعب بألعابه على الأرض.

"مرحبا". كشف له سام عن ابتسامة عريضة. "هل ستعتقلني الآن؟" بدا جلياً أنه لم يقلق أبداً من زيارة تيد، بل كان على العكس مسروراً لرؤيته. لقد شعر أنه مهم جداً يوم الأحد عندما سأله تيد عما رآه وجعله يدخل في التفاصيل. ورغم أن سام رآه مرة واحدة قبلاً، إلاّ أنه أحسّ أن تيد ودود ولطيف، ويحب الأولاد. سام يعرف ذلك.

"لا. لن أعتقلك. لكنني أحضرت لك شيئاً ما". قال تيد ومدّ يده إلى جيب معطفه. لم يخبر فرناندا أنه سيعطي الولد هدية. فيما كان يتحدث معها، نسي أمر الهدية. أعطى حينها شيئاً إلى سام، الذي تمدد وأخذه وشهق بصوت مرتفع حين رآه. إنه عبارة عن نجمة نحاسية لامعة، تشبه كثيراً النجمة الفضية التي يحملها تيد في محفظته. "أنت الآن مفتش منتدب في الشرطة، سام. ويعني ذلك أنه عليك قول الحقيقة، وإذا رأيت أشخاصاً أشرار يتجولون، أو أشخاصاً يشتبه بهم، عليك الاتصال بنا". كان الرقم واحد محفوراً عليها مع أحرف أوائلية تشير إلى صفة حاملها، وهذه هدية يعطونها لأصدقاء قسم الشرطة. بدا سام وكأنّ صديقه الجديد أعطاه للتو ماسة. ابتسمت فرناندا لمظهر وجه سام، ثم التفتت إلى تيد لشكره. هذا شيء لطيف. وكان سام متحمساً.

"هذا لطيف جداً. فعلاً لطيف جداً". ابتسمت لابنها، ثم دخلت إلى

الغرفة وتيد خلفها. مثل كل شيء آخر في المنزل، كانت الغرفة مزينة بطريقة جميلة. إنها مطلية بالأزرق الداكن مع شيء من الأحمر والذهبي، وفيها كل شيء يمكن أن يحتاج إليه صبي، بما في ذلك تلفزيون كبير لمشاهدة أفلام الفيديو، وجهاز ستيريو، ومكتبة مليئة بالألعاب والدمى والكتب. وفي وسط الغرفة، هناك كومة من المكعبات الخاصة بالتركيب وسيارة تعمل على البطاريات كان سام يلعب بها حين دخلا إلى الغرفة. ثمة مقعد تحت النافذة أيضاً، ومن هناك اعتقد تيد أن سام كان يراقب الشارع يوم الأحد، وشاهد الرجل الذي لا يذكره بالتفصيل. أعطاه تيد صورة كارلتون واترز حينها، وسأله ما إذا كان قد رآه قبلاً.

وقف سام، وحدّق في الصورة طويلاً، مثلما فعلت أمه. ثمة شيء في عيني واترز يشدّك إليهما بطريقة غريبة، حتى ولو عبر الورق. عرف تيد بعد زيارته له في موديستو في اليوم السابق أن عيني واترز أكثر برودة في الحقيقة. لم يقل تيد أي شيء كي لا يصرف انتباه الصبي، وإنما وقف بهدوء وانتظر، فيما راقبه الكبيران باهتمام. كان سام يُفكّر بوضوح ويسترجع ذاكرته بحثاً عن دليل للتعرف إليه، ثم أعاد الصورة أخيراً وهزّ رأسه، لكن بدا وكأنه لا يزال يُفكّر. لاحظ تيد ذلك أيضاً.

"يبدو مخيفاً". علّق سام، فيما أعاد الصورة إلى تيد.

"مخيف جداً لتقول إنك رأيته؟" سأله تيد بعناية، وهو يراقب عينيه. "تذكر أنك شرطي منتدب الآن. عليك أن تقول لنا ما تتذكره. لن يعرف أبداً أنك أخبرتنا، إذا كنت قد رأيته سام". مثلما فعل مع فرناندا، أراد تيد أن يطمئنه، لكنّ سام هزّ رأسه مجدداً.

"أظن أن الرجل يملك شعراً أشقر مثله، لكنه لا يشبهه".

"ما الذي يجعلك تقول هذا؟ هل تتذكر المزيد عن شكل الرجل الذي رأيته في الشارع؟" تعود الأشياء إلى الذاكرة أحياناً في وقت لاحق. إنها ظاهرة تحصل مع الكبار أيضاً.

قال سام بصدق: "لا، لكن حين أنظر إلى الصورة، أعرف أنني لا أذكر أنني رأيته. هل هو رجل سيئ؟" سأل سام باهتمام ولم يكن خائفاً. إنه آمن في المنزل مع صديقه التحري الجديد، وأمه، وعرف أنه ما من شيء قد يؤذيه. لم تحصل له أبداً أشياء سيئة، باستثناء خسارة والده، لكن لم يخطر له أبداً أن أحداً يريد إيذاءه.

"رجل سيئ جداً". أجاب تيد على سؤاله.

"هل قتل أحداً؟" وجد سام الأمر ممتعاً جداً. بالنسبة إليه، إنها مجرد قصة ممتعة ولا تمتّ إلى الحقيقة بصلة. ونتيجة ذلك، لا إحساس بالخطر.

"قتل شخصين، بالاشتراك مع صديقه". بدت فرناندا فوراً قلقة بسبب ما أخبره به تيد. لا تريد من تيد أن يخبر سام أيضاً عن الولدين اللذين تعرضا للأذى أيضاً. لم تشأ أن يعاني سام من الكوابيس، مثلما يحصل معه دوماً منذ موت والده. خاف أن تموت هي أيضاً، أو حتى أن يموت هو. هذا ملائم لعمره، لكنه أيضاً طبيعي بعد ما حصل مع والده. عرف تيد ذلك بحدسه. لديه أولاد هو أيضاً، ولن يخيف سام من دون حاجة. "وضعوه في السجن لفترة طويلة بسبب ذلك". عرف تيد أنه من المهم إخباره أنه تمت معاقبته على ذلك. ليس قاتلاً عشوائياً يجوب الشوارع، من دون تحمل عواقب سلوكه.

"لكنه خرج الآن؟" سأل سام باهتمام. لا بد أنه كذلك، إذا كان تيد يعتقد أنه هو من كان يمشي في الشارع يوم الأحد وأراد أن يعرف ما إذا كان سام قد رآه.

"خرج الأسبوع الماضي، لكنه أمضى في السجن أربعة وعشرين عاماً. أظن أنه تعلم درسه". تابع قائلاً لطمأنته. يجب توخي الحذر مع ولد في عمره، لكن تيد يبذل ما بوسعه. لطالما كان جيداً مع الأولاد، وأحبهم. لاحظت فرناندا ذلك، وقالت إنه لا بد أن لديه أولاداً هو أيضاً. فهو يضع محبس الزواج في يده اليسرى، وعرفت بالتالي أنه متزوج.

"لماذا تظن إذاً أنه هو من فجّر السيارة؟" سأل سام بمنطق، وكان هذا سؤالاً آخر جيداً. سام ولد ذكي، ولديه حس منطق كبير.

"لا تعرف أبداً متى يرتكب الشخص حماقة فيما لا تتوقع أنت أن يفعل ذلك. الآن وقد أصبحت شرطياً منتدباً، عليك تعلّم ذلك، سام. عليك التحقق من كل شيء، مهما بدا الأمر مستبعداً. في بعض الأحيان، تحصل مفاجأة كبيرة، وتعثر على الرجل الذي تبحث عنه بهذه الطريقة".

"هل تظن أنه هو من فعلها؟ أقصد السيارة؟" كان سام مذهولاً بما يحصل.

"لا. لا أظن. لكنّ الأمر يستحق عناء المجيء إلى هنا للتحقق. ماذا لو كانت الصورة تخص الرجل الذي رأيته، وأنا لم أزعج نفسي بأن أريك إياها؟ لكان فرّ بفعلته، ولا نريد نحن أن يحصل هذا، أليس كذلك؟" هزّ سام رأسه، فيما ابتسم الكبيران لبعضهما وأعاد تيد الصورة إلى المغلف الأسمر. لا يظن أن واترز غبي كفاية لفعل شيء مكشوف على هذا النحو، لكن لا يمكن الجزم أبداً. ولديه الآن معلومة إضافية من سام على الأقل، يعرف أن المشتبه به أشقر. عثر على قطعة صحيحة في أحجية انفجار السيارة. لم يكن ذلك مضراً. قال بمرح للصبي: "بالمناسبة أعجبتني غرفتك، لديك الكثير من الأشياء الجميلة".

"هل لديك أولاد؟" سأل سام، وهو ينظر إليه. كان لا يزال يمسك بنجمته، كما لو أنها الآن أهم شيء يملكه، وهي في الواقع هكذا بالنسبة إليه. لقد كانت هدية رائعة من تيد، وتأثرت فرناندا بذلك.

"نعم، لديّ أولاد". ابتسم له تيد وداعب شعره بطريقة أبوية. "لقد أصبحوا كباراً الآن. اثنان منهم في الجامعة، والثالث يعمل في نيويورك".

"هل هو شرطي؟"

قال: "لا. إنه يعمل في البورصة. لم يشأ أي من أولادي الدخول إلى الشرطة". خاب أمله في البداية، لكنه يعرف الآن أن خياراتهم كانت جيدة

أيضاً. فهذا عمل متعب، وخطير، وشاق غالباً. لطالما أحب تيد ما قام به، وهو مسرور لأنه اختار هذا العمل. لكنّ شيرلي ركزت دوماً على أهمية التربية والدروس الأكاديمية بالنسبة إلى أولادها. يريد أحد ولديه الذهاب إلى كلية الحقوق بعد التخرج، فيما يتحضر الولد الآخر لدراسة الطبّ. إنه فخور بهم. "ماذا تريد أن تصبح حين تكبر؟" سأل تيد باهتمام، رغم أن سام لا يزال صغيراً جداً ليقرر. لكنه شك في أن الولد يفتقد ربما إلى وجود والده معه، ومن اللطيف أن يثرثر لبضع دقائق مع رجل. لا يعرف ظروف فرناندا منذ موت زوجها، لكن في المناسبتين اللتين جاء فيهما إلى المنزل، لم يشعر بوجود رجل فيه، باستثناء ابنها البكر. وبدت عليها علامات التوتر، والعصبية، والضعف لامرأة تحاول تحمل الكثير لوحدها.

"أريد أن أصبح لاعب بايسبول أو ربما شرطياً". قال سام وهو ينظر بمودة إلى النجمة النحاسية بين يديه، وابتسم الشخصان الكبيران مجدداً. وقفت فرناندا هناك تفكر كم هو ولد طيب، فيما دخل ويل. سمع أصوات أشخاص كبار في الغرفة المجاورة لغرفته وتساءل عمّن يكونون. ابتسم حين شاهد تيد، وأخبره سام فوراً أنه الآن أصبح شرطياً منتدباً.

قال ويل مبتسماً: "هذا جميل". ثم نظر إلى تيد. "كانت قنبلة، أليس كذلك؟"

أومأ تيد رأسه ببطء. "نعم، كانت كذلك". كان ولداً جميلاً وذكياً، يشبه أخيه كثيراً. لدى فرناندا ثلاثة أولاد رائعون.

"هل تعرفون من فعل ذلك؟" استفسر ويل، وسحب تيد الصورة مجدداً من الظرف وأعطاها له.

سأل تيد بهدوء، "هل رأيت يوماً هذا الرجل في الجوار؟"

سأل ويل، "هو من فعلها؟" بدا ويل محتاراً، وحدّق في الصورة لوقت طويل. أثّرت عينا كارلتون واترز بالطريقة الممسمرة نفسها فيه، ثم أعاد الصورة إلى تيد وهزّ رأسه. لم يشاهد أي منهم كارلتون واترز، وهذه نقطة

مهمة. لا يؤكد ذلك براءة واترز تماماً، لكنّ ذلك يجعل اتهامه أقل احتمالاً.

"نحــن نتحقق فقط من الاحتمالات. ما من دليل مرتبط به لغاية الآن. هل رأيته قبلاً، ويل؟"

"لا، لــم أره". هــزّ الصبي رأسه. "هل من أحد آخر؟" استمتع ويل بالــتحدث إلــيه، واعتبره رجلاً طيباً. كان يعكس الرزانة والصدق، ولديه طريقة سهلة في التعاطي مع الأولاد.

"لــيس بعــد. ســنبلغكم". نظر تيد إلى ساعته حينها، وقال إن عليه الــذهاب. رافقــته فرناندا على السلالم إلى الأسفل، ووقف هو عند الباب لدقــيقة ونظــر إليها. ثمة شيء غريب في إحساسه حيال هذه المرأة التي تعــيش بــرفاهة، لكنه شعر بالأسف عليها. قال لها: "لديك منــزل جميل، وأشياء جميلة. أنا آسف بشأن زوجك". قال ذلك بطريقة ودودة. عرف قيمة الرفقة بعد ثمانية وعشرين عاماً مع زوجته. فحتى لو لم يعودا قريبين جداً مــن بعــضهما، فإنهما يعنيان الكثير لبعضهما. واستطاع الإحساس بوحدة فرناندا وعزلتها كما لو أنها نعش معلق فوقها.

قالت بحزن استجابة لتعاطف تيد: "وأنا أيضاً".

"هل كان حادثاً؟"

تــرددت فــرناندا، ونظــرت إليه، ولاحظ أن الألم في عينيها حبس أنفاســه. كان عارياً ومجرداً. "ربما... لا نعرف". ترددت لبرهة، وشعرت فجأة بالارتياح معه، أكثر مما ينبغي، واستطاعت من دون سبب أن تشرح، حتــى لنفــسها، أنها تثق فيه. "قد يكون ذلك انتحاراً. وقع عن مركب في المكسيك خلال الليل. كان لوحده على المركب".

قــال مجــدداً: "أنــا آسف جداً". ثم فتح الباب، واستدار للنظر إليها مجــدداً. "إذا كان هناك أي شيء بوسعنا فعله، دعينا نعلم". كان اللقاء بها وبأولادهــا جزءاً مما يحبه في عمله، ولطالما فعل ذلك. فالأشخاص الذين يلتقــي بهم هم الذين يجعلون عمله يستحق العناء. وقد أثرت هذه العائلة به

في الصميم. مهما كان المال الذي لديهم، ويبدو أنهم يملكون الكثير منه، إلاّ أن لــديهم الكثيــر من الأحزان أيضاً. في بعض الأحيان، لا يهم إذا كنت فقيــراً أو غنــياً، لأن الأشياء نفسها تحصل للناس في كل مجالات الحياة، وعلــى كــل الأصعدة الاقتصادية، فالأغنياء يتألمون بقدر ما يتألم الفقراء. مهمــا كــان منــزلها كبيراً، أو الثريا لديها مهيبة، فلا يمنحها ذلك الدفء خلال الليل، ولا تزال لوحدها، مع ثلاثة أولاد تحتاج لتربيتهم بمفردها. لن يكــون الأمــر مخــتلفاً إذا حصل شيء له، وستصبح شيرلي لوحدها مع أولاده. كــان لا يــزال يُفكّر فيها حين عاد إلى سيارته، وقادها بعيداً، فيما أغلقت هي الباب بهدوء.

عــادت إلــى مكتبها بعد ذلك، وقرأت رسالة جاك واترمان مجدداً. اتــصلت لأخــذ موعد منه، وقالت سكرتيرته إنه سيعاود الاتصال بها في الــيوم التالــي. لقد ترك المكتب اليوم. وفي تمام السابعة إلا ربعاً، استقلت ســيارتها، وذهبت لاصطحاب آشلي من الباليه. كانت معنوياتها جيدة حين استقلت السيارة، وعادتا إلى المنــزل وهما تتحدثان عن الحفلة، والمدرسة، وأصــدقاء آشلي الكثر. لا تزال في بداية سن البلوغ، وهي تشبه أمها أكثر ممــا ظــنت فرناندا أنها ستكون عليه خلال سنة أو سنتين. لكن في الوقت الحاضر على الأقل، لا تزالان قريبتين، وتشعر فرناندا بالامتنان لذلك.

حين وصلتا إلى المنــزل، كانت آشلي تتحدث بحماس عن مشاريعها للذهاب إلى بحيرة تاهو في يوليو. بالكاد تستطيع انتظار انتهاء المدرسة في شهر يونيو. إنهم يتطلعون جميعاً إلى ذلك، رغم إدراك فرناندا بأنها ستكون أكثر وحدة خلال الصيف مع وجود آشلي وويل بعيداً. لكن على الأقل سام سيبقى معها. كانت مسرورة لأنه لا يزال صغيراً جداً، وغير مستقل تماماً بعــد. إنـــه يحــب البقاء بالقرب منها، وقد أصبح أكثر تعلقاً بها بعد موت والده، رغم أن آلان لم ينتبه إليه كثيراً في السنوات الأخيرة، فقد كان كثير الانــشغال علــى الــدوام. قالــت فرناندا لنفسها فيما صعدت على السلالم

الأمامية، كان من الأفضل لو أخذ إجازة، وقضى المزيد من الوقت مع أولاده بدل الانشغال في الأمور الاقتصادية التي كانت نتيجتها كارثية، والتي دمرت في النهاية حياتهم وحياته.

تلك الليلة، حضّرت العشاء للأولاد. كان الجميع متعبين، وإنما بمعنويات أفضل مما كانوا منذ فترة. وضع سام نجمته الجديدة، وتحدثوا مجدداً عن انفجار السيارة. شعرت فرناندا بالارتياح قليلاً حين عرفت أن الانفجار موجه تحديداً ضدّ القاضي من قبل شخص حَكَمَ عليه بقساوة منذ سنوات، وليس عمل عنف عشوائياً موجهاً ضدّ أي كان. لكن رغم ذلك، من المحزن الإدراك أن ثمة أشخاصاً يريدون إيذاء الآخرين وتدمير ملكياتهم. كان من الممكن أن تصاب هي وأولادها بسهولة في الانفجار لو كانوا في الشارع، لكن لحسن الحظ أن أحداً لم يُصب، وأن السيدة ماكينتر كانت في منزلها، والقاضي خارج المدينة. شعر أولاد بارنز الثلاثة بالذهول نتيجة ذلك. ففكرة حصول شيء استثنائي مباشرة في حيّهم، ضد شخص يعرفونه، بدت لهم لا تصدق، وكذلك بالنسبة إليها. لكنها حصلت سواء صدقوا أم لا، ويمكن أن تحصل مجدداً. حين خلدت فرناندا إلى سريرها تلك الليلة، جعلتها هشاشة هذا الوضع تشعر أنها تفتقد إلى ألان أكثر من أي وقت آخر.

الفصل الثامن

اتصل بيتر مورغان بكل شخص كان يعرفه في سان فرانسيسكو قبل أن يغادر، على أمل العثور على وظيفة، أو على الأقل إجراء بعض المقابلات. لديه ثلاثمئة دولار فقط في محفظته، وعليه أن يُظهر للمراقب أنه يبذل ما بوسعه. وكان يفعل ذلك فعلاً. لكن خلال الأسبوع الأول الذي عاد فيه إلى المدينة، لم ينجح في أي شيء. لقد انتقل الأشخاص، وتبدلت الوجوه، والأشخاص الذين تذكروه لم يستقبلوا اتصالاته، أو استقبلوها وصدّوه، وهم يشعرون بالذهول لسماع أخباره أصلاً. أربع سنوات في الحياة العادية هي وقت طويل. وسمع جميع الأشخاص الذين يعرفهم أنه ذهب إلى السجن. لذا ما من أحد متحمس لرؤيته مجدداً. وفي نهاية الأسبوع الأول، أدرك بيتر أن عليه تخفيض مستوى طموحاته كثيراً إذا أراد العثور على وظيفة. فمهما كان مفيداً لأمر السجن خلال فترة إقامته في السجن، إلاّ أن أحداً في سيليكون فالي، أو في المجال المالي، لا يريد شيئاً له علاقة به. إن تاريخه متقلب جداً، وتخيلوا أنه تعلم أشياءً أسوأ من تلك التي كان يعرفها، بعد أن أمضى أربع سنوات في السجن. من دون ذكر استعداده للإدمان، الذي أوصله إلى الانهيار في النهاية.

لقد بحث عن عمل في المطاعم، ومن ثم في الشركات الصغيرة، وفي محل لبيع الأسطوانات، وأخيراً في شركة شحن. ما من أحد لديه عمل له، إذ اعتبروه صاحب مؤهلات كبيرة، أو صاحب شهادة كبيرة، وقال له رجل بصراحة إنه حمار ذكي ومتكبّر. والأسوأ من ذلك، أنه كان في

السجن. لم يستطع العثور على أي عمل. وفي نهاية الأسبوع الثاني، أصبح يملك أربعين دولاراً في محفظته، من دون أي مشروع للمستقبل. عرض عليه محل لبيع التورتيلا قرب مركز إعادة التأهيل غسل الصحون مقابل نصف أجر، لكن هذا المال لن يكفيه، ولم يرغب أصحاب المحل أن يدفعوا له أكثر. لديهم عدد لامتناه من الغرباء غير الشرعيين الراغبين في العمل لديهم مقابل القليل من المال. واحتاج بيتر إلى أكثر من ذلك للعيش. كان يشعر باليأس فيما قلّب صفحات دفتر عناوينه القديم، وحين بدأ بفعل ذلك للمرة العاشرة، توقف أمام المكان نفسه مثلما يفعل دوماً. فيليب أديسون. حتى هذه اللحظة، كان مصمماً على عدم الاتصال به. إنه خبر سيئ، ولطالما كان كذلك من كل النواحي، وقد سبب المشاكل لبيتر قبلاً. لم يتأكد بيتر ما إذا كانت لديه أية علاقة بصفقة المخدرات التي أرسلته إلى السجن. إنه مدين لفيليب بثروة، إذ كان يستعمل الكوكايين بكثرة بحيث لم يستطع أبداً دفع ثمنها له، ولا يزال غير قادر على فعل ذلك. لكن لسبب ما، قرر أديسون تجاهل الدين خلال الأعوام الأربعة الماضية. عرف أنه ما من طريقة لاسترداد الدين فيما بيتر داخل السجن. لكن لسبب وجيه، لا يزال بيتر يخشاه، ويخاف من تذكّر أديسون للدين المستحق له. فما من طريقة ليسدد له هذا الدين، وهذا ما يعرفه فيليب جيداً.

يملك فيليب أديسون شركة ضخمة في العلن، عبارة عن شركة تكنولوجيا مسجلة في البورصة، إضافة إلى ست شركات أخرى، أقل شرعية، وهي شركات يبقيها مخفية، كما أن لديه اتصالات كبيرة جداً في عالم الرذيلة والإجرام. لكنّ شخصاً مثل أديسون يستطيع العثور دوماً على مكان لبيتر في إحدى شركاته غير الشرعية، ويكون ذلك على الأقل عملاً ومالاً محترمين. لكنّ بيتر يكره الاتصال به. فقد ابتزّه في السابق، وحين يسيطر عليك، لأي سبب كان، تصبح مُلكاً له. لكن ما من شخص آخر للاتصال به في هذه المرحلة. حتى محطات الوقود لم ترغب بتشغيله.

يعبئ الزبائن الوقود لسياراتهم بأنفسهم، ولم يشأ أصحاب المحطات تسليم أموالهم لشخص خرج حديثاً من السجن. كانت شهادة الماجستير في إدارة الأعمال التي نالها من هارفارد عديمة الجدوى بالنسبة إليه. وسخر معظم الأشخاص من شهادة حسن السلوك التي أعطاها له آمر السجن. شعر بيتر بيأس حقيقي. إنه لا يملك أصدقاء، ولا عائلة، ولا أحد للاتصال به، ولا أحد لمساعدته. وأخبره مراقب السجن أن عليه العثور سريعاً على عمل. فكلما بقي لوقت أطول من دون عمل، راقبوه أكثر عن كثب. إنهم يعرفون نوع الضغط الذي يصيب الخارجين من السجن حين لا يملكون المال، ونوع النشاطات التي يلجأون إليها نتيجة اليأس. بدأ بيتر يصاب بالذعر. لقد أوشك على الإفلاس، وعليه الأكل ودفع الإيجار، على الأقل.

بعد أسبوعين من خروجه من بيليكان باي، جلس بيتر يُحدّق في رقم فيليب أديسون لمدة نصف ساعة تقريباً، ثم رفع السماعة واتصل به. أخبرته السكرتيرة أن السيد أديسون خارج البلاد، وعرضت عليه أن يترك له رسالة معها. ترك بيتر اسمه ورقمه. وبعد ساعتين، اتصل به فيليب. كان بيتر في غرفته والحزن بادٍ عليه، حين صرخ أحد عبر السلالم أن ثمة اتصالاً له من رجل يدعى أديسون. هرع بيتر إلى الهاتف، وهو يشعر بالقرف والغثيان. يمكن أن يكون ذلك بداية كارثة بالنسبة إليه، أو الخلاص. فمع فيليب أديسون، كل شيء ممكن.

"حسناً، هذه مفاجأة". قال أديسون بنبرة غير ودودة. يبدو دوماً وكأنه يهزأ بالآخرين. لكنه اتصل به على الأقل، وبسرعة. "متى خرجت من السجن؟ كم مضى على وجودك خارجه؟"

"قبل أسبوعين تقريباً". قال بيتر بهدوء، متمنياً لو أنه لم يتصل به. لكنّه بحاجة إلى المال. لم يبقَ معه سوى خمسة عشر دولاراً، ويتابعه مراقب السجن عن كثب. فكّر حتى في اللجوء إلى خدمة الإنعاش. إلاّ أنه لحين حصوله على مساعدتها - إذا حصل ذلك- سيكون قد تضور جوعاً.

يدرك الآن كيف تحصل تلك الأشياء. يأس، لا خيارات. ولم يشك أبداً في أن هذا يمكن أن يحدث. فيليب أديسون هو خياره الوحيد في الوقت الحاضر. قال بيتر لنفسه إنه ما إن يحصل على شيء أفضل، فيمكنه التخلص منه. لكن ما قلق بشأنه ويحاول ألاّ يركز عليه هو القيود التي يفرضها أديسون على الأشخاص الذين يساعدهم، والطرق الملتوية التي يستخدمها لإبقائهم خاضعين له. لكنّ بيتر لا يملك أي خيار. ما من أحد آخر للاتصال به. لم يستطع حتى الحصول على وظيفة لغسل الأطباق مقابل أجر محترم.

"ما هي الأشياء الأخرى التي جربتها قبل أن تتصل بي؟" ضحك أديسون عليه. إنه يعرف اللعبة. فثمة سجناء سابقون يعملون معه. كانوا بحاجة إلى المال ويعانون من اليأس، تماماً مثل بيتر مورغان. يحب أديسون ذلك. قال بصدق: "لا يوجد الكثير من العمل بالنسبة إلى أشخاص مثلك، باستثناء غسل السيارات أو تلميع الأحذية. نوعاً ما، لا أتخيلك وأنت تفعل ذلك. ما الذي أستطيع فعله لك؟" كانت لهجته مهذبة نوعاً ما.

قال بيتر بفظاظة: "أحتاج إلى وظيفة". لا جدوى من التلاعب معه. حرص على القول إنه يحتاج إلى عمل، وليس إلى مال.

"لا بد أنك أنفقت آخر قرش معك حتى اتصلت بي. كم أنت جائع؟"

"كثيراً. لكنني لست جائعاً بما يكفي لفعل أي شيء سخيف. لن أعود إلى السجن، لا من أجلك ولا من أجل أي كان. فهمت الدرس. أربع سنوات هي وقت طويل. أحتاج إلى وظيفة. إذا كنت تملك شيئاً قانونياً لي، سأقدّر ذلك". لم يشعر بيتر يوماً بهذا الذل، وعرف فيليب ذلك. أحب ذلك. لم يذكر بيتر دينه له، لكنهما كانا مدركين تماماً له وللخطر الذي جازف به بيتر حين اتصل به. كان يائساً إلى ذلك الحدّ للعمل.

قال أديسون: "لا أملك إلاّ أعمالاً شرعية". وبدا متعجرفاً. لا يعرف أحد إذا كان الخط مراقباً، رغم أنه يتحدث على خط آمن حسب علمه. فهو يستعمل

هاتفاً خلوياً غير قابل للكشف. "بالمناسبة، ما زلت تدين لي بالمال. بالكثير منه. لقد أغرقت الكثير من الأشخاص حين غرقت. توجب عليّ في النهاية دفع المال لهم جميعاً. ولو لم أفعل، لكانوا لحقوا بك وقتلوك في السجن". عرف بيتر أنه يبالغ نوعاً ما، لكن هناك بعض الحقيقة فيها. فقد اقترض المال من أديسون لشراء صفقته الأخيرة، ولم يسدد له المال أبداً بعدما تم اعتقاله، وحين ألقي القبض عليه تم حجز كل البضاعة التي كانت بحوزته قبل أن يتمكّن من بيعها. إنه يدين لأديسون ربما بمئتي ألف دولار، وهو لا ينكر ذلك. لكن لسبب ما، لم يحصّل أديسون المال. إلاّ أنهما يعلمان تماماً أن بيتر مدين بالمال.

"يمكنك حسمه من راتبي، إذا شئت. إذا لم أحصل على وظيفة، لا أستطيع تسديد المال لك على الإطلاق". إنها طريقة منطقية للنظر إلى الأمور، وعرف أديسون أيضاً أن هذا صحيح، رغم أنه لم يعد يتوقع استرداد المال. إنها واحدة من تلك الخسارات التي تحصل في مثل هذا النوع من الأعمال.

قال وهو يبدو شارداً: "لماذا لا تأتي وتتحدث إليّ".

"متى؟" أمل بيتر في أن يكون الموعد قريباً، لكنه لم يشأ الضغط. وقالت السكرتيرة إنه خارج البلاد، لكنه ستار دخاني على الأرجح.

قال أديسون: "اليوم الساعة الخامسة". من دون أن يسأل إذا كان الوقت ملائماً له. لا يكترث إذا كان ملائماً أم لا. إذا أراد بيتر العمل معه، فعليه أن يقفز حين يطلب منه أديسون ذلك. لقد سدد أديسون المال عنه قبلاً، لكنه لم يوظفه أبداً. كان ذلك مختلفاً.

"أين؟" سأل بيتر بصوت خافت. لا يزال يستطيع قول لا إذا عرض عليه أديسون شيئاً شنيعاً أو مهيناً جداً. لكنّ بيتر كان مستعداً تماماً للتعرض للإهانة وسوء المعاملة طالما أن العمل قانوني.

أعطاه أديسون العنوان، وطلب منه الحضور على الوقت، وأقفل الخط. العنوان الذي أعطاه لبيتر يقع في سان ماثيو. عرف أن هذا موقع

شركته الشرعية. لديه شركة تعمل في مجال التكنولوجيا حققت نجاحاً كبيراً في البداية، وواجهت المشاكل بعد ذلك. شهدت الكثير من التقلبات على مرّ السنوات، وازدهرت كثيراً في ذروة الفورة التكنولوجية. لكنّ أسعار الأسهم انخفضت كثيراً بعد ذلك، مثلما حصل مع كل شيء آخر. تصنع شركته معدات جراحية متطورة، وعرف بيتر أن لديه بعض الاستثمارات الكبيرة أيضاً في الهندسة الوراثية. فأديسون نفسه مهندس وله خلفية طبية. وتم اعتباره لفترة بمثابة عبقري في المال. لكن تبيّن في النهاية أنه مثل أي شخص آخر، وأنه يواجه المشاكل. فقد عزز كمية أمواله من خلال بيع المخدرات في المكسيك، وأصبح مجموع ثروته الصافية متمثلاً في مصانع كريستال في المكسيك، ونشاط تجاري يبيع خلاله الهيروبين. وكان بعض أفضل زبائنه من الأشخاص المرموقين. لا يعرفون بالطبع أنهم يشترون الهيروبين منه، إذ لا يعرف أحد ذلك أبداً. حتى عائلته ظنت أنه يدير عملاً محترماً. يملك منزلاً في روس، ويرسل أولاده إلى مدارس خاصة، ويشارك في كل الجمعيات الخيرية المحترمة، وينتمي إلى أفضل النوادي في سان فرانسيسكو. كان يعتبر بمثابة ركن أساسي ومهم في المجتمع. لكنّ بيتر يعرفه بصورة أفضل. فقد التقيا في السابق حين كان بيتر في ورطة، وعرض عليه فيليب أديسون المساعدة بهدوء. حتى أنه في البدء أعطاه المخدرات بأسعار زهيدة، وأطلع بيتر على كيفية بيعها. ولو أن إدمانه عليها لم يخرج عن السيطرة، ربما ما كان بيتر ليذهب أبداً إلى السجن.

كان أديسون أذكى من ذلك. فهو لا يلمس أبداً المخدرات التي يبيعها. إنه ذكي وبارع في طريقة إدارته لإمبراطورية المخدرات خاصته. في معظم الأوقات، يحكم بطريقة جيدة على المروّجين. لقد أخطأ مع بيتر، إذ ظن أنه أكثر طموحاً مما هو عليه، وأكثر مراوغة. لكن تبيّن في النهاية أن بيتر هو مجرد رجل منحرف، لا يعرف ما يفعله. في الواقع، إن رجلاً مثله يشكل خطراً كبيراً بالنسبة إلى فيليب أديسون،

لأنه يملك الغريزة الخاطئة. كان بيتر مجرماً حقيراً، ضحية الظروف والأحكام السيئة، وفي النهاية ضحية إدمانه. أما أديسون فكان مجرماً من الطراز الأول، فبالنسبة إليه، إنه التزام لمدى الحياة. وبالنسبة إلى بيتر، كان ذلك مجرد محطة على الطريق. لكن بالرغم من ذلك، رأى أديسون أنه يستطيع الاستفادة منه. فهو رجل ذكي ومثقف، وترعرع مع الأشخاص الصحيحين في الأماكن الصحيحة. لقد ذهب إلى مدارس جيدة، وكان وسيماً ولائقاً، ومتزوجاً من امرأة جيدة، حتى لو أخفق هذا الزواج لاحقاً. ولا يمكن التغاضي أبداً عن شهادة ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد. حين التقى بيتر وفيليب أديسون سابقاً، كان بيتر يملك الاتصالات الملائمة أيضاً. إلاّ أن تصرفات بيتر الهوجاء نسفتها الآن، لكن إذا استطاع الوقوف على قدميه مجدداً، بمساعدة فيليب، فقد يكون مفيداً. ومع ما تعلمه في السجن خلال الأعوام الأربعة الماضية، قد يكون مفيداً أكثر. فقد كان فاسداً هاوياً، وبريئاً سلك الطريق الخطأ. لكن إذا أصبح محترفاً، فإن أديسون يريده من دون أي شك. ما يحتاج إلى تقييمه الآن هو ما تعلمه بيتر، وما يرغب في فعله، وكم هو يائس في الوقت الحاضر. فادعاءاته البسيطة بأنه يريد العمل فقط بطريقة شرعية غير مهمة بالنسبة إلى فيليب، فهو لا يهتم لما قاله بيتر. السؤال هو ما الذي سيفعله، والدين الذي لا يزال يدين به له هو مجرد أمر إيجابي في صفقاتهما – من وجهة نظر فيليب – فذلك يعطيه سيطرة على بيتر تروق لفيليب كثيراً، فيما لا تروق لبيتر أبداً. كما أنه لم يغب عن بال أديسون أن بيتر لم يذكر أبداً اسمه أو يفضحه أثناء اعتقاله، وهذا دليل على أنه يمكن الوثوق به. يحب أديسون هذه الصفة لدى بيتر. فلم يغرق أحداً معه حين غرق. هذا هو السبب الرئيسي الذي لم يدفع أديسون إلى قتله. فلقد كان بيتر رجلاً شريفاً – في بعض النواحي على الأقل – وحتى لو كان هذا الشرف بين السارقين.

ركب بيتر الباص متوجهاً إلى سان ماثيو وهو يرتدي الثياب الوحيدة التي يملكها الآن. بدا مرتباً ونظيفاً، وقص شعره بطريقة لائقة. لكن كل ما كان لديه لارتدائه هو الثياب التي حصل عليها من السجن: سروال الجينز، وقميص الدنيم، والحذاء الرياضي. لا يملك حتى سترة، ولا يستطيع شراء واحدة للذهاب إلى المقابلة. حين وصل إلى العنوان المطلوب، شعر بالكثير من التردد.

كان فيليب أديسون يجلس أمام المكتب يقرأ ملفاً سميكاً. كان هذا الملف محفوظاً في درج مغلق داخل مكتبه منذ أكثر من سنة، وهو حلم حياته. إنه يفكر فيه منذ ثلاثة أعوام تقريباً. وهو المشروع الوحيد الذي يريد فيه مساعدة من بيتر. ولا يكترث فيليب ما إذا كان بيتر راغباً أم لا في إنجاز المشروع. السؤال المهم هو ما إذا كان قادراً على إنجازه أم لا. هذا هو الشيء الوحيد الذي لا يريد المجازفة به أو ارتكاب خطأ فيه. عليه إنجازه بدقة رصاصة البولشوي، أو المعدات الجراحية التي يصنعها، بدقة الليزر المتناهية. لا مجال للخطأ هنا. ورأى أن بيتر مثالي للمهمة. لهذا السبب عاود أديسون الاتصال به. فكّر في الأمر لحظة تلقيه الرسالة، وحين أخبرته السكرتيرة أن بيتر وصل، أعاد الملف إلى الدرج، ووقف لإلقاء التحية على بيتر.

ما رآه بيتر حين دخل إلى الغرفة كان رجلاً طويلاً ومرتباً جداً في أواخر الخمسينيات. كان يرتدي بذلة إنكليزية، وربطة عنق جميلة، وقميصاً صنع خصيصاً له في باريس. وحين استدار حول المكتب لمصافحة يد بيتر لاحظ بيتر أن الحذاء كان ملمعاً بدرجة لا يمكن وصفها، وبدا أنه لم يلاحظ الثياب الرديئة التي يرتديها بيتر، والتي ما كان ليرضى أن يغسل سيارته بها، وعرف بيتر ذلك. كان فيليب أديسون مرتباً جداً، وأشبه ببيضة رخامية تنزلق على الأرض. لا يمكنك إثبات أي خطأ في تصرفاته؛ فلقد كان فوق الشكوك. وشعر بيتر بالانزعاج حين وجده ودوداً كثيراً. وبدا

أنه نسي التهديدات الخفيفة التي أطلقها حين اتصل به بيتر حول ما يدين به هذا الأخير له.

ثرثرا في العموميات لفترة، وسأله فيليب عما يجول في خاطره. أخبره بيتر عن المجالات التي تهمه. تسويق، أموال، استثمارات جديدة، أقسام جديدة، أعمال جديدة، أي شيء له علاقة بالمقاولات ويرى أديسون أنه ملائم له. ثم تنهد، ونظر إلى فيليب. لقد حان الوقت ليكون صادقاً.

"اسمع. أحتاج إلى عمل. إذا لم أحصل على وظيفة، سأصبح في الشارع مع عربة وعلبة قصدير. وربما مع علبة القصدير فقط من دون العربة. سأفعل كل ما تريده مني، ضمن المنطق. لا أريد العودة إلى السجن. باختصار، أودّ العمل معك. في عملك القانوني طبعاً. أما الأشياء الأخرى فهي خطرة جداً بالنسبة إليّ. لا أستطيع القيام بها. ولا أريد ذلك".

"أصبحت نبيلاً جداً خلال الأعوام الأربعة الماضية. لم يعد لديك الكثير من وخز الضمير، مثلما كنت قبل خمسة أعوام، حين التقيت بك".

"كنت غبياً، وصغيراً جداً، ومجنوناً. واحد وخمسون شهراً في بيليكان باي تجعل قدميك على الأرض ورأسك بين قدميك. إنها مثل نداء استيقاظ، إذا أمكن قول ذلك. لن أعود إلى هناك. في المرة المقبلة، عليهم قتلي". وكان يقصد ذلك فعلاً.

قال أديسون بصراحة: "كنت محظوظاً لأنهم لم يقتلوك في المرة الماضية، فقد أغرقت الكثير من الأشخاص حين غادرت. ماذا عن دينك لي؟" سأل أديسون، ليس لأنه يريده، وإنما لأنه يريد تذكير بيتر بأنه مدين له به. إنها بداية سعيدة بالنسبة إلى أديسون، إن لم تكن بالنسبة إلى بيتر.

"أخبرتك أنني أكون سعيداً بالعمل من أجل ذلك، وتستطيع مع الوقت حسم دينك من راتبي. هذا أفضل ما أستطيع القيام به في الوقت الحاضر. ليس لديّ أي شيء آخر لأعطيك إياه". عرف أديسون أنها الحقيقة. كلاهما يعرف ذلك، وكان بيتر صادقاً معه. صادق بقدر ما يجب أن يكون مع

شخص مثل أديسون. فالصدق ليس شيئاً مهماً بالنسبة إليه. وهو يرى أن جوقة المرتلين غير مهمة أبداً. لكن حتى فيليب أدرك أنه لا يمكن استخراج الدم من الحجر. لا يملك بيتر المال ليدفع له. كل ما لديه هو الدماغ والحافز، وهذا كافٍ في الوقت الحاضر.

قال أديسون بهدوء: "كان بإمكاني قتلك، وأنت تعرف ذلك، وسيسرّ بعض أصدقائنا المشتركين في المكسيك بذلك. ولا سيما ذلك الرجل في كولومبيا الذي أراد القضاء عليك في السجن. طلبت منه ألا يفعل. لطالما أحببتك، مورغان". قال أديسون كما لو أنه يناقش لعبة الغولف معه. فلقد كان يلعب الغولف بشكل منتظم مع رؤساء المصانع ورؤساء الدول، لأن لديه اتصالات سياسية مهمة. لقد كان مخادعاً بدرجة كبيرة، وعرف بيتر أنه من غير المجدي السعي لمعاقبته إذا حصل أي خطأ. إنه رجل قوي، وصاحب قوة شريرة، ولا يملك أي شيء من الاستقامة أو الأخلاق. لا شيء على الإطلاق. كان بيتر يعرف ذلك جيداً. إنه متفوق في كل النواحي الممكنة. وإذا وافق بيتر على العمل معه، فسيكون دمية في إحدى ألعاب أديسون. لكن إذا لم يفعل، سينتهي عاجلاً أم آجلاً، بسبب اليأس الكبير، في سجن في بيليكان باي، يعمل لصالح آمر السجن.

"إذا كان الأمر صحيحاً بشأن رجل كولومبيا، أشكرك". قال بيتر بتهذيب. لم يشأ الكذب عليه، واستجابة لما قاله أديسون إنه لطالما أحبه، لم يجب بيتر بأي شيء. إنه لم يحب أديسون يوماً، فهو يعرف عنه ما يكفي كي لا يحبه. بدا أديسون جيداً، لكنه في الواقع فاسد. لديه زوجة اجتماعية جداً، وأربعة أولاد رائعون. بالنسبة إلى القلائل الذين يعرفونه جيداً، ويعرفون الأقنعة العديدة التي يضعها، فإنهم يقارنون فيليب أديسون بالشيطان. لكن بالنسبة إلى بقية العالم، بدا إنساناً ناجحاً ومحترماً. لكنّ بيتر يعرفه بشكل جيد.

"تصورت أنك ستكون أكثر فائدة لي يوماً ما وأنت حي". قال أديسون بتأنٍ، كما لو أنه يخبئ له شيئاً ما في عقله، وهذه هي الحقيقة. "وربما جاء هذا الوقت الآن. بدا موتك في السجن بمثابة خسارة. لديّ فكرة لك. كنت أفكر بها بعدما تكلمنا اليوم، وهي مسألة دقيقة جداً. إنه جهد تقني جداً، ومنظم بعناية، ومتناسق تماماً بين مجموعة خبراء". جعل الأمر يبدو وكأنه عملية قلب مفتوح، ولم يستطع بيتر أن يتصور ما هو نوع المشروع مما قاله أديسون.

"في أي مجال؟" سأل بيتر وهو يشعر بالارتياح للتحدث بشأن العمل أخيراً، وليس بشأن مخاطر قتله أو المال الذي يدين به له. إنهما يتحدثان بشأن العمل.

"لست مستعداً لشرح الأمر لك بعد. سأفعل لاحقاً. لكنني أريدك أن تجري لي بعض الأبحاث. في الواقع، أنت من سيجري الأبحاث. أريد التفكير في تنفيذ المشروع. هذا عملي. لكنني أريد أن أعرف أولاً أنك قبلت. أريد أن أوظفك بصفة منسق للمشروع. لا أظن أنك تملك المعرفة التقنية لتنفيذ المهمة. ولا أنا أيضاً. لكنني أريدك أن تجمع خبراء ينجزون لنا المهمة. ونتشارك الأرباح سوية. أريد أن أتشارك معك في هذه الصفقة لا أن استخدمك كموظف. إذا أديت العمل بالطريقة الصحيحة، ستربح". شعر بيتر بالحيرة فيما أصغى إليه. بدا الأمر مثيراً، وممتعاً، ومربحاً. وهذا هو بالضبط ما يحتاج إليه ليقف مجدداً على قدميه، ويجري بعض الاستثمارات الخاصة به مجدداً، وينشئ ربما شركته الخاصة. لديه حسّ جيد في الاستثمارات، وقد تعلم الكثير قبل أن يسلك الطريق الخطأ. هذه هي الفرصة التي يحتاج إليها للانطلاق مجدداً. إنها فرصة جيدة على نحو لا يصدق. يمنحه أديسون أخيراً فرصة محترمة، وشعر بيتر بالامتنان.

"هل هو مشروع أبحاث طويل الأمد، يحتاج تطويره إلى سنوات عدة؟" ثمة ضمانة للوظيفة في ذلك، رغم أن هذا قد يربطه بأديسون لوقت

أطول مما يريد. لكنه قد يعطيه أيضاً الكثير من الوقت للوقوف على قدميه، وهذا أمر جيد. قد يستعيد حتى حقوق رؤية ابنتيه مجدداً، وهذا ما كان بيتر يحلم به حين يعطي نفسه الفرصة لذلك. لم يرَ ابنتيه منذ خمسة أعوام، ويؤلمه قلبه كلما فكّر في ذلك. لقد أفسد كل شيء في الماضي، بما في ذلك علاقته مع ابنتيه، حين كانتا لا تزالان طفلتين. أمِل أن يتمكّن يوماً ما من العودة إليهما. وفي حال حصوله على الاستقرار المادي مجدداً، فقد يتمكّن من التعاطي مع جانيت بطريقة أكثر منطقية، حتى لو تزوجت هي رجلاً آخر.

"في الواقع"، تابع أديسون شرح المشروع الذي يُحضّره له، "إنه مشروع قصير الأمد نسبياً. أظن أننا نستطيع إنجازه خلال أشهر، أو حتى أسابيع. سيكون هناك بعض الوقت للتحضير والأبحاث، ووقت للمشروع نفسه الذي قد يستغرق شهراً أو حتى شهرين لإنجازه، ومن ثم عملية تصفية الحسابات. لا أظن أننا نتحدث هنا عن مشروع طويل الأمد. وقد تكون مشاركة الأرباح استثنائية". كان من الصعب تخمين طبيعة المشروع. إنه يخطط ربما لإطلاق ابتكار تكنولوجي جديد في الأسواق، ويريد منه أن يتولى تنظيم حملة إطلاق المنتج، لناحية التسويق والعلاقات العامة. لم يستطع التفكير في شيء آخر. أو ربما شركة جديدة يريد منه أن يتولى إدارتها أثناء إطلاقها للعلن أولاً، ومن ثم يجري تسليمها إلى أشخاص آخرين. كان أديسون غامضاً حيال المشروع، فيما أصغى له بيتر وحاول تخمين طبيعة الأمر.

"هل تتحدث عن إطلاق أو تطوير منتج جديد، أو اختبار في الأسواق من نوع ما؟" كان بيتر تواقاً لفهم المسألة.

"نوعاً ما". أومأ أديسون برأسه، ثم توقف. عليه أن يقول له شيئاً ما، قبل أن يبوح له بسرّ كل المسألة. "كنت أفكر في هذا المشروع منذ وقت طويل، وأظن أن الوقت قد حان لتنفيذه. أظن أن اتصالك بي هذا الصباح

كان حدثاً سعيداً جداً". قال مع ابتسامة شريرة. لم يشاهد بيتر قبلاً عينين باردتين أو مخيفتين مثل عينيه.

"ومتى تريدني أن أبدأ؟" كان يفكر في الخمسة عشر دولاراً التي لا تزال في محفظته، والتي لن تسمح له بفعل شيء أكثر من تناول العشاء، والفطور في الصباح، على افتراض أنه ذهب إلى ماكدونالدز. وإلاّ فسيختفي المال كله خلال الليل. وبعد ذلك، سيتسوّل في الشارع، وقد يتم اعتقاله بسبب ذلك.

نظر أديسون مباشرة إلى عينيه. "اليوم، إذا شئت. أظن أننا جاهزون للانطلاق. علينا إنجاز هذا المشروع على مراحل. خلال الأسابيع الأربعة المقبلة، أريدك أن تتولى مسألة الأبحاث والتطوير. وأريدك أن تتولى بنفسك اختيار الموظفين". خفق قلب بيتر بالأمل. هذا أفضل مما كان يطمح إليه.

"وما هو نوع الأشخاص الذين تريد توظيفهم في هذه المسألة؟" لم يفهم بعد موضوع المشروع، أو محوره. لكن بدا جلياً أنه مشروع سرّي جداً ومتطور جداً.

"يعود إليك شخصياً اختيار الأشخاص. أريدك طبعاً أن تستشيرني لكنني أظن أن علاقاتك في هذا المجال أفضل من علاقاتي". قال أديسون بكرم. وقام حينها بفتح الدرج الذي أغلقه عند دخول بيتر، وأخرج منه الملف السميك الذي كان يجمعه طوال سنوات، وسلّمه إليه. يوجد داخله تقارير ومعلومات عن كل المشاريع التي أنجزها ألان بارنز خلال الأعوام الأربعة الماضية. أخذ بيتر الملف منه وفتحه، ثم نظر إلى فيليب. تأثر كثيراً. إنه يعرف من يكون ألان. فما من أحد في المجال الاقتصادي أو التكنولوجي لا يعرفه. إنه عبقري تكنولوجيا، وأحد أكبر العباقرة على الإطلاق. اشتمل الملف حتى على بعض الصور الفوتوغرافية له ولعائلته. كان ملفاً متكاملاً على نحو مذهل.

"هل تفكر في إنشاء شركة معه؟"

"كنت. ولكن ليس الآن. يبدو أنك خارج الصورة قليلاً. لقد توفي في شهر يناير، تاركاً وراءه أرملة وثلاثة أولاد".

"هذا مؤسف جداً". قال بيتر بطريقة متعاطفة متسائلاً كيف فاته هذا الخبر. علماً أنه مرّت أوقات في بيليكان باي لم يقرأ فيها الصحف. بدا العالم الحقيقي بعيداً جداً بالنسبة إليه.

"كان المشروع ممتعاً أكثر لو أنه بقي على قيد الحياة. أظن أننا كنا حصلنا على استجابة أفضل منه، لكنني أرغب في هذه الحالة في العمل مع أرملته". قال فيليب بشهامة.

"حول ماذا؟" بدا بيتر تائهاً. "هل تدير هي إمبراطوريته الآن؟" كان فعلاً خارج الصورة. لم يقرأ أي شيء عن الموضوع.

شرح فيليب، "أفترض أنه ترك لها كل ثروته، أو معظمها، باستثناء ما تركه لأولاده. فهمت من صديق لي أنها المستفيدة الوحيدة من إرثه. وأعرف تماماً أنه جنى نصف مليار دولار قبل أن يموت. مات خلال رحلة صيد في المكسيك. سقط عن متن المركب وتاه في البحر. لم يبوحوا أبداً بخططهم بالنسبة إلى شركاته، لكنني أفترض أنها ستتخذ هي معظم القرارات، أو بعضها".

"هل تحدثت معها مباشرة بشأن مشروع مشترك من نوع ما؟" لم يخطر في بال بيتر أبداً أن اهتمامات ألان بارنز تتلاقى مع اهتمامات أديسون. لكنّ بيتر رأى أنها فكرة مثيرة، وستحل كل مشاكل أديسون المادية عند تحالفه مع إمبراطورية كبيرة بقدر تلك التي تركها ألان وراءه. لم يخطر في بال أي منهما أن الإمبراطورية انهارت، واحترقت قبل أن يموت، إن لم يكن ذلك هو السبب وراء موته. لقد نجح بارنز ببراعة في إخفاء شركات وراء شركات أخرى، وحجب بعض المقامرات المجنونة التي قام بها، بحيث إن رجلاً له اتصالات أديسون لا يعرف حتى الوقت

الحاضر على الأقل فداحة المصيبة التي تركها ألان بارنز وراءه. لقد نجحت فرناندا والمحامون ورؤساء الشركات السابقة لألان في إبقاء الإفلاس سراً، رغم أنهم لا يستطيعون فعل ذلك إلى الأبد. لكن خلال الأشهر الأربعة التي مضت على موته، نجحوا في ذلك، ولم تغب شمس أسطورة ألان بارنز بعد. أرادت فرناندا إبقاء الأمر بهذه الطريقة لأطول وقت ممكن، إكراماً لذكرى زوجها ومن أجل مصلحة أولادها. وتتمثل مصلحة أديسون في التحالف مع بارنز - بالنسبة إلى بيتر - في أن العالم الذي أنشأه بارنز حوله محترم جداً بحيث تتسم كل مشاريعه بصفات ذهبية. في الواقع، إن أي نوع من المشاريع المشتركة بينهما سيكون ضربة موفقة، ووافق بيتر على ذلك. فاسم ألان بارنز وشهرته محط احترام وإعجاب إلى أبعد الحدود. ولا شك في أن المشروع الذي يضم كلتا الشركتين هو بالضبط ما يحتاج إليه بيتر ليعود مجدداً إلى الخريطة. إلى الأبد. إنه حلم يتحقق، وجلس يبتسم لفيليب أديسون بطريقة جديدة، فيما أمسك بالملف السميك الذي أعطاه له فيليب.

شرح أديسون، "لم أتصل بالسيدة بارنز مباشرة، لسنا مستعدين لفعل ذلك بعد. عليك أن توظف الأشخاص أولاً".

"أظن أنني أفضل قراءة الملف أولاً لكي أفهم تماماً طبيعة المشروع".

"لا أظن ذلك". قال فيليب، وهو يتمدد فوق المكتب، ويستعيد الملف منه. "فكل هذا الملف عبارة عن تاريخ وسرد لإنجازاته. لا شك في أنه يحتوي على الكثير من المعلومات المهمة، لكنك تعرف معظمها على الأرجح". قال بغموض، فيما بدا بيتر مرتبكاً مجدداً. بدا المشروع بكامله ملفوفاً بالغموض، لدرجة أنه طُلب منه توظيف أشخاص لمشروع مجهول، في مجال لم يعرفه بعد، لإنجاز مهمة لم يحددها له أديسون بعد. هذا أكثر من مربك، لكن هذا ما أراده أديسون بالضبط. ابتسم عبر المكتب لبيتر مجدداً، ووضع الملف في الدرج.

"من هم الأشخاص الذين يفترض بي توظيفهم، إذا كنت لا أملك فكرة واضحة عما سنفعله؟" بدا بيتر محتاراً.

"أظن أنك تملك فكرة واضحة بيتر، أليس كذلك؟ هل يجدر بي شرح الأمر بالتفصيل؟ أريدك أن توظف بعض أصدقائك من الأعوام الأربعة الماضية".

"أي أصدقاء؟" بدا بيتر أكثر ارتباكاً.

"أنا واثق من أنك تعرفت على بعض الأشخاص المهمين، على بعض المقاولين الراغبين في كسب مقدار كبير من الأموال، ومن ثم الاختفاء بهدوء. أريدك أن تفكر ملياً في ذلك، وسنختارهم لإنجاز عمل خاص جداً لنا. لا أتوقع منك أن تنجز العمل بنفسك هنا، لكنني أتوقع منك أن تشرف عليه، وتدير المشروع".

"وما هو المشروع؟" قطّب بيتر حاجبيه، إذ لم يحب فجأة ما سمعه. من الناحية العملية، كانت الأعوام الأربعة الماضية وصمة عار بالنسبة إليه. فالأشخاص الذين التقى بهم كانوا مجرمين، ومغتصبين، وأشراراً، وسارقين. وفجأة، تجمد الدم في عروقه فيما نظر إلى أديسون. "وما علاقة زوجة آلان بارنز في ذلك؟"

"الأمر بسيط جداً. بعدما نحضر المشروع، أو بالأحرى بعدما تحضّره، نقدم اقتراحنا لها. نعطيها حافزاً بسيطاً لتقبل بعرضنا. وستدفع لنا بكرم. في الواقع، إنني مستعد لأكون منطقياً معها، نظراً لحجم ثروتها والضرائب الحكومية التي يتوجب عليها دفعها. فإذا افترضنا أنه كان يملك نصف مليار دولار حين مات، ستستولي الدولة على نصف ذلك فقط. أستطيع القول حينها إنه سيبقى لديها نحو مئتي مليون دولار في النهاية. ونحن لن نطلب منها سوى نصف ذلك. على الأقل، هذا ما يخطر في بالي".

"وماذا سيكون استثمارها في ذلك؟" سأل بيتر بصوت بارد، لكنه حزر القصة تقريباً.

"حياة أحد أو كل أولادها وعودتهم سالمين إليها، وقد يكون هذا رخيصاً مقابل السعر. مبدئياً، نحن نطلب منها تقسيم ثروتها الصافية بالتساوي بيننا، وأظن أن هذا عادل، وأنا واثق من أنها ستكون سعيدة جداً بدفع ذلك. ألا توافقني الرأي؟" كان أديسون يبتسم بشرّ، فيما وقف بيتر مورغان.

"تقول لي إنك تريدني أن أخطف أولادها مقابل فدية قدرها مئة مليون دولار؟" بدا بيتر وكأنه قذف من مدفع، فيما وقف يُحدّق في الرجل الجالس قبالته وراء المكتب. كان فيليب أديسون مجنوناً.

"طبعاً لا". هزّ فيليب رأسه بهدوء، وانحنى إلى الخلف في كرسيه. "أنا أطلب منك تحديد موقع الأشخاص الذين سيفعلون ذلك واختيارهم. نريد أشخاصاً محترفين لفعل ذلك، وليس هواة مثلك ومثلي. كنت مجرماً حقيراً حين فعلت ذلك، وتاجر مخدرات فاشلاً. لست خاطفاً، ولا أنا. لن أسمي ذلك خطفاً حتى. إنها صفقة. حظي آلان بارنز بورقة يانصيب رابحة. هذا كل ما في الأمر. وعليّ الاعتراف أنها كانت ورقة محظوظة جداً. فما من سبب يجعل أرملته ترثها كلها. كان بإمكاننا أنا أو أنت أن نربح الورقة نفسها التي ربحها، وما من سبب يمنعه من مشاركتنا تلك الأموال بعد موته. لن نؤذي الأولاد. سنحتجزهم لوقت قصير فقط، ثم نعيدهم إليها آمنين وسالمين، مقابل حصة من الشطيرة التي تركها لها آلان. ما من سبب يحول دون مشاركتنا في هذه الشطيرة. حتى أنه لم يكن يستحقها. كان محظوظاً فقط. والآن، جاء دورنا نحن". لمعت عينا فيليب شراً فيما ابتسم.

"هل أنت مجنون؟" كان بيتر واقفاً ويحدق فيه. "هل تعرف أي شيء عن عقوبة الخطف؟ قد يحكم علينا بالإعدام إذا تم اعتقالنا، سواء تأذى الأولاد أم لا. في الواقع، إن مجرد التآمر على الخطف يمكن أن يوصلنا إلى عقوبة الإعدام. وتتوقع مني أن أتولى تنظيم ذلك؟ لن أفعل هذا. ابحث

لنفسك عن رجل آخر". قال بيتر، وبدأ يمشي بعيداً. لكنّ أديسون لم يتحرك.

"لن أفعل هذا، لو كنت مكانك مورغان. فأنت تملك حصة في ذلك أيضاً". التفت إليه بيتر بحيرة. ليس لديه فكرة عما يدين به لأديسون. يفضل أن يدعه يقتله أولاً بدل تعريض نفسه لعقوبة الإعدام. بالإضافة إلى ذلك، إنها فكرة شنيعة، انتهاك سوء حظ الآخرين وحزنهم، والاعتداء على سلامة أولادهم. مجرد التفكير في ذلك جعله يشعر بالقرف.

"لا أبداً". أجابه بيتر. "ما هي الحصة التي قد تكون لي في خطف أولاد شخص آخر؟" بصق الكلمات في وجه فيليب. جعله أديسون يشعر بالقرف. إنه أسوأ مما ظن؛ أسوأ بكثير. إنه غير إنساني وجشع جداً لدرجة الجنون. لكن ما لم يعرفه بيتر هو أن إمبراطورية أديسون تواجه المشاكل، وما لم يحقق ضربة موفقة بهذه الأهمية، فسينهار قصره الورقي. عمل في تبييض أموال شركائه الكولومبيين لبعض الوقت، واستثمر في صفقات تكنولوجية محفوفة بالكثير من المخاطر، على أمل الحصول على عوائد هائلة. جاءت النتائج مذهلة لفترة، إلى أن بدأت التيارات تنقلب. وفي النهاية، انقلبت التيارات رأساً على عقب، وأغرقته معها. أدرك تماماً أن الكولومبيين سيقتلونه حين يكتشفون أموالهم التي أضاعها. عليه فعل شيء سريعاً. لذا، كان اتصال بيتر بمثابة هبة من السماء بالنسبة إليه.

الجواب على سؤال بيتر لأديسون بسيط. "الحصة التي لديك في هذا"، قال فيليب أديسون مع ابتسامة شريرة موجهة إلى بيتر، "هي إنقاذ ابنتيك".

"ماذا تقصد بإنقاذ ابنتيّ؟" بدا بيتر فجأة عصبياً.

"أعتقد أن لديك فتاتين صغيرتين لم ترهما منذ أعوام عدة. كنت أعرف حماك السابق في شبابي. كان رجلاً لطيفاً، وأنا واثق من أن ابنتيك رائعتان". لم تترك عينا فيليب أديسون عينيه أبداً، فيما جرى شيء بارد ومرعب في جسم بيتر.

"وما علاقة ذلك في كل شيء؟" قال بيتر، فيما شعر بالغثيان في معدته. الوحش الذي أحس أنه يتمخض داخله كان الرعب. ليس على نفسه هذه المرة، وإنما على ابنتيه. من دون أن يقصد ذلك، لقد عرضهما للخطر من خلال التحدث إلى أديسون. ومجرد التفكير في ذلك جعله يقرف.

"لن يكون صعباً جداً تحديد مكانهما. أنا واثق من أنك تستطيع فعل ذلك أيضاً، إذا كنت مهتماً. إذا وقفت في الطريق، أو فضحتنا بطريقة ما، نقضي على ابنتيك. ولن تكون هناك أية فدية مطلوبة. ستختفيان بهدوء، من دون أن يراهما أحد مجدداً". أصبح وجه بيتر شاحباً.

"هل تقول لي إنه إذا لم أخطف أولاد بارنز من أجلك، أو أنسّق للعملية، ستقتل ابنتيّ؟" ارتعش صوت بيتر، وتلعثم فيما طرح السؤال. لكنه يعرف الجواب.

"هذا هو بالضبط ما أقوله لك. ليس لديك أي خيار هنا، حسبما أرى. لكنني أملك كل نية صادقة في جعل الأمر يستحق العناء. هناك ثلاثة أولاد لآل بارنز، وأنا أقبل بأي واحد منهم. إذا استطعت إحضارهم جميعاً، يكون ذلك جيداً. وإلاّ يكفيني أي واحد منهم. أريدك أن تستأجر ثلاثة رجال جيدين لأداء المهمة. شرط أن يكونوا محترفين، وليسوا هواة مثلك. أريد شيئاً مهماً، كي لا يفسد أي شيء. يمكنك العثور عليهم واستئجارهم. سأدفع لكل واحد منهم خمسة ملايين دولار، أضعها في حساب سويسري أو أميركي جنوبي. سأدفع مئة ألف دولار مسبقاً، والباقي حين تصبح الفدية بين أيدينا. وسأدفع لك عشرة ملايين دولار لإدارة العملية. مئتا ألف دولار مسبقاً، والباقي في حساب سويسري. سألغي دينك لي، اعتباراً من الآن. أما الباقي فهو لي". أجرى بيتر حساباً سريعاً وأدرك أنه من المئة مليون دولار التي يتحدث عنها كفدية، سيحتفظ أديسون بخمسة وسبعين مليوناً. ويفترض به هو والرجال الثلاثة الذين سيوظفهم أن يتقاسموا الباقي، كما لو أنها شطيرة. لكنّ أديسون أوضح له جيداً ما هي قواعد اللعبة. إذا لم يوافق

علــى إنجاز العملية له، سيقتل ابنتيه. ليست مجرد لعبة، إنها حرب نووية. وعلــى كل حال، أصبح بيتر في ورطة. تساءل ما إذا كان يستطيع تحذير جانــيت مــن الخطر المحدق بابنتيه، قبل أن يصل أديسون إليهما، لكنه لا يريد الاعتماد على ذلك. فهو يعرف الآن أن أديسون قادر على كل شيء. ولا يريد بيتر أن يتأذى أي من أولئك الأولاد، لا أولاد بارنــز ولا ابنتيه. فجأة، أصبحت حياة خمسة أشخاص في خطر، بالإضافة إلى حياته.

"أنــت مجــنون". قال بيتر فيما جلس مجدداً. لم يستطع العثور على طريقة للخروج من ذلك، وخشي ألا توجد أية واحدة.

"وإنمــا مجنون ذكي، عليك الاعتراف بذلك". قال أديسون بابتسامة. "أظن أن الخطة واضحة. عليك الآن العثور على الرجال. أعرض على كل واحــد مــنهم مئة ألف دولار مسبقاً. سأدفع لك المئتي ألف دولار مسبقاً. يفترض أن يشتري لك ذلك بعض الثياب المحترمة ويؤمن لك مكاناً تمكث فيه حتى انتهاء المسألة. وعليك طبعاً العثور على موقع لاصطحاب الأولاد المخطوفــين إلــيه فيما ننتظر دفع الفدية. بما أنها خسرت للتو زوجها، لا أظن أن السيدة بارنــز ستتأخر طويلاً في دفع الفدية ثمن عودة أولادها. لا تريد أن تخسرهم أيضاً". افترض أن هذا الوقت صعب بالنسبة إليها، وأراد الضرب فيما لا يزال الحديد حامياً. إن اتصال بيتر كان فعلاً بمثابة فرصة ســعيدة. هــذا هــو الفأل الذي كان ينتظره، والرجل الذي يحتاجه لإدارة المشروع. إنه واثق من أن بيتر يعرف الأشخاص الصحيحين بعد السنوات التــي أمضاها في بيليكان باي. لا شك في أن بيتر يعرفهم، لكن ليست هذه الوظيفة التي أرادها بيتر منه. في الواقع، إنه يفكر في الانسحاب. لكن ماذا سيحصل حينها لابنتيه؟ لقد أمسك به أديسون بقبضة حديدية. ما من طريقة أخرى للفرار. وإذا كانت حياة ابنتيه فعلاً في خطر، فليس لديه خيار آخر. هــل يستطيع المجازفة؟ لا يظن أن جانيت ستقبل حتى بالتحدث إليه، وفي الــوقت الــذي يعثر فيه عليها ليخبرها بالخطر المحدق بابنتيه، ربما تكون

ابنــتاه قــد ماتتا. لن يجازف أبداً بهذه الطريقة، مع رجل خطير مثل هذا. سيقتلهما أديسون من دون أي تردد.

"وإذا ســاءت الأمور مع أولاد بارنــز وحصل خطأ ما؟ ماذا لو قتل واحد منهم؟"

"وظيفــتك هي عدم السماح بحصول ذلك. لا يكون الأهل متحمسين عموماً لدفع فدية بدل أولاد موتى. ويزعج ذلك رجال الشرطة أيضاً".

"لا تهــتم أبــداً لــرجال الشرطة. سيلاحقنا رجال مكتب التحقيقات الفدرالي ما إن يختفي الأولاد".

"نعــم، سيلاحقوننا. أو يلاحقونك. أو أي شخص آخر". قال أديسون بســرور. "فــي الواقع، أنا ذاهب إلى أوروبا في هذا الصيف. سنذهب إلى جــنوب فرنــسا، ولــذلك سأترك هذه المسألة بين يديك القادرتين". وبذلك يــتفادى كل المضاعفات المحتملة التي قد تطاله. "بالمناسبة، إذا تم اعتقال أحــد رجالــك في هذه العملية، أنا مستعد لدفع نصف المبلغ المتفق عليه. يفتــرض أن يغطــي ذلك نفقات المحامي، ويؤمن فراراً موثوقاً أيضاً". لقد فكّر في كل شيء. "وأنت يا صديقي، يمكنك البقاء هنا بكل وقاحة بعد ذلك، أو الاخــتفاء بارتــياح فــي أميركا الجنوبية، حيث يفترض بعشرة ملايين دولار أن توفــر لــك حــياة مــريحة. يمكننا حتى إجراء بعض الأعمال المــشتركة بعــد ذلك. لا تعلم أبداً". وسيبتزّه أديسون إلى الأبد، مهدداً إياه بفــضحه أمــام مكتب التحقيقات الفدرالي، إلا إذا نفذ ما يريده فيليب. لكن كيفما نظر إلى هذه المسألة، المهم بالنسبة إلى بيتر الآن هو أن حياة ابنتيه على المحك. رغم أنه لم يرهما منذ كانتا صغيرتين، إلاّ أنه لا يزال يحبهما وهو مستعد للموت قبل أن يعرّضهما للخطر. أو مستعد للمجازفة بالسجن، أو حتــى بعقوبة الإعدام لحمايتهما. كل ما يستطيع التفكير به الآن هو أن مسؤوليته في المهمة هي عدم قتل أولاد بارنــز خلال عملية الخطف. هذا هو الشيء الوحيد الذي يريده، حتى أكثر من العشرة ملايين دولار.

"وكيف أتأكد من أنك ستدفع؟" حين طرح بيتر السؤال، عرف فيليب أنه قبل بالعرض. انتهى الأمر.

"ستحصل على مئتي ألف دولار مسبقاً. أما الباقي فيتم دفعه في حساب سويسري عند انتهاء العملية. يفترض أن يعطيك ذلك مالاً كافياً الآن. يأتيك الباقي حين نقبض الفدية. ليس هذا حساباً نقدياً سيئاً بالنسبة إلى سجين سابق لا يملك أي شيء على الإطلاق. ما رأيك؟" وقد قال قبلاً إن دين بيتر السابق له ألغي أيضاً. لم يجب بيتر بأي شيء، وإنما حدّق فيه فقط، وهو يرتعد بعد كل ما سمعه. خلال الساعتين الماضيتين، عادت كل حياته إلى الحضيض مجدداً. لا توجد أية طريقة ليتمكن يوماً من شرح مصدر المال، وسيبقى هارباً لبقية حياته. لكنّ أديسون فكّر في ذلك أيضاً. "أنا مستعد للقول إنني أعطيتك المال لعقدك صفقة عمل معي، وجاءت نتائج الاستثمار مربحة جداً. لن يعرف أحد أبداً". لكنّ أديسون سيعرف. ومهما حاول كبت السرّ، فثمة احتمال دائم أن يتفوه أحد بالحقيقة. فالسجون مليئة بالرجال الذين ظنوا يوماً أنهم محميون، إلى أن أفشى بهم أحد. وسيبقى أديسون مسيطراً عليه لبقية حياته. في الواقع، لقد سيطر عليه أصلاً. فلحظة شرح له الخطة، انتهى الأمر بالنسبة إلى بيتر، أو ابنتيه، وأولاد بارنز طبعاً.

"ماذا لو كانت لا تملك المال؟ ماذا لو خسر بعضه؟" سأل بيتر بحذر. لقد حصلت أشياء أكثر غرابة من ذلك، خصوصاً في المناخ الاقتصادي الحالي. فقد ظهرت ثروات، واختفت خلال الأعوام القليلة الماضية، تاركة وراءها جبلاً حقيقياً من الديون. لكنّ أديسون ضحك على هذه الفكرة.

"لا تكن سخيفاً. قبل عام واحد، كان الرجل يملك نصف مليار دولار. لا يمكنك خسارة هذا المقدار من المال حتى إذا حاولت". لكنّ آخرين فعلوا. إلا أن أديسون رفض تصديق القصة مع آل بارنز. رأى أديسون أنه كان ذكياً جداً ليخسر كل ثروته، أو حتى معظمها.

"كان الرجل ذهباً صافياً. ثق بي. لا يزال كل المال موجوداً. وستدفع. ومن لا يدفع؟ فكل ما بقي لديها الآن هو أولادها، وماله. وكل ما نريده نحن هو نصف المال. يترك لها ذلك الكثير من المال، وتبقى عائلتها من دون أذى". دائماً تجري الأمور بهذه الطريقة. ويعتمد ذلك الآن على الرجال الذين سيختارهم بيتر. كل شيء يعتمد عليه. لقد تحولت حياته إلى كابوس خلال الساعتين الماضيتين. لقد أصبحت أسوأ مما كانت عليه قبلاً، وأبعد من أي شيء يستطيع تصوره. إنه يجازف بعقوبة الإعدام، أو السجن لمدى الحياة على الأقل.

فتح أديسون درجاً في مكتبه، وأخرج منه مغلفاً من المال. لقد حضّره قبل أن يصل بيتر. ورماه عبر المكتب.

"يوجد مئة ألف دولار هنا، للانطلاق. سيتم تسليم المئة ألف دولار الثانية لكِ الأسبوع المقبل، نقداً، لدفع الاحتياجات المالية التي قد تطرأ عليك. إنها دفعة من العشرة ملايين دولار التي ستحصل عليها في النهاية. دخلت إلى هنا مفلساً وسجيناً سابقاً قبل ساعتين، وها أنت تخرج الآن رجلاً غنياً. تذكر ذلك. وإذا ورّطتني بأية طريقة في هذه المسألة، أو حتى لفظت اسمي، ستصبح ميتاً خلال يوم واحد. هل هذا واضح؟ وإذا خفت وحاولت التراجع، فكّر فقط في ابنتيك". لقد أمسك بيتر في عنقه وحنجرته؛ وهو يعرف ذلك. لم يعد هناك مجالٌ أبداً لهروب بيتر. "باشر في البحث عن رجالك الآن. اختر الرجال الصحيحين. أريدك أن تبدأ بمراقبتها في الأسبوع المقبل. وحين تختار الرجال، أوضح لهم أنهم إذا هربوا بالمئة ألف دولار، وتهربوا منا، سيصبحون أمواتاً خلال يومين. أضمن لك ذلك". قالت عيناه إنه يقصد ذلك فعلاً، وصدّقه بيتر وعرف أن هذا ينطبق عليه هو أيضاً.

"متى تريد أن تنجز ذلك؟" سأل بيتر، وهو يضع المغلف في جيبه، ويشعر بالخدر. "ما هو التاريخ المحدد؟"

"إذا استأجرت الرجال الثلاثة خلال الأسبوع أو الأسبوعين المقبلين، فأظن أنه إذا راقبناهم خلال الأسابيع الأربعة أو الستة المقبلة، سنعرف كل ما نحتاج إلى معرفته عنهم. ويفترض أن تتمكن من القيام بالخطوة في بداية يوليو". سيغادر إلى كان في الأول من يوليو. أراد أن يكون خارج البلاد قبل أن ينجزوا العملية. وحزر بيتر ذلك.

أومأ بيتر برأسه، ونظر إليه. لقد تغيرت حياته كلها خلال الساعتين الماضيتين. لديه مغلف مليء بالمال في جيبه يحتوي على مئة ألف دولار. وفي الأسبوع المقبل، سيحصل على مئة ألف دولار إضافية، ولا يعني ذلك أي شيء له. كل ما أنجزه خلال بعد ظهر يوم واحد أمضاه مع فيليب أديسون هو بيع روحه مقابل حياة ابنتيه. وإذا حالفه الحظ، سيبقي أولاد بارنز على قيد الحياة أيضاً. أما الباقي فلا يعني أي شيء بالنسبة إليه. العشرة ملايين دولار هي ثمن الدم. لقد باع روحه إلى فيليب أديسون. وبرأيه، يمكن اعتباره ميتاً أيضاً. في الواقع، إنه كذلك. استدار للخروج من الغرفة، من دون قول أية كلمة أخرى لأديسون، الذي راقبه وهو يمشي، وحين وصل بيتر إلى الباب، تحدث أديسون.

"حظاً سعيداً. فلنبقَ على اتصال". أومأ بيتر برأسه، وخرج من المكتب، دخل إلى المصعد للنزول إلى الأسفل. كانت الساعة السابعة والنصف حين خرج. لقد غادر الجميع قبل ساعات. لا يوجد أحد في الجوار فيما انحنى بيتر فوق مستوعب النفايات في الزاوية وبصق فوقه. وقف هناك يتقيأ لما بدا وقتاً طويلاً.

الفصل التاسع

فيما استلقى بيتر في السرير في مركز إعادة التأهيل تلك الليلة، فكّر في الاتصال بزوجته السابقة. أراد تحذيرها لتنتبه كثيراً إلى الفتاتين. لكنه عرف أنها ستعتبره مجنوناً. لم يشأ أن يضغط عليه أديسون ويحتجزهما بمثابة رهينتين حتى ينجز المهمة التي طلبها منه. لكنّ أديسون أذكى من ذلك. فقد عرف أنه إذا عرّض حياة ابنتي بيتر للخطر أو أسوأ، فلن يبقى لبيتر أي شيء ليخسره، وسيفضحه. فطالما أن بيتر ينفذ ما هو مطلوب منه، تبقى ابنتاه في أمان. هذا هو الشيء الوحيد الذي فعله لابنتيه خلال الأعوام الستة الماضية، أو ربما طوال حياتهما. لقد وفّر لهما السلامة على حساب سلامته. لا يزال يجد صعوبة في التصديق أنهم سينجزون المهمة بنجاح. لكن إذا اختار الأشخاص الصحيحين، ربما يكتب للمهمة النجاح. يعتمد كل ذلك على الأشخاص الذين سيختارهم الآن. إذا اختار مجموعة من المجرمين الحقيرين والطائشين، فقد يخافون ويقتلون الأولاد. إنّ ما يجدر به العثور عليه الآن هو الرجال الحقيقيين. الرجال الأكثر كفاءة، وخشونة، وبرودة في هذا المجال، إن كان يوجد مثل هؤلاء الرجال. والرجال الذين يعرفهم من السجن أثبتوا أنهم غير كفوئين إذ تم إلقاء القبض عليهم، أو كانت خططهم ربما مليئة بالثغرات. توجب على بيتر الاعتراف أن خطة أديسون مدروسة جداً. فطالما أن أرملة آلان بارنز تملك المال الذي يريده منها، من المستبعد أن تحتفظ بمئة مليون دولار نقداً في المنزل، داخل مرطبان صغير.

فيما كان مستلقياً على السرير يُفكّر في كل هذا، دخل زميله الذي يتشارك معه الغرفة. سيبحث بيتر عن غرفة في فندق محترم في اليوم التالي، من دون أن يكون الفندق فخماً جداً أو مكلفاً جداً. لا يريد أن يكشف فجأة عن ثروة لا يستطيع تبرير مصدرها، رغم أن فيليب أديسون قال له إنه سيسجله في دفاتر إحدى شركاته الفرعية بصفته مستشاراً. إنها في الظاهر شركة أبحاث، لكنها في الواقع غطاء لصفقات المخدرات. إنها تعمل منذ أعوام عدة من دون أية مشكلة، ولا يستطيع أحد كشف حقيقتها.

سأله زميله في الغرفة، "كيف حالك اليوم؟" لقد أمضى يوماً شاقاً وهو يعمل في برغر كينغ، وتفوح منه رائحة البرغر والبطاطا المقلية. إنه تحسن طفيف على الرائحة التي كانت تفوح منه الأسبوع الماضي، حين كان يعمل في مطعم يقدم السمك والبطاطا المقلية. كانت الغرفة كلها تعبق برائحة السمك. لذا، فإن رائحة البرغر أفضل قليلاً.

قال بيتر بصوت لامبالٍ: "جيد. حصلت على وظيفة. سأنتقل في الغد إلى مكان آخر". أسف زميله في الغرفة لمعرفة أنه سيغادر. كان بيتر هادئاً ولا يزعجه، ويهتم بشؤونه الخاصة.

"على أي نوع من العمل حصلت؟" لاحظ أن بيتر إنسان مرموق، إذ تبدو عليه هذه الطلة، حتى في سروال الجينز والقمصان القطنية، وعرف أنه مثقف. لكن رغم ثقافته، فإنه يركب المركب نفسه مثل أي شخص آخر حين يخرج من السجن.

"إجراء أبحاث تسويقية. ليس عملاً مهماً، لكنه يكفي لدفع الإيجار والطعام". بدا بيتر غير متحمس. لا يزال يشعر بالقرف من ذلك. شعر أن حياته انتهت. تمنّى لو أنه يستطيع العودة إلى السجن. على الأقل، هناك الحياة بسيطة، ويأمل في الحصول على حياة لائقة يوماً ما. أما اليوم فلم يعد باستطاعته فعل ذلك. لقد انتهى الأمر بالنسبة إليه. لقد باع روحه إلى الشيطان.

"هذا جيد، يا رجل. أنا مسرور لأجلك. هل تريد الخروج وتناول شيء ما للاحتفال؟" كان رجلاً محترماً، أمضى وقتاً في السجن بسبب تجارة الماريغوانا، وأحبه بيتر رغم أن العيش معه قذر.

"لا. لا بأس. أعاني من الصداع. وعليّ النهوض للذهاب إلى العمل في الصباح". في الواقع، سيبدأ بالتفكير، وقد بدأ أصلاً بالتفكير في الرجال الذين سيستخدمهم لإنجاز مشروع أديسون. سيكون عملاً دقيقاً جداً للعثور على أشخاص لا يفضحونه إذا رفضوا عرضه، أو إذا قرّر هو رفضهم إذا رآهم خطرين جداً. لن يشاركهم مضمون الخطة إلا إذا التفاهم، ووثق فيهم، وتأكد من مصداقيتهم. لكنّ توظيفهم سيكون عملية دقيقة جداً. يشعر بالقرف والألم في معدته كلما فكّر في ذلك. لغاية الآن، لديه رجل واحد في فكره. لم تتم إدانته قبلاً بالخطف، لكنّ بيتر شك في أنه من النوع الملائم لإنجاز المهمة. إنه يعرف من يكون، وإلى أين ذهب بعدما غادر السجن. كل ما يتوجب على بيتر فعله الآن هو تحديد موقعه. سيبدأ في الصباح، بعدما ينتقل إلى فندق. وعندما فكّر في ذلك، استدار، ونام ملء جفونه طوال الليل.

في صباح اليوم التالي، حين نهض، ذهب للبحث عن فندق. استقل باصاً إلى المدينة، وعثر على مكان في ضواحي تندرلوين، في الجهة الجنوبية لنوب هيل. إنه فندق صغير ومجهول، ومزدحم بما يكفي كي لا ينتبه أحد إليه. دفع إيجار شهر مسبقاً، ثم عاد إلى ميشون، إلى مركز إعادة التأهيل، لتوضيب أغراضه. وقّع على تصريح مغادرته عند موظف الاستقبال، وترك رسالة لزميله في الغرفة، متمنياً له حظاً سعيداً، ثم استقل الباص للعودة إلى المدينة مجدداً. ذهب إلى محل مايسيز، واشترى بعض الثياب. من الجميل أن يتمكّن من فعل ذلك مجدداً. اشترى بعض السراويل والقمصان، وربطتين للعنق، وسترة رياضية، وسترة بايسبول جلدية، وبعض الكنزات. كما اشترى ثياباً داخلية وزوجين من الأحذية. ثم عاد

إلى الفندق حيث استأجر الغرفة. وحين رتّب نفسه شعر أنه إنسان مجدداً. مشى في الشارع، وبحث عن مكان لتناول الطعام. كان هناك بائعات هوى يقفن على جانب الطريق، وأشخاص ثملون في مداخل الأبواب، بالإضافة إلى صفقة مخدرات تجري في سيارة مركونة جانباً، كما كان هناك أيضاً أشخاص يعملون، وسيّاح. إنها منطقة لا ينتبه فيها أحد لك، ويمكنك أن تضيع فيها بسهولة، وهذا هو تماماً ما يريده.

إنه لا يرغب أبداً في لفت الأنظار إليه.

بعد العشاء، أمضى نصف ساعة على الهاتف. عرف من هو الشخص الذي يبحث عنه، وتفاجأ من سهولة العثور عليه. قرر أن يأخذ باصاً إلى موديستو في الصباح. وقبل أن يفعل، اشترى هاتفاً خلوياً. من شروط إطلاق سراحه المراقب عدم امتلاك هاتف خلوي. إنه شرط ينطبق على كل الأشخاص الذين ذهبوا إلى السجن بسبب تجارة المخدرات ويخضعون للمراقبة بعدما تم الإفراج عنهم. لقد طلب منه أديسون أن يشتري واحداً. إنه الآن دون شك يعتبر أديسون صاحب العمل الذي يعمل لديه. عرف بيتر أنه لا مجال لأن يدرك مراقبه بأنه اشترى هاتفاً خلوياً. فقد أبلغه بأنه عثر على وظيفة وبدّل عنوانه هذا الصباح، وسرّ المراقب لسماع ذلك.

اتصل بيتر بأديسون في المكتب، وترك له رقم هاتفه الخلوي على بريده الصوتي، وكذلك رقم الهاتف في الفندق.

في تلك الليلة، كانت فرناندا تحضّر العشاء للأولاد. إنهم متحمسون أكثر وأكثر لانتهاء المدرسة هذا الصيف. كان ويل متحمساً خصوصاً للعب اللاكروس في المخيم طوال ثلاثة أسابيع. وكان الآخران متحمسين لمشاريعهما أيضاً. وحين ذهبوا إلى المدرسة في اليوم التالي، ذهبت فرناندا إلى وسط المدينة للقاء جاك واترمان. هناك الكثير من الأمور التي يجب التحدث بشأنها. هذه هي الحال دوماً. إنه يعجبها – منذ زمن – رغم أنها

تعتبره هذه الأيام نذير الشؤم. إنه المحامي الذي يتولى شؤون إرث ألان، وكانا قبل ذلك صديقين لأعوام عدة. أصيب بالذهول نتيجة الفوضى التي كانت فيها شؤون ألان، والقرارات الكارثية التي اتخذها، وتأثيرها على فرناندا والأولاد.

سكبت لها سكرتيرته فنجان قهوة حين دخلت، وجلس جاك في الجهة المقابلة للمكتب مع تعبير مقيت. أحياناً يكره ألان على ما فعله. إن فرناندا امرأة لطيفة جداً، ولا تستحق ذلك. لا أحد يستحق ذلك.

سألها، "هل أخبرتِ الأولاد؟" فيما وضعت هي فنجان القهوة جانباً، وهزّت رأسها.

"بشأن المنزل؟ لا، لم أخبرهم. لا داعي لأن يعرفوا الآن. لن نعرضه للبيع قبل شهر أغسطس. ما زال الوقت مبكراً على ذلك. لا داعي إلى القلق بشأن ذلك طوال ثلاثة أشهر. بالإضافة إلى ذلك، قد يحتاج المنزل إلى وقت حتى يتم بيعه".

إنه منزل كبير، ومكلف جداً حتى تحتفظ به. كما أن سوق العقارات ليس جيداً هذه الأيام. أخبرها جاك واترمان أن عليها بيعه والحصول على المال بين يديها قبل نهاية العام. أخبرها أيضاً عن ضرورة إفراغ المكان وبيع قدر ما تستطيع منه كل شيء على حدة، والمفروشات طبعاً. لقد أنفقا خمسة ملايين دولار تقريباً على فرش المنزل، لكنّ بعضاً من هذا المال لا يمكن استرداده، مثل الرخام الذي وضعاه في كل الحمامات، والمطبخ الحديث جداً. لكنّ الثريا الإيطالية التي دفعا ثمنها أربعمئة ألف دولار يمكن بيعها في المزاد العلني في نيويورك، ويمكن أن تحقق منها ربحاً. وثمة أشياء أخرى يمكنها أيضاً بيعها في المنزل. عرفت أيضاً أنه حين تبدأ بتفريغ المنزل، سينزعج الأولاد، وخافت كثيراً من ذلك. حاولت ألا تفكر في الأمر فيما ابتسمت له، وردّ لها الابتسامة. تحلّت بروح رياضية كبيرة خلال الأشهر الأربعة الماضية،

وأعجب بها نتيجة ذلك. قالت فرناندا إنها تتساءل ما إذا كان ألان قد فكّر في ما ستصبح عليه أمورها. لكنّ جاك رأى أن هذا ربما كان آخر شيء خطر في باله، حسب معرفته به. فكل ما كان يُفكّر به هو العمل والمال. ثمة أوقات فكّر فيها ألان فقط في نفسه، أثناء صعوده السريع إلى قمة الشهرة في عالم التكنولوجيا، وكذلك أثناء نزوله بسرعة قياسية في ذلك المجال. كان رجلاً وسيماً، وساحراً، وذكياً، وإنما ثمة شيء من النرجسية لديه. حتى انتحاره كان بسبب يأسه الشخصي، ولم يُفكّر حتى فيها، أو في الأولاد. تمنّى جاك لو أنه يستطيع فعل المزيد لها، لكنه يبذل في الوقت الحاضر كل ما يستطيع.

"هل ستذهبين إلى أي مكان هذا الصيف؟" سألها فيما انحنى إلى الخلف في كرسيه. كان رجلاً وسيماً. ذهب إلى كلية إدارة الأعمال مع ألان، ومن ثم إلى كلية الحقوق بعد ذلك. يعرفون هم الثلاثة بعضهم البعض جيداً منذ وقت طويل. لقد عانى من أحزانه الخاصة على مرّ السنوات. فقد تزوج من محامية، وماتت بسبب ورم في الدماغ في عمر الخامسة والثلاثين. لم يتزوج أبداً مجدداً، ولم يكن لديهما الوقت لإنجاب الأولاد. جعلته خسارته الشخصية متعاطفاً مع حزن فرناندا، وحسدها على الأولاد. كان قلقاً خصوصاً بشأن الطريقة التي ستعيش فيها بعد تسديد ديون ألان. عرف أنها تُفكّر في الحصول على وظيفة في متحف، أو التعليم في مدرسة. تصوّرت أنه إذا علّمت في مدرسة آشلي وسام، أو حتى مدرسة ويل، قد يعفونها من قسط الأولاد. لكنها بحاجة إلى أكثر من ذلك بكثير للعيش. لقد تحولوا من فقراء إلى أغنياء ففقراء مجدداً. هذه هي حال العديد من الأشخاص، بعد فورة الثورة التكنولوجية، لكنّ قصتهم كانت الأكثر تطرفاً على الإطلاق، بفضل ألان.

شرحت له، "سيذهب ويل إلى مخيم، وستذهب آش إلى تاهو، أما أنا وسام فسنبقى هنا. يمكننا الذهاب إلى الشاطئ".

مجرد الإصغاء إليها جعله يشعر بالذنب لأنه ذاهب إلى إيطاليا في شهر أغسطس، وكان على وشك دعوتها هي والأولاد للانضمام إليه، لكنه مسافر مع أصدقاء. لا توجد امرأة حالية في حياته، وأصبح لديه نقطة ضعف تجاه فرناندا على مرّ السنوات، لكنه عرف أيضاً من خبرته الخاصة أن الوقت لا يزال مبكراً جداً للتودد إليها. فقد مات ألان منذ أربعة أشهر فقط. وحين توفيت زوجته، لم يواعد أية امرأة أخرى طوال عام كامل. لكن هذه الفكرة خطرت في باله مرات عدة خلال الأشهر القليلة الماضية. إنها بحاجة إلى شخص ما للاهتمام بها، وبأولادها. وهو مولع جداً بهم جميعاً، ولا تعرف فرناندا أي شيء عن مشاعره تجاههم.

"يمكننا ربما الذهاب إلى نابا لقضاء يوم أو ما شابه حين ينتهي الأولاد من المدرسة". اقترح عليها بحذر، وابتسمت هي له. إنهما يعرفان بعضهما منذ وقت طويل جداً بحيث باتت تعتبره بمثابة أخ. لم يخطر في بالها أبداً أنه يريد الخروج معها، وأنه ينتظر الوقت الملائم لذلك. لقد ابتعدت عن عالم المواعدة مدة سبعة عشر عاماً، ولا تُفكّر حتى في الدخول إليه مجدداً. لديها أشياء أكثر أهمّيّة للتفكير فيها أولاً. مثل بقائهم على قيد الحياة، وكيفية إطعام أولادها.

قالت فرناندا كردٍّ على دعوته إلى نابا: "سيحبون ذلك".

"لديّ صديق يملك مركباً أيضاً. إنه مركب شراعي جميل". كان يحاول التفكير في سبل تجعلها تفرح، وتسلّي أولادها، من دون أن يكون مُلحاً كثيراً أو عدائياً. ونظرت هي إليه ببراءة فيما أنهت قهوتها.

"سيحب الأولاد ذلك. لقد أخذهم ألان في رحلات على متن مراكب مرات عدة. لكنني أصاب بدوار البحر". كانت تكره يخت ألان، رغم أنه كان يحبه. كانت تصاب بالدوار بمجرد الوقوف على متنه. والآن، فإن مجرد ذكر كلمة مركب يذكرها بكيفية موت ألان. لا تريد أن تشاهد أي مركب مجدداً.

قال بلطافة: "سنفكر في شيء آخر". أمضيا الساعتين التاليتين وهما يناقشان أمور العمل، وأنهيا آخر قسم من عملهما قبيل الظهر. إنها تفهم تماماً كل ما يجري، وكانت مسؤولة في القرارات التي اتخذتها. ما من شيء سخيف لديها، وتمنّى فقط لو أنه يستطيع فعل المزيد لها.

دعاها لتناول الغداء، لكنها قالت إن عليها القيام ببعض الجولات، ولديها موعد مع طبيب الأسنان بعد الظهر. والحقيقة أن الوقت الذي تمضيه معه يشعرها بالتوتر، بسبب الحديث عن فداحة وضعها، ولذلك تشعر بعد رؤيته أنها بحاجة إلى جهاز تنفس وإلى بعض الوقت لنفسها. لا شك في أنهما إذا ذهبا معاً إلى الغداء، فسيتحدثان عن مشاكلها وعن ديون ألان. عرفت أن جاك يشعر بالأسف عليها، وهذا لطف منه. لكنها تشعر بنفسها وكأنها متشردة ومريضة. ارتاحت حين قالت له وداعاً، وعادت مجدداً إلى باسيفيك هايتس لوحدها. أصدرت تنهيدة كبيرة، وحاولت التخلص من إحساس الذعر المسيطر على معدتها. أحست بانقباض كبير داخل معدتها حين تركت مكتبه، ولذلك رفضت دعوته إلى الغداء. تطوع هو بدل ذلك للمجيء إليهم وتناول العشاء في الأسبوع القادم، ووعدها بالاتصال بها. على الأقل إن رؤيته مع الأولاد تعفيها من رعب مواجهة الحقائق الحزينة معه. إنه شخص واقعي جداً، ويتحدث عن الأشياء بوضوح كبير، ويسمي الأشياء بأسمائها. ستصاب بصدمة إذا أدركت أن لديه نوايا عاطفية تجاهها. لم يخطر ذلك أبداً في بالها خلال لقاءاتهما المتعددة. لطالما ظنت أن جاك رجل رائع، وقوي مثل الصخرة، وشعرت بالأسف عليه لأنه لم يتزوج ثانية. لطالما قال لها ولألان إنه لم يعثر على الشخص الصحيح. عرفت كم كان يحب زوجته، وحذرها ألان مرات عدة من ألا تحاول تحديد مواعيد عاطفية له مع صديقاتها، ولذلك لم تفعل. لم يخطر في بالها أبداً أنها قد تنتهي معه في يوم من الأيام. كانت مغرمة كثيراً بألان، ولا تزال كذلك. ورغم الإخفاقات والفوضى الكبيرة التي

أحدثها في النهاية، لا تزال تعتبره زوجاً رائعاً. لا تملك أي رغبة في استبداله، لا بل بالعكس. فهي تستطيع تخيل نفسها متزوجة منه مجدداً لبقية حياتها، من دون مواعدة أي رجل آخر. وقد قالت ذلك مراراً لأولادها، الأمر الذي أراحهم نوعاً ما، ولا سيما سام، لكنهم شعروا بالحزن عليها.

تحدثت آشلي إلى ويل بشأن ذلك مرات عدة حين يكونان لوحدهما، أو عندما تكون أمهما في الخارج مع سام، أو تكون مشغولة في فعل شيء ما.

"لا أريدها أن تبقى لوحدها إلى الأبد". قالت آشلي لأخيها الكبير، الذي كان يصاب بالذهول كلما تطرقت إلى الموضوع. حاول ألا يُفكّر في أمه وهي على علاقة عاطفية مع شخص آخر غير والده. تحب آشلي بطبعها تدبير الزيجات، مثل أمها، وهي رومنسية جداً.

كان يقول لها ويل دائماً: "لقد مات بابا للتو". وكان يبدو منزعجاً كلما تحدثت عن الموضوع. سألها ويل وهو يبدو قلقاً، "امنحيها الوقت. هل قالت أمي شيئاً؟"

"نعم، قالت إنها لا تريد الخروج مع أحد. تريد أن تبقى متزوجة من أبي إلى الأبد. هذا محزن جداً". لا تزال تضع المحبس. ولم تعد تخرج في الليل أبداً، إلا معهم، لمشاهدة فيلم سينما أو تناول البيتزا. ذهبوا مرتين إلى مطعم ميل بعد مباريات ويل. "أتمنّى أن تلتقي بشخص ما، وتقع في غرامه يوماً ما". تمنّت آشلي فيما برم ويل عينيه.

قال ويل بصرامة: "ليس هذا من شأننا".

"بلى، هو كذلك. ماذا عن جاك واترمان؟" اقترحت آشلي، وكانت حادة الملاحظة أكثر من أمها. "أظن أنها تعجبه".

"لا تكوني سخيفة آش. إنهما صديقان".

"حسناً، لا تعرف أبداً. لقد ماتت زوجته أيضاً. ولم يعاود الزواج ثانية". ثم بدت قلقة فجأة. "هل تظن أنه شاذ!؟"

قال ويل: "طبعاً لا. لديه مجموعة من الصديقات. إن حديثكِ مقرف". فيما خرج مسرعاً من الغرفة مثلما يفعل دوماً كلما تطرقت إلى موضوع الحياة العاطفية غير الموجودة عند أمهم. لا يحب التفكير في أمه في هذا السياق. إنها أمه، ولا يرى أي خطب في بقائها لوحدها، إذا كانت سعيدة بهذه الطريقة، وهي تقول إنها كذلك. هذا جيد بالنسبة إليه. لكنّ أخته أكثر ذكاءً، رغم سنها الصغيرة.

أمضوا نهاية الأسبوع منهمكين في أمورهم الاعتيادية، وفيما جلست فرناندا على أحد المقاعد الخشبية، تشاهد ويل وهو يلعب اللاكروس في مارين يوم السبت، كان بيتر مورغان في طريقه إلى موديستو في الباص. كان يرتدي بعضاً من الثياب الجديدة التي اشتراها بالمال الذي أعطاه إياه أديسون. وبدا محترماً وحذراً. الشخص الذي أجابه على الهاتف في مركز إعادة التأهيل في موديستو قال له إن كارلتون واترز مسجل هنا. إنه ثاني شخص يتصل به. ليس لديه فكرة عما يجب قوله له حين يصل إلى هناك. عليه تحسس وضع واترز ومعرفة كيف تجري الأمور معه. وإذا لم يشأ واترز أداء المهمة بنفسه، فإنه دون أدنى شك يعرف شخصاً ملائماً بعدما أمضى أربعة وعشرين عاماً في السجن. لكن كيفية حصول بيتر على المعلومات منه هو أمر آخر، خصوصاً إذا لم يشأ إنجاز المهمة بنفسه، أو استاء بسبب الطلب منه القيام بذلك. "البحث"، مثلما أسماه أديسون، لم يكن سهلاً مثلما يبدو. كان بيتر يُفكّر في كيفية التطرق إلى الموضوع، فيما استقل الباص إلى موديستو.

تبيّن أن مركز إعادة التأهيل يبعد مسافة قليلة عن محطة الباص، ومشى إلى هناك تحت شمس أواخر الربيع. نزع بيتر عنه سترة البايسبول الجلدية، ورفع أكمام قميصه. وحين وصل إلى العنوان الذي أعطوه إياه عبر الهاتف، كان حذاؤه الجديد قد أصبح مغطى بالغبار. لكنه ظل يبدو مثل رجل أعمال حين صعد الدرج الأمامي، ودخل مكتب الاستقبال.

حين سأل عن واترز قيل له إنه خرج، فعاد بيتر إلى الخارج للانتظار. ليس لديهم فكرة عن المكان الذي ذهب إليه أو الوقت الذي سيعود فيه. لكنّ الرجل في مكتب الاستقبال قال إن لديه عائلة في المنطقة، وربما ذهب إلى هناك، أو ذهب إلى مكان ما مع أصدقاء. كل ما يستطيع تأكيده هو أن موعد حظر الدخول والخروج في مركز إعادة التأهيل هو في التاسعة مساء، وعليه العودة قبل ذلك.

جلس بيتر على المصطبة، وانتظر لوقت طويل، وفي تمام الساعة الخامسة، فيما كان يُفكّر في الحصول على شيء ما لأكله، شاهد وجهاً مألوفاً يمشي ببطء في الشارع مع رجلين آخرين. يملك واترز وجهاً مهيباً. بدا مثل لاعب كرة سلة. كان قوي البنية، طويلاً وعريض المنكبين، لقد أمضى سنوات في السجن وهو يمارس رفع الأثقال، وحصل على نتائج مذهلة. في المكان الخطأ، والوقت الخطأ، عرف بيتر أنه رجل مخيف، رغم إدراكه أنه طوال أربعة وعشرين عاماً لم يسجل أي تاريخ عنف في السجن. وجد هذه المعلومات مطمئنة قليلاً. ثمة احتمال كبير أن يغضب كثيراً من العرض الذي سيقدمه له بيتر، وقد يصبّ جام غضبه على بيتر لمجرد سؤاله. لم يكن بيتر يتطلع بحماس إلى التطرق للمسألة معه.

كان واترز ينظر مباشرة إلى بيتر فيما مشى ببطء في الشارع. تعرفا فوراً على بعضهما البعض، رغم أنهما لم يكونا يوماً صديقين. إنه بالضبط الشخص الذي أراده أديسون أن يعثر عليه، المحترف وليس المجرم الهاوي مثل بيتر مورغان. لكن الآن، وبفضل أديسون، انضم بيتر إلى فريق العظماء أيضاً، ولم يكن فخوراً أبداً بذلك. في الواقع، كره نفسه على ما يقوم به، لكن ليس لديه أي خيار.

أومأ الرجلان لبعضهما البعض، فيما وقف بيتر يراقبه من المصطبة، ونظر واترز إلى عيني بيتر مع تعبير عدائي فيما صعد السلالم. لم يكن بيتر مطمئناً.

سأله واترز، "هل تبحث عن أحد؟" وأومأ بيتر برأسه، ولكن من دون أن يقول له الاسم.

"كيف حالك؟" كانا يدوران حول بعضهما البعض مثل ثورين، وخاف بيتر من أن يستهل واترز الهجوم. أما الرجلان الآخران، مالكولم ستارك وجيم فري، فوقفا بعيداً قليلاً، يراقبان ماذا سيحدث.

"أنا بخير. وأنت؟" أومأ بيتر برأسه، ولم تترك أعينهما بعضها البعض أبداً، كما لو أنها مغناطيسات ملتصقة بمعدن، ولا تستطيع الابتعاد. لم يكن بيتر واثقاً مما يجب قوله له، لكنه أحس أن واترز عرف أنه أتى للتحدث إليه، ومن دون أن يقول أي شيء آخر لبيتر، التفت نحو مالكولم ستارك وجيم فري. "سأدخل بعد دقيقة". نظر إلى بيتر فيما مرّا قربه، وأغلقا الباب خلفهما، فيما نظر واترز إلى بيتر مجدداً، مع سؤال في عينيه هذه المرة. "هل تريد التحدث إليّ؟" أومأ بيتر برأسه مجدداً، وتنهد. هذا أصعب مما تصور، ومخيف كثيراً. لكن هناك أيضاً الكثير من المال في الصفقة. يصعب توقع كيف ستكون ردّة فعل واترز، أو ماذا سيقول. وليس هذا المكان الملائم للتحدث في هذا الموضوع. أحسّ واترز بسهولة أن الموضوع مهم. لا بد أنه كذلك. لم يتبادل الرجلان عشر كلمات في السجن خلال الأعوام الأربعة التي أمضياها هناك في الوقت نفسه، وقد اجتاز الآن كل المسافة من سان فرانسيسكو للتحدث إليه. شعر واترز بالفضول لسماع الموضوع الذي دفع بيتر إلى الركوب ثلاث ساعات في الباص قادماً من المدينة، وانتظاره طوال اليوم. بدا بيتر مثل رجل لديه شيء مهم في عقله.

قال ببساطة: "هل نستطيع التكلم في مكان ما؟" فأومأ واترز برأسه.

"ثمة حديقة عامة في نهاية الشارع". أحس أن بيتر لا يريد الذهاب إلى مشرب أو مطعم، ولا إلى غرفة الجلوس في مركز إعادة التأهيل، حيث يمكن أن يسمعهما أحد.

قال بيتر بصرامة: "هذا جيد". ولحقه على درج المصطبة.

كان جائعاً وعصبياً، وأحس بانقباض في معدته فيما مشيا في الشارع من دون أن يقولا أية كلمة لبعضهما البعض. مضت عشر دقائق كاملة قبل أن يصلا إلى الحديقة العامة، جلس بيتر على مقعد خشبي، فيما تردد واترز لبرهة طويلة ثم جلس على المقعد قربه. جلس هناك، وأخرج بعض التبغ القابل للمضغ من جيبه. إنها عادة اكتسبها في السجن، ولم يعرض التبغ على بيتر. جلس فقط هناك، ونظر أخيراً إليه، نصف منزعج ونصف فضولي.

كان بيتر بالتحديد نوع المجرم الذي لا يحترمه. إنه أحمق، امتلك المال، ووضع نفسه في السجن بسبب غبائه، ثم تودد إلى آمر السجن للحصول على وظيفة في المكتب. أما واترز فقد أمضى وقتاً صعباً، وقضى فترة طويلة في السجن الانفرادي. أمضى وقته مع المجرمين، والمغتصبين، والخاطفين، والرجال الذين سجنوا لوقت طويل. لذا، فإن الأعوام الأربعة التي قضاها بيتر لا تعني أي شيء له مقارنة مع الأربعة وعشرين عاماً التي قضاها هو. وزعم واترز أنه بريء حتى النهاية، ولا يزال يفعل ذلك. مهما كانت قصته - براءته أو ذنبه - فقد قضى معظم حياته في السجن، ولا يهتم أبداً لأمر بيتر مورغان. لكنّ وبما أنه اجتاز كل تلك المسافة من سان فرانسيسكو لرؤيته، فسيستمع إليه، لكن هذا كل ما سيفعله. بدا عليه ذلك بوضوح فيما بصق مضغة التبغ على مسافة أقدام عدة، والتفت للنظر إلى بيتر. إن عيني واترز جعلتا بيتر يرتجف نوعاً ما، تماماً كما حصل حين رآه في مكتب آمر السجن. كان ينتظر ولا مجال أبداً لتفادي الموضوع. عرف بيتر أن عليه التكلم، لكنه لا يعرف ماذا يقول، فيما بصق واترز مجدداً.

سأله واترز، "ما الذي يجول في عقلك؟" فيما كان ينظر مباشرة في عينيه. انقطعت أنفاس بيتر نتيجة قوة تحديقه. لقد علق الآن في الفخ.

"عــرض عليّ أحدهم صفقة عمل". بدأ بيتر الحديث فيما كان واترز يــراقبه. لاحظ واترز أن يدي بيتر ترتجفان، ولاحظ الثياب الجديدة. بدت السترة باهظة الثمن، وكذلك الحذاء. يبدو جلياً أن وضعه جيد. كان واترز يحمل الصناديق في مزرعة الطماطم مقابل الحدّ الأدنى للأجور. أراد عملاً فــي المكــتب، لكنهم قالوا له إن الوقت لا يزال باكراً جداً. "لا أعرف إذا كــنتَ مهــتماً، لكنني أريد التحدث إليك. أحتاج إلى نصيحتك". ما إن قال ذلــك، عــرف واترز أن الأمر غير جيد. انحنى إلى الخلف على المقعد، وقطّب حاجبيه.

سأل بحذر، "ما الذي يجعلك تظن أنني مهتم أو أريد مساعدتك؟"

"لا أعــرف. لــيس لديّ فكرة". قرر أن يكون صادقاً معه، فهذه هي الطــريقة الوحيدة للتعاطي مع شخص خطير مثله. تصوّر أنها الرصاصة الوحــيدة التي يملكها. "لقد علقت في القصة. كنت أدين بالمال لأحدهم حين ذهــبت إلــى الــسجن، بنحو مئتي ألف دولار، وعدت الآن إليه. يقول إنه يــستطيع قتلي ساعة يشاء، ربما إنه محق في ذلك، رغم أنه لم يفعل حتى الآن. قــدّم لي عرضاً. ليس لديّ خيار. إذا لم أنفذ له ذلك الآن، يقول إنه سيقتل ابنتيّ، وأظن أنه قد يفعل".

علّــق واترز، "إنك تتعاطى مع أشخاص رائعين". ومدّ ساقيه، ونظر إلــى حذائــه المتــسخ بالغبار. "وهل يملك القدرة لفعل ذلك؟" كان واترز فضولياً، وشعر بالأسف عليه.

"نعــم. أظن أنه كذلك. لذا، أنا غارق حتى أذنيّ. يريدني أن أنفذ له مهمة".

"أي نــوع مــن المهام؟" كان صوته لامبالياً، فيما استمر في مراقبة حذائه.

"مهمــة كبيــرة. مهمــة كبيرة جداً. هناك الكثير من المال في ذلك. خمسة ملايين دولار لك إذا قبلت. مئة ألف دولار نقداً مسبقاً، والباقي عند

الانتهاء". رأى بيتر حين قال له ذلك إن الأمر ليس مهيناً جداً ربما بقدر ما اعتبره في البداية. حتى لو لم يقبل واترز بالعرض، فقد يكون عرضاً مهماً لكلاهمــا. أومأ واترز برأسه، وتصور هو أيضاً أن المهمة كبيرة، لكنه لم يكن متأثراً. كان بارداً جداً.

"وكم هي حصتك؟"

الصراحة مجدداً. هذه هي الطريقة الوحيدة للوصول إلى هنا. الشرف بين السارقين. "عشرة عند الانتهاء. مئتا ألف دولار نقداً مسبقاً. يريدني أن أحضر المهمة، وأستخدم له الرجال المناسبين".

"كم عددهم؟"

"ثلاثة، بما في ذلك أنت. إذا قبلت".

"مخــدرات؟" لم يستطع حتى أن يتخيل مقدار الهيرويين أو الكوكايين فــي تلك الصفقة. لا يستطيع التفكير في أي شيء آخر يعطي هذا الكمّ من المــال. لكن حتى هذا المبلغ كبير جداً بالنسبة إلى صفقة مخدرات، إلا إذا كانت الصفقة محفوفة كثيراً بالمخاطر، ولا بد أنها كذلك، إذا عرض أحدهم دفع هذا المبلغ من المال. لكن حين نظر إليه واترز، هزّ بيتر رأسه.

"أســوأ. أو أفضل. حسب الطريقة التي تنظر فيها إلى الأمر. مبدئياً، إنــه عمــل نظــيف جــداً. يريدنا أن نخطف أحداً ونحتفظ به لأسبوعين، ونحصل على الفدية، ثم نعيده إلى منــزله، وننفصل عن بعضنا. على أمل ألا يصاب أحد بأذى".

"ومن هو هذا؟" صرخ واترز في وجهه. "الرئيس؟"

كــاد بيتر يبتسم، لكنه لم يفعل. إنها مسألة جدية بالنسبة إليهما معاً. "ثلاثة أولاد. أو قدر ما نستطيع. واحد يكفي".

"هل هو مجنون؟ إنه يدفع خمسة وعشرين مليون دولار لأربعة أشخاص مقابل خطف ثلاثة أولاد ومن ثم إعادتهم إلى المنــزل. كم هي الفدية؟"

شعر بيتر بالعصبية لإعطائه كل التفاصيل، لكن توجب عليه إخباره ما يكفي لإقناعه. "مئة مليون. يحتفظ لنفسه بخمسة وسبعين. إنها فكرته". صفّر واترز، وحدّق في بيتر لبرهة طويلة، ثم ومن دون أي إنذار مسبق، تمدد فوق المقعد، وأمسك بحنجرة بيتر بقوة شديدة بيد واحدة لدرجة أنه كاد يقتله. أحسّ بيتر أن شرايينه وأوردته تكاد تنفجر داخله فيما جعل واترز وجهه يقترب ليصبح على مسافة إنش واحد من وجه بيتر.

"إذا كنت تمزح معي، سأقتلك. أنت تعرف هذا، أليس كذلك؟" بيده الأخرى، مزّق واترز كل أزرار قميص بيتر ليرى ما إذا كان لديه أجهزة اتصال تصله برجال الشرطة، لكنه لم يرَ أي شيء.

"إنها حقيقة". نجح بيتر في القول وهو يكاد يلفظ نفسه الأخير. استمر واترز في الإمساك به هكذا إلى أن شاهد بيتر النجوم وكاد يفقد الوعي، ثم أفلته، واستلقى مجدداً على المقعد الخشبي، وهو يبدو غير مهتم.

"ومن هو الرجل؟"

"لا أستطيع أن أقول لك". قال بيتر وهو يفرك عنقه. ما زال يحسّ بيد واترز حول حنجرته. "هذا جزء من الصفقة". أومأ واترز برأسه. بدا الأمر صحيحاً.

"ومن هم الأولاد؟"

"لا أستطيع أن أقول لك أيضاً، إلا إذا قبلت بالعرض. لكنك ستعرف سريعاً إذا قبلت. يريدنا أن نراقبهم لفترة شهر أو ستة أسابيع، حتى نعرف روتينهم، ونعرف ماذا سنفعل، ومتى نستطيع خطفهم. وعليّ تحضير مكان لنصطحبهم إليه".

"لا أستطيع إنجاز المراقبة. لديّ وظيفة". قال كارل واترز بطريقة عملية، كما لو أنه ينظم جدول مواعيد العمل. "أستطيع فعل ذلك في عطلات نهاية الأسبوع. أين، هنا في سان فرانسيسكو؟" أومأ بيتر برأسه.

"أستطيع أنا المراقبة خلال الأسبوع. قد نلفت الانتباه بشكل أقل إذا تناوبنا قليلاً". بدا هذا منطقياً بالنسبة إليهما معاً.

"وهل يملكون فعلاً هذا الكم من المال؟ أو أن الرجل يحلم؟"

"كان لديهم نصف مليار دولار قبل عام. يصعب إنفاق هذا الكم من المال خلال سنة. لقد مات الرجل. سنطلب الفدية من زوجته. ستدفع للاحتفاظ بأولادها". أومأ واترز برأسه. هذا منطقي بالنسبة إليه أيضاً.

"هل تدرك أننا قد نواجه عقوبة الإعدام إذا تم اعتقالنا". قال واترز بطريقة بديهية. "ومن يؤكد لنا أن هذا الرجل لن يغدر بنا إذا نفذنا المهمة. أنا لا أثق بأشخاص لا أعرفهم". لم يقل ذلك، لكنه كان يثق ببيتر، على رغم اعتباره ساذجاً جداً. لطالما سمع أنه كان جيداً في السجن. ليس مجرماً خطيراً، لكنه أمضى عقوبته في السجن وبقي نظيفاً. يعني ذلك الكثير بالنسبة إليه.

قال بيتر بهدوء: "أظن أننا نحتاج إلى تحديد وجهتنا بعد ذلك. أظن أننا سننجز المهمة، ومن ثمّ نصبح أحراراً لوحدنا. إذا فضحنا أحد، نقع جميعاً في ورطة".

"نعم، وهو أيضاً، إذا فضحته. لا بد أنه يثق بك".

"ربما. جشع كبير. ليس لديّ خيار. لا أستطيع المجازفة بابنتي".
أومأ واترز برأسه مجدداً، إذ فهم المسألة تماماً، رغم أنه لم ينجب الأولاد.

"وإلى من تحدثت أيضاً؟"

"لا أحد. بدأت بك. تصورت أنك إذا لم تقبل بذلك، فيمكنك إعطائي بعض الأفكار. إلاّ إذا سخرت مني وطلبت مني الانصراف بعيداً". تبادلا ابتسامة على هذه الفكرة، وضحك واترز.

"لقد جازفت كثيراً بطرح مثل هذا الموضوع عليّ. كان بإمكاني قتلك".

"أو خنقي". مازحه بيتر، وضحك واترز مجدداً. ثمة اضطراب عميق في عينيه. "ما رأيك؟"

"أظــن أن هذا الرجل مجنون، أو أن لديه بعض الأصدقاء الأغنياء. هل تعرف الضحايا؟"

"أعرف من يكونون".

"وهل هم أغنياء فعلاً؟"

"نعم". طمأنه بيتر، وبدا واترز متأثراً. لم يسمع أبداً بهذا المقدار من المال إلا في صفقات المخدرات، وكان بيتر محقاً في أن هذه العملية نظيفة. "ما زال يتوجب عليّ العثور على مكان لنذهب إليه مع الأولاد".

"هــذا ليس صعباً. كل ما تحتاج إليه هو كوخ في الجبل أو في مكان مــا فــي الــصحراء. اللعــنة، كم هو معقد الاهتمام بثلاثة أولاد؟ كم هي أعمارهم؟"

"ستة أعوام، واثنا عشر عاماً، وستة عشر عاماً".

"اللعــنة، يــا لــه من أمر مزعج. لكن أظن أنه مقابل خمسة ملايين دولار، أستطيع الاهتمام بدراكولا وأولاده".

ذكّره بيتر، "لكن الشرط هو ألا نؤذيهم. يجب أن يعودوا سالمين. هذا هو الشرط".

"فهمــت". قــال واترز وهو يبدو مضطرباً. "لن يدفع أحد مئة مليون دولار مقابل ثلاثة أولاد موتى، أو حتى ولد واحد". لقد فهم النقطة.

"يفتــرض أن تدفــع الفدية سريعاً. لقد خسرت زوجها، ولا تريد أن تخــسر أولادهــا. قــد تحتاج إلى أسبوع أو أسبوعين لتحرير المال، لكن يفترض ألا يستغرق الأمر فترة طويلة؛ ليس من أجل أولادها".

"أُحــب أن تكــون امرأة". علّق واترز، مفكراً في الأمر. "لن تجعلنا ننتظــر ستة أشهر. إنها تريد الأولاد". وقف واترز حينها، ونظر إلى بيتر

الــذي بقي جالساً على المقعد. لقد سمع ما يكفي وأراد العودة إلى المركز. لديــه مــا يكفي للتفكير بشأنه الآن. "سأفكر في الأمر، وأبلغك رأيي. كيف أعثــر عليك؟" أعطاه بيتر ورقة عليها رقم هاتفه الخلوي. كتب الرقم فيما كان منتظراً على المصطبة.

"إذا قــبلت بالمهمة، هل تستطيع إيجاد الرجلين الآخرين؟" سأل بيتر، فيما وقف.

"نعــم. يجب أن يكونا رجلين أثق بهما. يمكن لأي أحد أن يعثر على شــخص ما، لكن هل يستطيع إبقاء فمه مغلقاً بعد ذلك؟ سنصبح مطاردين بعــد ذلــك. أريــد التأكد من أنني لن أنتهي في السجن". لديه وجهة نظر، ووافق بيتر معه.

"يــريدنا أن ننفذ العملية في شهر يوليو. سيكون خارج البلاد حينها، ويــريد أن تنتهي العملية قبل أن يعود". لديهما فترة شهر تقريباً للتحضير للعملية، والعثور على الرجال، ومراقبة الأولاد وخطفهم.

"يفترض ألاّ يشكل ذلك أية مشكلة". قال واترز، ثم مشيا بصمت، فيما تــساءل بيتر عما يُفكّر فيه ومتى سيسمع الجواب منه. لم ينظر إليه واترز حــين وصــلا إلى مركز إعادة التأهيل. بدأ صعود السلالم ثم التفت للنظر إليه. وفي صوت لا يستطيع أحد سماعه سوى بيتر، لفظ كلمة "قبلت". بعد ذلك، صعد إلى المصطبة، ومن ثم دخل إلى المركز. وقف بيتر يُحدّق فيه وفــي الــباب الذي أغلقه وراءه. بعد عشرين دقيقة، عاد بيتر إلى الباص متوجهاً إلى الفندق.

الفصل العاشر

تلقّى بيتر اتصالاً من كارلتون واترز على هاتفه الخلوي في وقت لاحق من الأسبوع. لقد عثر على الرجلين الآخرين اللذين يحتاجان إليهما. إنهما مالكولم ستارك وجيم فري. قال إنه واثق من أنهما يستطيعان تنفيذ المهمة وعدم التفوه بأية كلمة. لقد قرروا هم الثلاثة أن يذهبوا إلى أميركا الجنوبية عبر كندا أو المكسيك بعد إنهاء العملية. يريدون الخمسة ملايين دولار الخاصة بكل واحد منهم في حسابات مصرفية في أميركا الجنوبية، حيث يستطيعون النفاذ إليها. لقد تحدثوا مع بعضهم بشأن الدخول في تجارة المخدرات، لكنهم لم يضعوا الخطة بعد. يعرف واترز الأشخاص الذين يستطيعون منحهم جوازات سفر وتهريبهم إلى المكسيك. ومن هناك، يستطيعون الذهاب إلى أي مكان. كل ما يريدونه هو أداء المهمة، والحصول على المال، ومن ثم الهروب. لا يملك أي منهم ارتباطات رسمية، وليسوا متزوجين. حتى الفتاة في المقهى لم تقبل برفقة جيم فري. تبيّن أن لديها صديقاً، ولم تكن مهتمة بجيم فري، بل كانت تكتفي بمغازلته.

ثمة حياة جديدة كاملة في انتظارهم في أميركا الجنوبية. كل ما يحتاجون إليه الآن هو مكان للمكوث فيه أثناء انتظار الفدية، بعد خطف أولاد بارنز. قال بيتر إنه سيتولى هو ذلك. ووافق واترز على البدء بمراقبتهم بدءاً من عطلة نهاية الأسبوع، ولكن عليهم الحصول على سيارة. فقال بيتر إنه سيشتري واحدة له ولواترز لاستعمالها للمراقبة، على أن تكون السيارة عادية وغير لافتة للنظر. كما أنهم بحاجة إلى عربة مقفلة

لتنفيذ المهمة. وافق واترز على لقاء بيتر في فندقه يوم السبت. سيتولى كارل المراقبة من التاسعة صباحاً حتى السادسة مساء في عطلات نهاية الأسبوع. أما بيتر فيتولى مراقبتهم خلال أيام الأسبوع وفي ليالي عطلات نهاية الأسبوع. هكذا، تتم تغطيتهم على الدوام. ساور بيتر إحساس بأن الأم لا تخرج كثيراً على أية حال، إذا كانت لوحدها مع ثلاثة أولاد. وكان هذا لمدة شهر فقط. بالنسبة إلى عشرة ملايين دولار، يستطيع الجلوس في السيارة طوال اليوم، وسهر الليالي. اتصل بأديسون وأخبره أنه عثر على الرجال. بدا أديسون مسروراً وقال إنه يريد دفع ثمن العربة المقفلة والسيارة. يمكنهم طمر السيارتين بعد شهر، بعد انتهاء المهمة.

اشترى بيتر بعد الظهر سيارة فورد عمرها خمسة أعوام، وكان عداد الأميال فيها يشير إلى أنها استعملت كثيراً، ولحسن الحظ أن لونها أسود. كما اشترى عربة مقفلة من متجر مختلف في اليوم التالي، واستأجر مكان لركنها في مرآب عام. وفي السادسة مساء من تلك الليلة، كانت السيارة مركونة خارج منزل فرناندا. تعرّف إليها وإلى الأولاد من الصورة الفوتوغرافية الموجودة في ملف فيليب، وتذكر أسماءهم. كانوا محفورين في عقله.

رأى فرناندا تصل مع آشلي، ومن ثم تخرج مجدداً، ولحق بها. قادت السيارة بطريقة شاردة، وتجاوزت إشارة المرور الحمراء مرتين. تساءل ما إذا كانت ثملة. ركن السيارة على بعد ثلاث سيارات من سيارتها قرب الملعب في بريسيديو، وشاهدها تخرج من السيارة. جلست على أحد المقاعد الخشبية تراقب ويل وهو يلعب اللاكروس، وحين عاد إلى السيارة بعد ذلك، شاهدهما بيتر يتعانقان قبل أن يصعدا إلى السيارة. ثمة شيء في طريقة تعانقهما جعل قلبه يتألم، ولم يكن واثقاً من السبب. كانت جميلة، وشقراء، وقصيرة القامة وحين وصلا إلى المنزل مجدداً، كان الولد يضحك حين خرج من السيارة. كان في معنويات جيدة. لقد ربح فريقه.

شاهدهما بيتر وهما يصعدان على درج المنزل، وهما يمسكان بذراعي بعضهما. رؤيتهما بهذه الطريقة جعلته يرغب في أن يكون معهما، وشعر أنه منبوذ بطريقة ما حين دخلا المنزل وأغلقا الباب. وحين دخلت، راقبها عبر النافذة ليرى ما إذا كانت ستشغل جهاز إنذار السيارة، وهذه معلومة مهمة بالنسبة إليه. لكنها لم تفعل، بل توجهت مباشرة إلى المطبخ.

شاهد بيتر الأضواء في المطبخ، وتخيل أنها تحضر العشاء لهم. لقد رأى لغاية الآن آشلي وويل، لكنه لم يرَ سام بعد. تذكره من الصورة الفوتوغرافية، وتخيله ولداً صغيراً أحمر الشعر ودائم الابتسامة. في وقت متأخر من تلك الليلة، شاهدها تقف أمام النافذة في غرفة نومها. راقبها عبر المنظار، ولاحظ أنها تبكي. وقفت هناك والدموع تنهمر على وجنتيها وهي ترتدي ثوب النوم، ثم التفتت ومشت بعيداً. إنه شعور غريب أن يراها هكذا. إنه يلقي نظرات خاطفة على حياتهم. الفتاة في ثوب الباليه، والصبي الذي عانقته بعدما فاز في لعبة اللاكروس، والدموع التي تنهمر على وجنتيها فيما وقفت أمام نافذة غرفة نومها، إنها تبكي زوجها على الأرجح. كانت الساعة الثانية فجراً حين غادر بيتر. كان المنزل مظلماً، وهو كذلك منذ ثلاث ساعات. أدرك الآن أنه لا يحتاج إلى البقاء لوقت متأخر، لكن هذه هي كل الأشياء التي يحتاج إلى معرفتها عنهم.

عاد في صباح اليوم التالي عند الساعة السابعة. لم يحصل أي شيء قبل الساعة الثامنة. لم يلاحظ أي نشاط في المطبخ، لأنه لم يعرف إذا كانت الأنوار مضاءة. هذا الجزء من المنزل مضاء بشمس الصباح، وفي تمام الثامنة إلا عشر دقائق خرجت مسرعة. استدارت للتحدث إلى أحد في الممشى خلفها، ثم خرجت راقصة الباليه وهي تجرّ كيساً ثقيلاً خلفها. ساعدها لاعب اللاكروس على حمله، ثم دخل إلى المرآب واستقل سيارته. كان باب المنزل لا يزال مفتوحاً، ونظرت فرناندا نحوه بطريقة غير صبورة، وأخيراً، خرج الولد الصغير. وفيما جلس بيتر يراقبه، لم يستطع

كبح ابتسامته. كان سام يرتدي قميصاً قطنياً أحمر اللون مع صورة محرك ناري على ظهره، وسروالاً كحلياً، وينتعل حذاء رياضياً أحمر اللون، لقد كان يغني بأعلى صوته، فيما ضحكت أمه، ولوّحت له ليصعد إلى السيارة. جلس على المقعد الخلفي، لأن أخته جلست على المقعد الأمامي ووضعت الكيس في حرجها. وحين وصلوا إلى المدرسة، ساعدتها فرناندا على الخروج، فيما كان بيتر عالقاً في زحمة السير خلفهم. لم يستطع أن يتخيل ما هو الشيء الموجود في الكيس فيما جرّته خلفها. نزل سام من السيارة وسار خلفها مثل الجرو الصغير، التفت سام ولوّح لأمه وارتسمت ابتسامة كبيرة على وجهه، وقفت أمه لدقيقة أمام المدرسة ولوحّت له وأرسلت له قبلة في الهواء، ثم عادت إلى السيارة. انتظرت حتى دخل إلى المدرسة قبل أن تبتعد في السيارة.

ذهبت بعدها إلى متجر صغير في لوريل فيلاج، وجرّت أمامها عربة فارغة لبعض الوقت، وراحت تقرأ اللصائق، وتتحقق من المنتج قبل وضعه في العربة. اشترت الكثير من طعام الأولاد، والحبوب، والحلويات، والوجبات الخفيفة، وست شرائح من اللحم، وتوقفت أمام الزاوية التي يبيعون فيها الأزهار ونظرت إليها، كما لو أنها أرادت شراء بعضها، لكنها ابتعدت، وبدت حزينة. كان بإمكان بيتر البقاء في السيارة، لكنه قرر اللحاق بها ليفهم بصورة أفضل من تكون. وفيما راقبها، وجد نفسه مفتوناً بها. إنها صورة الأم المثالية برأيه. كل ما تفعله، وتُفكّر فيه، وتشتريه مرتبط على ما يبدو بأولادها. وقف خلفها في الصف أمام صندوق الدفع فيما أمسكت هي بمجلة، وألقت نظرة سريعة عليها، ثم أعادتها. تأثر ببساطة الثياب التي ترتديها. لا يتخيل أحد ولو لدقيقة واحدة أن زوجها ترك لها نصف مليار دولار. كانت ترتدي قميصاً قطنياً وردي اللون وسروال جينز، وبدت أشبه بفتاة صغيرة. استدارت للنظر إليه، فيما كانا ينتظران في الصف، ابتسمت له بطريقة غير متوقعة. بدا مرتباً في قميصه الأزرق الجديد،

وسرواله الكاكي، وحذائه الجديد. بدا شبيهاً بكل الرجال الذين ترعرعت معهم، أو بأصدقاء آلان. كان طويلاً، ووسيماً، وأشقر وعرف هو من الأشياء التي قرأها عنها أنها أصغر منه بستة أشهر فقط. إنهما بالعمر نفسه تقريباً. كلاهما ذهب إلى كليات جيدة. ذهبت هي إلى ستانفورد وهو إلى ديوك. بعدها ذهب لإتمام دراساته العليا فيما تزوجت هي وأنجبت الأطفال. كان أولادهما بالعمر نفسه تقريباً. سام في السادسة، فيما إيزابيل وهيثر في الثامنة والتاسعة على التوالي. إنها تشبه جانيت قليلاً، ولكنها أجمل، وبدا هو شبيهاً – أكثر مما يدرك – بآلان مع شعره الأشقر. لم تلاحظ ذلك حين أعادت المجلة، ثم حدقت فيه. وحين أوقعت على الأرض لفافة من المناديل الورقية أثناء وضعها على منصة الدفع، رفعها عن الأرض وأعطاها إياها.

قالت بسرور: "شكراً". ولاحظ خاتم الزواج في إصبعها. لا تزال تضعه، ووجد في ذلك تصرفاً لطيفاً. أحب كل شيء فيها، وسمعها تتحدث مع الرجل الذي عبّأ لها أغراضها، والذي بدا أنه يعرفها جيداً. قالت إن الأولاد بخير، وأخبرته أن ويل سيذهب إلى مخيم للعب اللاكروس. توجب على بيتر تذكير نفسه بالمهمة الموكلة إليه، وتساءل متى سيغادر الولد إلى المخيم. إذا كان هذا في يوليو، فقد يعني ذلك أن واترز ورفيقيه سيتمكنان من خطف اثنين من الأولاد فقط. وحين فكّر في ذلك، شعر بالقرف. هذه المرأة محترمة بوضوح، ووفية لزوجها، ومخلصة تماماً لأولادها، بحيث أن ما يريدون فعله بها بدا له أشبه بشيء شنيع. سيجعلونها تدفع مئة مليون دولار لمجرد الاحتفاظ بكل ما تملكه وتحبه الآن.

أرخت هذه الفكرة بثقلها عليه، فيما راقبها تتجاوز إشارة المرور الحمراء مرتين في شارع كاليفورنيا وهي في طريقها إلى المنزل. كانت قيادتها مجنونة. تساءل عما كانت تُفكّر فيه حين تجاوزت الإشارة الحمراء. وأصيب بالذهول بما رآه حين عاد إلى المنزل. توقع وجود خادمة، أو حتى أسطول من الخدم يأتي ليفرغ محتويات السيارة. لكنها بدل ذلك فتحت

باب المنزل، وتركته مفتوحاً، ثم نقلت الأغراض بنفسها، كيساً وراء كيس. تساءل ما إذا كان هذا يوم عطلة الخادمة. بعد ذلك، لم يرها مجدداً حتى الظهر. عادت لإحضار شيء ما نسته في السيارة، وأوقعت لفافة المناديل الورقية مجدداً، لكنه لم يرفعها عن الأرض هذه المرة كما فعل في المتجر. لم يتحرك، لأنه لا يستطيع أن يجعلها تراه. راقبها فقط.

بدت غير مرتبة قليلاً حين خرجت مستعجلة في تمام الساعة الثالثة. قفزت إلى سيارتها، وقادتها في اتجاه المدرسة، وكانت مسرعة جداً لدرجة أنها كادت تصطدم بباص. بعد مراقبتها ليوم واحد فقط، عرف أن المرأة تشكل خطراً على حركة المرور. إنها تقود بسرعة كبيرة، وتتجاوز إشارات السير، وتغير وجهة سيرها من دون إعطاء إشارات مسبقة، وكادت تدوس المشاة على الرصيف مرتين. إنها شاردة الذهن بوضوح، لقد أوقفت السيارة بسرعة خارج مدرسة الولدين الصغيرين. كانت آشلي في الشارع تنتظرها، وهي تتحدث مع الأصدقاء وتضحك، فيما قفز سام إلى السيارة بعد خمس دقائق وهو يحمل طائرة ورقيّة كبيرة، عانق سام أمه مع ابتسامة صغيرة. مجرد رؤيتهم هكذا جعلت بيتر يرغب في البكاء. ليس بسبب ما سيفعله هو وواترز بهم، وإنما بسبب كل ما حرم منه حين كان ولداً. أدرك فجأة كيف كان يمكن أن تكون حياته لو لم يسلك الطريق الخطأ، ولو بقي مع جانيت والفتاتين. كانتا لتعانقانه، وكان سيحظى بزوجة حنونة مثل هذه الشقراء الجميلة. كل ذلك جعله يشعر بالوحدة عند التفكير في كل ما يفتقده حالياً، وما لم يحصل عليه أبداً.

توقفوا أمام متجر للخردوات في طريق العودة إلى المنزل، حيث اشترت مصابيح، ومكنسة جديدة، وحقيبة غداء ليستعملها سام في المخيم النهاري. أنزلته أمام المنزل، وقالت شيئاً لويل حين خرج من الباب لاستقبال أخيه، ثم أخذت آشلي إلى الباليه. بعد الظهر، أعادتها، وذهبت لحضور مباراة أخرى من مباريات ويل. بدت حياتها كلها تتمحور حولهم.

وبحلول نهاية الأسبوع، لم يلاحظ بيتر شيئاً سوى أنها تأخذهم إلى المدرسة وتعيدهم منها، وتأخذ آشلي إلى الباليه، وتحضر مباريات ويل. لا تفعل أي شيء آخر. وحين أخبر المعلومات لأديسون، ذكر له أنه لا يوجد خدم في المنـزل، الأمر الذي بدا غريباً بالنسبة إلى أشخاص أغنياء مثلهم.

قال أديسون وهو يبدو منزعجاً: "وما الفرق في ذلك؟ قد تكون بخيلة".

قال بيتر بفضول لم يشعر به في أي يوم من أيام حياته: "ربما هي مفلسة". بدت إنسانة غامضة، وحين تكون لوحدها، تبدو حزينة. لكن حين تكون مع الأولاد تبتسم، وتضحك، وتكثر من معانقتهم. لقد شاهدها تبكي أمام نافذة غرفة نومها كل ليلة. جعله ذلك يرغب في أن يحضنها بين ذراعيه، مثلما تفعل هي مع أولادها. إنها بحاجة إلى ذلك، ولا تملك أحداً ليفعل ذلك لها.

"لا يستطيع أحد إنفاق نصف مليار دولار خلال سنة". أجاب فيليب وهو يبدو غير مهتم.

"لا، لكن يمكنك حتماً خسارة هذا المبلغ وحتى أكثر في استثمار سيئ، خصوصاً مع الهبوط الكبير لأسعار الأسهم". عرف فيليب ذلك جيداً. لكنه اعتبر أن ما خسره هو يشكل قطرة واحدة في الدلو الذي يمتلكه آلان بارنز.

"لم أقرأ في أي مكان أن صفقات بارنز باءت بالفشل. صدقني مورغان، لديهم المال. أو كان هو يملكه وأصبح ملكها الآن. لكنها ربما لا تحب إنفاقه. هل تتعقب أثرها دوماً؟" سأل أديسون وهو راضٍ عن الطريقة التي تجري فيها الأمور. لقد حضّر بيتر الفريق بسرعة، وقال إنه سيذهب إلى تاهو في عطلة نهاية الأسبوع للعثور على منزل. أراد العثور على منزل صغير في مكان ما في منطقة معزولة حيث يستطيعون الاحتفاظ بالأولاد طوال الوقت الذي ينتظرون فيه دفع الفدية. بالنسبة إلى أديسون،

كانت المسألة برمتها مسألة عمل، ولا مجال فيها لإدخال الأمور الشخصيّة أو العاطفيّة. كان بيتر يشعر بالمزيد من التوتر بعد مراقبته لها وهي تأخذ الأولاد إلى المدرسة وتعيدهم منها، وتعانقهم وتقبّلهم باستمرار. هذا من دون ذكر الدموع الليلية أمام نافذة غرفة نومها.

قال بيتر بصرامة: "نعم، أنا أتعقب أثرها، إنها لا تفعل شيئاً سوى اصطحاب أولادها، وتجاوز إشارات المرور الحمراء".

"رائع. فلنأمل ألا تقتل أحداً قبل أن نخطف الأولاد. هل تشرب الكحول؟"

"لا أعرف. لا يبدو هذا عليها. أظن أنها شاردة الذهن أو غاضبة". في اليوم السابق، شاهدها وهي تكاد تصدم امرأة أمام تقاطع طرق. صرخ الجميع عليها، وقفزت هي من السيارة، واعتذرت بشدة، وحين فعلت، لاحظ أنها كانت تبكي. كادت تقوده إلى الجنون. إنها كل ما يستطيع التفكير به الآن، ليس فقط بسبب ما يخبئونه لها، وإنما أيضاً بسبب ما يتمنّى قوله لها، والوقت الذي يرغب في قضائه معها، لو كانت الأمور مختلفة. في ظروف أخرى، كان يودّ أن يتعرّف عليها. لقد أصبحت برأيه المرأة المثاليّة. وبعدما رآها مع أولادها، أُعجب بها كثيراً. أحب مراقبتها، وتساءل كيف كانت حين تزوجها بارنز. إن التفكير فيها على اعتبارها فتاة شابة جعله مجنوناً.

لماذا لم يلتقِ بها حينها؟ لماذا الحياة قاسية هكذا؟ فيما كان مشغولاً هو في إفساد حياته، وحياة زوجته السابقة، تزوجت فرناندا من رجل محظوظ وأسست عائلة. إن جمالها مذهل. وقد فاز سام بقلبه منذ أول يوم رآه فيه. أما آشلي فهي آية في الجمال، فيما يبدو ويل مثل الابن الذي يتمنّاه كل رجل. بالإضافة إلى الأشياء الأخرى التي فعلها آلان بارنز، والاسم الذي حققه لنفسه في عالم الأعمال، بدا واضحاً لبيتر مورغان أنه ترك وراءه العائلة المثاليّة. شعر بيتر أنه طوم المختلس للنظر وهو

يراقبها، وحين عاد إلى الفندق للنوم ليلاً، وجد نفسه يحلم فيها، ولم يستطع الانتظار للعودة في الصباح لرؤيتها مجدداً. لقد بدأت تطارده مثل صديق قديم أو حب ضائع. في الواقع، إنها تذكره بحياته السابقة التي دمرّها بتصرفاته السيئة، بعالم لطالما أراد أن يكون جزءاً منه – وكان كذلك لفترة – لكن رؤيتها ذكّرته بالحياة والفرص التي فوتّها على نفسه. إنها تمثل كل ما أراده دوماً ولن يحصل عليه مجدداً.

كره تسليم مراقبتها إلى كارلتون واترز يوم السبت، حين أعطاه السيارة واستعمل العربة المقفلة للذهاب إلى تاهو. لديه لائحة بمنازل معروضة للإيجار عثر عليها على شبكة الإنترنت. لم يشأ العمل مع سمسار. لكن طالما أن أحداً لم يرَ كارل ورجليه، لا توجد أية مشكلة. إذا حصل أي شيء، يستطيع بيتر دوماً القول إن الرجال دخلوا عنوة إلى المنزل، واستعملوه أثناء وجوده في سان فرانسيسكو. إنهم يبذلون جميعاً جهوداً مضنية لإبقاء مختلف العناصر منفصلة عن بعضها، ولم يواجهوا لغاية الآن أية مشاكل. لا يعرف أحد في موديستو، باستثناء ستارك وفري، أن كارل موجود في المدينة. سيعود إلى المركز قبل موعد إقفال الأبواب.

لن يلاحق أحد فرناندا بعد السادسة مساء من تلك الليلة، إلى أن يعود بيتر من تاهو قرابة العاشرة ليلاً. وإذا اعتمدت هي نمطها الاعتيادي، يفترض أن تكون في المنزل مع أولادها قبل وقت طويل. المرات الوحيدة التي تخرج فيها ليلاً تكون لاصطحاب ويل أو آشلي إلى منازل الأصدقاء، أو اصطحابهم بعد انتهاء حفلة. لا تحب أن يقود ويل السيارة ليلاً، رغم أنه قال لها مراراً، ويستطيع بيتر التأكيد على ذلك، إن قيادتها أسوأ بكثير من قيادته. وحسب كل ما رآه بيتر، تعتبر فرناندا خطراً كبيراً على سلامة حركة المرور.

سأل كارل بيتر حين أخذ منه مفتاح السيارة، "ماذا يفترض أن تفعل اليوم؟" كان يعتمر قبعة بايسبول تغطي وجهه، وبدّل مظهره، ووضع

نظارات شمسية داكنة. حين لاحقها بيتر، كان يبدو بمظهره الاعتيادي، وفي حال وجود الكثير من الأشخاص في الشارع، كان يقود حول الحيّ مرات عدة، ثم يعود مجدداً. لكنه لم يشعر لغاية الآن أن أحداً انتبه إليه، أو على الأقل فرناندا.

"ربما ستأخذ ابنها الكبير إلى مباراة، في مارين على الأرجح. أو تأخذ الفتاة إلى الباليه. عادة يبقى الولد الصغير معها يوم السبت. يبدو أنهم لا يفعلون أموراً كثيرة حتى في عطلات نهاية الأسبوع". كان الطقس رائعاً، لكن يبدو أنها لا تخرج كثيراً. في الواقع، لا تخرج أبداً. "ستراقب الأولاد جيداً. إنها معهم معظم الوقت، ولا يتركها الولد الصغير أبداً". أحسّ بيتر بأنه يخونهم، وأومأ واترز برأسه. لم يكن كارل مهتماً بعقد صداقات معهم. إنها مهمة استطلاع بالنسبة إليه، ولا شيء أكثر من ذلك. هذا مجرد عمل برأيه. لكنه أصبح هوساً بالنسبة إلى بيتر. إلا أن كارلتون واترز لا يريد معرفة ذلك. أخذ المفتاح، وصعد إلى السيارة، وتوجه إلى العنوان الذي أعطاه إياه مورغان. كانت الساعة العاشرة من يوم سبت مشمس في شهر مايو حين غادر بيتر إلى تاهو.

فكّر فيها طوال الطريق، متسائلاً عما سيحصل إذا تراجع الآن. الأمر بسيط. سيقتل أديسون ابنتيه، ثم سيقتله بعد فترة وجيزة. وإذا اعترف للشرطة، وسُجن من أجل ذلك، سيقتله أديسون في السجن. الأمر بسيط جداً. لا مجال للعودة. وحين وصل إلى تراكي أخيراً، كان واترز يلحق بها إلى مارين، إلى إحدى مباريات ويل في اللاكروس. لقد رأى الأولاد الثلاثة، وبدت هي تماماً مثلما توقعها. بالنسبة إليه، بدت مثل سيدة منزل من سكان الضواحي، وهذا غير مهم بالنسبة إليه. إنها برأيه ضحية، ضحية غنية، ولا شيء أكثر من ذلك. لكن بالنسبة إلى بيتر، بدت مثل ملاك. إلا أن واترز لم يشأ بطريقة ما أن يعرف ما الذي يراه. فالنساء اللواتي يفزن بإعجابه هنّ أكثر حيوية من فرناندا. رأى أنها تبدو جميلة وإنما عادية،

ولاحظ حتى أنها لا تضع الماكياج. على الأقل، حين تكون مع أولادها. في الحقيقة، إنها لم تضع الماكياج منذ أن توفي ألان. لم يعد الأمر مهماً بالنسبة إليها، ولا الثياب الجميلة، والكعب العالي، أو حتى المجوهرات التي أهداها إياها. لقد باعت أصلاً معظم تلك المجوهرات، فيما حفظت الباقي في الخزنة منذ شهر يناير. لا تحتاج إلى المجوهرات أو الثياب الباهظة في الأعمال التي تقوم بها، أو في الحياة التي تعيشها الآن.

توجه بيتر إلى العنوان الأول المدوّن على لائحته، ولاحظ أنه محاط بالمنازل من ثلاث جهات، ولا تبعد المنازل عن بعضها سوى قدمين، الأمر الذي يجعله لا يصلح للغرض الذي يريدون استئجاره من أجله. واجه المشكلة نفسها مع المنازل الأربعة التالية. أما المنزل السادس فكان بدل إيجاره مرتفع جداً. ورأى أن المنازل الأربعة التالية غير ملائمة أيضاً. لكنه شعر بارتياح كبير حين وجد أن المنزل الأخير ملائم. إنه مثالي. لديه ممر طويل مليء بالحفر والأعشاب قبل الوصول إلى بابه، فيما بدا المنزل نفسه متداعياً للسقوط وعتيقاً جداً بحيث لا يمكنك الرؤية عبر النوافذ، التي كانت مغلقة، وهذه ميزة إضافية. يشتمل المنزل على أربع غرف للنوم، ومطبخ شهد أياماً أفضل وإنما كان عملياً، وغرفة جلوس كبيرة مع مدفأة. وخلف المنزل، توجد واجهة صخرية كبيرة. الرجل الذي يملك المنزل عرضه له وقال إنه لم يعد يستعمله. لقد استعمل أولاده المنزل في السابق، إلاّ أنهم انتقلوا إلى أماكن أخرى قبل أعوام عدة، لكنه احتفظ به بمثابة استثمار. إنه يعرضه للإيجار لأن ابنته لا تريده أيضاً. يعيش أولاده في أريزونا، أما هو فيمضي فصل الصيف مع ابنته في كولورادو. استأجره بيتر لفترة ستة أشهر، وسأل الرجل إذا كان لا يمانع من ترتيب المنزل قليلاً وإزالة الأعشاب الضارة من الممر لأنه سيستعمله لاستقبال الزبائن، بدا صاحب المنزل مسروراً. لم يصدق حظه الرائع بقدوم بيتر لاستئجار المنزل. لم يساومه بيتر حتى على السعر.

وقّع على عقد الإيجار، ودفع ثلاثة أشهر مسبقاً ووضع تأميناً نقدياً، في تمام الساعة الرابعة كان بيتر في طريق العودة حين تلقى اتصالاً على هاتفه الخلوي من كارلتون واترز.

"هل من خطب؟" بدا بيتر قلقاً، وتساءل ما إذا حصل شيء ما، أو إذا تم اكتشاف أمر واترز، أو إذا أخافها أو أخاف أحد أولادها.

"لا. إنها بخير. إنهم يحضرون مباراة الولد. إنها لا تفعل الكثير، أليس كذلك؟ وهي تصطحب معها دوماً أحد الأولاد". سيعقّد هذا الأمور عليهم في النهاية، إذا كان هذا مهماً فعلاً. فهي صغيرة جداً ليواجهوا معها أية مشكلة. "خطر في بالي شيء للتو. من سيحضر الأسلحة؟"

بدا بيتر مصدوماً لبرهة فيما فكّر في الأمر. "أظن أنك أنت من سيحضرها. أستطيع السؤال، لكنني أظن أن صاحب الفكرة لا يريد تزويدنا بأي شيء يمكن أن يوصل أحداً إليه. هل تستطيع تولي الأمر؟" عرف بيتر أن أديسون يملك الاتصالات اللازمة لتزويدهم بالأسلحة. لكنه عرف أيضاً أن أديسون لا يريد أي شيء يربطه بهذه العملية.

"ربما أستطيع. أريد أسلحة أوتوماتيكية". كان واترز واضحاً في ذلك.

"هل تقصد بنادق رشاشة". بدا بيتر مذهولاً. "لماذا؟" لن يكون الأولاد مسلحين. ولا أمهم. لكنّ رجال الشرطة سيكونون مسلحين إذا حصل أي كشف للمهمة. بالنسبة إلى بيتر، بدت البنادق الرشاشة تدبيراً متطرفاً جداً.

قال واترز بفظاظة: "يبقي ذلك الأمور بسيطة وواضحة". وأومأ بيتر برأسه. هؤلاء هم الرجال المحترفون الذين أرادهم أديسون.

قال بيتر وهو يبدو قلقاً: "تولَّ أنت أمر الأسلحة". ثم حينها أخبره عن المنزل، ووافقه واترز الرأي. بدا المنزل مثالياً. لقد حضروا كل شيء الآن، وكل ما يحتاجون إليه هو انتقاء تاريخ في شهر يوليو، والمضي

قدماً. بدا كل شيء بسيطاً جداً، لكن ما إن أقفل بيتر الهاتف، حتى شعر بالألم الاعتيادي في معدته. لقد بدأ يظن أنه ضميره. فاللحاق بها من الباليه إلى مباريات البايسبول أمر، واختطاف أولادها بعيداً عنها، واستعمال بنادق رشاشة، وطلب فدية قدرها مئة مليون دولار شيء آخر. كان الفرق واضحاً بشكل جلي أمام عيني بيتر.

الفصل الحادي عشر

في الأسبوع الأول من شهر يونيو، في اليوم الأخير من المدرسة، كانت فرناندا مشغولة جداً. سيشارك كل من آشلي وسام في حفلات المدرسة. وعليها بعد ذلك مساعدتهما في إحضار كل مشاريعهما الفنيّة وكتبهما إلى المنزل. أما ويل فسيشارك في مباراة مع فريق البايسبول، ليشارك بعد ذلك في وقت لاحق من تلك الليلة في مباراة لاكروس، ستضطر إلى تفويتها بهدف حضور حفلة آشلي في الباليه. شعرت أنها مثل الجرذ في المختبر، تركض طوال اليوم، وتنتقل من ولد إلى آخر. وكالعادة، لا يوجد أحد لمساعدتها. ولم يكن آلان ليساعدها لو كان لا يزال على قيد الحياة. لكن قبل شهر يناير، كان لديها مربية تساعدها في الحاجات الأساسية. أما الآن فلا يوجد أحد. ليس لديها عائلة، وفقدت الاتصال حتى مع أقرب الأصدقاء لمجموعة منوعة من الأسباب، وأدركت الآن كم كانت تعتمد كلياً على آلان. أما الآن وبعد موته فلم يبقَ لها أحد سوى الأولاد. وكانت ظروفها غريبة جداً بحيث منعتها من معاودة الاتصال بأصدقائها القدامى. بدا وكأنها تعيش في جزيرة صحراوية مع أولادها، وشعرت أنها معزولة تماماً.

تحدث بيتر إليها مرتين، مرة في السوبرماركت في اليوم الأول، ومرة أخرى في المكتبة حين ألقت نظرة خاطفة عليه، وابتسمت، ورأت أن وجهه مألوف. أوقعت بعض الكتب التي كانت تحملها، فأعطاها الكتب مع ابتسامة جميلة. بعد ذلك، وقف يراقبها من بعيد. ذات مرة جلس على أحد

المقاعد الخشبية في إحدى مباريات ويل، لكنه كان خلفها، ولم تره أبداً. لم يبعد عينيه أبداً عنها.

لاحظ أنها توقفت عن البكاء أمام نافذة غرفة النوم. شاهدها تقف هناك أحياناً، تنظر إلى الشارع وعيناها تائهتان، كما لو أنها كانت تنتظر أحداً. بدا وكأنه ينظر مباشرة إلى روحها حين رآها هناك في الليل. بدا وكأنه يعرف بماذا تُفكّر. كانت من دون شك تحلم بألان. ظن بيتر أنه كان رجلاً محظوظاً لامتلاكه زوجة مثلها، وتساءل ما إذا كان قد عرف ذلك يوماً. في بعض الأحيان، لا يدرك الأشخاص ذلك. لكن بيتر قدّر كل حركة قامت بها، كلما اصطحبت أولادها، وكلما عانقتهم. إنها بالضبط الأم التي أرادها، بدل الأم التي حصل عليها، والتي كانت كابوساً حقيقياً في الإدمان على الكحول، وفي النهاية تركته وحيداً، يفتقد إلى حنان الأم. حتى زوج الأم الذي تركته معه تخلى عنه في النهاية. لكن ما من شيء مهمل أو غير محبوب لدى أولاد فرناندا.

كان بيتر يغار منهم تقريباً. وكل ما استطاع التفكير به حين رآها في الليل هو كم أنه يودّ وضع ذراعيه حولها، ومواساتها، لكنه عرف أنه لا يستطيع فعل ذلك أبداً. إنه ملزم فقط بمراقبتها، ومجبر على تسبيب المزيد من الألم والحزن لها، بسبب رجل هدد بقتل ابنتيه. إن سخرية ذلك مضحكة فعلاً. لإنقاذ ابنتيه، يتوجب عليه المخاطرة بأولادها، وتعذيب امرأة أصبح معجباً بها، بعد أن أيقظت داخله دفقاً من العواطف القوية، والتي جعله بعضها مرتبكاً، والتي كانت كلها مرّة وحلوة. كان يشعر بالتوق إليها كلما رآها.

تلك الليلة، لحقها إلى حفلة آشلي، وتوقف خلفها أمام محل الزهور حيث اشترت باقة من الورود الزهرية ذات الأعناق الطويلة. اشترت باقة لأستاذة الباليه أيضاً، وخرجت وهي تحمل الباقتين معاً. كانت آشلي في مدرسة الباليه. وكان سام في مباراة ويل، مع والدة أحد أصدقاء ويل، التي

تملك أيضاً ولداً بعمر سام وتطوعت لأخذه معها. لقد قال لها بعد الظهر إن الباليه هي للمخنثين. وأدرك بيتر، حين شاهدهما يذهبان، أنه لو خطط واترز والآخران لتنفيذ العملية هذه الليلة، لكانا قد خطفا الولدين، دون آشلي.

في ذلك الوقت، كان واترز قد اشترى البنادق الرشاشة، بواسطة صديق لجيم فري. شحنها الرجل الذي باعهم الأسلحة من لوس أنجلوس عبر **غريهاوند** بعد أن وضعها في أكياس غولف. وصلت البنادق بحالة سليمة، وبدا جلياً أن أحداً لم يفحصها أو يتحقق منها. كان بيتر يرتجف من رأسه حتى أخمص قدميه حين ذهب لاستلامها. وبعدما أحضرها، تركها في صندوق السيارة. لم يشأ المجازفة والاحتفاظ بها في غرفة الفندق. على الصعيد التقني، يجدر به الخضوع للتفتيش، من دون سابق إنذار، إذا قرر مراقب السجن ذلك، علماً أن هذا لم يحصل لغاية الآن. فمراقب السجن ليس قلقاً بشأن بيتر، خصوصاً وأنه عثر الآن على وظيفة. لكن لا داعي للمجازفة. لغاية الآن، كل شيء يسير على ما يرام.

انتظر بيتر خروج فرناندا وآشلي من مدرسة الباليه تلك الليلة، وشاهد آشلي وهي تخرج مبتسمة وهي تحمل باقة الورود الزهرية بين يديها. بدت فرناندا فخورة جداً بها، وبعد انتهاء الحفلة، اجتمعتا مع ويل وسام للاحتفال في مطعم ميل في لومبار. وبعد أن جلسوا على الطاولة، دخل بيتر بهدوء، وجلس في إحدى زوايا المطعم وطلب فنجان قهوة. كان قريباً جداً منهم لدرجة أنه يستطيع لمسهم. وحين مرّت قربه، استطاع شمّ عطرها. كانت تلك الليلة، ترتدي تنورة باللون الكاكي، وكنزة من الكاشمير الأبيض مع ياقة مفتوحة عند الصدر، وتنتعل حذاء عالي الكعب للمرة الأولى منذ أن رآها. كان شعرها طليقاً، ووضعت أحمر الشفاه على شفتيها، وبدت سعيدة وأنيقة. كما أن آشلي وضعت الماكياج أيضاً، وكانت لا تزال ترتدي فستان الرقص. أما ويل فكان في ثياب اللاكروس فيما

أخبرهم سام عما جرى في المباراة. لقد ربح فريق ويل، كما ربح فريق البايسبول الذي شاركه اللعب في وقت باكر من ذلك اليوم. هناك الكثير من الأمور التي يجب الاحتفال بها هذه الليلة، وشعر بيتر بالحزن والوحدة فيما راقبهم، فلقد عرف ماذا سيحصل. وآلمه قلبه على فرناندا. شعر وكأنه شبح يراقبهم، شبح يعرف المستقبل، والآلام الكبيرة التي ستحصل، لكن لا يسعه فعل أي شيء لوقفها. فلكي ينقذ ابنتيه، فرض الصمت على صوته وضميره.

بقوا في المنزل لبقية شهر يونيو. جاء الأصدقاء وذهبوا، وقامت فرناندا بجولات مع سام، وذهبت مع آشلي لتسوق بعض الحاجيات من أجل تاهو. وذهبت حتى للتسوق وحدها في يوم من الأيام، لكنها عادت إلى المنزل مع زوج واحد من الأحذية. لقد وعدت جاك واترمان في شهر يناير بأنها لن تشتري أي شيء، تقريباً. دعاها هي والأولاد لقضاء يوم معه في نابا في عطلة ذكرى الشهداء، لكنهم لم يستطيعوا الذهاب لأن ويل كان يلعب في مباراة لاكروس، وأرادت أمه إيصاله بنفسها. لا تحب أن يقود بنفسه إلى مارين في أيام العطلات. دعاهم جاك لقضاء عطلة الرابع من يوليو معه، حين يكون ويل في المخيم وآشلي في تاهو. وعدته فرناندا بأن تذهب هي وسام، على أن يصطحبهما جاك واترمان إلى حفلة غداء يقيمها صديق بمناسبة الرابع من يوليو. كانت تتطلع إلى ذلك اليوم هي وسام. وكذلك جاك، أكثر مما تتخيل. لطالما بدت صداقتهما بريئة بالنسبة إليها، وكانت دوماً كذلك. لكن الأشياء أصبحت مختلفة الآن، برأيه هو إن لم يكن برأيها. بالنسبة إلى جاك واترمان، إنها امرأة عازبة. مازحتها آشلي بشأن ذلك حين أخبرتها أمها عن حفلة الغداء، وقالت لها إن جاك معجب بها.

"لا تكوني سخيفة، آش. إنه صديق قديم. أنتِ مقرفة". لكنّ آشلي أصرّت على أن جاك واترمان معجب بها.

"هل هو كذلك أمي؟" نظر إليها سام باهتمام عبر كدسة من فطائر الكعك.

"لا، ليس كذلك. كان صديقاً لبابا". وكأن هذا يشكل فرقاً. لقد مات بابا الآن.

"إذاً؟ وما الفرق في ذلك؟" علّقت آشلي فيما تناولت لقمة من فطائر سام، فيما ضربها بمنديله.

"هل ستتزوجين منه أمي؟" نظر إليها سام بحزن. أحب أن تكون له وحده. لا يزال ينام في سريرها معظم الوقت. إنه مشتاق إلى والده، وقد أصبح مقرباً أكثر من أمه، ولذلك لا يحب أن يشاركه أحد فيها.

قالت فرناندا وهي تبدو مرتبكة: "طبعاً لا، لن أتزوج أحداً. ما زلت أحب بابا".

"جيد"، قال سام وهو يبدو راضياً، فيما وضع لقمة كبيرة من الفطائر داخل فمه، وسال العصير على قميصه القطني.

في الأسبوع الأخير من شهر يونيو، لم تترك فرناندا المنزل كثيراً. كانت مشغولة جداً في التوضيب. عليها تنظيم أغراض اللاكروس الخاصة بويل وتوضيبها، وكذلك كل الأشياء التي تريد آشلي اصطحابها إلى تاهو. إنه عمل لا ينتهي. بدا لها أنه كلما وضبت شيئاً ما، يأتي أحد لإخراجه من الحقيبة مجدداً ويرتديه. وفي نهاية الأسبوع، أصبح كل شيء متسخاً، وتوجب عليها البدء مجدداً. لقد جرّبت آشلي كل ما لديها، واستعارت نصف ثياب أمها. وأعلن سام فجأة أنه لا يريد الذهاب إلى المخيم النهاري.

"هيا، سام، ستحب ذلك". شجعته فيما كانت تحمل سلة من الغسيل، ودخلت آشلي إلى غرفة الغسيل وهي تنتعل حذاء عالي الكعب يخص أمها، وترتدي إحدى كنزاتها.

"انزعي هذا بسرعة". وبّختها، فيما انصرف سام، ودخل ويل لسؤالها إذا كانت قد وضّبت حافظات النعال لأنه يحتاج إليها أثناء التمرّن.

"إذا لمس أي منكما الحقائب التي وضبتها مجدداً، أحذركما بأنني سأقتلكما أنتما الاثنان". نظرت آشلي إليها كما لو أنها مجنونة، وأسرع ويل في الصعود إلى الأعلى للعثور على حذائه.

كانت أمهما مضطربة طوال الصباح. في الواقع، إنها حزينة جداً لرؤيتهما يرحلان معاً. إنها تعتمد عليهما الآن، أكثر من أي وقت مضى، للصحبة وقضاء الوقت، وستشعر بالوحدة للبقاء وحدها مع سام. شكت في أنه يشعر بذلك أيضاً، ولذلك رفض الذهاب إلى المخيم. ذكّرته بحفلة غداء الرابع من يوليو التي سيذهبان إليها في نابا. رأت أن الحفلة ستكون مسلية له، لكنه بدا غير متحمس. سيشتاق إلى أخته وأخيه. سيغادر ويل المنزل لثلاثة أسابيع، فيما ستغادر آشلي لأسبوعين. بدا ذلك مثل دهر بالنسبة إلى سام وفرناندا.

طمأنته فرناندا، "سيعودان قبل أن تدرك ذلك". لكنها قالت ذلك لمواساة نفسها، ومواساته أيضاً. في الخارج، كان بيتر يندب حظه. خلال ستة أيام، عليهما تنفيذ المهمة وسينتهي إلى الأبد دوره في حياتها. ربما قد يلتقيان في مكان ما في يوم من الأيام، ولن تعرف الدور الذي لعبه في الرعب الذي كاد أن يقضي عليها. فكّر في الركض إليها، أو اللحاق بها مجدداً، لمجرد التمكن من رؤيتها. إنه يلاحقها منذ شهر تقريباً. ولم تحسّ هي بذلك ولو لثانية واحدة. ولا الأولاد. كان حذراً وذكياً، تماماً مثل كارل واترز في عطلات نهاية الأسبوع. كان واترز مفتوناً بها أقل من بيتر. رأى أن حياتها عادية ومضجرة جداً، وتساءل كيف تتحملها. بالكاد تذهب إلى أي مكان، وإذا ذهبت، تصطحب أولادها معها؛ هذا هو بالضبط ما أحبه بيتر فيها.

"يجب أن تشكرنا لإبعاد هؤلاء الأولاد عنها لأسبوع أو أسبوعين". قال واترز لبيتر ذات يوم سبت. "لا تذهب هذه المرأة إلى أي مكان من دونهم".

"يجب أن تقدّرها على ذلك". قال بيتر بهدوء، فهو يقدّرها بلا شك، لكن كارل واترز لا يفعل.

"لا عجب أن يموت زوجها. لا بد أن ذلك المسكين مات من الضجر". تمتم كارل، فلقد رأى أن تعقبها هو الجزء الأكثر مللاً في المهمة، على عكس بيتر الذي أحب ذلك.

علّق بيتر، "ربما كانت تخرج أكثر قبل أن تصبح أرملة". وهزّ واترز كتفيه فيما سلّم السيارة لبيتر وتوجه إلى محطة الباص للعودة إلى موديستو. كان مسروراً لأن المراقبة انتهت تقريباً ويمكنهم الشروع في العملية. كان متشوقاً للحصول على المال بين يديه. لقد أثبت أديسون أنه صادق في وعده. فقد حصل هو وستارك وفري على مئة ألف دولار. تم وضع المال في حقائب داخل خزانات مقفلة في محطة الباص في موديستو، حيث احتفظوا به لحمايته. سيأخذونه معهم حين يغادرون إلى تاهو. أصبح كل شيء جاهزاً. والساعة بدأت تتكتك.

كل شيء كان يجري وفقاً للخطة المرسومة حتى الآن، وأكد بيتر لأديسون أن الأمر سيستمر على هذه الحال. لم يتوقع أية مشكلات، من جهتهم على الأقل. إلا أن المشكلة الأولى التي صادفوها على نحو غير متوقع لم تحصل معهم، وإنما مع أديسون. فلقد كان يجلس في مكتبه، يملي الأوامر على سكرتيرته، حين دخل رجلان، ورفعا له بطاقتيهما وأبلغاه أنه محتجز. خرجت السكرتيرة مسرعة من الغرفة، ولم يوقفها أحد، فيما نظر فيليب إليهما من دون أن تطرف عيناه.

قال بهدوء، فيما بدا الاستياء على وجهه: "هذا هو الشيء الأكثر سخافة الذي سمعته في حياتي". ظن أن الزيارة لها علاقة بمختبرات الكريستال خاصته. إذا كان الأمر كذلك، فستكون هذه أول مرة تنفضح فيها حياته الإجرامية أمام أعماله الجديدة. كان الرجلان اللذان يحملان بطاقتيهما يرتديان قميصين عاديين وسروالي جينز. الأول إسباني الأصل، والثاني

أميركي من أصول إفريقية، ولم يعرف أبداً ما الذي يريدانه منه. فحسب معلوماته، تجري صفقات المخدرات الخاصة به بطريقة جيدة. ما من أحد يستطيع كشفه، والأشخاص الذين يديرون الصفقات في غاية البراعة.

كرّر الرجل ذو الأصول الإسبانية، "أنت قيد التوقيف، أديسون". وبدأ فيليب أديسون يضحك.

"لا بد أنك تمزح. ما هي التهمة بحق الله؟" لم يكن قلقاً على الإطلاق.

"يبدو أن هناك بعض التلاعبات في تحويل الأموال. أنت تنقل أموالاً نقدية عبر الحدود بكميات كبيرة. يبدو وكأنك تبيّض الأموال". شرح له الشرطي وهو يشعر أنه سخيف قليلاً. كان الشرطيان يعملان على كشف قضية أخرى ذلك الصباح، ولم تسنح لهما فرصة تغيير ملابسهما قبل التوجه إلى مكتب أديسون. ونظراً لاستقباله غير الرسمي لهما، شعرا بالقليل من الحماقة، وكأنهما أرادا أن يكون مظهرهما رسمياً أكثر بهدف تخويفه أو على الأقل التأثير فيه. فقد جلس أديسون في مكانه وابتسم لهما، كما لو أنهما ولدان يسيئان التصرف.

"أنا واثق أن المحامين لديّ يستطيعون معالجة القضية، من دون الحاجة إلى توقيفي. هل ترغبان في شرب بعض القهوة؟"

قال الرجل الأسود بتهذيب: "لا، شكراً". كان الرجلان شابين. وأخبرهما التحري الخاص المسؤول عن التحقيق بضرورة عدم الاستخفاف بأديسون. فهو يخبئ أشياء كثيرة تحت مظهره الخارجي، ولذلك افترض الشرطيان الشابان أنه قد يكون مسلحاً وخطيراً، لكنه لم يكن كذلك على ما يبدو.

قرأ عليه الشرطي ذو الأصول الإسبانية حقوقه، فيما أدرك فيليب أنهما ليسا من الشرطة وإنما من مكتب التحقيق الفدرالي، الأمر الذي وجده مربكاً قليلاً، رغم أنه لم يظهر ذلك للعلن. في الواقع، كان التوقيف لفترة

وجيزة، لكن مدراءهما يأملون في اكتشاف المزيد أثناء التحقيق. فهم يراقبونه منذ وقت طويل. عرفوا أنه يوجد خطب ما، لكنهم ليسوا واثقين تماماً من حقيقته، وهم يستعملون ما لديهم.

"أنا واثق من أنه يوجد خطأ هنا... حضرة الشرطي... أقصد حضرة العميل". لكنّ اللقب بدا أحمق بالنسبة إليه، وذكّره بالعلاقة بين الشرطيين والسارقين.

"قد يكون هناك خطأ، لكننا مجبرين على أخذك على الرغم من ذلك إلى المكتب. أنت قيد التوقيف، سيد أديسون. هل يجدر بنا وضع الأغلال في يديك أم أنك تأتي معنا بملء إرادتك؟" لم يكن فيليب ينوي أبداً الخروج من مكتبه وهو مكبّل اليدين، فوقف، وهو يبدو غاضباً وغير مسرور البتة. فعلى الرغم من مظهرهما الشاب، بدا العميلان جادين في عملهما.

"هل لديكما فكرة عما تقومان به؟ هل تدركان الدعوى القضائية التي أستطيع رفعها ضدكما بتهمة التوقيف التعسفي وتشويه السمعة". أصبح فيليب فجأة غاضباً جداً. فحسب معلوماته، لا يوجد أي سبب لتوقيفه. أو على الأقل أي سبب يعرفه هذان الشرطيان.

"نحن نؤدي مهمتنا، سيدي". قال العميل الأسود، العميل برايس، بتهذيب. "هل تأتي معنا سيدي؟"

"ما إن أتصل بالمحامي". طلب رقم هاتف المحامي، فيما وقف العميلان على جانبي مكتبه وانتظرا. أخبر فيليب المحامي بما حصل فوعده بلقائه في مكتب التحقيقات الفدرالي خلال نصف ساعة، ونصحه بالذهاب مع العميلين. سيحتاج فيليب إلى نصف ساعة على الأقل للوصول من سان ماتيو إلى المدينة. كانت مذكرة التوقيف الصادرة بحق فيليب موقعة من النيابة العامة الأميركية، وفيها ذكر للتهرب من الضرائب، بمبلغ سخيف جداً. هذا آخر شيء يريده فيليب. "أنا مسافر إلى أوروبا بعد ثلاثة أيام". قال وهو يبدو غاضباً فيما رافقاه إلى خارج مكتبه. اختفت سكرتيرته، لكنه

عرف من وجوه الأشخاص الذين راقبوه وهو يغادر أنها أخبرت الجميع بما حصل. كان شاحب اللون.

حين وصل إلى مكتب التحقيقات الفدرالي واستقبله العميل الخاص ريك هولمكويست، العميل المسؤول عن الملف، كان أكثر شحوباً. إنه قيد التوقيف بسبب التهرب من الضرائب، والاحتيال على الضرائب، ونقل الأموال بصورة غير شرعية عبر حدود الولايات. ليست هذه مسألة سخيفة، وهم ليسوا مستعدين للاستخفاف بها. وحين وصل المحامي، نصح فيليب بالتعاون تماماً. فهو قيد التوقيف رسمياً بإذن من النيابة العامة الأميركية، وتم تكليف مكتب التحقيقات الفدرالي للاهتمام بالقضية. طُلب منه الدخول إلى غرفة مغلقة برفقة محاميه والعميل الخاص هولمكويست، الذي لم يبدُ مسروراً على الإطلاق بعظمة فيليب. كما أن ادعاءاته بالبراءة والغضب لم تؤثر فيه. في الحقيقة، لم يحب العميل الخاص هولمكويست أي شيء في فيليب أديسون، ولا سيما الطريقة المتعالية التي عامل بها العميلين.

سمح العميل الخاص هولمكويست للمحامي بالتشاور مع موكله، وأمضى بعد ذلك ثلاث ساعات وهو يحقق مع فيليب، ولم يكن راضياً أبداً عن أجوبة فيليب. سطّر هولمكويست أمراً بتفتيش مكاتبه، الأمر الذي بدأ فيما كان لا يزال يستجوبه. ثمة قاضٍ فدرالي وقّع على أمر التفتيش الصادر من قبل النيابة العامة الأميركية. هناك بعض الأسئلة المهمة بشأن شرعية عمل أديسون، ورأوا أنه يبيّض الأموال على الأرجح، ربما بالملايين. كالعادة، قام مخبر مأجور بإبلاغهم، وإنما هذه المرة بمعلومات في غاية الأهمّيّة. وكاد فيليب ينفجر غضباً حين سمع أنه في تلك اللحظة تحديداً باشر ستة عملاء من مكتب التحقيقات الفدرالي في تفتيش مكتبه.

"ألا يمكنك فعل أي شيء حيال ذلك؟ هذه سخافة!" صرخ في وجه محاميه، الذي هزّ رأسه، وشرح له أنه إذا صدرت مذكرة تفتيش، وهذا ما

حصل على ما يبدو، فلا يستطيع فعل أي شيء لوقفها.

"أنا مسافر إلى أوروبا يوم الجمعة". أخبرهم، كما لو أنه يتوقع منهم تأجيل التحقيق فيما يسافر هو في إجازة.

"سنرى سيد أديسون". قال هولمكويست بتهذيب. لقد تعاطى مع رجال مثله قبلاً، واعتبرهم دوماً مقيتين. في الواقع، كان يحب مضايقتهم عندما يستطيع. ولديه كل النية في تعذيب فيليب، بعد اعتقاله طبعاً. عرف أنه مهما كانت الكفالة التي سيفرضونها عليه، فنظراً لحجم ثروته، سيخرج خلال دقائق. لكن قبل تحديد الكفالة، لديه كل الحق في استجواب فيليب.

أمضى هولمكويست بقية بعد الظهر وهو يستجوبه. بعد ذلك، تم حجزه بصورة رسمية، وأبلغوه أن الوقت تأخر جداً اليوم ليصدر القاضي الفدرالي كفالة لإطلاق سراحه. عليه تمضية الليلة في السجن، ولا يمكن إطلاق سراحه إلا بعد تحديد قيمة الكفالة في الساعة التاسعة من صباح اليوم التالي. كان فيليب أديسون أكثر من غاضب، ولم يكن بوسع المحامي فعل أي شيء لمساعدته. ما زال أديسون غير واثق من السبب الذي أدى إلى نشوء التحقيق أساساً. بدا أنها مسألة سحوبات وإيداعات غير منتظمة واختفاء أموال عبر حدود الولايات، ولا سيما في مصرف يملك فيه حساباً تحت اسم مستعار في نيفادا، وأرادت الحكومة معرفة السبب، وما الذي يفعله بالمال، ومن أين يأتي أصلاً. عرف لغاية الآن أنه ليس لهذا أية علاقة بمختبرات الكريستال التي يمتلكها. فكل المال الذي يستعمله لإدارة هذه المختبرات موجود في حساب في مكسيكو سيتي باسم شخص آخر، فيما تتوزع العائدات على عدة حسابات مصرفية سويسرية. بدت المشكلة الحالية وكأنها مسألة تهرب من الضرائب. قال العميل هولمكويست إن أكثر من أحد عشر مليون دولار دخلت وخرجت من حساب نيفادا خلال الأشهر القليلة الماضية، وحسب ما قيل لهم، إنه لم يدفع أبداً أية ضرائب عليها أو على الفائدة. بقي فيليب غير مبالٍ ظاهرياً فيما أخذوه إلى

زنـــزانة لقضاء الليل، رغم أنه وجّه نظرة غضب قوية إلى هولمكويست ومحاميه.

التقى هولمكويست بعد ذلك بالعملاء الذين فتشوا مكاتبه ولم يتوصلوا إلـى الكثيـر. لقد فتشوا أجهزة الكمبيوتر والملفات، التي سيتم استخدامها بمـثابة دلـيل ضــده. فتحوا أيضاً أدراج مكتبه وعثروا فيها على مسدس محشو بالرصاص، وعدد من الملفات الشخصية، وأربعمئة ألف دولار نقداً، الأمـر الـذي وجده هولمكويست مثيراً. فهذا مبلغ نقدي كبير بالنسبة إلى رجل أعمال عادي للاحتفاظ به في درج مكتبه، وقالوا إنه لا يملك رخصة لحمـل السلاح. أحضروا صندوقين فيهما كل شيء عثروا عليه في مكتب فيليب، وسلّمهما أحد العملاء إلى هولمكويست.

"مـاذا تـريدون أن أفعل بهذا؟" نظر ريك إليهم، فيما قال له العميل الـذي سلّمه الصندوقين إنه يرغب ربما في إلقاء نظرة على ما هو موجود داخلهما. أراد ريك الطلب منهم وضع الصندوقين مع بقية الأدلة، لكنه فكّر ملياً في الأمر وحمل الصندوقين بنفسه إلى مكتبه.

تم وضع المسدس في كيس بلاستيكي، فيما اشتملت مغلفات بلاستيكية عـدة على قصاصات صغيرة من الورق، وبدأ بقراءتها من دون أي سبب محدد. إنها ملاحظات مع أسماء وأرقام هواتف، ولاحظ أن ورقتين تحملان اسـم بيتر مورغان، وإنما رقم الهاتف يختلف. كان قد أصبح في منتصف الـصندوق الثانـي حـين عثر على ملف آلان بارنـز، الذي يغطي ثلاث سنوات من مهنته، وكان سميكاً بقدر دليل الهاتف في سان فرانسيسكو. قال هولمكويـست لنفـسه إنه من الغريب الاحتفاظ بمثل هذا الملف، ووضعه جانـباً. أراد سؤال أديسون عنه. ثمة صور فوتوغرافية عدة لبارنـز من مقـالات قديمـة صــدرت فـي المجلات والصحف، وتوجد حتى صورة لبارنــز مع زوجته وأولاده. بدا وكأن أديسون مهووس به، أو حتى يغار مــنه. أمـا باقي الأشياء التي عثر عليها ريك في الصندوقين فكانت تافهة

بالنـسبة إليه. لكنها قد تكون مهمة بالنسبة إلى النيابة العامة الأميركية. لقد اسـتعلموا مفاتـيح خاصة لفتح كل أدراج مكتبه، وأكّد العملاء الخاصون الـذين فتــشوا المكـتب أن مكتب أديسون أصبح فارغاً حين غادروه. لقد أحـضروا معهم كل شيء، واعتبروا ما أحضروه بمثابة أدلة، بما في ذلك هاتفه الخلوي الذي نسي أن يأخذه معه.

"إذا كان الهاتف يحتوي على دليل بالأسماء داخله، تذكروا تدوين تلك الأرقام والأسماء أيضاً".

"لقد فعلنا ذلك". ابتسم له أحد العملاء.

"هل من شيء مهم؟"

"إنهـا الأمــور نفسها التي كانت موجودة في مكتبه. ثمة رجل اسمه مورغان اتصل به فيما كنا نفتش في الهاتف، وحين قلت له إنني من مكتب التحقيقات الفدرالي، أقفل الخط". ضحك العميل، وكذلك فعل هولمكويست.

"أراهن أنه فعل ذلك". لكن الاسم لمع في ذهنه مجدداً. فالاسم والرقم مـدونان علــى ورقتين منفصلتين في مكتب فيليب، وبدا جلياً أنه شخص يـتحدث إليه باستمرار، إذا كان قد اتصل للتكلم مع فيليب. قد يكون الأمر تافهــاً، لكــنه شعر بإحدى تلك الغرائز الغريبة التي تراوده أحياناً، فتنخره لبــرهة ثم تعود إليه لاحقاً. راودته حاسة سادسة بشأن الاسم. لقد علق في رأسه، ولم يستطع لسبب ما أن ينساه.

كانت الساعة قد تجاوزت السابعة حين غادر ريك هولمكويست مكتبه تلـك اللـيلة. بقـي فيليب أديسون مسجوناً خلال الليل. توقف محاميه عن مــضايقتهم للحــصول علــى اسـتثناء والإفراج عنه، وأخيراً، ذهب إلى منـــزله. وقــد غــادر معظم العملاء في تلك الساعة. كانت صديقة ريك خــارج المديــنة، وفي طريقه إلى المنــزل، قرر ريك الاتصال بتيد لي. إنهمـا صديقان منذ كانا معاً في أكاديمية الشرطة، وعملا كشريكين طوال

خمس عشرة سنة. لطالما أراد ريك الانضمام إلى مكتب التحقيقات الفدرالي، وكان العمر الأقصى للقبول خمسة وثلاثين عاماً. انضم هو إليه في عمر الثالثة والثلاثين. وهو يعمل الآن عميلاً خاصاً منذ أربعة عشر عاماً. ما زال لديه ست سنوات من العمل قبل أن يتقاعد في عمر الثالثة والخمسين، أي بعد عشرين عاماً من العمل في مكتب التحقيقات الفدرالي. كان تيد يحب تذكيره بأن لديه سنة واحدة فقط قبل أن يتمكّن من التقاعد بعد ثلاثين عاماً من العمل، لكنّ أياً منهما لم يكن ينوي ترك عمله. إنهما يحبان ما يفعلانه، وتيد يفعل ذلك أكثر من ريك. فمعظم العمل الذي يؤديه ريك في مكتب التحقيقات الفدرالي كان مضجراً، ويكاد العمل المكتبي يقتله أحياناً. وفي بعض الأحيان، مثل الليلة، يتمنّى لو أنه ما زال يعمل مع تيد في مركز الشرطة. إنه يكره الأشخاص أمثال أديسون. فهم يبددون وقته، وكانت أكاذيبهم أقل إقناعاً مما يظنون، ومواقفهم مقرفة.

أجاب تيد على هاتفه الخلوي بعد أول رنة، وابتسم ما إن سمع صوت ريك. إنها يتناولان العشاء أو الغداء بانتظام مرة كل أسبوع، وهما يفعلان ذلك منذ أربعة عشر عاماً. هذه أفضل طريقة للبقاء على اتصال.

"كيف حالك؟ هل تشعر بالضجر؟" مازحه هولمكويست. "لقد أجبت بسرعة. لا بد أنها ليلة مملة".

"الوضع هادئ الليلة". اعترف تيد. يكون الوضع مريحاً هكذا أحياناً. كما أن شريكه جيف ستون مريض وفي إجازة. "ماذا عنك؟" كان تيد يضع قدميه على مكتبه. إنه ينجز أعمالاً مكتبية بشأن سرقة حصلت في اليوم السابق. وباستثناء ذلك، كان ريك محقاً، فهو يشعر بالضجر.

"أتساءل أحياناً عن السبب الذي دفعني إلى ترك الشرطة. لقد خرجت للتو من مكتبي. تعاملت اليوم مع أوراق أكثر مما هو موجود في مطبعة. ألقينا القبض على محتال حقيقي بتهمة التهرب من الضرائب وتبييض الأموال. كان مغروراً ومتبجحاً بطريقة مذهلة".

"هل أعرفه؟ فنحن نصادف البعض منهم أيضاً".

"ليس من هذا النوع. أعطني اعتداء وسرقة أو حمل سلاح في أي وقت. لقد سمعت به ربما. فيليب أديسون. إنه رئيس مجموعة من الشركات، وهو عضو بارز في المجتمع. إنه يملك مئتي عمل تقريباً، وكلها على الأرجح واجهات لضرائب لا يدفعها".

"إنه حوت كبير". علّق تيد، فهو يشعر دوماً بالغرابة حين يتم توقيف مثل هؤلاء الأشخاص، لكن هذا يحصل أحياناً. فهؤلاء يخضعون للتوقيف أيضاً. "ماذا فعلت به؟ أخرجته بسند كفالة، حسبما أفترض؟" قال تيد ممازحاً ريك. فمثل هؤلاء المشتبه بهم يملكون عادة أسطولاً من المحامين أو محامياً بارعاً جداً. إن عدداً قليلاً جداً من الأشخاص الذين يوقفهم ريك يبقون محتجزين، باستثناء الذين ينقلون الأسلحة أو المخدرات عبر حدود الولايات. لكنّ مزوري الأوراق والمتهربين من الضرائب يخرجون دوماً بسند كفالة.

"إنه يمضي ليلته في السجن. فحين توقف عن الكلام، لم يعد أي من القضاة موجوداً لتحديد الكفالة". ضحك ريك هولمكويست، وابتسم تيد ابتسامة عريضة. إن السخرية من رجل مثل أديسون يمضي ليلته في السجن تروق لهما معاً.

"بيغ في نيويورك مع أختها. هل تريد تناول شيء ما معي؟ أنا متعب جداً لطهو الطعام". اقترح ريك فيما ألقى تيد نظرة سريعة على ساعته. لا يزال الوقت باكراً، ولا يملك أي شيء لفعله باستثناء تقارير السرقة التي بين يديه. إنه يحمل جهاز الإنذار، وجهاز الاتصالات اللاسلكية، وهاتفه الخلوي. إذا احتاجوا إليه، يمكنهم العثور عليه، وسيحضر حالاً. ما من سبب يمنعه من الخروج لتناول العشاء مع ريك.

"سألاقيك في مطعم هاري بعد عشر دقائق". اقترح تيد بنبرة مألوفة. إنه مطعم برغر يذهبان إليه منذ أعوام. يوفر لهما صاحب المطعم طاولة

هادئة في الجهة الخلفية، كما هي الحال دوماً، بحيث يستطيعان التكلم بهدوء. سيكون هناك عدد قليل من الزبائن في مثل هذه الساعة. فمعظم العمل الذي ينجزونه ليلاً يكون أمام المشرب.

كان ريك جالساً هناك حين وصل تيد، وكان يسترخي أمام المشرب مع كأس في يده. لقد أنهى عمله، ويستطيع بالتالي الشرب. لكن تيد لا يشرب أبداً، فهو يحتاج إلى كل حواسه حين يعمل.

"تبدو يائساً". قال تيد مع ابتسامة عريضة، حين شاهد صديقه. في الواقع، بدا بخير، وإنما متعباً. كان يوماً طويلاً بالنسبة إليه، فيما بدأ يوم تيد للتو.

"شكراً لك". ردّ ريك على المجاملة، فيما جلسا أمام طاولة في الزاوية، وطلبا شريحتي لحم. كانت الساعة الثامنة مساء حينها، وسيبقى تيد في العمل حتى منتصف الليل. تناولا شريحتي اللحم، وتحدثا عن العمل حتى التاسعة والنصف. ثم تذكر ريك شيئاً ما.

"اسمع. أسدِ لي خدمة. قد يكون الأمر تافهاً. لكنني شعرت بذلك الإحساس الغريب الذي يراودني أحياناً. تكون عادة أشياء تافهة، لكنها محقة بين الحين والآخر. تم العثور على ورقتين في مكتب ذلك الرجل اليوم، مع اسم مدوّن عليهما. لا أعرف لماذا، لكنّ الاسم لفت انتباهي، كما لو أنه قدّر لي أن أراه أو ما شابه". فحقيقة ظهور الاسم على ورقتين أعلمت ريك بوجود شيء ما.

قال تيد، وبرم عينيه: "لا تقل لي إنه حدسك".

يكنّ ريك احتراماً كبيراً لحدسه، وأحياناً يكون حدسه على حق. لكن ليس كفاية لكي يثق فيه تيد تماماً. لكن ليس لديه أي شيء آخر لفعله. "ما الاسم؟ سأبحث عنه حين أعود إلى المكتب. يمكنك المجيء معي إذا أردت". يستطيعان التحقق ما إذا صدرت بحق هذا الشخص سلسلة من التوقيفات أو حكم عليه بالسجن ضمن الولاية.

"نعم، ربما أستطيع الذهاب معك ريثما تتحقق. أكره الذهاب إلى المنزل حين تكون بيغ بعيدة. هذا سيئ، تيد. أظن أنني اعتدت عليها". وفيما قال ذلك، بدا قلقاً. لقد نجح في البقاء عازباً طوال سنوات بعد طلاقه، وأحب العيش بتلك الطريقة. لكن حسبما أخبر تيد في الآونة الأخيرة، تبدو هذه الفتاة مختلفة. حتى أنهما ناقشا الزواج تقريباً.

"قلت لك إنك ستنتهي بالزواج منها. وقد تفعل ذلك. إنها امرأة جيدة. ثمة نساء أسوأ قد تعاشرهن". وقد فعل ذلك غالباً. لديه نقطة ضعف تجاه النساء الخليعات، لكن هذه المرأة ليست منهن.

"هذا ما تقوله". ابتسم ابتسامة عريضة. دفع ريك الفاتورة، لأن هذا دوره بالدفع هذه المرة، وتوجه الرجلان إلى مكتب تيد. دوّن ريك الاسم مع رقمي الهاتف، وأعطاه إلى تيد. تحقق بنفسه من الأحكام الفدرالية الصادرة بحقه، لكنه لم يعثر على أي شيء. لكن في بعض الأحيان، لا تملك السلطات الفدرالية المعلومات الموجودة لدى الجهات الحكومية.

حين وصلا إلى المكتب، أدخل تيد الاسم في الكمبيوتر، وسكب لكل منهما فنجان قهوة فيما انتظرا ظهور المعلومات، وتحدث ريك عن بيغ بعبارات مديح. إنه مفتون بها بوضوح، وسرّ تيد لسماع جدية علاقة ريك معها هذه الأيام. فطالما أنه متزوج، ظن أنه يجدر بالجميع أن يكون كذلك. وكان ريك يتفادى ذلك منذ زمن.

كانا لا يزالان يشربان القهوة حين أصدر الكمبيوتر الجواب لهما. ألقى تيد نظرة سريعة عليه، ورفع حاجباً فيما سلّمه إلى ريك.

"يبدو أن رجلك المتهرب من الضرائب يملك بعض الأصدقاء الأشقياء. خرج مورغان من بيليكان باي قبل ستة أسابيع. إنه تحت المراقبة في سان فرانسيسكو".

"وما سبب سجنه؟" أخذ ريك الأوراق منه، وقرأها بعناية. كانت كل الأحكام الصادرة بحق بيتر مورغان مدونة هنا، مع اسم العميل المراقب

له، وعنوان مركز إعادة التأهيل في ميشون. "ماذا يفعل برأيك الرجل الاجتماعي البارز مع شخص مثل هذا؟" قال ريك بصوت عالٍ، موجهاً السؤال لنفسه ولتيد على حدٍّ سواء. إنها قطعة جديدة من الأحجية.

"تصعب معرفة ذلك. لا تعرف أبداً سبب صداقة الأشخاص مع بعضهم. ربما كان يعرفه قبل الدخول إلى السجن، واتصل به الرجل بعدما خرج. قد يكونان صديقين". قال تيد فيما سكب فنجانين جديدين من القهوة.

"ربما". ثمة أجراس ترنّ في رأس ريك، من دون أن يعرف السبب، ونظر إلى تيد. "لديه الكثير من الأشياء الغريبة في مكتبه. مسدس محشو بالطلقات، أربعمئة ألف دولار نقداً، لمصروف جيبه على ما يبدو. وملف حول رجل اسمه ألان بارنز سماكته ثلاثة إنشات تقريباً. لديه حتى صورة لزوجة بارنز وأولاده". هذه المرة، نظر إليه تيد بغرابة. لقد ضربه الاسم مثل الصاعقة.

"هذا غريب. التقيت بهم قبل شهر. أولاد ظرفاء".

"لا تسخر مني. شاهدت الصورة. تبدو المرأة جميلة أيضاً. ما الذي أوصلك إليها؟" كان ريك يدرك تماماً من يكون هؤلاء. فقد تصدر ألان بارنز غالباً الصفحات الأولى للمجلات بسبب صفقاته ونجاحه المذهل. لم يكن مثل أديسون يتباهى بنفسه في الصفحات الاجتماعية لحضوره حفلة موسيقية. كان ألان بارنز من سلالة مختلفة تماماً، ولم تصدر أية شائعات بشأن عمله بطريقة احتيالية. بدا أنه عمل باستقامة حتى النهاية. لم يقرأ ريك أبداً شيئاً مغايراً، ولا تيد. لم يتهرب بارنز يوماً من دفع الضرائب، وتفاجأ حين سمع أن تيد التقى بزوجته. فهم ينتمون إلى مجموعة راقية من الأشخاص حتى يلتقي بهم تيد أثناء الخدمة.

شرح تيد، "لقد انفجرت سيارة في الشارع حيث يقطنون".

قال ريك ممازحاً: "أين يعيشون؟ في نقطة هانتر؟"

"لا تكن سخيفاً. إنهم يعيشون في باسيفيك هايتس. قام أحد بتفجير سيارة القاضي ماكينتر، بعد أربعة أيام تقريباً من خروج كارلتون واترز من السجن". ثم نظر تيد إلى ريك بغرابة. خطر شيء في باله أيضاً. "دعني أرى هذه الأوراق مجدداً". أعادها ريك له، وعاود تيد قراءتها. كان بيتر مورغان في بيليكان باي أيضاً، وخرج منه في الوقت نفسه مثل كارلتون واترز. "تجعلني أفكر في حدسي أنا أيضاً. كان واترز في بيليكان باي. أتساءل إذا كان هذان الرجلان يعرفان بعضهما. هل من شيء في مكتب رجلك كتب اسم واترز عليه؟" هذا سؤال صعب جداً، وهزّ ريك رأسه. لاحظ تيد تاريخ إطلاق سراح بيتر مورغان، وأدخل معلومات أخرى في جهاز الكمبيوتر. وحين حصل على الجواب، نظر إلى صديقه. "خرج واترز ومورغان من السجن في اليوم نفسه". قد لا يعني هذا أي شيء، لكنها مصادفة مثيرة بلا شك، رغم إدراك تيد بأن الأمر قد لا يعني أي شيء.

قال ريك بحذر: "أكره قول ذلك، لكن الأمر ربما لا يعني شيئاً". وعرف تيد أنه محق على الأرجح. فهو كشرطي لا يمكنه الوثوق كثيراً في المصادفات. في بعض الأحيان تكون الصدفة محقة، لكنها في بقية الأوقات لا توصل إلى أية نتيجة. "إذاً ما الذي حصل في تفجير السيارة؟"

"لا شيء. لا نعرف أي شيء بعد. ذهبت لرؤية واترز في موديستو، لمجرد التحقق، وجعلته يدرك أننا نراقبه. لا أظن أن له علاقة بالتفجير. لا أعتقده بهذا الغباء".

"لا تعرف أبداً. فقد حصلت أشياء أكثر غرابة. هل راجعت كل صفحات الكمبيوتر لمعرفة ما إذا كان قد خرج أي مسجون آخر حكم عليه القاضي ماكينتر في الآونة الأخيرة؟" لكنّ ريك كان واثقاً من أن تيد فعل ذلك، نظراً لمعرفته به. فهو لم يعمل أبداً مع شخص أكثر دقة ومثابرة من تيد لي. وتمنّى غالباً لو أنه استطاع إقناعه بالانضمام إليه في مكتب

التحقيقات الفدرالي. فبعض الأشخاص الذين يعمل معهم ريك هناك يثيرون جنونه. ولا يزال يشتاق إلى العمل مع تيد. لقد تبادلا الكثير من المعلومات، وتحدثا غالباً مع بعضهما بشأن قضاياهما. وفي أكثر من مرة، لا بل في مرات عديدة، عملا على معالجة قضية واحدة معاً، بمجرد مناقشتها سوية. حتى الآن، لا يزالان يستخدمان بعضهما بمثابة محطة إصغاء، مثلما فعلا الليلة، وهذا ما يساعدهما كثيراً. "لم تقل لي بعد ما هي علاقة زوجة بارنز بتفجير السيارة. لا أعتقد أنك تشتبه بها". ابتسم له ريك، وهزّ تيد رأسه مسروراً. إنهما يحبان ممازحة بعضهما.

"إنها تعيش في الحيّ نفسه مع القاضي ماكينتر. كان أحد أولادها ينظر خارج النافذة، وعرضت عليه صورة كارلتون واترز في اليوم التالي. لا شيء. لم يتعرف إليه. لم نصل إلى أي شيء لغاية الآن".

"أفترض أنها لم تأخذ زمام المبادرة". مازحه ريك مجدداً، مع نظرة هادفة. إنه يحب فعل ذلك به. وكان تيد يجيبه دوماً بالطريقة الصحيحة. خصوصاً بشأن بيغ، فهي أول علاقة عاطفية جدية يعيشها ريك منذ أعوام، أو ربما في حياته. لا يعرف تيد أي شيء عن هذا النوع من الأمور. لقد كان مخلصاً لشيرلي منذ كانا صغيرين، الأمر الذي لطالما اعتبره ريك مقرفاً. لكنه أعجب به بسبب ذلك، رغم أنه عرف من الأشياء التي قالها له تيد على مر السنوات، أن زواجهما لم يعد أبداً مثلما كان. ما زالا على الأقل مع بعضهما، وهما يحبان بعضهما بطريقتهما. لا يمكنك توقع علاقة مثيرة بعد ثمانية وعشرين عاماً، ولم تكن كذلك.

"لم أقل أي شيء عنها". أشار له تيد. "قلت إن الأولاد ظرفاء".

"إذاً، ما من مشتبه به في تفجير السيارة". علّق ريك، وهزّ تيد رأسه.

"أبداً. لكن كانت رؤية واترز أمراً مثيراً. إنه رجل خشن. يبدو أنه يبقي نفسه بعيداً عن المشاكل، على الأقل في الوقت الحاضر. لم يكن سعيداً جداً بزيارتي".

قال ريك: "رجل فظ". لم يكن معتاداً على مجرمين مثل كارلتون واترز. عرف من يكون ولم يعجبه ما قرأه عنه.

"كان هذا رأيي أنا أيضاً في الموضوع". وفيما قال تيد ذلك، نظر إليه ريك مجدداً. ثمة شيء يدور في رأسه. لم يستطع فهم الرابط بين بيتر مورغان وفيليب أديسون، وقد أزعجه ذلك. كما أن خروج كارلتون واترز من السجن في اليوم نفسه مثل مورغان لا يعني أي شيء. لكن خطر في باله أنه لا ضير أبداً في التحقق من المسألة. وبما أنه خاضع للمراقبة، كان بيتر مورغان يخضع لسلطة مراقبة تيد.

"هل تسدي لي خدمة؟ لا أستطيع تبرير إرسال أحد رجالي إلى هناك. هل تستطيع إرسال أحد إلى مركز إعادة التأهيل الذي يعيش فيه مورغان غداً؟ إنه يخضع للمراقبة، ولا تحتاج بالتالي إلى مذكرة تفتيش للبحث في أغراضه. لا تحتاج حتى إلى طلب الإذن من مراقبه المباشر. يمكنك الذهاب في أي وقت تشاء. أريد فقط أن أعرف ما إذا كان يوجد شيء هناك يربطه بأديسون، أو بأي شخص آخر يهمنا. لا أعرف لماذا، لكنني منجذب إلى هذا الرجل، مثل النحلة إلى العسل".

"أوه، بحق الله، لا تقل لي إن مكتب التحقيقات الفدرالي حولك إلى شاذ". ضحك تيد عليه، لكنه وافق على الذهاب. إنه يحترم حدس ريك نوعاً ما، فلقد حالفهما التوفيق قبلاً، ولا ضير في التجربة هذه المرة. "سأذهب غداً، حين أنهض. سأتصل بك إذا حصلت على أي شيء". ليس لديه أي شيء آخر للقيام به في الصباح، ولحسن الحظ، يكون مورغان خارجاً مما يسهل عليه عملية البحث في أغراضه. سيلقي نظرة على غرفته، ويرى ما هو موجود فيها.

"شكراً جزيلاً". قال ريك بارتياح، وحمل الأوراق الخاصة بمورغان، وطواها، ووضعها في جيبه. قد تكون هذه الأوراق مفيدة في مرحلة ما، خصوصاً إذا عثر تيد على شيء ما في مركز إعادة التأهيل في اليوم التالي.

لكن كل ما عثر عليه تيد حين ذهب إلى هناك كان عنواناً آخر. فقد أخبره الرجل الموجود عند مكتب الاستقبال أن مورغان ترك المركز. ويبدو أن مراقب بيتر لم يكلف نفسه عناء تحديث العنوان في الكمبيوتر، وهذا إهمال، لكنهم مشغولون. ألقى تيد نظرة خاطفة على العنوان ولاحظ أنه فندق في تندرلوين، وصمم على فعل ما طلبه منه ريك في الليلة الفائتة، فذهب إلى هناك. قال له موظف الاستقبال إن مورغان قد خرج. أظهر له تيد نجمة الشرطة، وطلب منه المفتاح. أراد موظف الاستقبال أن يعرف ما إذا كان يواجه المشاكل، وقال له تيد إنه تحقق روتيني لشخص قيد المراقبة، الأمر الذي لم يزعجه على ما يبدو. فثمة أشخاص آخرون تحت المراقبة أقاموا عنده قبلاً. هزّ موظف الاستقبال كتفيه، وسلّم المفتاح إلى تيد، الذي صعد إلى الأعلى.

كانت الغرفة التي دخل إليها مرتبة ونظيفة. بدت الثياب المعلقة في الخزانة جديدة، فيما الأوراق على المكتب موضوعة بترتيب. ما من شيء استثنائي في الغرفة. لا يخبئ مورغان أية مخدرات أو أسلحة أو أشياء غير قانونية. حتى أنه لا يدخن. ثمة دفتر عناوين كبير موضوع على المكتب، ومحكم برباط مطاطي. قلّب تيد الدفتر، وعثر فيه على اسم أديسون ورقم هاتفه في الصفحة "أ". وحين قلّب الأوراق الموضوعة على المكتب، لفتت انتباه تيد قطعتان من الورق وجعلتاه يتوقف عن فعل أي شيء آخر. الورقة الأولى تحمل اسم كارلتون واترز ورقمه في موديستو، فيما الورقة الثانية جعلت الدم يتجمد في عروقه. إنها تحمل عنوان فرناندا، لا يوجد رقم هاتف أو اسم، فقط العنوان، لكنه تعرف إليه على الفور، حتى من دون الاسم. أغلق دفتر العناوين، وأعاد لفه بالرباط المطاطي، ثم أغلق درج المكتب، وبعد إلقاء نظرة أخيرة حوله، خرج من الغرفة. وما إن وصل إلى سيارته، اتصل بريك.

"تفوح رائحة ما. ولستُ واثقاً ما هي. في الواقع، بدأت أشك بأن شيئاً ما يحصل". كان تيد قلقاً، وبدا عليه ذلك. لماذا يملك رجل مثل مورغان عنوان فرناندا؟ ما هي صلته بواترز، أو أنهما التقيا فقط في السجن؟ لكن إذا اقتصر الأمر على ذلك، لماذا يملك رقمه في موديستو؟ وما علاقة أديسون برقم هاتف مورغان؟ لماذا يملك مورغان رقم هاتفه؟ لماذا يملك أديسون ملفاً سماكته ثلاثة إنشات حول ألان بارنز، وصورة لفرناندا والأولاد؟ فجأة، أصبح هناك الكثير من الأسئلة، وعدد غير كاف من الأجوبة، إضافة إلى محكومين - أحدهما اتهم بالقتل - خرجا من السجن في اليوم نفسه. هناك الكثير من المصادفات الغريبة. استطاع ريك سماع شيء في صوته لم يسمعه منذ أعوام. كان تيد مذعوراً، ولم يكن واثقاً من السبب.

شرح له، "تركت غرفة مورغان للتو، لم يعد يعيش في مركز إعادة التأهيل. إنه يعيش في فندق في تندرلوين، ولديه خزانة مليئة بالثياب الجديدة. سأتصل بالمسؤول عن مراقبته لمعرفة ما إذا كان قد عثر على وظيفة".

"وكيف تفترض أنه يعرف أديسون؟" سأل ريك باهتمام. لقد خرج للتو من جلسة تحديد الكفالة. خرج أديسون مثل الشعرة من العجين بعد أن دفع الكفالة المفروضة عليه. فقد طلب منه دفع كفالة قدرها مئتان وخمسون دولاراً، وهذا مبلغ زهيد جداً بالنسبة إليه. وسمح له القاضي بالسفر إلى أوروبا مع عائلته بعد يومين. سيستمر التحقيق الفدرالي، لكنّ محاميه قال إن التحقيق يمكن أن يستمر أثناء غيابه، لأن هذه مشكلة مكتب التحقيق الفدرالي وليست مشكلته، ووافق معه القاضي. لم يشكّوا أبداً في عودة أديسون إلى سان فرانسيسكو بعد أربعة أسابيع، فلديه إمبراطورية كبيرة يجب إدارتها. شاهد ريك أديسون وهو يخرج مع محاميه، وتساءل عن الذي وجده تيد في غرفة مورغان.

"قد يكونان صديقين قديمين. فالحبر الذي كتب به اسم أديسون ورقم هاتفه يبدو قديماً". شرح تيد. لكن لماذا رقم هاتف كارل واترز في موديستو؟ وعنوان فرناندا بارنز على قصاصة ورق؟ من دون رقم هاتف أو اسم؛ فقط العنوان.

"لماذا؟" ردّد ريك الكلمة الوحيدة التي تدور في رأسه.

"هذا هو رأيي. لم يعجبني ذلك، ولست واثقاً حتى من السبب. ثمة شيء قيد التحضير، وأستطيع الإحساس بذلك، لكنني لست واثقاً مما هو". ثم خطرت في باله فكرة. "هل أستطيع إلقاء نظرة على الملف الذي يملكه أديسون حول بارنز؟" قد يعثر على شيء ما هناك. قال تيد فيما أدار محرك سيارته. سيتوجه مباشرة إلى مكتب ريك لمراجعة الملف، وكل الأشياء الأخرى الموجودة لدى ريك. أصبح مهتماً هو أيضاً بالمسألة. ليست لديه فكرة عن علاقة فرناندا بذلك، لكنّ شيئاً ما أخبره بأنها على وشك الوقوع في ورطة. إنها هدف جلي للكثير من الأسباب. لكنّ تيد لا يعرف السبب، أو الأشخاص المتورطين، أو حتى الدوافع. قد يكون الجواب موجوداً في ذلك الملف.

"ما هي الخدمة؟" ذكّره ريك. بدا تيد شارد الذهن، وكان هكذا فعلاً. كان يحاول فهم المسألة، لكنه لم يكتشف أي شيء لغاية الآن. هناك الكثير من القطع الطافية في الهواء. مورغان. واترز. أديسون. فرناندا. تفجير السيارة. وما من روابط جلية بين أي منهم. ليس بعد.

قال تيد فيما أدار السيارة: "تحقق من الوضع المالي لأديسون، كرمى لي. حاول التوغل قدر الإمكان، لنرى النتيجة". عرف أن ريك سيفعل ذلك على كل حال، لكنّ تيد يريد النتيجة بسرعة أو أية نتيجة ممكنة خلال المدة التي يستغرقها الوصول لعنده.

"لقد تحققنا أصلاً من وضعه، بطريقة سطحية. لهذا السبب، تم اعتقاله البارحة. ثمة أعمال مشبوهة في نيفادا، وبعض الضرائب التي لم يسددها.

الكثير من المال الذي يتحرك عبر حدود الولايات". ما من ضرائب حكومية في نيفادا، ولذلك تعتبر المنطقة بمثابة جنة بالنسبة إلى أشخاص مثل أديسون، يملكون أموالاً غير شرعية بين أيديهم. "الأمر أشبه بلعبة الطرة والنقشة في الوقت الحاضر. وأسوأ ما يمكن أن يحصل عليه هو غرامة مالية كبيرة. لا أظن أنه سيسجن على ذلك. لديه محامون جيدون". قال ريك وهو يبدو خائب الأمل. "ما زلنا نتحقق". لكنهما عرفا أن الأمر يحتاج إلى الوقت.

"أقصد تحقق جدياً من وضعه. اكشف الغطاء المستور. ارفع السجادة من تحت قدميه".

"حرفياً؟" بدا ريك مذهولاً. لم يستطع أن يفهم ما يبحث عنه تيد. في الواقع، تيد نفسه لم يكن يفهم في هذه المرحلة، لكن لديه حاسة سادسة قوية أخبرته بوجود شيء ما.

"لا، ليس حرفياً. أعني تحقق تماماً من وضعه. أريد أن أعرف نوع المال الذي يملكه هذا الرجل، وما إذا كان يواجه المشاكل في مكان ما. ألقِ الضوء على أعماله. ليس فقط خلال الشهرين الماضيين. اعرف أي شيء تستطيعه الآن. أريد أي شيء تحصل عليه، وبأسرع ما يمكن". عرف الوقت الذي تستغرقه تحقيقاتهم، خصوصاً إذا ارتبطت بالمال، ولم تكن حياة الأشخاص في خطر. "أطفئ كل إشارات المرور الحمراء. سأكون عندك بعد عشر دقائق". قال تيد فيما ضغط على دواسة البنزين.

قال ريك بنبرة معتذرة: "سأحتاج إلى وقت أطول من ذلك".

"كم من الوقت؟" بدا تيد قلقاً، ولم يعرف هو نفسه السبب.

"ربما ساعتان، أو يوم أو يومان. سأحاول أن أحصل لك على كل ما أستطيعه اليوم". سيطلب من عملائه الاتصال بفريق تحليل الكمبيوتر في واشنطن العاصمة وبكل مخبريهم في الشبكة المالية السرية. لكن كل هذا يستغرق وقتاً.

"بحق الله، رجالك يعملون ببطء. افعل ما بوسعك. أصبحت في منتصف الطريق. سأكون عندك بعد خمس دقائق".

قال له: "دعني أبدأ بالعمل. يمكنك قراءة الملف المتعلق بألان بارنز بينما نبحث نحن عن معلومات أخرى. أراك بعد دقيقة". وأقفل الخط.

في الوقت الذي دخل فيه تيد إلى مكتبه، كان ريك قد وضع ملف بارنز على مكتبه، وطلب من ثلاثة محققين العمل بدوام كامل على الكمبيوترات، والاتصال بالوكالات الأخرى، وبعض المخبرين المحددين لمعرفة ما يمكنهم التوصل إليه. كان هذا ما ينوون فعله بشأن قضية أديسون على أي حال. لكنه قام بتسريعها فقط. كثيراً. وبعد ثلاث ساعات، فيما كان تيد وريك يتحدثان أثناء تناول الشطائر، جاءت النتيجة. دخل المحققون الثلاثة معاً إلى مكتبه، وسلّموه كدسة من الأوراق.

سأل ريك، وهو ينظر إليهم، "ما هي الخلاصة؟" كان تيد قد أنهى قراءة ملف بارنز في ذلك الوقت. ما من شيء داخله وإنما مقالات وقصاصات عن انتصارات ألان بارنز وإنجازاته، وصورة واحدة لفرناندا والأولاد.

قال أحد المحققين: "أديسون غارق في دين قدره ثلاثون مليون دولار. التايتانيك تغرق". تبيّن أن أحد أفضل مخبريهم هو بمثابة منجم ذهبي.

قال ريك ونظر إلى تيد: "اللعنة، هذا دين كبير".

شرح أحد المحققين، "شركته القابضة تواجه المشاكل، ونجح في إخفاء الأمر حتى الآن. لكنّ الأمر لن يبقى كذلك لوقت طويل. إنه يواجه قضية تلاعب وخداع بقيمة سيرك الإخوان رينغلينغ. نظن أنه كان يستثمر الأموال مع بعض الأشخاص في أميركا الجنوبية، ولم تنجح استثماراته. إنه يقترض المال من شركات أخرى يملكها لتغطية تلك الخسارة، وأصبح

غارقاً في الكثير من الديون. أظن أن هناك بعض التزوير في بطاقات الاعتماد على السطح. وفي العمق، إنه يواجه الكثير من المشاكل، ويقول مخبري إنه لن يستطيع أبداً الخروج من ورطته. إنه يحتاج إلى دفق كبير من المال لتسديد الديون، ولن يعطيه أحد أياً من هذا المال. يقول مخبري الآخر إنه يبيّض الأموال منذ أعوام. وهذه هي حقيقة أعماله في نيفادا، ولا نملك فكرة عن السبب. لكن إذا أردت أن تعرف ما إذا كان في ورطة، فإنه كذلك. إنه في ورطة كبيرة؛ كبيرة جداً جداً. إذا أردت أن تعرف لماذا وكيف، ومن هم الأشخاص الذين يستثمر لهم، فإن هذا يحتاج إلى وقت، وإلى الكثير من الرجال. هذه هي الأمور الصعبة والفظة. ما زلنا نحتاج إلى التحقق من الكثير من الأمور. لكنّ الوضع يبدو سيئاً جداً".

قال ريك بهدوء: "أظن أن هذا يكفي في الوقت الحاضر". وشكر المحققين الثلاثة على عملهم السريع، خصوصاً مع مخبريهم. وما إن غادروا المكتب، التفت نحو تيد. "إذاً، ما رأيك؟" لاحظ أن الأفكار تتسارع في رأس تيد بسرعة قصوى.

"أظن أننا أمام رجل نعرف أنه مدين بثلاثين مليون دولار على الأقل، أو ربما أكثر. وامرأة ترك لها زوجها نصف مليار دولار تقريباً، حسب الصحافة على أية حال، إذا كنت تصدق ما تقرأه، لكنني لا أصدق. لكن حتى لو كانت ثروتها توازي نصف هذا المبلغ، فإنها دجاجة تبيض ذهباً مع ثلاثة أولاد. هناك أيضاً مجرمان خرجا من السجن قبل ستة أسابيع، ويبدو أنهما يتصرفان وفق ما يحلو لهما. إنهما مرتبطان بأديسون بطريقة ما وببعضهما البعض. وهناك تفجير سيارة في الشارع الذي تسكن فيه دجاجتنا التي تبيض ذهباً. إنها ضحية تنتظر من ينقض عليها، إذا سألتني، وكذلك هم أولادها. هل تعرف ما هو رأيي؟ أظن أن أديسون يلاحقها، وهذا هو غرض ذلك الملف. لا يمكنك أبداً دفعه إلى المحكمة ومقاضاته، لكنّ شيئاً ما يحدث، وإذا أطلقت العنان فعلاً لخيالي، أظن أن

أديسون استخدم مورغان ليصل إلى واترز. قد يكونون الآن مجتمعين معاً في هذه القضية، وربما لا. أظن أن واترز كان يراقبها حين وضع القنبلة في سيارة القاضي ماكينتر، إذا كان هو من فعل ذلك. وأظن الآن أنه هو من فعلها. إنها مصادفة كبيرة أيضاً أن يعيشوا في الشارع نفسه. كان موجوداً هناك على أي حال، وتصوّر أنه سينجو بفعلته هذه المرة. ولمَ لا؟ فمن سوء الحظ أن ابن بارنز لم يتعرف عليه، لكن لا يمكنك الحصول على كل شيء دفعة واحدة. أظن أننا هنا أمام مؤامرة ضد فرناندا بارنز. أعرف أنني أبدو مثل المجنون، ولا أستطيع إثبات أي دليل حسي على ذلك، لكن هذا هو رأيي، ويقول لي حدسي إنني محق".

على مرّ السنوات، تعلما أن يثقا في حدسيهما، ونادراً ما كانا يخطئان. بالإضافة إلى ذلك، تعلما أن يثقا ببعضهما البعض، وهذا ما يفعله ريك الآن. فكل ما قاله تيد للتو يعتبر منطقياً بالنسبة إليه. في عالم الإجرام، هكذا يُفكّر الأشخاص، وهكذا تجري الأمور. لكن بين معرفة الأمر وإثباته، توجد غالباً فجوة كبيرة والكثير من الوقت. وفي بعض الأحيان، يمكن للوقت الذي يستغرقه إثبات نظرية معينة أن يكلف حياة العديدين. إذا كان تيد محقاً، يمكن أن يحصل ذلك في هذه القضية. ما من شيء لديهما سوى الحدس في هذه المرحلة، ولا يسعهما فعل أي شيء لها، إلا إذا قام أحد بخطوة ضدها أو ضد أولادها. إنها مسألة نظرية وحدس في الوقت الحاضر.

"أي نوع من المؤامرة؟" سأله ريك بجدية. لقد آمن بكل شيء قاله تيد للتو. إنهما شرطيان منذ وقت طويل ليكونا مخطئين تماماً. "لابتزاز المال منها؟"

هزّ تيد رأسه. "ليس مع رجل مثل واترز. نحن لا نتحدث عن جريمة أنيقة. أظن أنها ضحية اختطاف تنتظر الفرصة المؤاتية وكذلك هم أولادها. يحتاج أديسون إلى ثلاثين مليون دولار، ويحتاج إليها بسرعة. إنها تملك

خمسمئة مليون، أو ما شابه. لا أحب الطريقة التي يتطابق فيها هذان الواقعان. وكذلك تسكّع واترز في المنطقة، إذا كان يفعل ذلك. وحتى لو كان لا يفعل، لا يغير ذلك حقيقة امتلاك أديسون لملف عنها بحجم دليل الهاتف في مانهاتن، وصورة لها ولأولادها".

لم يحب ريك الأمر أيضاً، لكنه تذكر للتو شيئاً آخر. "سيغادر إلى أوروبا خلال يومين. لماذا يفعل هذا إذا كان مفلساً؟"

"ربما زوجته لا تعرف. كما أن مغادرته البلاد لا تغير أي شيء. لن يفعل ذلك بنفسه. سيهتم شخص آخر بهذا حسب رأيي. وإذا كان خارج البلاد حين يحصل ذلك، يكون لديه عذر الغياب. أراهن أن هذا ما يظنه هو على الأقل. لكن السؤال هو من سيفعل ذلك ومتى، إذا كنت محقاً". وهما لا يعرفان بالضبط ما هو هذا. لكنهما أجمعا على أنه مهما يكن الأمر، فإنه ليس شيئاً جيداً.

"هل ستحتجز مورغان وتتحدث إليه؟" سأل ريك باهتمام. "أم واترز؟"

لكنّ تيد هزّ رأسه.

"لا أريد لفت انتباههما. أريد أن أنتظر وأرى ماذا سيفعلان. لكنني أريد تحذيرها. أدين لها بذلك".

"هل تظن أنهم سيسمحون لك بتخصيص حراسة لها؟"

"ربما. أريد أن أقابل النقيب الليلة. لكنني أريد التحدث إليها أولاً. فربما رأت شيئاً ما، أو أنها تعرف شيئاً لا نعرفه نحن، أو حتى شيئاً لا تعرف أنها تعرفه". لقد صادفا مثل هذا الأمر من قبل. تدير القرص قليلاً فقط لتصبح الصورة كلها واضحة أمامك. رغم أن تيد شك في أن النقيب سيعتبره مجنوناً. لقد تحلى بروح رياضية إزاء الحس الباطني لتيد قبلاً، وغالباً ما توصلا إلى نتائج مرضية. الأمر أشبه بالمال الموجود في مصرف، وسيستعمله تيد الآن. إنه واثق تماماً من أنه على حق، وكذلك هو ريك. سيقدم عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي لمساعدته، لكن لا توجد

مبررات كافية لذلك. فالقضية تتعلق بالشرطة في الوقت الحاضر. رغم أن أديسون يملك الملف. لا يظن ريك أن النائب العام الأميركي سيسمح له بتعيين عملاء لحماية عائلة بارنز، لكنه سيتصل به على كل حال لإبقائه على اطلاع. لا توجد أدلة كافية ضد أديسون لتوجيه تهمة التآمر بارتكاب الخطف ضده، ليس بعد. لكنّ ريك رأى أنهم يتجهون نحو ذلك، وبدا تيد مرعوباً حين وقف. إنه يكره مثل هذه القضايا. سيتأذى شخص ما. إلا إذا استطاعوا فعل شيء حيال ذلك، لكنه ليس واثقاً بعد مما يجب فعله. يريد مناقشة ذلك مع النقيب، بعدما يتحدث إليها. نظر إلى ريك فيما استعد للمغادرة.

"هل تريد أن تأتي معي، لمجرد الفضول؟ سنرى ما هو رأيك بعدما نتحدث إليها. أستطيع استعمال خبرتك في هذا". أومأ ريك برأسه، ولحقه إلى الخارج. لقد أمضى يومين مجنونين في مكتبه، وبدأ كل شيء مع أديسون، وقصاصة ورق على مكتبه مع اسم عليها، وملف حول آلان بارنز ليس له صلة بالمنطق. ما من شيء منطقي. لكن الأمور بدأت تصبح كذلك. اعتاد ريك وتيد على ذلك منذ وقت طويل، سواء كانا مجتمعين أو منفصلين. إنهما يعرفان العقل الإجرامي، ويرتبط ذلك بالطريقة التي يفكران فيها، والاشمئزاز من الوضع مثلما هما الآن. يرتبط ذلك بالتواجد على بعد خطوة واحدة من الحقيقة طوال الوقت. وأمل تيد في أن يكونا هكذا هذه المرة.

اتصل تيد بفرناندا من هاتفه الخلوي، بعدما دخل هو وريك إلى السيارة. أخبر ريك مكتبه أنه سيغيب لساعتين، الأمر الذي بدا معقولاً. ما زال يشتاق إلى العمل مع تيد، فالأمر مرح تقريباً. لكنه لم يجرؤ على قول ذلك لتيد. فتيد قلق جداً ليشعر بالمرح في الوقت الحاضر. كانت فرناندا في المنزل، وبدت تلهث حين أجابت. قالت إنها توضب الأغراض لابنها الذي سيغادر إلى المخيم.

سألت وهي تبدو شاردة الذهن، "هل يتعلق الأمر بتفجير السيارة مجدداً؟" استطاع سماع موسيقى عالية في الخلفية، وعرف أن بعض أولادها في المنزل. أمل تيد في أن يكونوا جميعاً هناك. لم يشأ إخافتها، لكن عليها أن تعرف. أراد أن يقول لها رأيه. حتى لو أخافها ذلك، لكن يجب تحذيرها.

قال تيد بطريقة غامضة: "لا يرتبط الأمر مباشرة بتفجير السيارة، إنه مرتبط بطريقة غير مباشرة، لكنه في الواقع شيء مختلف". قالت إنها ستكون في المنزل حين يصل، ثم أقفلت الخط.

ركن تيد السيارة في ممر المنزل، وألقى نظرة خاطفة حوله فيما توجه إلى الباب الرئيسي، متسائلاً ما إذا كانوا يراقبونها، وما إذا كان واترز أو مورغان في مكان ما في الشارع خارج منزلها. ورغم هذا الاحتمال، قرر عمداً الدخول إلى منزلها عبر الباب الرئيسي بطريقة واضحة. ما من سبب ليتعرف إليه بيتر مورغان، وحتى لو تعرف إليه هو أو واترز، يفضل تيد دوماً نظرية الوجود الواضح للشرطة في مثل هذه الظروف على اعتباره رادعاً. أما مكتب التحقيقات الفدرالي فيفضل غالباً البقاء بعيداً عن الأنظار، الأمر الذي اعتبره تيد دوماً أنه يجعل الضحايا في موقع الاستخدام كرهائن حية.

شاهدهما بيتر مورغان وهما يدخلان. ظن لوهلة أنهما يبدوان مثل شرطيين، ثم قال لنفسه إنه مجنون. فما من سبب ليأتي رجال الشرطة إلى منزلها. لقد أصبح مصاباً بجنون الارتياب لأنه عرف أن اليوم المنتظر أصبح قريباً. عرف أيضاً أنه تم اعتقال أديسون في اليوم السابق بسبب تهم مرتبطة بضرائبه. قال أديسون إنه ليس قلقاً، وما زال ينوي السفر إلى أوروبا مثلما كان مقرراً، ولم تتغير خططهم. كل شيء وفق الجدول المحدد، وأياً كان الرجلان اللذان دخلا إلى منزلها، بدت أنها تعرفهما. فقد ابتسمت ابتسامة عريضة للرجل ذي الأصول الآسيوية الذي رنّ على

جرس الباب. تساءل بيتر ما إذا كانا سمسارين أو محاميين، أو شخصين يديران مالها. في بعض الأحيان، يبدو رجال المال شبيهين برجال الشرطة أيضاً. لم يزعج نفسه حتى بالاتصال بأديسون وإخباره. فما من سبب لذلك، كما أن أديسون طلب منه عدم الاتصال به لفترة، إلا إذا واجه مشكلة، على الرغم من قوله إنه لا يمكن تعقب أثر هاتفه الخلوي. لكن يمكن تعقب أثر هاتف بيتر الخلوي. لم يكن لديه الوقت لشراء واحد من الهواتف التي طلبها فيليب، رغم أنه ينوي فعل ذلك في الأسبوع المقبل. وفيما جلس بيتر خارج المنزل، يُفكّر في الأمر، كان تيد يجلس معها في غرفة الجلوس. ليس لديها فكرة عن سبب مجيئه لرؤيتها. وليس لديها فكرة عن أنّ ما سيقوله لها في الدقائق الخمس التالية سيغيّر حياتها إلى الأبد.

الفصل الثاني عشر

حين فتحت فرناندا الباب أمام تيد وريك، ابتسمت لهما لبرهة ثم وقفت جانباً للسماح لهما بالدخول. لاحظت أن شريك تيد مختلف هذه المرة، وثمة مودة وارتياح واضحين بين الرجلين، مما أثر فيها إيجاباً. ولاحظت فوراً أن تيد يبدو قلقاً.

"هل الأولاد في المنزل؟" سأل تيد فيما قادتهما إلى غرفة الجلوس، كانت الموسيقى تصدح بصوت عالٍ جداً من الأعلى بحيث كادت تهزّ الثريا.

"أنا لا أستمع عادة لمثل هذا النوع من الموسيقى". ابتسمت، وعرضت عليهما شيئاً للشرب، لكنهما اعتذرا.

لاحظت أن هناك سلطة ما لدى الرجل الثاني، وتساءلت ما إذا كان رئيس تيد، أو أنه مجرد بديل لرفيقه الذي أحضره معه قبلاً. لاحظ تيد أنها تنظر إلى ريك، وشرح لها أنه عميل خاص لدى مكتب التحقيقات الفدرالي وصديق قديم له. لم تستطع تخيل علاقة مكتب التحقيقات الفدرالي بذلك، وأصيبت بالحيرة لبرهة فيما سألها تيد مجدداً إذا كان كل الأولاد موجودين في المنزل، وأومأت هي برأسها.

"سيغادر ويل إلى المخيم غداً، إذا استطعت تنظيم أغراضه وإبقاء كل حاجياته ضمن حقيبة واحدة لوقت يكفي لخروجه من هنا". كان الأمر أشبه بتوضيب أغراض فريق أولمبي، إذ لم تشاهد أبداً مثل هذا القدر من معدات اللاكروس لولد واحد. "ستغادر آشلي إلى تاهو بعد يوم غد. وسنبقى أنا

وسام معاً لأسبوعين تقريباً". وقبل أن يغادر ولداها، بدأت تشتاق إلى آشلي وويــل. ســتكون المــرة الأولى التي ينفصلون فيها عن بعضهم منذ موت ألان، وبات الانفصال عنهم الآن أصعب عليها مما كان قبلاً. جلست تنظر إلــى الرجلين بترقب، متسائلة عن سبب مجيئهما لرؤيتها، فليست لديها أية فكرة.

قال تيد بحذر: "سيدة بارنــز، أنا هنا بسبب حسّ باطني، هذا كل ما فــي الأمر؛ حدس شرطي قديم، وأظن أنه مهم. لهذا السبب جئنا. قد أكون مخطئاً، لكن لا أظن أنني كذلك".

قالــت: "يــبدو هــذا جدياً". فيما قطّبت حاجبيها ببطء، ونظرت إلى الرجلين. لم تستطع تخيل الموضوع. وقبل ساعتين، لم يكونا يتخيلان هما أيضاً الموضوع.

"أظن أنه جدي. فعمل الشرطة هو أشبه بجمع أحجية، واحدة من تلك الأحجــيات المــشتملة على ألف قطعة، علماً أن ثمانمئة قطعة منها تشكل الــسماء، فيما البقية ماء. يبدو الأمر وكأنه لا شيء لوقت طويل، ثم رويداً رويــداً، تجمعــين قطعة من السماء، أو القليل من المحيط، وتبدئين سريعاً بجمــع قطــع الأحجــية معاً وتعرفين أخيراً إلى ماذا تنظرين. في الوقت الحاضر، كل ما لدينا هو قطعة من السماء، أو بالأحرى قطعة صغيرة جداً منها، لكنني لا أحب ما أراه". تساءلت للحظة مجنونة عما يقوله، أو ما إذا كــان أولادهــا قــد ارتكبوا خطأ ما، رغم أنها تعرف أنهم لم يفعلوا. لكن شعرت بشيء غامض ومزعج في معدتها فيما نظرت إليه. فقد بدا محتمساً جداً، ومهتماً جداً، وصادقاً جداً. ولاحظت أن ريك كان يراقبها.

"هــل فعلــنا شيئاً ما؟" سألت بصراحة، فيما بحثت عيناها عن عيني تيد، وهزّ هو رأسه.

"لا. لكنني أخاف من أن يفعل أحد ما شيئاً بكم، ولهذا السبب أنا هنا. لديّ إحساس، وهذا كل ما لديّ، لكنني قلق كفاية لكي آتي إليك. قد لا يكون

هــذا شــيئاً علــى الإطلاق، أو قد يكون خطيراً". أخذ نفساً، فيما أصغت بعناية، وشعرت فجأة أن كيانها كله أصبح في خطر، وأراد هو ذلك.

"ولماذا يريد أحدهم إلحاق الأذى بنا؟" بدت محتارة، فيما أدرك تيد كم هــي ســاذجة. لقــد عاشت في فقاعة محمية طوال حياتها، خصوصاً في الــسنوات الأخيرة. ففي عالمها، لا يفعل الأشخاص أشياء سيئة، ليس نوع الأشــياء التــي يعرفها تيد وريك. لا تعرف هذا النوع من الأشخاص، ولم تعرفهم أبداً؛ لكنهم يعرفونها.

"كان زوجك رجلاً ناجحاً جداً. ثمة أشخاص خطرون في المرصاد. أشــخاص لا يملكــون القيم أو الأخلاق، والذين يريدون افتراس أشخاص مثلك. إنهــم أكثــر خطورة مما تتصورين أو تريدين التصديق. أظن أن بعــضهم يراقبك، أو يُفكّر فيك. وهم يفعلون ربما شيئاً أكثر من التفكير. لا أعــرف أي شــيء بطــريقة مؤكدة، لكن أجزاء الأحجية بدأت تنطبق في مكانهــا قــبل ساعات قليلة. وأريد التحدث معك بشأن ذلك. سأخبرك بما أعــرفه، ومــا أظنه، ثم ننطلق من هنا". كان ريك شريكه القديم في العمل يــراقبه، فــيما استمع إليه وهو يتكلم إليها، وكما يفعل دوماً، أعجب برقته وأســلوبه. كــان صــريحاً من دون أن يكون مخيفاً. عرف أيضاً أن تيد ســيخبرها الحقــيقة، مــثلما يراها. فهو يفعل ذلك دوماً. إنه يؤمن بإبلاغ الضحايا بالموضوع، ومن ثم بذل ما بوسعه لحمايتهم. ولقد أحب تيد ذلك. تيد رجل صاحب مبادئ، وشرف.

"أنت تخيفني". قالت فرناندا بنعومة، فيما بحثت عن عيني تيد لمعرفة مدى سوء الأمر، ولم يعجبها ما رأته.

قــال برفق: "أعرف ذلك، وأنا آسف". أراد أن يتمدد نحوها ويلمسها لطمأنتها، لكنه لم يفعل.

"أوقــف العمــيل الخــاص هولمكويست رجلاً البارحة". ألقى نظرة سريعة على ريك فيما قال ذلك، وأومأ ريك برأسه فيما تابع تيد الكلام. "إنه

يدير أعمالاً ضخمة. وهو ناجح ظاهرياً، لكنه يتلاعب بضرائبه، وربما يبيّض الأموال، مما أوقعه في مشاكل. لا أظن أن أحداً يعرف بالضبط قصته الكاملة. إنه اجتماعي جداً، ويبدو محترماً. لديه زوجة وأولاد، ويبدو ناجحاً جداً بالنسبة إلى العالم إجمالاً". أومأت برأسها، فيما أصغت بعناية، مستوعبة كل شيء. "تحققنا من بعض الأمور هذا الصباح، واتضح أن الأمور ليست مثلما تبدو دوماً. فهو مدين بثلاثين مليون دولار. ثلاثون مليون دولار ربما من أموال أشخاص آخرين، وثمة احتمال كبير أن يكون الأشخاص الذين يستثمر لهم أشخاصاً غير شرفاء وغير منضوين تحت لواء القانون. إنهم لا يحبون خسارة المال وسيعاقبونه. بدأت الأمور تزداد صعوبة عليه. إنه يائس حسب مصادرنا".

"هل هو في السجن؟" تذكرت بداية القصة، حين قال تيد إنه تم اعتقاله في اليوم السابق.

"لقد خرج بكفالة. سنحتاج ربما إلى وقت طويل لإيصاله إلى المحكمة. فهو يملك محامين جيدين، واتصالات قوية، وهو جيد في ما يفعله. لكن تحت السطح، ثمة فوضى كبيرة. وهي أسوأ ربما مما نظن. إنه يحتاج إلى المال ليبقى طافياً على السطح، أو حتى للبقاء على قيد الحياة، وبسرعة. هذا النوع من اليأس يدفع الأشخاص إلى فعل أشياء مجنونة".

"وما علاقته بي؟" الأمر غير منطقي بالنسبة إليها.

"لا أعرف بعد. اسمه فيليب أديسون. هل يعني هذا الاسم شيئاً بالنسبة إليك؟" فتش في وجهها، لكن لم تظهر أية علامة تعرّف فيما هزّت رأسها.

"أظن أنني قرأت اسمه في الصحف. لكنني لم ألتقِ به أبداً. ربما كان ألان يعرفه، أو يعرف من يكون. كان يعرف الكثير من الأشخاص. لكنني لم ألتقِ أبداً بهذا الرجل. لا أعرفه".

أومأ تيد برأسه بهدوء، ثم تابع. "لديه ملف في مكتبه. ملف كبير، كبير جداً، سماكته ثلاثة أو أربعة إنشات، مليء بقصاصات عن زوجك.

يبدو ظاهرياً أنه كان مهووساً به وبنجاحه. ربما هو معجب به، أو يعتبره بطلاً. لكنني أرى أنه لاحق كل شيء فعله زوجك".

"أظن أن الكثير من الأشخاص فعلوا ذلك". قالت فرناندا بابتسامة حزينة. "كان حلم كل رجل. رأى معظم الأشخاص أنه كان محظوظاً. لقد كان، لكن بعض الحظ اجتمع مع الكثير من المهارة. لا يدرك معظم الأشخاص ذلك. كان لديه حاسة سادسة في العمل وعقد الكثير من الصفقات المحفوفة بالمخاطر. وجازف في الكثير من الأحيان". قالت بحزن: "لكن معظم الأشخاص لا يرون إلا النجاحات". لم تشأ خيانته من خلال كشف إخفاقاته، التي كانت كبيرة جداً أيضاً، لا بل هائلة في النهاية. لكن بالنسبة إلى العين المجردة، والأشخاص الذين قرأوا عنه، كان ألان بارنز تجسيد الحلم الأميركي.

"لست واثقاً من سبب احتفاظه بمثل هذا الملف عنه. إنه يعود إلى أعوام عدة. قد يكون بريئاً، لكنه قد لا يكون كذلك. إنه شامل جداً. وربما شامل كثيراً. يملك حتى صوراً لزوجك صدرت في المجلات والصحف، وصورة لكِ وللأولاد".

"ألهذا السبب أنت قلق؟"

"جزئياً. إنها مجرد جزء صغير من الأحجية في الوقت الحاضر، جزء من السماء. ربما قطعتان. عثرنا على اسم على مكتبه. العميل الخاص هولمكويست هو من فعل ذلك. ويملك الشرطيون القدامى غرائز جيدة، بحيث لا يعرفون حتى السبب أحياناً. إنهم معتادون على رؤية أشياء تبدو وكأنها عادية جداً، ثم تنطلق صفارات الإنذار. وقد انطلقت صفارات الإنذار معه. تحققنا من هذا الرجل، علماً أن الاسم المدون على قصاصة الورق هو بيتر مورغان. إنه سجين سابق. لقد خرج من السجن قبل أسابيع قليلة. إنه داهية حقيقية، وإنما رجل مثير جداً. لقد تخرج من ديوك، وحصل على شهادة ماجستير في إدارة الأعمال من جامعة هارفارد، وذهب

إلى المدارس الفخمة قبل ذلك. تزوجت أمه المال، أو شيئاً من هذا القبيل".

لقد قرأ التقرير الخاص بمراقبة سلوك بيتر، وكان كل هذا مذكوراً فيه، وبهذه الطريقة اطلع تيد عليه. لقد قرأ كل شيء قبل أن يأتي إليها. "أوقع نفسه في المشاكل عندما عمل في شركة سمسرة بعدما تخرج من هارفارد، ثم انتقل إلى الاستثمار المصرفي، وتزوج من امرأة غنية، فقد تزوج من ابنة صاحب الشركة، وأنجب ابنتين، وبدأ يواجه المشاكل مجدداً. دخل إلى عالم المخدرات، وبدأ التجارة، أو التعاطي بكثرة، الأمر الذي قاده ربما إلى التجارة. حقق بعض المال، وارتكب الكثير من الأخطاء الغبية، فتركته زوجته، وفقد حق الرعاية والزيارة لابنتيه. وأحدث فوضى أكبر في حياته. في النهاية، تم اعتقاله بسبب تجارة المخدرات. كان تاجراً بسيطاً يعمل لصالح حوت كبير، وتحمل هو مسؤولية السقوط نيابة عن الآخرين. لكنه كان يستحق ذلك. كان أشبه برجل بارع سلك الطريق الخطأ. يحدث ذلك. ففي بعض الأحيان، يعمد الأشخاص الذين يملكون أفضل الفرص إلى بذل كل ما بوسعهم لتبديد تلك الفرص. وهو فعل ذلك. لقد أمضى أكثر من أربع سنوات في السجن. كان يعمل مع آمر السجن، الذي اعتبره على ما يبدو رجلاً رائعاً. ليس لديّ فكرة عن الصلة التي تربطه بأديسون، لكن اسم مورغان كان مدوناً على ورقتين في غرفته. لا أعرف لماذا. وكان اسم أديسون في دفتر عناوين مورغان. يبدو وكأن العنوان كتب منذ وقت طويل وليس حديث العهد.

قبل بضعة أسابيع، كان مورغان يعيش في مركز لإعادة التأهيل، من دون قرش واحد في حسابه. وها هو اليوم ينزل في فندق من الدرجة الثانية في تندرلوين، مع ثياب جديدة في خزانته. لا أستطيع تسمية ذلك حظاً غير مرتقب، لكن يبدو أن أموره تسير على ما يرام. تحققنا من وضعه، وتبين أنه يملك سيارة، ويدفع إيجار غرفته، ولم يواجه أية مشكلة منذ أن خرج، وحصل على وظيفة. لا نعرف شيئاً عن علاقته بأديسون.

ربما كانا يعرفان بعضهما قبل دخوله إلى السجن، أو أن مورغان التقى به مؤخراً. لكنّ شيئاً ما في هذه العلاقة لا يبدو جيداً بالنسبة إليّ، ولا إلى العميل الخاص هولمكويست أيضاً.

الشيء الآخر الذي لم يعجبني هو أن مورغان خرج من السجن في اليوم نفسه مع رجل آخر اسمه كارلتون واترز. لا أعرف ما إذا كان هذا الاسم يعني لكِ أي شيء. دخل إلى السجن بسبب جريمة اقترفها حين كان في السابعة عشرة. كتب عدداً من المقالات عن براءته، وحاول الحصول على عفو قبل أعوام قليلة، لكنه لم ينجح. خسر في الاستئناف مرات عدة. أخيراً، خرج من السجن بعدما أمضى فيه أربعة وعشرين عاماً. كان هو ومورغان في سجن بيليكان باي، في الوقت نفسه، وخرجا من السجن في اليوم نفسه. لم نعثر على صلة بين أديسون وواترز، لكن مورغان دوّن اسم واترز على ورقة في غرفته. ثمة رابط بين هؤلاء الأشخاص، وقد يكون رابطاً ضعيفاً جداً، لكنه موجود. ولا نستطيع تجاهله".

"أليس هذا هو الرجل الذي أظهرت لنا صورته بعد تفجير السيارة؟" بدا الاسم مألوفاً لها، وأومأ تيد برأسه.

"هذا هو. ذهبت لرؤيته في موديستو، حيث يعيش في مركز لإعادة التأهيل. وقد لا يعني الأمر أي شيء، لكن لم تعجبني حقيقة أن تعيشي في الشارع نفسه حيث أظن أنه وضع قنبلة تحت سيارة القاضي ماكينتر. لا أملك أي دليل على الإطلاق، لكن لديّ حدسي. ويقول لي حدسي إنه هو من فعلها. لماذا كان هنا؟ من أجل القاضي أم من أجلك؟ لقد قرر ربما قتل عصفورين في حجر واحد. هل لاحظت أي أحد يراقبك، أو يلاحقك، أو التقيت بوجه معين أكثر من مرة واحدة؟ هل لاحظت مصادفة غريبة أن تلتقي دوماً بشخص معين؟" هزت رأسها، وقال لنفسه بضرورة عرض صورة مورغان عليها. "لست أكيداً، لكن حدسي يقول لي إنك جزء من هذا نوعاً ما. يملك مورغان عنوانك على قصاصة ورقية في غرفة فندقه.

وكان أديسون مفتوناً بزوجك، وربما بكِ. أنا قلق بشأن ذلك الملف. أديسون مرتبط بمورغان. ومورغان مرتبط بواترز. ومورغان يملك عنوانك. إنهم أشخاص سيئون. واترز سيئ جداً. لقد قتل هو ورفيقه شخصين، مهما ادعى غير ذلك، من أجل مئتي دولار والقليل من النقود المعدنية. إنه خطير، وأديسون يائس من أجل المال، ومورغان خسيس حقير، وربما هو صلة الوصل بين الرجلين. لدينا تفجير سيارة، وما من مشتبه به محدد، وأظن أن واترز هو من فعلها، رغم أنني لا أستطيع إثبات ذلك". عندما استمع لنفسه، شعر أن شكوكه خطيرة، حتى بالنسبة إليه، وخشي أن يبدو مجنوناً تماماً أمامها. لكنه عرف في قرارة نفسه أنه يوجد خطب ما، خطب كبير، وسيحدث شيء سيئ جداً، وأراد أن ينقل إليها هذه الخطورة. "أظن أن ما يهمني هنا هو أن أديسون بحاجة إلى المال؛ إلى الكثير منه، إلى ثلاثين مليون دولار في وقت قصير قبل أن تغرق سفينته. وأنا قلق بشأن ما قد يفعله هو والآخرون للحصول على هذا المال. لم أحب الملف حول زوجك، ولا الصورة الفوتوغرافية لكِ ولأولادكِ".

"ولماذا يسعى ورائي إذا كان يحتاج إلى المال؟" سألت مع نظرة براءة جعلت ريك هولمكويست يبتسم. إنها امرأة جميلة وأعجبته، إذ بدت إنسانة صريحة ورقيقة، وبدا جلياً أنها تشعر بالارتياح مع تيد، لكنها كانت محمية جداً طوال حياتها بحيث لا تملك فكرة عن نوع الخطر الذي قد يحدق بها. يستحيل عليها تصور الأمر، فهي لم تصادف يوماً في حياتها أشخاصاً مثل واترز، وأديسون، ومورغان.

شرح تيد، "أنتِ تجلسين هنا مثل الجائزة، بالنسبة إلى أشخاص عديمي الضمير مثلهم، أنت بمثابة منجم ذهبي. لقد ترك لك زوجك الكثير من المال، وما من أحد ليحميك. وكل ما يرونه فيك، حسبما أظن، هو كنز من الأموال النقدية يستطيعون استعماله لحل مشاكلهم. إذا تمكنوا من إلقاء القبض عليك، أو على أولادك، فقد يتصورون أن ثلاثين مليون

دولار، أو حتى خمسين، لا تعني شيئاً بالنسبة إليك. يصبح مثل هؤلاء الأشخاص واهمين، ويؤمنون في أوهامهم وقصصهم. إنهم يتحدثون إلى بعضهم البعض في السجن، ويحلمون بأشياء يظنون أنهم يستطيعون تنفيذها. ومن يدري بماذا أخبرهم أديسون، أو بماذا قالوه لبعضهم البعض؟ نستطيع فقط تخيل ذلك. قد يتصورون أن الأمر ليس مهماً بالنسبة إليك، أو أنه لا توجد أية مشكلة في ذلك. فكل ما يعرفونه هو العنف، وإذا كان هذا ما يريدون استعماله للحصول على ما يريدونه، يتصورون أن الأمر يستحق ذلك. لا يفكرون مثلك ومثلي. ربما أديسون لا يعرف ماذا يجول في عقولهم. ففي بعض الأحيان، تخرج الأمور من سيطرة أشخاص مثله، ونجد أنفسنا في المرحلة التالية أمام أذى أو أسوأ. لا أستطيع أن أريك أي شيء حسي لأثبت لك ما أفكّر به، لكني أستطيع أن أقول لكِ إن هناك خطباً ما في هذه الصورة. أصبح هناك فجأة الكثير من السماء على الطاولة، وأظن أن هناك عاصفة تقترب، وربما عاصفة سيئة جداً. لا أحب ما أراه". والأكثر من ذلك، أنه لم يحب ما يشعر به.

"تقول لي إنك تظن أنني والأولاد في خطر؟" أرادت الوصول إلى ذلك مباشرة وسماعه بوضوح منه. فالأمر لا يصدق بالنسبة إليها بحيث احتاجت إلى دقيقة لاستيعابه، وجلست هناك تفكر فيما راقبها الرجلان.

قال تيد ببساطة: "نعم، هذا ما أقوله". أظن أن واحداً من هؤلاء الرجال أو كلهم معاً، وربما مع آخرين، يلاحقونك، وربما إنهم يراقبونك، وأظن أن شيئاً بشعاً جداً قد يحصل. هناك الكثير من المال هنا، وهم لا يرون سبباً لامتلاكك له كله، ويسعدون بالتالي في أخذه منك". لقد فهمته.

نظرت حينها مباشرة إلى عيني تيد وتحدثت بوضوح. "لا يوجد أي شيء".

"شيء من ماذا؟ لا خطر؟" شعر بالأسى في قلبه فيما أدرك أنها لا تصدقه، إنها تظن أنه مجنون.

قالت ببساطة: "لا مال".

"لا أفهم. ماذا تقصدين بلا مال؟" فهي تملك الكثير منه بشكل جلي. أما الآخرون فلا يملكون. إنهم يفهمون ذلك تماماً.

"لا أملك المال. لا شيء. صفر. لقد نجحنا في إبقاء المسألة بعيدة عن الصحافة، إكراماً لزوجي، لكننا لا نستطيع تغطية فشله إلى الأبد. لقد خسر كل المال الذي جناه، في الواقع، كان مديناً بمئات ملايين الدولارات. لقد انتحر، أو سمح بحصول شيء له في المكسيك لأنه لم يستطع مواجهة الأمر. كان عالمه كله على وشك الانفجار ضمنياً، وقد انفجر فعلاً. لم يبقَ أي شيء. أنا أبيع كل شيء منذ أن مات، الطائرة، اليخت، المنازل، التعاونيات، مجوهراتي، التحف الفنية. وسأعرض هذا المنزل للبيع في شهر أغسطس. لا نملك أي شيء. ولا أملك مالاً كافياً في المصرف لأعيش حتى نهاية السنة. قد أضطر إلى إخراج الأولاد من مدارسهم". نظرت إلى تيد بيأس فيما قالت ذلك. لقد عاشت مع الصدمة لوقت طويل، بحيث أصبحت خدرة بعد خمسة أشهر من الخوف المستمر بسبب ذلك. هكذا أصبحت حياتها الآن. إنها تتكيف معها. هذا هو الوضع الذي تركه لها ألان، سواء أعجبها أم لا. وهي لا تزال تفضل لو أنه بقي لها بدل كل المال الذي خسره. إنها لا تهتم بشأن المال، وإنما تفتقده هو كثيراً في الوقت الحاضر. وبالإضافة إلى ذلك، لقد تركها بلا شك في ظروف مأساوية، وبدا تيد مذهولاً.

"هل تقولين لي إنه لا يوجد مال؟ لا استثمارات، لا مال مخبأ في مكان ما، بضعة ملايين في حساب مصرفي سويسري؟" بدا له الأمر مستحيلاً مثلما كان قبلاً بالنسبة إليها.

"أنا أقول لك إننا لا نستطيع شراء الأحذية. أقول لك إنني لن أملك المال لشراء الطعام في شهر نوفمبر. وبعدما أسوّي هذه الفوضى، عليّ العثور على وظيفة. في الوقت الحاضر، أعمل بدوام كامل في تنسيق ما

نبيعه وكيف نفعل ذلك، وكيف نسدد الديون والضرائب وما إلى ذلك. ما أقوله لك، أيها التحري لي، هو أننا لا نملك أي شيء. كل ما بقي لدينا هو هذا المنزل، وإذا كنا محظوظين، يمكن للسعر الذي سنبيعه فيه أن يسدد آخر الديون الشخصية المترتبة على زوجي، إذا كنت محظوظة كفاية في الحصول على سعر كبير له وللأثاث الذي في داخله. سيعلن محاموه الإفلاس على صعيد الأعمال، الأمر الذي ينقذنا من ورطة. لكن رغم ذلك، قد أحتاج إلى سنوات، وإلى الكثير من المحامين الأذكياء الذين لم أعد أستطيع دفع تكاليفهم، للخروج من الورطة. إذا كان السيد أديسون يظن أنه يستطيع الحصول على ثلاثين مليون دولار مني، أو حتى ثلاثين ألفاً، سيخيب أمله كثيراً. ربما يجدر بأحد إبلاغه". قالت، وهي تبدو صغيرة ووقورة جداً فيما جلست على الأريكة.

ما من شيء مثير للشفقة أو حتى محرج فيها. كانت واقعية جداً. وتأثر ريك هولمكويست كثيراً، تماماً مثل تيد. التحدث عن قصة التحول من فقراء إلى أغنياء، ومن ثم من أغنياء إلى فقراء بهذه السرعة. إنها تتحلى برأيهما بروح رياضية كبيرة حيال الموضوع. لم يترك لها زوجها سوى حقيبة واحدة، من دون أي شيء داخلها. ولم تنتقده في أي شيء. بالنسبة إلى تيد، كانت أشبه بقديسة، خصوصاً إذا كان ما تقوله صحيحاً، وبالكاد تملك المال الكافي لإطعام أولادها. إن حاله المادية هو وشيرلي في الوقت الحالي أفضل كثيراً من حالها، وهما يملكان الوظيفة وبعضهما البعض. لكنّ ما أزعجه في الكلام الذي قالته للتو هو أن وضعها أكثر خطورة مما كان يظن. فالعالم يراها على أنها صاحبة ملايين الدولارات، مما يجعلها هدفاً تلقائياً، فيما لا تملك في الواقع أي شيء، الأمر الذي سيجعل شخصاً ما مجنوناً وحتى أكثر عنفاً، إذا تم إلقاء القبض عليها أو على الأولاد.

قالت ببساطة: "إذا قام أحد بخطفي أنا أو الأولاد، لن يحصل على عشرة سنتات، ما من شيء لدفعه. وما من أحد ليدفع. فأنا والآن لم نكن

نملك أية عائلة لتتحدث باسمنا، باستثناء بعضنا البعض، ولا يوجد مال في أي مكان. صدقني، لقد استطلعت جيداً. يمكنهم الحصول على منزلي، لكن هذا كل شيء. لا مال نقدي". لم تقدم أية ذرائع لذلك، ولم تعتذر على ذلك. وجد تيد أنه أحب لباقتها الهادئة، بقدر ما أحب وقارها فيما كان يصغي إليها. "أظن أننا لم ننجز لأنفسنا معروفاً حين أبقينا الأمر سراً عن الصحافة. لكنني ظننت أنني أدين بذلك لألان، لأطول وقت ممكن. الرسالة التي تركها كانت يائسة جداً ومليئة بالعار. أردت الحفاظ على أسطورته لأطول وقت ممكن. لكن في النهاية، ستظهر الحقيقة. سريعاً جداً حسبما أظن. فما من طريقة لإبقاء الأمر سراً. لقد خسر كل شيء. لقد جازف بكل شيء في صفقات سيئة، وقام ربما ببعض الافتراضات والحسابات المريعة. لا أعرف ماذا حصل. ربما فقد صوابه، أو بصيرته، أو خطر كل شيء في باله، أو ظن أنه لا يقهر. لكنه لم يكن كذلك. ما من أحد كذلك. لقد ارتكب بعض الأخطاء المريعة". كان هذا كلاماً مهذباً، على اعتبار أنه ترك زوجته وأولاده من دون فلس واحد، مع دين بمئات الملايين. لقد وقع في حفرة كبيرة. وهي من يدفع مع الأولاد ثمن ذلك. احتاج تيد إلى بضع دقائق لاستيعاب الأمر، ومضاعفات ذلك عليها، خصوصاً في الوقت الحاضر.

"ماذا عن الأولاد؟" سأل تيد وهو يحاول ألا يبدو مذعوراً جداً بقدر ما كان يشعر. "هل من بوليصة تأمين على الخطف لهم أو لك؟" عرف أن مثل هذه البوالص موجودة، وافترض أنها كانت من ابتكار لويدز لندن. لكنه عرف أيضاً أن أشخاصاً مثل ألان يشتركون في مثل هذه البوالص، في حال تعرضوا هم أو أحد أفراد عائلاتهم للخطف. وتوجد حتى بوالص تأمين ضد الابتزاز.

"لا يوجد أي شيء. لقد انتهت صلاحية كل بوالص التأمين لدينا. لا نملك حتى بوليصة تأمين صحي في الوقت الحاضر، رغم أن محاميّ

يحاول الحصول عليها لنا. وقالت لنا شركة التأمين إنها لن تدفع بوليصة التأمين على حياة ألان. فالرسالة التي تركها مخزية جداً، وتجعل الوفاة تبدو وكأنها انتحار، وهذا ما نفترض أنه حصل. عثرت الشرطة على الرسالة. ولا أظن أننا كنا نملك يوماً بوليصة تأمين على الخطف. لا أظن أن زوجي كان يعتقد أنه مهدد". الله يعلم أنه كان يجدر به ذلك، قال تيد لنفسه، وكرر ريك بصمت أفكاره نفسها. فمع كمية المال التي جناها، وبطريقة علنية جداً، كانوا معرضين للخطر من كل النواحي. حتى فرناندا والأولاد. عائلته هي حصنه غير المنيع، كما هي الحال مع أي شخص في موقعه. لكنه لم يلاحظ الأمر على ما يبدو، مما جعل تيد يشعر فجأة بالغضب، رغم أنه لم يظهر ذلك. لكنه لم يحب أي شيء من الذي سمعه، لمجموعة من الأسباب، وكذلك كان الأمر مع ريك هولمكويست.

قال تيد بهدوء: "سيدة بارنز، أظن أن هذا يجعلك في خطر أكبر. فبرأي هؤلاء الأشخاص أو أي شخص آخر، تبدين وكأنك تملكين الكثير من المال. يمكن لأي كان أن يفترض ذلك. لكنك في الواقع، لا تملكين المال. أظن أنه كلما أسرعنا في نشر هذه المسألة علناً، كان الأمر أفضل بالنسبة إليك. رغم أن الناس قد لا يصدقون ذلك. وأظن أن معظم الأشخاص لن يصدقوا. لكن في الوقت الحاضر، تعيشين أسوأ الظروف على الإطلاق. تبدين مثل هدف أساسي، ولا تملكين في المقابل أي شيء لحمايتك. وأظن أن الخطر هنا حقيقي جداً. فهؤلاء الرجال يضمرون شيئاً ما. لا أعرف ماذا، لا أعرف حتى كم هو العدد المشترك في العملية، لكنني أظن أنهم يحضرون لشيء ما. إنهم ثلاثة رجال سيئون جداً، ومن يدري من هم الأشخاص الآخرين الذين ينسقون معهم. لا أريد أن أخيفك، لكنني أظن أنك وأولادك في خطر حقيقي". جلست فرناندا بهدوء تام لبرهة طويلة، تنظر إليه، وتحاول أن تكون شجاعة، وللمرة الأولى، بدأت قوة الهدوء لديها بالتصدع، وامتلأت عيناها بالدموع.

قالت بهمس: "ماذا سأفعل؟" فيما بقيت الموسيقى تصدح بصوت عالٍ في الأعلى، ونظر إليها الرجلان بانزعاج، وهما غير واثقين مما يمكن فعله لها. إنها في فوضى كبيرة. بسبب زوجها. "ما الذي أستطيع فعله لحماية أولادي؟"

أخذ تيد نفساً عميقاً. عرف أنه يتحدث انطلاقاً من اندفاعه، إذا لم يتحدث إلى النقيب بعد، لكنه شعر بأسف كبير عليها، ووثق في حدسه. "هذه مهمتنا. لم أتحدث بعد إلى النقيب. جئنا أنا وريك مباشرة إلى هنا من مكتب التحقيقات الفدرالي. لكنني أودّ وضع اثنين من رجال هنا في تصرفك لأسبوع أو اثنين، إلى أن نتحقق من الأمر أكثر، ونرى ماذا سيفعلون. قد يكون كل هذا وهماً من قبلي. لكنني أظن أنه من الأفضل إبقاءك تحت الحراسة. سأرى ما هو رأي النقيب حيال ذلك، لكنني أظن أننا نستطيع وضع رجلين لهذه المهمة. لديّ إحساس بأن شخصاً ما يراقبك". أومأ ريك برأسه. إنه يوافقه الرأي. "ماذا عنك؟" التفت تيد إليه وبدا ريك منزعجاً. "أديسون هو رجلك". فمكتب التحقيقات الفدرالي يحقق معه، الأمر الذي يعطي ريك السلطة التي يحتاج إليها، وهو يعرف مع تيد ذلك تماماً. "هل تستطيع تخصيص عميل لأسبوع أو اثنين، لمراقبة المنزل والأولاد؟" تردد ريك ثم أومأ برأسه. في حالته، يعود القرار إليه هو. يستطيع فصل رجل واحد. أو ربما اثنين.

"لكنني لا أستطيع تبرير الأمر لأكثر من أسبوع أو أسبوعين. دعونا نرى ماذا سيحصل". فهي شخصية مهمة في النهاية، وكان زوجها رجلاً مهماً. والأكثر أهمية هو أن أديسون حوت كبير بالنسبة إليهما، إذا لم يستطيعا كشفه والتثبت من تورطه في نوع من التآمر. لقد حصلت أشياء أكثر غرابة في حياتهما كمحققين. وكان تيد مقتنعاً بأنه على حق. وكذلك كان ريك.

"أريد التأكد من أنه لا يوجد أحد يتعقبك أنتِ أو الأولاد". أومأت برأسها. فجأة، بدأت حياتها تتحول إلى كابوس أسوأ من ذلك الذي عاشته

منذ موت ألان. لقد رحل ألان. وثمة أشخاص أشرار يتعقبونها. الأولاد معرضون لخطر الخطف. لم تشعر أبداً من قبل أنها تائهة وضعيفة إلى هذا الحدّ، حتى عندما مات ألان. شعرت فجأة بقدر مشؤوم يسيطر عليها، كما لو أنها لا تستطيع فعل أي شيء لحماية عائلتها، وأصيبت بالذعر لفكرة أن أحداً من أولادها أو كلهم سيصابون بالأذى، أو أسوأ. لقد حاولت عبثاً السيطرة على نفسها، لكن رغم جهودها الكبيرة، انهمرت الدموع على وجنتيها، وبدا تيد متعاطفاً معها.

سألت عبر دموعها، "ماذا عن ذهاب ويل إلى المخيم؟ هل يستطيع ذلك؟"

سأل تيد بهدوء، "هل يعرف أحد إلى أين يذهب؟"

"أصدقاؤه فقط، وأحد أساتذته".

"هل كتب أي شيء عن ذلك في الصحف؟" هزّت رأسها. ما من سبب للكتابة عنهم بعد الآن. لقد تخلت عن كل شيء تقريباً خلال خمسة أشهر، وانتهت مهنة ألان المذهلة. لم يعودوا حتى أخباراً قديمة، بل أصبحوا لا شيء من الأخبار، وارتاحت هي لذلك. لم تستمتع أبداً بذلك، ولن تفعل ذلك الآن. لقد حذرها جاك واترمان قبلاً من أنه سيكون هناك الكثير من الكلام السيئ في الصحافة، والفضول حولهم، حين تخرج إلى العلن أخيراً أخبار الكارثة المالية التي مني بها ألان، وكانت تحضر نفسها لذلك. رأى المحامي أن الفضيحة ستحصل في الخريف. "أظن أنه يستطيع الذهاب". قال تيد إجابة على سؤالها بشأن ذهاب ويل إلى المخيم. "لكن عليك تحذيره هو والمخيم بضرورة توخي الحذر. وإذا سأل أحد عنه، أو ظهر غرباء، أو أشخاص يدعون أنهم أقرباء أو أصدقاء، فعليهم أن يقولوا إنه غير موجود، والاتصال بنا على الفور. عليك التحدث مع ويل قبل أن يغادر". أومأت برأسها، وأخرجت منديلاً ورقياً من جيبها، ومسحت أنفها. إنها تحتفظ دوماً بمناديل ورقية في جيوبها لأنها تعثر دوماً على شيء ما

في درج أو خزانة يذكرها بألان. مثل أحذية الغولف الخاصة به، أو دفتر ملاحظاته، أو قبعته، أو رسالة كتبها قبل أعوام عدة. بدا المنزل مليئاً بالأسباب الموجبة للبكاء. "ماذا عن ابنتك الذاهبة إلى تاهو؟ مع من هي ذاهبة؟"

"مع صديقة من المدرسة وعائلتها. أعرف الأهل. إنهم أشخاص لطفاء".

"جيد. إذاً دعيها تذهب. سنطلب من الشرطة في تلك المنطقة تخصيص مراقبة لهم. يمكنهم وضع رجل واحد مع سيارة خارج منزلهم. من الأفضل ربما إرسالها إلى هناك. فهذا يعطينا ضحية أقل للقلق بشأنها". أجفلت فعلياً حين لفظ الكلمة أمامها، وبدا تيد معتذراً. برأيه، أصبحت هذه قضية الآن، أو قضية محتملة، وليست مجرد عائلة أو شخص. وكان ريك يُفكّر بالطريقة نفسها أيضاً. بالنسبة إليه، هذه فرصة مؤاتية لإلقاء القبض على فيليب أديسون وإقفال ملفه. وبالنسبة إلى فرناندا، إنها مسألة أولادها فقط. لم تكن حتى تُفكّر في نفسها. وكانت خائفة، أكثر من أي وقت مضى في حياتها. عرف تيد ذلك بمجرد النظر إليها، واستفسر "متى يغادرون؟" وقد بدأت الأفكار تتسابق في رأسه. أراد فصل رجلين للتحقق من الشارع بأسرع وقت ممكن. أراد أن يعرف ما إذا كان يوجد رجال داخل السيارات المركونة، وإذا كان الجواب نعم، من يكونون.

"ماذا عنكِ أنتِ وسام؟ هل ستذهبان إلى أي مكان؟ هل من مشاريع؟"

"مخيم نهاري فقط له". لا تستطيع دفع تكاليف أكثر من ذلك. فمخيم ويل كان مكلفاً جداً، لكنها لم تشأ حرمانه من ذلك. لا يعرف أي من أولادها فداحة كارثتهم المالية، رغم أنهم يعون تماماً أن الأمور أصبحت أقل وفرة مما كانت قبلاً. ما زال يتوجب عليها شرح المضاعفات الكاملة لذلك أمامهم، لكنها كانت تنتظر فعل ذلك عند عرض المنزل للبيع. بعد ذلك، عرفت أن السقف سينهار. في الواقع، لقد بدأ ينهار. لكن الأولاد لا يعرفون ذلك.

قال تيد بعناية: "لست متحمساً لهذه الفكرة، سنرى كيف ستحصل الأمور. متى يغادر الولدان الآخران؟"

"ويل سيغادر غداً. وآشلي بعد غد".

قال تيد بقساوة: "جيد". إنه يتطلع إلى رحيلهما وتقليص عدد الأهداف المحتملة. سيذهب نصفهم. نظر حينها إلى ريك. "سأفصل رجالاً في ثياب مدنية لهذه القضية، أم يجدر بنا استعمال رجال في ثياب رسمية؟" عرف ما إن قال ذلك أنه يسأل الرجل الخطأ. فهما يختلفان دوماً حول مفهوم حماية الضحايا المحتملين. تفضل الشرطة جعل الحماية مرئية، بهدف إخافة المجرمين، فيما يفضل مكتب التحقيقات الفدرالي التخفي لإيقاع المجرمين في الفخ. لكن في هذه الحالة، أراد أن يعرف ما إذا كان المشتبه بهم سيفعلون ذلك، ومال للموافقة على نظريات ريك في هذا الموضوع، إلى حدٍ ما. كان يُفكّر أصلاً في الأمر حين تحدثا في المنزل.

سألت فرناندا، "هل هذا يهم؟" وهي مرتبكة نتيجة كل ما يحصل. كان رأسها يدور بسرعة.

قال تيد بهدوء: "نعم، إنه مهم، يمكن أن يشكل فرقاً كبيراً. فقد نتوصل إلى نتائج أسرع إذا استعملنا رجالاً في ثياب مدنية". فهمت النقطة.

"بحيث لا يعرف أحد أنهم من الشرطة؟" أومأ برأسه. بدا الأمر مرعباً بالنسبة إليها.

"لا أريد أن يذهب أيٍ منكم إلى أي مكان قبل أن أعيّن رجلين لهذه القضية. ربما في وقت متأخر من الليلة. هل لديك مشاريع للخروج؟"

"كنت سآخذ الأولاد لتناول البيتزا. يمكننا البقاء في المنزل".

قال تيد بحزم: "أريدك هنا، سأتصل بك ما إن أتحدث مع النقيب. أتمنى أن أنجح في إرسال رجلين إلى هنا قبل منتصف الليل". تحول الأمر إلى عمل.

"هـل سينامان هنا؟" بدت مذهولة. لم تفكر في ذلك، فيما ضحك تيد وابتسم ريك.

"لا. نحتاجهما إلى البقاء مستيقظين ومدركين لما يحدث. لا نريد أن يتسلق أحد إلى نوافذك، فيما الجميع نيام". سألها، "هل لديك جهاز إنذار". لكن بدا جلياً أنهم يملكون واحداً، وأومأت هي برأسها. "استعمليه حتى يصل الرجلان إلى هنا". ثم التفت إلى ريك. "ماذا عنك؟"

"سأرسل عميلين في الصباح". لن تحتاج إليهما قبلاً إذا وصل رجلا تيد. وعليه فصل رجلين عن مهامهما الأخرى، واستبدالهما بآخرين، الأمر الذي يستغرق بعض الوقت. التفت حينها إلى فرناندا، وبدا التعاطف في عينيه. بدت مثل امرأة لطيفة، وشعر بالأسف عليها، مثلما فعل تيد. يعرف كيف تكون الأوضاع القاسية مثل هذه. لقد شاهد الكثير منها، خلال عمله في الشرطة ومع مكتب التحقيقات الفدرالي. ضحايا محتملون، وحماية شهود. قد تكون النتيجة بشعة، وغالباً ما تكون كذلك. أمل ألا يحصل ذلك معها. لكنّ هذا الخطر موجود دوماً. "يعني هذا أن أربعة رجال سيكونون معك، اثنان من الشرطة، واثنان من مكتب التحقيقات الفدرالي. يفترض أن يبقيك ذلك في أمان. وأظن أن المحقق لي محق بشأن الولدين الآخرين. من الجيد إبعادهما عن هنا".

أومأت برأسها، وطرحت السؤال الذي كان يعذبها طوال النصف ساعة الماضية. "ماذا يحدث إذا حاولوا خطفنا؟ كيف سيفعلون ذلك؟"

تنهد تيد. يكره الإجابة عن سؤالها. ثمة شيء مؤكد. إذا أرادوا المال منها، لن يقتلوها، لكي تتمكن من دفع الفدية. "ربما سيحاولون أخذك بالقوة، تحضير كمين لكِ أثناء قيادة السيارة، أو خطف ولد إذا كان أحد منهم معك. أو الدخول إلى المنزل. لكنّ هذا لن يحصل على الأرجح في حال وجود أربعة رجال معك طوال الوقت". وإذا حصل، يعرف من خبرته أن شخصاً ما سيقتل، إما من الشرطة أو من الخاطفين، أو الاثنين معاً. لكنه أمل ألا

تكون هي أو ولد من أولادها الضحية. فالرجال المكلفون بالعملية يكونون مدركين تماماً للخطر الذي يجازفون به. هذا جزء من العمل بالنسبة إليهم، وهم يفعلون ذلك لكسب عيشهم.

نظر ريك إلى تيد حينها. "نحتاج إلى بصمات وشعر من الأولاد قبل أن يغادروا". قال هذا بأكبر لطافة ممكنة، لكن ما من شيء لطيف البتة في ما قاله، وبدت فرناندا مذعورة.

"لماذا؟" لكنها عرفت. فالأمر جلي حتى بالنسبة إليها.

"نحتاج إليها للتعرف على الأولاد إذا اختطفوا. ويجدر بنا الحصول على بصماتك وشعرك أيضاً". قال باعتذار، عندها تدخل تيد.

وقال بهدوء: "سأرسل شخصاً اليوم في وقت لاحق". فيما تسابقت الأفكار في عقل فرناندا. هذا يحدث فعلاً معها، ومع أولادها. هذا أبعد من التصور، ولم تستوعب الأمر تماماً بعد، وتساءلت ما إذا كانت ستفعل ذلك يوماً. ربما هما واهمان. قد يكونان مجنونين ويفعلان ذلك منذ وقت طويل. أو الأسوأ على الإطلاق، قد يحدث ذلك فعلاً وقد يكونان محقين. ما من سبيل للتأكد. "سأرسل شخصاً فوراً إلى الشارع للتحقق من لوحات السيارات". قال وهو يوجه الكلام إلى ريك أكثر مما يوجهه إليها. "أريد أن أعرف من يوجد في الخارج". أومأ ريك برأسه. وتساءلت فرناندا ما إذا كان يوجد فعلاً أشخاص يراقبونها هي أو المنزل. لم تعد تفهم أي شيء.

بعد فترة وجيزة من ذلك، وقف الرجلان. نظر تيد إليها ولاحظ بسهولة كم هي متوترة. بدت وكأنها مصدومة. "سأتصل بك بعد قليل، وأبلغك بما يحصل وما يمكن توقعه. في غضون ذلك، أقفلي الأبواب، وشغلي جهاز الإنذار، ولا تسمحي للأولاد بالخروج. لأي سبب كان". فيما قال ذلك، سلّمها بطاقته. لقد أعطاها واحدة قبلاً، لكنه عرف أنها ربما تكون قد اضاعتها، وهذا ما حصل فعلاً. إنها في درج في مكان ما، ولم تستطع العثور عليها. لم تظن أنها قد تحتاج إليها. "إذا حصل أي شيء غير

اعتـيادي، اتـصلي بـي على الفور. رقم هاتفي الخلوي مدون هنا. ورقم جهـازي. سأتـصل بـك بعد ساعات قليلة". أومأت برأسها، عاجزة عن إجابـته، ورافقـتهما إلى الباب الأمامي. صافحها الرجلان، وفيما خرج، التفت تيد للنظر إليها مع تعبير مطمئن. لم تكن لديه الشجاعة للمغادرة من دون قول شيء لها. قال بنعومة: "سيكون كل شيء على ما يرام". ثم لحق بريك على السلالم فيما أغلقت هي الباب وراءهما، وشغلت جهاز الإنذار.

حين خرجا من المنـزل، شاهدهما بيتر مورغان وهما يغادران ولم يكتـرث كثيـراً للأمـر. هذه أول تجربة له في المراقبة، وهذا من حسن حظهمـا. كان واترز ليشتم الرائحة بعد خمس ثوانٍ من رؤيتهما، لكن بيتر لم يفعل.

دخل ريك إلى سيارة تيد مجدداً، ونظر إلى رفيقه بذهول. "يا الله، هل تـصدق أن شخصاً يمكن أن يخسر هذا القدر من المال؟ قالت الصحف إن ثروته تساوي نصف مليار دولار، ولم يكن ذلك منذ وقت طويل، منذ عام أو عامين ربما. لا بد أن الرجل كان مجنوناً".

قال تيد وهو يبدو غير سعيد: "نعم، أو معتوه غير مسؤول. إذا كانت تقـول الحقيقة" – ولم يكن لديه سبب يدفعه إلى الاعتقاد بأنها كانت تكذب علـيه، إذ لا تـبدو أنها من هذا النوع من الأشخاص – "تكون في ورطة كبيرة. خصوصاً مع ملاحقة أديسون ورجاله لها، إذا كانوا يفعلون ذلك. لن يصدقوا أنها مفلسة".

قال ريك بتأمل: "وماذا بعد؟"

"ستـصبح الأمـور بشعة". بعدها، وهما يعرفان تماماً ذلك، تنتشر فرق المكافحة، وتبدأ مفاوضات الخطف، وتكتيكات الكوماندوس. أمل ألا يصلوا أبداً إلى هذه المرحلة. فإذا كان يجري التحضير فعلاً لشيء ما، سيفعل تيد لي كل ما بوسعه لوقفه. قال لهولمكويست مع ابتسامة عريضة: "سيظن النقيب أننا كنا نتعاطى الحشيشة، يبدو أنه كلما اجتمعنا معاً، نتوصل إلى شيء ما".

قال ريك: "لا شك في أنني أشتاق لذلك". ثم شكره تيد على تخصيص اثنـين من عملائه للمراقبة. عرف أنه لا يستطيع فصلهما لفترة طويلة، إذا لـم يحـدث أي شـيء. لا يعرف تيد، لكن لديه إحساس بأن شيئاً سيحدث قـريباً. وقـد يكون توقيف أديسون في اليوم السابق جعلهم قلقين، أو حتى خائفـين. لديه إحساس أيضاً بأن مغادرة أديسون للبلاد لها علاقة بذلك. إذا كانت هذه هي الحال، فسيحدث شيء ما خلال يومين، أو في أي وقت بعد ذلك، وربما سريعاً جداً.

أوصل تيد ريك إلى مكتبه، وبعد نصف ساعة، دخل إلى مكتبه.

سـأل سـكرتيرة الـضابط الأعلـى، وهي فتاة جميلة ترتدي البزة الزرقاء، "هل النقيب موجود؟" وأومأت برأسها.

همست له، "إنه في مزاج سيئ جداً".

قـال لهـا تيد مع ابتسامة عريضة: "جيد. وأنا أيضاً". ودخل إلى مكتبه.

نـزل ويل السلالم مسرعاً من غرفته، ووصل إلى الباب الأمامي. كانت فرناندا أمام مكتبها، وأوقفته في الحال.

"توقـف! جهـاز الإنذار قيد العمل". صرخت له، بصوت أعلى من الحاجة، وتوقف هو في أرضه وبدا مذهولاً.

"هـذا غـريب. سأخرج فقط لدقيقة واحدة. أحتاج إلى إحضار واقي الـوجه مـن السيارة". لقد تركت السيارة في ممر المنـزل حين وصلت، وعـرفت أنهـا لن تستطيع الخروج إلى السيارة قبل أن تصل الشرطة في وقت ما من هذه الليلة.

قالت بحزم: "لا يمكنك". ونظر إليها ويل بغرابة.

"هـل مـن مـشكلة أمي؟" لاحظ أنه توجد مشكلة، فيما أومأت هي برأسها، وملأت الدموع عينيها.

"نعم... لا.... في الواقع، هناك مشكلة. عليّ التحدث إليك أنت وآش وسام".

كانت تجلس أمام مكتبها، تحاول تصوّر ما يجب قوله لهم، ومتى. كانت لا تزال تحاول استيعاب ما حصل، أو قد يحصل، وكل ما سمعته من تيد وريك. يصعب عليها استيعاب كل ذلك، وسيكون الأمر أصعب على أولادها. فهم لا يحتاجون إلى ذلك أكثر مما تفعل هي. لقد شهدوا ما فيه الكفاية خلال الأشهر الستة الماضية، وكذلك الأمر بالنسبة لها. لكن كل ما تستطيع فعله الآن هو النظر إلى ويل. لا جدوى من تأجيل الموضوع. عليها إخبارهم. وبدا أن الوقت قد حان الآن، إذ اكتشف ويل للتو أن هناك أمراً ما. قالت بصرامة: "هلاّ صعدت إلى الأعلى وأنزلتهما، حبيبي. علينا عقد اجتماع عائلي"، وكادت تختنق عند لفظ الكلمات. فآخر اجتماع عائلي عقدوه كان حين توفي والدهم وتوجب عليها نقل الخبر إليهم. ولم يغب عن بال ويل تأثير ما قالته للتو. نظر إليها، والرعب في عينيه، ومن دون كلمة أخرى، استدار وصعد السلالم للعثور على أخته وأخيه، فيما جلست فرناندا ترتعش حيث هي. كل ما تهتم له الآن هو إبقاؤهم بأمان. وصلّت أن تتمكن الشرطة مع مكتب التحقيقات الفدرالي من فعل ذلك.

الفصل الثالث عشر

جرى اجتماع فرناندا مع أولادها مثلما كان يفترض أن يجري في تلك الظروف. نزلوا السلالم، ودخلوا إلى غرفة الجلوس بعد خمس دقائق من إرسالها ويل لإحضار سام وآشلي، بعدما تشاوروا قليلاً في غرفة نوم سام عن المشكلة المحتملة. أخيراً، طلب منهما ويل النزول إلى الطابق السفلي، وهكذا فعلوا، فنزلوا السلالم، وفق ترتيب العمر، فمشى ويل أولاً. بدا القلق عليهم جميعاً، وكذلك على أمهم التي كانت تنتظرهم.

انتظرت حتى جلس سام وآش على الأريكة، فيما جلس ويل على الكرسي الذي كان مفضلاً عند والده. بدأ يستعمل هذا الكرسي بشكل غريزي ما إن غاب ألان. أصبح هو رجل العائلة الآن، وبذل ما بوسعه عند الإمكان ليقوم بدور والده.

سأل ويل بهدوء، "ما المشكلة، أمي؟" فيما نظرت فرناندا إليهم، غير واثقة من أين تبدأ. هناك الكثير من الأشياء التي يجب قولها، وما من شيء جيد فيها.

قالت بصراحة: "إنني لست واثقة". أرادت إخبارهم قدر ما تستطيع من الحقيقة. عليهم أن يعرفوا، أو هذا ما قاله تيد على الأقل. ورأت أنه محق. فإذا لم تحذرهم من الخطر المحتمل، فقد يجازفون بمخاطر لا يدرون بها. "قد لا يكون الأمر شيئاً"، حاولت طمأنتهم، وفيما قالت الكلمات، شعرت آشلي فجأة الذعر، وخافت أن تكون أمها مريضة. إنها كل من بقي لهم الآن. لكن ما إن تابعت أمهم الكلام، عرفوا أن المشكلة ليست هكذا.

رأت فرناندا أن الأمر أسوأ. "قد لا يحصل أي شيء من هذا". بدأت مجدداً، فيما راحت للحظات تتلفظ بعبارات غير مفهومة مما أرعبهم جميعاً، "لكن الشرطة كانت هنا للتو. يبدو أنهم اعتقلوا شخصاً البارحة يظنون أنه رجل سيئ وشخص محتال. لديه ملف كبير عن والدكم بما في ذلك صور لنا جميعاً. ويبدو أنه كان مهتماً كثيراً بنجاح والدكم" - ترددت قليلاً - "ومالنا". لم تشأ إخبارهم الآن أنهم لم يعودوا يملكون شيئاً منه. يبدو أن لديهم ما يكفي من المشاكل في الوقت الحاضر، ولا يزال هناك وقت لإخبارهم عن وضعهم المالي. "عثروا أيضاً في مكتبه على اسم ورقم هاتف رجل خرج للتو من السجن. لا أعرف لا أنا ولا والدكم أياً من هذين الشخصين". طمأنتهم، رغم أن الأمر بدا جنونياً، حتى بالنسبة إليها، فيما قالت ذلك. حدّق فيها الأولاد مذهولين، من دون تعليق أو تعبير. فالقصة غريبة جداً بالنسبة إليهم، وغير مألوفة، ليتخيلوا العواقب. "ذهبوا لتفتيش غرفة فندق الرجل الذي خرج من السجن، وعثروا على اسم ورقم هاتف رجل آخر، يعتقد أنه خطير جداً، وهو أيضاً خرج للتو من السجن. لا يعرفون ما هو الرابط الموجود بين هؤلاء الرجال الثلاثة. لكن يبدو أن الرجل الذي اعتقله مكتب التحقيقات الفدرالي يواجه الكثير من المشاكل، ويحتاج إلى الكثير من المال. وعثروا أيضاً على عنواننا في غرفة الفندق التي يسكن فيها أحد هؤلاء الرجال. وما تخشاه الشرطة" - ابتلعت ريقها بصعوبة، محاولة إبقاء صوتها ثابتاً بجهد كبير - "ما تخشاه هو أن الرجل الذي تم اعتقاله قد يحاول خطف أحدنا للحصول على المال الذي يحتاج إليه". هذا باختصار ما أود إخباركم به. حدّق الأولاد فيها للحظة لامتناهية.

"ألهذا السبب شغلتِ جهاز الإنذار؟" نظر إليها ويل بغرابة. بدت القصة كلها لا تصدق حين تسمعها، أو تحاول إخبارها.

"نعم. سترسل الشرطة رجلين لحمايتنا، وكذلك سيفعل مكتب التحقيقات الفدرالي، لبضعة أسابيع فقط، إلى أن يروا ما إذا سيحدث أي

شيء. قد تكون نظريتهم خاطئة، وقد لا يرغب أحد في إيذائنا. لكنهم يريدون منا أن نتوخى الحذر وسيبقون معنا لبعض الوقت".

"في المنزل؟" بدت آشلي مذعورة، فيما أومأت أمها برأسها. "هل ما زلت أستطيع الذهاب إلى تاهو؟" ابتسمت فرناندا للسؤال. على الأقل، ما من أحد يبكي. شكت في أنهم لم يفهموا الأمر تماماً. حتى بالنسبة إليها، بدا الأمر أشبه بفيلم بشع، فيما أومأت برأسها لآشلي.

"نعم، يمكنكِ الذهاب. تظن الشرطة أنه من الجيد أن تبتعدي عن المدينة. لكن عليك توخي الحذر، والانتباه من الغرباء". لكنها تعرف أن العائلة التي ستذهب معها آشلي حذرة ويقظة جداً، ولهذا السبب وافقت على ذهابها معهم. وستتصل بهم، وتحذرهم مما قد يحصل قبل مغادرة آشلي.

"لن أذهب إلى المخيم". قال ويل فجأة بصرامة، مع نظرة قلق نحو أمه. لقد فهم الأمر. أكثر من الآخرين. لكنه أكبر سناً. وهو يؤدي دور الحامي الآن، في غياب والده. لم تشأ فرناندا أن تحمّله هذا العبء. ففي عمر السادسة عشرة، ما زال يحتاج إلى الاستمتاع بآخر مرحلة الطفولة.

قالت بحزم: "بلى، ستذهب، أظن أنه يجدر بك ذلك. إذا حصل أي شيء، أو ساءت الأمور هنا، سأتصل بك. أنت أكثر أماناً هناك، وستصاب بالجنون إذا بقيت في المنزل معي ومع سام. لا أظن أننا سنفعل الكثير خلال الأسابيع القليلة المقبلة إلى أن تتضح الأمور أو يفهموا تماماً ماذا يجري. ستكون أفضل حالاً في المخيم وأنت تلعب اللاكروس". لم يجب ويل فيما جلس على الكرسي، متململاً. أما سام فكان يراقب تفاعلاتها.

سألها بصراحة، "هل أنتِ خائفة أمي؟" وأومأت برأسها.

"نعم، أنا خائفة، نوعاً ما". وهذا تصريح مخفف. يبدو الأمر مخيفاً. لكنّ الشرطة ستحمينا سام، سيحموننا جميعاً. لن يحصل أي شيء". لم تكن واثقة بقدر ما بدت، لكنها أرادت طمأنتهم.

ســألها باهــتمام، "هل سيحمل رجال الشرطة الأسلحة أثناء وجودهم هنا؟"

"أظن ذلك". لم تشرح نظرية مخاطر الحصول على حماية من رجال شــرطة يــرتدون البذلة الرسمية أو الثياب العادية، واستعمالهم بمثابة طعم حــي لإلقاء القبض على المجرمين بصورة أسرع. "سيصلون إلى هنا في منتصف الليل. وقبل ذلك الوقت، لا يمكننا الخروج، على الإطلاق. وجهاز الإنذار قيد العمل. علينا توخي الحذر".

سأل سام، "هل يجدر بي الذهاب إلى المخيم النهاري؟" وهو يأمل أن يكون الجواب لا، لأنه لم يكن متحمساً له على كل حال، وقد غيّر رأيه في الموضــوع. أحب فكرة الرجال الذين يحملون الأسلحة حول المنــزل. بدا له هذا الجزء ممتعاً.

"لا أظــن أنه يجدر بك الذهاب إلى المخيم، سام. سأفعل وإياك الكثير من الأشياء هنا". يمكنهما الذهاب إلى المتاحف وحدائق الحيوانات، وإنجاز بعــض المشاريع الفنية، أو الذهاب إلى متحف الفنون الجميلة، لكنها أرادته أن يبقى معها. بدا مسروراً.

"يــاي!" قــال وهو يرقص حول الغرفة، فيما حدّق فيه ويل بغضب وطلب منه الجلوس.

"ألا تــدركان مــا يعنــيه ذلــك؟ كل ما تفكران به هو تاهو والمخيم النهاري. يريد أحد خطفنا أو خطف أمي. ألا تدركان كم هذا مخيف؟" كان ويل غاضباً بالفعل، وبعدما صعد الآخران إلى الأعلى، وقد هدأت انفعالاته نوعاً ما، تناقش مع أمه مجدداً. "لن أذهب إلى المخيم، أمي. لن أتركك هنا لمجرد أن ألعب اللاكروس طوال ثلاثة أسابيع". إنه ناضج كفاية، في عمر السادسة عشرة، وقد اقترب الآن من السابعة عشرة، لكي تكون أمه صادقة معه قالت له والدموع في عينيها: "ستكون أكثر أماناً هناك، ويل. يريدونك أن تكــون هــناك. وآش في تاهو. سنكون أنا وسام بخير مع أربعة رجال

يقومــون بحمايتــنا. أُفــضّل أن تبــتعدا كي لا أقلق بشأنكما أيضاً". كانت صــريحة معــه قــدر الإمكان، وهذا صحيح. قد يضيع في خليط الصبية الآخــرين في المخيم، وسيكون آمناً هناك. وستكون آشلي محمية في تاهو. كل ما عليها القلق بشأنه الآن هو سام. ولد واحد بدل ثلاثة.

"مــاذا عنكِ؟" بدا قلقاً فعلاً عليها، ووضع ذراعه حول كتفيها، الأمر الذي دفع بالدموع إلى عينيها مجدداً، فيما صعدا السلالم معاً متوجهين إلى غرفته.

"ســأكون بخير. لن يتعرض لي أحد". بدت واثقة جداً من ذلك بحيث تفاجأ.

"ولمَ لا؟"

"يريدون مني أن أدفع الفدية، وإذا اختطفوني، لن يستطيع أحد دفعها". إنها فكرة مرعبة، لكنهما عرفا جيداً أنها صحيحة.

"هل سيكون سام بخير؟"

"مــع أربعــة رجــال شرطة لحمايته، لا أتخيل أنه لن يكون بخير". حاولت الابتسام بشجاعة من أجل ويل.

"كيف حصل ذلك، أمي؟"

"لا أعــرف. حــظ سيئ حسبما أظن. نجاح والدك. إنه يمنح بعض الأشخاص الكثير من الأفكار المجنونة".

"هــذا مقرف جداً". بدا مذعوراً جداً وكانت تخشى نتيجة تعرّض أي مــنهم لمثل هذا القدر من المخاوف والخطر، لكن طالما أن الأمر يحصل معهــم، أو يمكــن أن يحــصل، فعليهم أن يعرفوا. ليس لديها خيار سوى إخبارهم. وهي فخورة بطريقة استيعابهم للمسألة. خصوصاً ويل.

وافقته الرأي، "نعم، هذا مقرف، هناك الكثير من الأشخاص المجانين فــي العــالم حسبما أظن، والأشخاص السيئين. أتمنى فقط أن يفقد هؤلاء

الأشخاص اهتمامهم بنا سريعاً، أو يدركوا أننا لا نستحق عناء المشاكل. قد يكون رجال الشرطة مخطئين. ليسوا واثقين تماماً من أي شيء. في الوقت الحاضر، إنها مسألة نظريات وشكوك، لكن علينا الانتباه لذلك أيضاً. لم تلاحظ أحد يراقبنا، أليس كذلك، ويل؟" قالت له بطريقة شكلية أكثر من اعتقادها بأنه لاحظ أحداً، وصدمت حين رأته يتوقف لبرهة ثم يومئ رأسه.

"أظن، أنني... لست واثقاً... شاهدت رجلاً في سيارة في الجهة المقابلة من الشارع مرتين. لم تكن تصرفاته غريبة أو أي شيء من هذا القبيل. في الواقع، بدا لطيفاً. بدا عادياً. ابتسم لي. أظن أن السبب في ذلك أنني لاحظته" – بدا ويل محرجاً لما سيقوله تالياً – "أظن أنني لاحظته لأنه يشبه بابا نوعاً ما". ما قاله للتو عنى لها شيئاً ما أيضاً، ولكنها لم تستطع تصور ما هو بالضبط.

"هل تذكر شكله؟" سألت فرناندا وهي تبدو قلقة. قد يكون رجال الشرطة على حق، وثمة رجال يراقبونهم. ظلت تأمل في أن يكونوا مخطئين.

قال ويل: "نوعاً ما، بدا مثل بابا نوعاً ما، وإنما مع شعر أفتح، ويرتدي ثياباً مثل بابا أيضاً. كان يرتدي قميصاً أزرق مزرراً ذات مرة، وسترة في المرة الأخرى. أظن أنه كان ينتظر أحداً ما. بدا بخير". تساءلت فرناندا ما إذا كان يرتدي ثياباً بهذه الطريقة عمداً كي يكون متناغماً مع أهل المنطقة. تحدثا عن الأمر لبضع دقائق، ثم صعد ويل إلى غرفته للاتصال بأصدقائه وتوديعهم قبل أن يذهب إلى المخيم. لقد حذرته قبلاً من ضرورة عدم إخبار أحد عن خطر الخطف المحتمل. قال لها تيد إنه من المهم إبقاء المسألة هادئة، لأنه إذا سرت الشائعة، فقد تصل إلى الصحافة، وسيكون هناك مقلدون في كل مكان. وعدها ويل والولدان الآخران بذلك. الأشخاص الوحيدون الذين ستخبرهم بالحقيقة هم العائلة في تاهو التي ستعتني بآش.

اتصلت فرناندا بتيد بأسرع ما يمكن. أرادت إبلاغه بما قاله ويل. أخبرتها السكرتيرة أنه في اجتماع مع النقيب، وسيعاود الاتصال بها. وقفت، ونظرت عبر النافذة حينها، وفكّرت في كل ذلك وتساءلت ما إذا كان هناك أشخاص في الخارج يراقبونها من دون أن تستطيع رؤيتهم. وفيما فعلت ذلك، كان تيد والنقيب يصرخان في وجه بعضهما البعض. قال النقيب إنها مشكلة مكتب التحقيقات الفدرالي، وليست مشكلتهم. المشتبه الأساسي تم توقيفه من قبل مكتب التحقيقات الفدرالي، بسبب مسائل مالية، ولا علاقة لذلك بالشرطة، ولن يفصل رجاله ليهتموا بزوجة وثلاثة أولاد في الباسيفيك هايتس.

"اسمعني بحق الله". صرخ تيد في وجهه. إنهما يعرفان بعضهما جيداً وهما صديقان قديمان. كان النقيب يسبقه بسنتين في الأكاديمية، وعملا معاً في مجموعة كبيرة من القضايا. إنه يكنّ احتراماً كبيراً لعمل تيد، لكنه رأى هذه المرة أنه مجنون. "ماذا لو تم خطف أحدهم؟ ستكون مشكلة مَنْ حينها؟" عرفا أنها ستكون مشكلة الجميع حينها. مكتب التحقيقات الفدرالي والشرطة على حدٍّ سواء. "أشعر بشيء ما هنا. أعرف ذلك. ثق بي. أعطني فقط بضعة أيام، أسبوعاً أو ربما أسبوعين، ودعني أرى ما الذي سأتوصل إليه. إذا لم أنجح، أنا مستعد لتلميع حذائك طوال سنة كاملة".

"لا أريد تلميع حذائي، ولا رمي مال دافعي الضرائب عبر النافذة بهدف حماية امرأة. ما الذي يجعلك بحق الله تظن أن كارل واترز متورط في ذلك؟ ما من دليل يثبت مزاعمك، وأنت تعرف ذلك".

نظر إلى عينيه مباشرة من دون خوف. "كل الدلائل التي أحتاج إليها موجودة". أشار إلى نفسه. لقد أرسل قبلاً شرطية سرية، وهي ترتدي ثياب مسؤولة مراقبة العدادات، للتحقق من السيارات المركونة في شارع فرناندا. لا توجد عدادات هناك، لكن يتوجب على السيارات أن تملك لصائق خاصة حتى تركن لأكثر من ساعتين، ولذلك فإن وجود مراقبة

العدادات سيبدو منطقياً تماماً لأي شخص يراها. كان تيد متشوقاً ليعرف ما الذي ستتوصل إليه، ومن يجلس في السيارات المركونة، وما هي أشكالهم، وطلب منها التحقق من كل رخصة قيادة في المنطقة. اتصلت بتيد فيما كان يتناقش مع النقيب، حين دخلت سكرتيرة مكتب تيد لتخبره أن المحققة جاميسون لديها شيء له، وقالت إنه ملح. بدا النقيب منزعجاً حين أخذ تيد الاتصال، ووقف تيد هناك لبرهة طويلة، يمسك بالهاتف ويصغي. قال لها بعض التعليقات غير المفهومة وشكرها، ثم نظر إلى النقيب، وأقفل السماعة.

"أفترض الآن أنك ستقول لي إنه تم العثور على كارلتون واترز والرجل الموجود لدى مكتب التحقيقات الفدرالي وهما يقفان أمام باب منزلها ويحملان المسدسات". برم عينيه، لأنه سمع كل شيء قبلاً. لكنّ تيد بدا جدياً فيما نظر مباشرة إلى عينيه.

"لا. سأقول لك إن بيتر مورغان، السجين الذي يملك رقم واترز في غرفة فندقه، يجلس في سيارة مركونة في الشارع نفسه لمنزل بارنز. أو يبدو مثله. السيارة مسجلة باسمه. وقال أحد الجيران إنه يجلس هناك أو أمام المبنى الآخر منذ أسابيع. قالوا إنه يبدو رجلاً لطيفاً ولم يشكّوا أبداً في أي شيء. لم يظهر الجيران أي قلق تجاهه".

"اللعنة". مرر النقيب يداً في شعره، ونظر إلى تيد. "هذا كل ما أحتاج إليه. إذا خطفوا تلك المرأة، ستكتب كل الصحف أننا لم نفعل أي شيء لمنع ذلك. حسناً، حسناً. على من ألقيت القبض؟"

ابتسم تيد له، "لم ألقِ القبض على أحد لحدّ الآن". لم يشأ أن يكون محقاً في هذا، لكنه عرف أنه محق. وكانت صدفة سعيدة أن عثرت جاميسون على مورغان وهو يجلس هناك. سيطلب من رجاله عدم المساس به. لا يريد إخافته. ما يريده تيد هو إلقاء القبض عليهم جميعاً، أياً كانوا، ومهما كان عددهم، سواء كان كارلتون واترز متورطاً أم لا. ومهما كانت

المؤامرة المحاكة ضد عائلة فرناندا، كل ما أراده تيد هو نسف المؤامرة، واعتقال الرجال المتورطين، وإبقائها هي وأولادها بأمان. لن تكون هذه مسألة سهلة.

سأل النقيب، وقد بدا وجهه مكفهراً "كم هو عددهم، أعني السيدة وأولادها؟" كان تيد يعرف عن النقيب تماسكه وخبرته أكثر مما رأى للتو.

"لديها ثلاثة أولاد. سيغادر أكبرهم إلى المخيم غداً. وستغادر البنت إلى تاهو بعد غد، ويمكننا تغطية ذلك عبر الشريف في بحيرة تاهو. بعد ذلك، تبقى هي وولدها البالغ من العمر ست سنوات".

أومأ النقيب إيجاباً. "خصّص لها رجلين على مدار الساعة. يفترض أن يكفي ذلك. هل سيفصل هولمكويست أحداً؟"

قال تيد بحذر: "أظن ذلك". فمن الغريب قليلاً أن يكون قد أخبر ريك عن ذلك قبل التحدث إلى النقيب، لكنّ الأمور تحصل هكذا أحياناً. حين يتبادلون المعلومات، تحل القضايا بصورة أسرع.

"أخبره بما اكتشفته للتو عن مورغان، واطلب منه إرسال رجلين إلى هناك بالتأكيد، وإلا سأضرب قفاه حين أراه في المرة التالية".

"شكراً لك حضرة النقيب". ابتسم تيد للنقيب، وغادر مكتبه. عليه إجراء بعض الاتصالات الهاتفية لتأمين الحماية لفرناندا وسام. اتصل بريك وأخبره عن مورغان. وطلب من موظف مسؤول سحب نسخة عن صورة مورغان حتى يريها لفرناندا والأولاد. ثم أخرج ملفاً من مكتبه، ودوّن عليه رقماً لجعل الأمر رسمياً. التآمر للخطف، كتب بأحرف كبيرة. كتب اسم فرناندا وأسماء أولادها داخل الملف. وكتب اسم مورغان في المكان المخصص لأسماء المشتبه بهم. في الوقت الحاضر، لا يزال الآخرون بعيدين جداً، لكنه دوّن أيضاً اسم فيليب أديسون، وكتب شرحاً موجزاً عن الملف الذي يملكه حول ألان بارنز. إنها البداية فقط. عرف تيد أن البقية ستأتي. بدأت قطع السماء الصغيرة تقع في مكانها. لقد أصبحت الصورة

أكبر قليلاً. لكنه شعر في قرارة نفسه أن الآخرين سينضمون إلى الصورة معه خلال وقت قصير.

عاد تيد إلى منزل فرناندا في الساعة السادسة من ذلك المساء. وكما فعل قبلاً، اتخذ قراراً بالدخول إلى المنزل بطريقة واضحة، كما لو أنه ضيف، وبدا عفوياً في ذلك. لقد نزع ربطة عنقه، وكان يرتدي سترة بايسبول. أما رجل الشرطة الذي أحضره معه فكان يرتدي قبعة بايسبول، وقميصاً قطنياً، وسروال جينز. يمكن أن يكون أحد أصدقاء ويل، وتيد هو والده. كانت فرناندا تأكل البيتزا مع الأولاد في المطبخ حين دخلا. فتحوا الباب لتيد ما إن رأوه عبر منظار الباب. لقد أحضر الشاب الذي جاء معه بعض الأشياء في كيس رياضي معلّق فوق كتفه، مما يتناسب مع مظهره الشاب والرياضي. طلب منه تيد بهدوء الجلوس في المطبخ، وبعدما طلب الإذن من فرناندا، جلس أمام طاولة المطبخ معها ومع الأولاد. لقد أحضر معه مغلفاً.

سأل سام باهتمام، فيما ابتسم له تيد، "هل أحضرت لنا المزيد من الصور؟"

"نعم".

"ومن هو هذه المرة؟" كان سام يتصرف مثل المنتدب الرسمي الذي عيّنه تيد في المرة الماضية. حاول أن يبدو لامبالياً حيال ذلك، فيما ابتسمت أمه. لا يوجد الكثير للابتسام له في الوقت الحاضر. لقد اتصل تيد، وأخبرها عن مورغان. يبدو أنه موجود في الخارج منذ أسابيع، ولم تلاحظه مرة واحدة. لا يفسر ذلك الكثير عن قدرتها على الملاحظة، وكانت قلقة. أخبرها تيد أنه سيكون أربعة رجال في منزلها بعد فترة وجيزة من منتصف الليل. شرطيان وعميلان من مكتب التحقيقات الفدرالي. كان سام متحمساً جداً للأمر، وأراد أن يعرف من تيد ما إذا كانوا يحملون الأسلحة. طرح سام السؤال على أمه قبلاً، لكنه أراد التأكد منه.

"نعم، سيكونون مسلحين". أجاب تيد فيما أخرج الصورة من المغلف البني اللون الذي أحضره معه، وسلّمها إلى ويل. "هل هذا هو الرجل الذي رأيته في السيارة في الشارع؟"

نظر ويل إلى الصورة لأقل من دقيقة، وأومأ برأسه، ثم أعادها إلى تيد. "نعم، إنه هو". بدا خجولاً قليلاً. لم يخطر في باله أبداً أن يخبر أمه أنه شاهد رجلاً في سيارة يبتسم له. ظن فقط أنها مصادفة عشوائية أن يلتقي به مرتين. بدا رجلاً لطيفاً. وشبيهاً بوالده.

مرر تيد الصورة حول الطاولة. لم تتعرف إليه آشلي ولا سام، لكن حين وصلت الصورة إلى فرناندا، جلست، وحدّقت فيها لوقت طويل. عرفت أنها شاهدته في مكان ما، لكنها لم تتذكر أين. ثم تذكرته فجأة. لقد كان في السوبرماركت أو المكتبة. تذكرت أنها أوقعت شيئاً ما ورفعه لها، ومثلما قال ويل، لفتها حينها الشبه الكبير بينه وبين آلان. شرحت الظروف لتيد.

سأل بهدوء، "هل تذكرين متى كان ذلك؟" فقالت إن ذلك حصل في فترة ما خلال الأسابيع القليلة الماضية، لكنها غير واثقة من التاريخ، مما يؤكد أنه يراقبهم منذ فترة. "إنه في الخارج الآن". شرح بهدوء للأولاد، وشهقت آشلي. قال تيد بهدوء: "ولن نفعل أي شيء حيال ذلك. نريد أن نرى من سيأتي ليكلّمه، إذا أتى أحد، ومن سيناوب معه، وماذا ينوون. حين تخرجون من المنزل، لا أريدكم أن تنظروا إليه، أو تلاحظوه، أو تتعرفوا إليه. لا نريد إخافته. تصرفوا كما لو أنكم لا تعرفون أي شيء عن ذلك".

سألت آشلي، "هل هو في الخارج الآن؟" وأومأ تيد برأسه. إنه يعرف السيارة الآن، من وصف المحققة جاميسون، ويعرف أين هي. لكنه تصرف كما لو أنه لم يلاحظها. كان تيد يقود سيارته الخاصة، ويثرثر ويبتسم مع الشرطي الشاب الذي أحضره معه، محاولاً الإيحاء بأنه صديق يحضر ابنه للزيارة. في الواقع، لقد بدوَا مقنعين في ذلك. فالشرطي الشاب بدا بعمر مماثل لولديها الكبيرين، أو ليس أكبر بكثير.

سأل ويل، "هل تظن أنه يعرف أنك شرطي؟"

"أتمنى أن لا يكون كذلك. لكن لا تعرف أبداً. ربما عرفني. أتمنى أن يظن فقط أنني صديق لأمك في الوقت الحاضر". لكن لا مجال للشك في أنه بعد تخصيص أربعة رجال للحماية، سيلفتون الأنظار، مما سيحذر مورغان ورفاقه بوجود شيء ما. سيكون الأمر سيفاً ذا حدين حين يحصل ذلك. لقد خسرت الشرطة ميزة الغفلية، لكنها حذرت أيضاً الخاطفين بالتصرف بحذر، أو أخافتهم تماماً، رغم أن تيد اعتبر هذا الاحتمال مستبعداً. لا يملكون أي خيار آخر. تحتاج فرناندا وعائلتها إلى الحماية. وإذا خاف الرجل من ذلك بصورة نهائية، يكون ذلك جيداً أيضاً. لكنها تحتاج قبل كل شيء إلى وجود الشرطة في منزلها لحمايتها هي وأولادها. يحتمل أن يكون بعض الشرطيين المفصولين للمهمة من النساء، الأمر الذي قد يحيّر في البداية، ويجعل وجود الشرطة في المسرح أقل بروزاً. لكن عاجلاً أم آجلاً، سيؤدي حضور أربعة أشخاص مرتين يومياً، وانتقالهم في كل مكان مع فرناندا والأولاد، ومكوثهم هنا لأربع وعشرين ساعة يومياً إلى لفت الكثير من الانتباه، ويرجح أنه سينبههم إلى الخطر. عرف تيد أنه لا يمكن فعل أي شيء آخر في الوقت الحاضر. لقد ناقش النقيب أيضاً إمكانية وضع ما سماه جبهة 10ب، أي سيارة شرطة سرية مع رجال شرطة يرتدون ثياباً مدنية داخلها. لكن تيد رأى أنهم لا يحتاجون إلى واحدة، ووجود بيتر مورغان وشرطي يحدقان في بعضهما داخل سيارات مركونة بدا أمراً غبياً، حتى بالنسبة إليه. سيتولى مخفر الشرطة المحلي تمرير الدوريات لمراقبتهم، وسيكون هذا مفيداً أيضاً، وكافياً للوقت الحاضر.

في الوقت الذي أنهوا فيه الحديث عن الموضوع، كان الشرطي الشاب الذي أحضره تيد معه قد أصبح جاهزاً. لقد وضع مناديل ورقية على الطاولة، وحضّر العدّة. أصبحت حقيبته مفتوحة مع مجموعتين لأخذ

البصمات قرب المغسلة. المجموعة الأولى تحتوي على حبر أسود، والثانية على حبر أحمر. طلب منهم تيد التوجه جميعاً إلى المغسلة. طلب من ويل التوجه أولاً.

سأل سام باهتمام، "لماذا تريدون أخذ بصماتنا؟" كان طويلاً بما يكفي ليرى ماذا يفعل ويل والتحري. إنه فن جميل، إذ برم ويل أصابعه بمهارة من جانب إلى آخر فوق المحبرة، ثم برمها مجدداً على ورقة تظهر كل إصبع من يديه. برم أصابعه جيداً للتأكد من أن بصماته واضحة، وتفاجأ ويل حين اكتشف أن الحبر لم يجعل أصابعه متسخة. استعمل الحبر الأحمر أولاً، ومن ثم الأسود. فهم ويل لماذا يتم أخذ بصماتهم، تماماً مثلما فهمت آشلي وفرناندا، لكنّ أحداً لم يشأ التفسير لسام. في حال تم خطف أحدهم أو قتله، يمكن التعرف إلى جثته من خلال البصمات. ليس هذا بالموضوع الجيد لإخبار طفل بعمره عنه.

قال تيد ببساطة: "تريد الشرطة أن تعرف من تكون، سام، هناك الكثير من الطرق لمعرفة ذلك. لكنّ هذه الطريقة مجدية. تبقى بصمات أصابعك هي نفسها لبقية حياتك". إنها معلومة لا يحتاج إليها، لكنها مفيدة. جاء دور آشلي، ومن ثم أمها، وأخيراً سام. بدت بصماته صغيرة على البطاقات.

"لماذا نستخدم الحبر الأحمر والأسود؟" استفسر سام فيما أخذ التحري بصماته للمرة الثانية.

شرح تيد، "الأسود هو للشرطة، والأحمر هو لمكتب التحقيقات الفدرالي. يحبون أن يكونوا على الموضة أكثر منا". ابتسم له، فيما وقف الآخرون جانباً وراقبوا. كانوا مجتمعين معاً كما لو أنهم يستمدون القوة عند الوقوف قرب بعضهم البعض، وكانت فرناندا تحوم حولهم مثل الأم الحاضنة.

سألت فرناندا، "لماذا يحب مكتب التحقيقات الفدرالي اللون الأحمر؟"

قال التحري: "ليكونوا مختلفين حسبما أظن". عدا ذلك، لا يوجد سبب حقيقي. لكن البصمات المأخوذة بالأحمر تخص دوماً مكتب التحقيقات الفدرالي.

ما إن انتهى من أخذ البصمات، أخرج مقصاً صغيراً، والتفت إلى سام مع ابتسامة حذرة. "هل أستطيع قص القليل من شعرك، بنيّ؟" سأل بتهذيب، فيما نظر إليه سام بعينين كبيرتين.

"لماذا؟"

"تستطيع التعرف إلى الكثير من الأشياء من خلال شعر الأشخاص. هذا ما يعرف بمطابقة الدي أن آي". إنه درس لا يحتاج إليه أحد منهم، لكن لم يكن لديهم خيار آخر.

"تقصد أنه إذا تم خطفي؟" بدا سام خائفاً، وتردد الرجل في القص، إلاّ أن فرناندا تدخلت.

"يريدون منا أن نفعل ذلك سام. سأفعل ذلك أنا أيضاً". أخذت المقص من الرجل، وقصت خصلة صغيرة من شعر سام، ومن ثم من شعرها، وبعدها من شعر ولديها الآخرين. حاولت تسهيل المسألة قدر الإمكان، وظنت أن الأمر سيكون مخيفاً أقل إذا قصت هي شعرهم بنفسها، بدل أن يقوم غريب بذلك. بعد فترة وجيزة من ذلك، صعد الأولاد إلى الطابق العلوي، وهم يتحدثون بهدوء مع بعضهم. أراد سام البقاء معها، لكنّ ويل أمسك بيده وقال له إنه يريد التحدث إليه. ظن أن أمه تريد التحدث إلى تيد بشأن ما يحدث، وافترض أن سام سيخاف. فالكثير من الأشياء تحصل لهم. لقد حصل الكثير أصلاً خلال وقت قصير جداً. وعرفت فرناندا أنه بعد منتصف الليل، مع وجود أربعة رجال شرطة مسلحين داخل المنزل ليلاً نهاراً، ستتغير حياتهم بصورة جذرية.

قال تيد بهدوء لفرناندا، بعدما غادر الأولاد الغرفة: "نحتاج إلى صور فوتوغرافية لهم، وأوصاف لهم. الطول، الوزن، علامات فارقة، كل ما

يمكنك إعطاؤه لنا. لكنّ الشعر والبصمات سيفيداننا".

"هل سيحدث ذلك أي فرق حقيقي إذا تم اختطافهم؟" كرهت طرح هذا السؤال، لكنها تريد أن تعرف. كل ما تستطيع التفكير به الآن هو ماذا سيحصل إذا أخذوا أحد أولادها. الأمر مخيف جداً، بحيث لا تستطيع إبقاء الفكرة في رأسها لوقت طويل.

"يمكن أن يحدث ذلك فرقاً كبيراً، خصوصاً مع شخص صغير مثل سام". لم يشأ إخبارها أن الأولاد الذين يتم اختطافهم في هذا العمر، يظهرون في بعض الأحيان بعد عشر سنوات وهم يعيشون حياة أخرى مع أشخاص آخرين، بعد أن يكونوا قد احتجزوا في بلد آخر أو ولاية أخرى، ويستطيع الشعر والبصمات مساعدة السلطات في التعرف عليهم، سواء كانوا أحياء أم أموات. في حالة ويل أو آشلي، تعتبر الظروف التي ستقودهم إلى استعمال الشعر أو البصمات مهمة جداً. وفي هذه الحالة، مع وجود فدية في المسألة، لن يختفي الأولاد ليظهروا في حياة أخرى. سيتم خطفهم، واحتجازهم، ليعودوا بعد دفع الفدية. كل ما أمله تيد، إذا حصل الخطف، أن لا يتأذى أحد، وأن يبقي الخاطفون الأولاد على قيد الحياة. سيفعل كل ما بوسعه كي لا يحصل ذلك. لكن عليهم الاستعداد لكل الاحتمالات، ومن المهم حصولهم على الشعر والبصمات التي أخذوها. طلب من فرناندا أن تعطيه بقية المعلومات بأسرع ما يمكن. وبعد فترة وجيزة، غادر تيد والشاب.

بعد ذلك، جلست لوحدها في المطبخ مع علبة البيتزا الفارغة، تحدثت في الفراغ، وتساءلت كيف حصل كل ذلك، ومتى سينتهي. كل ما تأمله الآن هو أن يتم إلقاء القبض على الرجال المتآمرين ضدها، إذا كانوا فعلاً كذلك. لا تزال تتشبث بشكوكها، وتأمل أن يكون كل ذلك من نسج الخيال، وأن لا يحدث أي شيء حقيقي. التفكير في ذلك مرعب جداً بحيث إذا سمحت لنفسها بالتفكير في ذلك، ستصاب بالهستيريا ولن تسمح أبداً

لأولادها بالخروج من المنزل. إنها تفعل كل ما بوسعها للبقاء هادئة، وعدم إخافتهم بإفراط، نظراً للظروف الموجودة. وظنت أنها تبلي حسناً في التحلي بالهدوء إلى أن وضعت علبة البيتزا الفارغة في البراد، وسكبت عصير البرتقال في فنجان شاي، ووضعت المناديل المتسخة في سلة المهملات.

قالت لنفسها بصوت عال: "حسناً، اهدئي، سيكون كل شيء على ما يرام". لكن حين أعادت المناديل إلى مكانها الصحيح، لاحظت أن يديها ترتجفان. من المرعب تصور كل ذلك، ولم تكف عن التفكير في ألان والتمني لو أنه كان موجوداً. تساءلت ماذا كان ليفعل في كل ذلك. لديها إحساس بأنه كان ليعالج الأمور ببراعة وبرودة أكثر منها.

سألها ويل فيما دخل إلى المطبخ لإحضار بعض الآيس كريم فيما كانت هي تغادر للصعود إلى الأعلى، "هل أنتِ بخير، أمي؟"

"أظن ذلك". قالت بصراحة وهي تبدو متعبة. لقد أرهقها هذا النهار. "لا أحب ذلك". جلست على كرسي قبالته على الطاولة، فيما تناول هو الآيس كريم.

سألها، وقد بدا قلقاً، "هل ما زلتِ تريدين مني الذهاب إلى المخيم؟" وأومأت برأسها.

"نعم، حبيبي". تمنت لو أن سام يذهب معه. لا تريد أياً منهما أن ينتظر معها في المنزل حتى تحصل الأمور السيئة. لكن سام صغير جداً، وستبقيه معها. اقترح تيد ألا يخرجا من المنزل قدر المستطاع. فلم يتحمس لفكرة وجودها في سيارة، منتظرة تعرضها لكمين. لقد ناقشوا قبلاً مسألة ركوب رجال الشرطة معها في السيارة، أو اللحاق بها. فضّل تيد وجودهم معها في السيارة. لكن ريك والنقيب أرادا أن يلحقوا بها في سيارة أخرى. إنها مسألة الطعم الحي مجدداً. نتيجة ذلك، اقترح تيد ألا تذهب إلى أي مكان، إذا كان هذا ممكناً.

اتصلت فرناندا بالعائلة التي ستستضيف آشلي في تاهو تلك الليلة، وشرحت لهم الظروف بسرّية تامة. قالوا لها إنهم آسفون لذلك، وطمأنوها بأنهم سيراقبون آشلي جيداً، فشكرتهم فرناندا. قالوا لها إنهم يتفهمون مناوبة مندوبي الشريف الذين سيتولون المراقبة، وشعروا بارتياح أكبر لمعرفة أنه يوجد أحد ما لحماية آشلي. لم يشعر تيد ولا ريك أنه ستتم ملاحقتها في تاهو، لكنهما رأيا معاً أنه من الأفضل توخي الحذر. وارتاحت فرناندا لمعرفة أنها ستكون هناك في أمان.

كانت فرناندا مستلقية على سريرها في تلك الليلة، حين رن جرس الباب، ووصل الشرطيون الأربعة مع بعضهم. كان بيتر مورغان قد عاد إلى غرفته حينها، ولم يرهم أبداً. عرف من روتينها الاعتيادي أنها ستبقى ليلاً في المنزل. كان يغادر عادة في التاسعة والنصف أو العاشرة، وفي أحيان نادرة في وقت متأخر، إلا حين تخرج مع الأولاد لمشاهدة فيلم في السينما. لكنه عاد باكراً إلى غرفته تلك الليلة. كانت في المنزل طوال الليل، وكذلك أولادها، ولذلك عاد إلى الفندق. شعر بالأسف تقريباً لأن المهمة كادت تنتهي. أحب أن يكون قريباً منها ومن الأولاد، وأحب تصور ما يفعلونه، فيما ألقى بين الحين والآخر نظرات خاطفة على النوافذ.

فكّرت فرناندا في الاتصال بجاك واترمان تلك الليلة، لإخباره بما يحدث، لكنها كانت متعبة جداً، وبدا الأمر جنونياً جداً. ماذا ستخبره؟ أن مجموعة من الأشرار يملكون ملفاً عنهم، وأن أحدهم يجلس في سيارة مركونة منذ أسابيع ليراقبهم؟ ثم ماذا؟ لا يوجد بعد أي دليل حسي على أن أحداً يريد خطفهم، وإنما مجرد شكوك لا تنتهي. بدا الأمر كله جنونياً، حتى بالنسبة إليها. كما أنه لا يستطيع فعل شيء. فكّرت في الانتظار أياماً قليلة لرؤية ما سيحدث، قبل أن تتصل به. لقد واجه معها ما يكفي من المآسي بشأن المال. وستلتقي به هي وسام في عطلة نهاية الأسبوع على كل حال. لقد دعاهما للذهاب إلى نابا بعد يوم واحد من ذهاب آشلي إلى

تاهو. هناك متسع من الوقت لإخبار جاك لاحقاً، ولذلك لم تتصل به أبداً.

كان رجال الشرطة الذين وصلوا في منتصف الليل مهذبين جداً، وبعدما جالوا في المنزل، قرروا الاستقرار في المطبخ. فهناك القهوة والطعام. عرضت عليهم تحضير الشطائر، وقالوا لها إن الأمر غير ضروري، لكنهم شكروها على لطافتها، واستقروا في المطبخ.

كانوا أربعة رجال، اثنان منهم من شرطة سان فرانسيسكو واثنان من مكتب التحقيقات الفدرالي، مثلما أخبرها تيد قبلاً، وجلسوا وتناقشوا معاً بطريقة ودية، فيما حضّرت لهم القهوة. عرفوا أن جهاز الإنذار قيد التشغيل، وأظهرت لهم كيفية تشغيله. خلع اثنان منهم سترتيهما، وشاهدت المسدسات معلقة في حمالات على أكتافهما، إضافة إلى مسدس على الخصر. شعرت فجأة وكأنها متورطة في نوع من المقاومة، أو العمل الإجرامي، محاطة برجال العصابات. فمشاهدة أسلحتهم جعلتها تشعر في الوقت نفسه أنها هشة ومحمية. مهما كانوا وديين، بدا وجودهم في المنزل طاغياً جداً. وفيما كانت على وشك الصعود إلى الطابق العلوي، رن جرس الباب. خرج اثنان من رجال الشرطة بسرعة من المطبخ، وذهبا لفتح الباب. تفاجأت لرؤية تيد بعد برهة يدخل إلى الممر.

"هل من مشكلة؟" سألته، فيما شعرت أن قلبها يخفق بسرعة نتيجة الذعر. أو ربما، قد يكون الخبر جيداً هذه المرة. لكنها أدركت فوراً أنه لو كان الخبر جيداً، لكان اتصل بها.

"لا. كل شيء بخير. أردت فقط المرور وأنا في طريقي إلى المنزل لأرى كيف تجري الأمور". حينها عاد الرجلان إلى المطبخ. عرفت أنهم ينوون البقاء في منزلها حتى الظهر. ستصل المناوبة التالية عند الظهر، وتبقى حتى منتصف الليل. ويعني ذلك أنه في اليوم التالي، سيتناول أولادها الفطور مع رجال مسلحين أمام طاولة المطبخ. ذكّرها ذلك بفيلم "العرّاب". لكن المشكلة الوحيدة أن هذه حياتها، وليست فيلماً سينمائياً.

وإذا كان هذا فيلماً سينمائياً، فسيكون سيئاً جداً. "هل الرجال يحسنون التصرف؟" سأل تيد فيما نظر إليها. بدت متعبة جداً، وتمنى لو أنه يستطيع وضع ذراعيه حولها، لكنه لم يفعل.

قالت بصوت خافت: "كانوا لطفاء جداً معي". وتساءل ما إذا كانت تبكي. بدت متعبة جداً وخائفة جداً، رغم أنه تأثر قبلاً بمدى هدوئها أمام أولادها.

"يفترض أن يكونوا لطفاء معك". ابتسم لها. "لا أريد التطفل. لا بد أنكِ مرهقة. فكّرت فقط في التحقق منهم. لا يضر ذلك أبداً. إذا واجهت أية مشاكل معهم، اتصلي بي". تحدث إليهم كما لو أنهم أولاده، وكانوا كذلك في بعض النواحي. فالكثير من الرجال والنساء الذين يعملون معه كانوا شباباً، وبدوا مثل الأولاد بالنسبة إليه. لقد طلب أيضاً فصل بعض النساء لهذه المهمة. ظن أن الأمر قد يكون أسهل وأقل رعباً بالنسبة إلى فرناندا والأولاد. لكن المناوبة الأولى كانت كلها من الرجال، وكانوا يتحدثون بهدوء في المطبخ، فيما تحدث تيد مع فرناندا في الممر. "هل أنتِ على ما يرام؟"

"نوعاً ما". إنه مقدار هائل من الضغط، في انتظار حدوث شيء ما.

"أتمنى أن تنتهي المسألة سريعاً. سنلقي القبض على هؤلاء الرجال وهم يفعلون شيئاً غبياً. إنهم دوماً هكذا. مثل سرقة متجر للخمور قبل أن يفترض بهم سرقة شيء أكثر أهمية. عليك التذكر أن كل هؤلاء الرجال كانوا في السجن، مما يعني أنهم لم يكونوا ناجحين كثيراً في ما فعلوه قبل ذلك. نحن نعتمد على هذا الجانب لمساعدتنا. حتى أن بعضهم يرغب في أن يلقى القبض عليه. فالتواجد خارج السجن شاق جداً، وكذلك هو جني لقمة العيش بشرف. يفضلون العودة إلى السجن، والحصول على ثلاث وجبات مجانية يومياً، مع سقف فوق رؤوسهم من دون دفع ضرائب. كوني على ثقة فرناندا لن نسمح بحدوث أي شيء لكِ أو للأولاد". إنها المرة

الأولى التي يناديها فيها باسمها، فابتسمت له. وبمجرد الإصغاء إليه، شعرت بتحسن قليلاً. كان هادئاً ومطمئناً.

قالت بصراحة: "الأمر مخيف جداً. من المرعب التفكير أن مثل هؤلاء الأشخاص يريدون إيذاءنا. شكراً لك على كل شيء تفعله".

"هذا مرعب. ومخيف. ولا حاجة إلى شكري. فأنا أؤدي وظيفتي". لاحظت أنه جيد جداً في عمله، وتأثرت بريك هولمكويست أيضاً، والرجل الذي أخذ البصمات بعناية، وحتى الرجال المسلحين الأربعة في مطبخها. ثمة كفاءة هادئة لديهم جميعاً.

"يبدو الأمر أشبه بفيلم سينمائي". قالت مع ابتسامة حزينة، فيما جلست على السلالم تحت الثريا الإيطالية، وجلس هو قربها. جلسا يتهامسان مثل ولدين في الظلمة. "أنا مسرورة لأن ويل سيغادر غداً. أتمنى لو أستطيع إخراجهم كلهم من هنا، وليس فقط ويل وآش. هذا مخيف بالنسبة إلى سام". وكذلك هو الأمر بالنسبة إليها، وعرف تيد ذلك.

"كنت أُفكّر في شيء ما الليلة. ماذا عن منزل آمن؟ هل من مكان تستطيعين الذهاب إليه أنت وسام لبضعة أيام؟ لا نحتاج إلى فعل ذلك الآن. نحن مرتاحون للخطة التي وضعناها لحمايتك. لكن إذا حصل وأطلعنا مخبر أنهم أضافوا المزيد من الرجال أو حصلنا على معلومات تفيد بأن الأمور قد تخرج عن السيطرة. لا بد أن يوجد مكان حيث لا يفكر أحد في البحث فيه عنك، وحيث نستطيع إخفاءك". بطريقة ما، سيكون ذلك أسهل بكثير من حمايتها في المدينة، رغم أن إحدى المزايا الكبيرة لبقائها في المدينة هي أنهم سيحتاجون إلى بضع دقائق فقط للحصول على دعم ومساعدة في حال حصول هجوم أو خطف. ومهما كان عدد الرجال الذين سيكمنون لها – إذا فعلوا – فسترسل الشرطة مع مكتب التحقيقات الفدرالي تعزيزات إلى المكان خلال دقائق معدودة من كل مراكز الشرطة

المجاورة. هذا عامل مهم، لكنّ تيد يحب دوماً وجود خطة احتياطية. هزّت فرناندا رأسها إجابة على سؤاله.

"بعت كل المنازل الأخرى". ذكّره ذلك مجدداً بالقصة المذهلة التي أخبرتهم إياها بعد الظهر، عن خسارة ألان كل مالهم. ما زال يصعب عليه التصديق أنه يوجد أحد بهذا الغباء وهذه الحماقة لخسارة نصف مليار دولار. لكن يبدو أن ألان بارنز فعلها، وترك زوجته وأولاده من دون أي مال.

"هل من عائلة أو أصدقاء يمكنك الإقامة عندهم؟" هزّت رأسها مجدداً. لم تستطع التفكير في أحد. لم تستطع التفكير في صديقة واحدة لا تزال قريبة منها كفاية لتفرض عليها نفسها بهذه الطريقة. وليس لديها أية عائلة على الإطلاق.

قالت بكآبة: "أكره تعريض أي كان للخطر". لكنها لم تستطع التفكير في أحد على أي حال، ولا تريد طبعاً أن تعترف بظروفها لأي كان، لا بوضعها المالي ولا باحتمال تعرضهم للخطف. لقد نجح ألان نوعاً ما في عزل كل أصدقائهم القدامى عنهم، بسبب نجاحه الكبير وثروته الهائلة مما أدى في النهاية إلى شعور أصدقائهم المقربين بالغرابة وتفاديهم. وأثناء هبوطه من ذروة نجاحه، لم يشأ أن يعرف أحد بما يحصل. كل من بقي لها الآن، بعد موته، بعض المعارف الذين لا تريد الاعتراف لهم بما يجري. وجاك واترمان، صديقهم القديم ومحاميهم. كانت تنوي إخباره بما يحصل في عطلة نهاية الأسبوع، لكنه لا يملك منزلاً آمناً على كل حال. فكل ما لديه هو الإقامة في فندق في نابا بين الحين والآخر في عطلات نهاية الأسبوع، مع شقة صغيرة جداً في المدينة.

قال تيد بتأمل: "من الأفضل لكِ أن تخرجي من هنا".

"كان يفترض بي أنا وسام الذهاب إلى نابا في عطلة نهاية الأسبوع. لكن يبدو أن تنسيق الأمر معقد جداً، إلا إذا ذهبت الشرطة معنا". ولن

يكون الأمر ممتعاً لها أو لجاك أو سام، إذا جلسوا جميعاً في سيارة واحدة.

قال تيد: "دعينا نرى ماذا سيحصل قبل ذلك". وأومأت برأسها. دخل بعدها إلى المطبخ للتحقق من رجاله، وتحدث معهم لدقائق قليلة، ثم غادر. وتوجهت فرناندا ببطء إلى غرفة نومها. كان يوماً عصيباً جداً بالنسبة إليها. أخذت حماماً ساخناً، وكانت تصعد إلى سريرها للاستلقاء قرب سام، حين شاهدت رجلاً يمرّ أمام غرفتها، فقفزت على الفور، فيما راحت ترتعد قرب سريرها، وهي في ثوب النوم، ووقف الرجل عند الباب. إنه أحد رجال الشرطة، ووقف هناك مع أسلحته، فيما حدّقت به وهي في ثوب النوم.

قال بنعومة: "أقوم بجولة المراقبة، هل أنت بخير؟"

قالت بتهذيب: "بخير. شكراً". أومأ برأسه، ونزل إلى الأسفل، واستلقت هي في السرير فيما لا تزال ترتجف. سيكون غريباً جداً وجودهم هنا معها. وفيما خلدت للنوم أخيراً، تشبثت بسام، وحلمت برجال يركضون حول منزلها، وهم يحملون المسدسات. إنها في فيلم سينمائي. إنه العرّاب. مارلون براندو كان هناك. وآل باتشينو. وتيد. وكل أولادها. وحين نامت نوماً أكثر عمقاً، شاهدت آلان يأتي صوبها. إنها إحدى المرات القليلة التي تحلم به هكذا منذ أن توفي، وتذكرت الحلم بقوة في الصباح.

الفصل الرابع عشر

حين نزل ويل وسام لتناول الفطور في صباح اليوم التالي، كانت فرناندا تحضر اللحم والبيض للعميلين ورجلي الشرطة الجالسين أمام طاولة المطبخ. وضعت الأطباق أمامهم، وأخذ ويل وسام مكانيهما بينهم. رأت سام يحدق في أسلحتهم باهتمام.

"هل من رصاص داخلها؟" سأل أحد الرجال، وابتسم له رجل الشرطة وأومأ برأسه، فيما حضرت فرناندا الفطور لولديها. هذا أكثر من مجرد مراقبة أربعة رجال مسلحين يتناولون الفطور مع ولديها. شعرت كأنها قاطعة طرق.

أراد سام الفطائر المحلاّة، فيما أراد ويل البيض مع اللحم مثل الرجال، فحضّرت النوعين. لم تستيقظ آشلي بعد، وكانت تنام في الطابق العلوي. لا يزال الوقت باكراً. أراد ويل اللحاق بالباص في تمام العاشرة، وقد ناقشت قبلاً مع اثنين من رجال الشرطة ما إذا كان يجدر بها الذهاب معه لوداعه. رأيا أنها فكرة سيئة وسيلفتان الكثير من الانتباه إلى رحيله عن المنزل. إذا كان أحد يلاحقها، من الأفضل لها أن تبقى في المنزل مع الولدين الآخرين. سيأخذ أحد رجال الشرطة ويل إلى الباص. اقترح أن يصعد ويل إلى السيارة داخل المرآب، ويستلقي على المقعد الخلفي، بحيث لا يلاحظ أحد أنه مغادر. هذا غريب قليلاً، لكنها رأت أن هذا منطقي. هكذا، في تمام التاسعة والنصف، قبّلت ويل وودعته في المرآب، واستلقى على المقعد الخلفي، وأخرج الشرطي السيارة من المرآب بعد دقائق قليلة،

وبدا كأنه يقود لوحده. توجب على ويل الانتظار قليلاً قبل أن يجلس مجدداً على المقعد، وحين فعل، تحدثا معاً في طريقهما إلى الباص. وضع الشرطي ويل في الباص، مع حقيبته وعصا اللاكروس، وانتظر حتى انطلق الباص، ولوّح له كما لو كان ابنه، وعاد إلى المنزل بعد ساعة.

كان بيتر قد وصل إلى مكانه في الشارع في ذلك الحين وشاهد رجلاً يقود سيارة فرناندا ويدخل بها إلى المرآب. شاهده يدخل باكراً هذا الصباح، ولم يره أبداً يدخل إلى المنزل في الليلة الفائتة، إذ وصلت المناوبة الليلية بعدما غادر. وكان هذا الرجل الوحيد الذي يراه لغاية الآن. صدم بيتر قليلاً لرؤية رجل هناك في هذا الوقت الباكر، وهذا أمر لم يره قبلاً. لم يخطر في باله أبداً أن الرجل الذي أدخل السيارة إلى المرآب هو شرطي. ما من شيء فوضوي أو في غير مكانه. وتفاجأ بيتر قليلاً من نفسه حين أدرك أنه انزعج لوجود رجل هناك مع الأولاد. بدا الأمر حتى غير منطقي بالنسبة إليه، لكنه أمل في أن يكون مجرد صديق وصل باكراً لمساعدتها ولا شيء أكثر. بدا الرجل الذي غادر المنزل ظهراً غير مبالٍ، ولوّح له سام فيما غادر، كما لو أنه صديق.

حين وصلت المناوبة الجديدة بعد الظهر، كانا رجلين من مكتب التحقيقات الفدرالي وامرأتين من الشرطة، بحيث بدوا وكأنهم ثنائيان جاءا للزيارة. لم يشاهد بيتر أبداً الرجال الثلاثة الآخرين وهم يخرجون من المنزل، ويعبرون حديقة الجيران، بحيث لا يراهم أحد وهم يغادرون.

غادر بيتر في ذلك المساء قبل أن يعود ضيوفها إلى منازلهم. بدوا وكأنهم سيبقون إلى الأبد، ولم يجد بيتر سبباً للبقاء. لقد أصبح يعرف كل ما يحتاج إليه عنها. كان واثقاً تقريباً من أنها لا تشغل جهاز الإنذار أبداً. وإذا فعلت، فسيقطع واترز الأسلاك قبل أن يدخلوا. في هذه المرحلة، أصبحت مراقبته مسألة عادة اكتسبها خلال الأسابيع الماضية وليس لأنه يريد أن يعرف شيئاً جديداً عن روتينها. إنه يعرف إلى أين تذهب، وماذا تفعل،

ومع من تذهب، وكم تبقى. لقد أصبحت مراقبتها الآن مجرد متعة شخصية ولأنه أخبر أديسون أنه سيراقبها. ما من إزعاج في فعل ذلك. إنه يحب التواجد قربها ومراقبتها مع أولادها. بدا من غير المجدي أن يجلس هناك الآن فيما تستقبل هي ضيوفها طوال اليوم. بدا الثنائيان عاديين وودودين حين وصلا في سيارة واحدة وهم يتحدثون ويضحكون. لقد اختارهم تيد بنفسه، وأخبرهم بما يجب ارتداؤه كي يبدون مثل الأصدقاء. ورغم أن بيتر لم يرها قبلاً تستقبل ضيوفاً، فلقد بدت سعيدة جداً حين ألقت التحية عليهم، بحيث لم يخطر أبداً في بال بيتر أن يكونوا من الشرطة ومكتب التحقيقات الفدرالي. ما من شيء يوحي له بأن الجوّ تغير. في الواقع، شعر باسترخاء كاف بحيث غادر تلك الليلة قبل أن يغادر الضيوف. كان متعباً، وما من شيء آخر لرؤيته. فباستثناء استقبال ضيوفها، لم تتحرك فرناندا أو الأولاد أبداً خلال النهار. شاهد سام يلعب قرب نافذة غرفته، وفرناندا في المطبخ، تطهو الطعام لأصدقائها.

اليوم التالي هو آخر يوم للمراقبة. سيبقى معه كارلتون واترز ومالكولم ستارك وجيم فري تلك الليلة. توجب عليه إحضار بعض الأشياء لهم في الصباح، ولذلك وصل متأخراً إلى أمام منزل فرناندا. غادرت آشلي إلى تاهو مع أصدقائها، وتم تبديل المناوبة. بمجرد الصدفة، لم يشاهد أبداً رجال المناوبة السابقة وهم يغادرون عند الظهر، ولا رجال المناوبة الجديدة يصلون، كل ذلك عبر الباب الخلفي مجدداً. وحين غادر للمرة الأخيرة تلك الليلة، بأسف، في تمام العاشرة مساء، لم يخطر في باله أنه يوجد أحد في المنزل معها. لم يكن هناك لرؤيتهم يغادرون في منتصف الليل، ويصل مكانهم آخرون. في الواقع، لم يشاهد فرناندا طوال اليوم، ولا الأولاد. تساءل ما إذا كانت متعبة من استقبال ضيوفها في اليوم السابق، أو مشغولة فقط. وفيما انتهى الأولاد من المدرسة مع بداية الصيف، لم يعودوا يذهبون إلى أي مكان، وشك في أنهم يستمتعون بعطلتهم وينعمون بالكسل.

شاهدها أمام النوافذ خلال النهار، ولاحظ أنها أغلقت الستائر ليلاً. لطالما شعر بالوحدة حين لم يتمكن من رؤيتها، وفيما ابتعد في سيارته للمرة الأخيرة، عرف كم سيشتاق إليها. لقد بدأ يشتاق إليها. أمل أن يتمكن من رؤيتها مجدداً في يوم ما. لا يستطيع تخيل حياته من دونها. أحزنه ذلك، بقدر ما سيفعلونه بها. ما زال يشعر بالاشمئزاز لمجرد التفكير في ذلك. وأدى القلق بشأن ذلك إلى صرف انتباهه عن أي إحساس بأنها محمية هي والأولاد. لم يذكر الأمر أمام أديسون لأنه غير مدرك له البتة. المراقبة غير مألوفة بالنسبة إليه.

نظراً لاهتمامه بها بهذه الطريقة، أجبر نفسه أخيراً على التوقف عن التفكير في ما سيحصل معه حين يخطف شركاؤه أحد أولادها أو كلهم. لا يستطيع السماح لنفسه بالاستمرار في التفكير في ذلك، وأجبر عقله على التفكير في أمور أخرى، فيما قاد سيارته بعيداً تلك الليلة، وعاد إلى الفندق وهو يفكر بها. حين وصل إلى هناك، كان ستارك وواترز وفري ينتظرونه، وأرادوا أن يعرفوا أين كان. كانوا جائعين، وأرادوا الذهاب لتناول العشاء. لم يشأ الاعتراف لهم كم كان صعباً عليه تركها، حتى لو كان تركها يعني فقط الابتعاد عن سيارة مركونة في الشارع حيث تعيش. لم يعترف أبداً لأي منهم بمقدار الاحترام والإعجاب الذي يكنّه لها، ولا كم أصبح مولعاً بالأولاد.

ما إن وصل بيتر إلى الفندق، حتى خرج الرجال الأربعة لتناول العشاء. ذهبوا إلى مطعم تاكو يعرفه بيتر، ويحبه في منطقة ميشون. ذهب كل واحد من الأربعة في اليوم السابق لزيارة مراقبه، وبما أنهم أصبحوا الآن يخضعون للمراقبة مرة كل أسبوعين، لن يدرك أحد أنهم اختفوا إلا بعد أن يصبحوا خارج البلاد. ومثلما طمأنه أديسون، قام بيتر بدوره بطمأنتهم بأن فرناندا ستدفع الفدية سريعاً لإنقاذ أولادها. ربما خلال أيام قليلة. ولم يملك الرجال الثلاثة الذين سينفذون الخطة أي سبب لعدم

تصديقه. فكل ما يريدونه من هذه المسألة هو المال. لا يهتمون بها أو بأولادها، بطريقة أو أخرى. ولا يهمهم أبداً من سيخطفون، أو لماذا، طالما أنهم سيحصلون على المال. لقد حصل كل واحد منهم لغاية الآن على مئة ألف دولار نقداً. وستدفع بقية الحساب لهم هم الأربعة معاً فور دفع الفدية. يملك بيتر معلومات مفصلة من أديسون لناحية جهة تحويل المال. سيتم توزيعه على خمسة حسابات لا يمكن تعقبها، في جزر الكايمان، ومنها إلى حسابين في سويسرا لأديسون وبيتر وثلاثة حسابات في كوستاريكا للآخرين. سيتم احتجاز الأولاد حتى يجري تحويل المال ويتوجب على واترز تحذيرها منذ البداية بأنه إذا اتصلت بالشرطة، فسيقتلون الأولاد، رغم أن بيتر لا ينوي السماح بحدوث ذلك. يتوجب على واترز طلب الفدية، وفق التعليمات التي أعطاه إياها بيتر.

لا حاجة إلى ميثاق شرف بين الرجال. فالثلاثة الآخرون ما زالوا لا يعرفون هوية فيليب أديسون، وإذا أفشى أي منهم بالآخرين، لن يخسروا فقط حصتهم وإنما سيموتون أيضاً، وكل واحد منهم يعرف ذلك تماماً. بدت الخطة آمنة لغاية الآن. سيغادر بيتر الفندق في صباح اليوم التالي، فيما يأخذ الآخرون الأولاد المخطوفين إلى المنزل الذي استأجروه في تاهو. لقد حجز بيتر غرفة في فندق صغير في لومبار تحت اسم مستعار. والاتصال الوحيد بين بيتر والرجال الثلاثة الآخرين سيكون عند تناوله العشاء معهم في الليلة التي تسبق الخطف، بالإضافة إلى استقباله لهم في غرفته في الفندق. لقد أحضروا معهم أكياساً للنوم، ووضعوها على الأرض، وناموا، وفي وقت باكر من صباح اليوم التالي نهض بيتر وارتدى ثيابه وغادر حين غادروا هم أيضاً. كانت العربة المقفلة معبأة بالوقود وجاهزة. لقد ركنوها في المرآب. وكانوا غير واثقين بعد من الوقت الذي سيبدأون فيه المهمة. سيراقبون قليلاً، ويختارون الوقت فيما لا تزال الأمور هادئة في المنزل. ما من جدول زمني محدد، ولا داعي

للعجلة. وصل بيتر إلى الفندق في لومبار في الوقت الذي وصلوا هم فيه إلى المرآب لإحضار العربة المقفلة. ما زال يحتفظ بغرفته الأخرى لعدم إثارة الشكوك. كل شيء مدروس. نقلوا أكياس الغولف المعبأة بالأسلحة من السيارة إلى العربة المقفلة. هناك حبال والكثير من الأشرطة اللاصقة، إضافة إلى مقدار كبير من الذخيرة. تسوقوا بعض الحاجيات في طريقهم إلى المرآب، واشتروا ما يكفيهم لأيام عدة. لم يتوقعوا أن تدوم العملية طويلاً. وهم غير قلقين بشأن إطعام الأولاد. وهم يأملون ألا يضطروا إلى القلق طويلاً بشأنهم. لقد اشتروا زبدة الفول السوداني، والهلام، والخبز للأولاد، وبعض الحليب. أما باقي ما اشتروه فكان لأنفسهم، واشتمل على بعض المشروبات، والأطعمة المعلبة والمجلدة، إذ لا يحب أي منهم طهو الطعام. لم يضطروا أبداً إلى طهو الطعام لأنفسهم في السجن.

مرّت ثلاثة أيام على وجود رجال الشرطة ومكتب التحقيقات الفدرالي في المنزل، حين اتصلت فرناندا بجاك واترمان باكراً ذلك الصباح وأخبرته أنها تعاني هي وسام من الانفلونزا ولا يستطيعان الذهاب إلى نابا لقضاء اليوم. كانت لا تزال تريد التحدث إليه بشأن ما حصل، لكن الأمور جنونية تماماً، وبدت المسألة كلها غير واقعية. كيف تستطيع أن تشرح وجود رجال في غرفة جلوسها، يجلسون حول المائدة مع أسلحة في مطبخها؟ كاد الأمر يجعلها غبية. خصوصاً إذا تبيّن أن كل ذلك غير ضروري. كانت تأمل ألا تضطر أبداً إلى إخباره بشأن ذلك. أسف جاك جداً لأنهما يعانيان معاً من الأنفلونزا، وعرض عليها المرور لزيارتها في طريقه إلى نابا، لكنها قالت له إنهما مريضان جداً ولا تريده أن يلتقط العدوى منهما.

بعد ذلك، وضعت سام في السرير معها، وأخذا يشاهدان فيلم فيديو. لقد قدمت الفطور للرجال الأربعة قبلاً، وكانت هي وسام مستلقيين في السرير مع رأسه على كتفها، حين سمعت صوتاً غير مألوف. لم يكن

جهاز الإنذار قيد التشغيل، ولا تحتاج إليه مع اثنين من رجال الشرطة واثنين من مكتب التحقيقات الفدرالي لحمايتها. مع كل تلك الحماية المدربة والقوة المسلحة، بدا جهاز الإنذار غير ضروري، ولذلك لم تشغله في الليلة الفائتة، أو بالأحرى، منذ وصول الرجال إلى المنزل. أخبرها تيد أنهم قد يطلقونه عن غير قصد نتيجة تحرك الرجال عبر الباب الخلفي بين الحين والآخر للتحقق من الأمور. بدا وكأن شيئاً سقط في المطبخ، مثل كرسي أو شيء مشابه. لم تقلق بشأن ذلك مع وجود أربعة رجال في الأسفل، فاستلقت هي وسام الذي راح يشخر على كتفها. لم ينم أي منهما جيداً في الليلة الفائتة، وبدا من الأسهل أخذ قيلولة في النهار، مثلما يفعل سام الآن، بين ذراعي أمه.

سمعت بعدها أصواتاً مكتومة، وخطوات تصعد على السلالم. كانت قد بدأت تتساءل عما يجري وافترضت أن الرجال يصعدون إلى الطابق العلوي للتحقق منهما، لكنها لم تشأ النهوض وإزعاج سام، حين اقتحم ثلاثة رجال يضعون أقنعة التزلج على وجوههم باب غرفتها، ووقفوا أمام سريرها، وهم يوجهون بنادق الأم 16 المزودة بكواتم للصوت نحوهما. حين رآهم سام، فتح عيناه بدهشة، وتصلّب بين ذراعي أمه، فيما توجه أحد الرجال الثلاثة نحوهما. أصبحت عينا سام مليئتين بالرعب، تماماً مثل فرناندا، التي راحت تصلّي كي لا يطلق الرجال النار عليهما. فعلى الرغم من عدم خبرتها في هذا المجال، عرفت أنهم يحملون أسلحة خطيرة.

"لا بأس، سام... لا بأس...". قالت بنعومة بصوت مرتعد، من دون أن تعرف حتى ماذا قالت. ليس لديها فكرة أين هم الرجال المسؤولون عن حمايتها، لكن لا يوجد أي أثر لهم، ولم يصدر أي صوت من الأسفل. تشبثت بسام، وجلست في السرير، كما لو أن هذا ينقذها هي وسام من الرجال، فيما قام أحدهم بإفلات سام من يديها من دون أية كلمة، وصرخت هي حين أبعده عنها. توسلته قائلة: "لا تأخذه". لقد جاءت اللحظة التي كانوا

يخشونها، وكل ما تستطيع فعله هو توسله. راحت تبكي بقوة من دون السيطرة على نفسها، فيما صوّب أحد الرجال بندقيته نحوها، وتولى رجل آخر ربط يدي سام بحبل، ووضع شريطاً لاصقاً فوق فمه، فيما نظر إليها ابنها برعب يائس. "أوه، يا الله!" صرخت فيما أقحم رجلان سام داخل كيس من قماش القنب، بعد ربط يديه وقدميه، كما لو أنه غسيل وسخ. أطلق سام أصوات رعب، فيما صرخت هي، وقام الرجل الأقرب إليها بشدّ شعرها إلى الخلف بقوة كبيرة وبيد واحدة، بحيث شعرت أنه كاد ينزعه عن فروة رأسها.

"إذا أصدرتِ صوتاً آخر، سنقتله، وأنت لا تريدين هذا، أليس كذلك؟" لاحظت أنه قوي البنية، يرتدي سترة خشنة، وسروال جينز، وجزمة عادية. ثمة خصلة من الشعر الأشقر خرجت من تحت قناع التزلج الذي وضعه. وكان أحد الرجلين الآخرين أكثر بدانة، وإنما قوياً أيضاً إذ حمل كيس القماش فوق كتفه. لم تجرؤ فرناندا على التحرك خشية أن يقتلوا سام.

"خذني معه". قالت بصوت مرتعد، ولم يتفوّه الرجلان الآخران بأية كلمة. إنهما يتبعان الأوامر، وطلب منهما بوضوح ألا يفعلا ذلك. عليها البقاء هنا لدفع الفدية. ما من أحد آخر لفعل ذلك. "أرجوك... أرجوك... لا تؤذه". توسلتهم، وركعت على ركبتيها، فيما خرج الرجال الثلاثة من الغرفة، ونزلوا على السلالم وهم يحملونه، فنهضت هي وركضت على السلالم خلفهم، ولاحظت فجأة وجود بقع من الدم في كل مكان.

"إذا أخبرت رجال الشرطة أو أي أحد بشأن ذلك، سنقتله". أومأت برأسها للرجل الذي تحدث بصوت مكتوم نتيجة القناع.

"أين الباب المؤدي إلى المرآب؟" سألها أحد الرجال، وشاهدت بقع الدم على سرواله ويديه. لم تسمع صوت طلقة نارية واحدة. كل ما استطاعت التفكير فيه هو سام، فيما أشارت إلى باب المرآب. كان أحد الرجال يصوب بندقيته نحوها، وقام الثاني برمي سام إلى الثالث. وضع

الكيس الذي في داخله سام على كتفه، ولم يصدر من الكيس أي صوت أو حركة، لكنها عرفت أنهم لم يفعلوا أي شيء لغاية الآن يمكن أن يقتله. تحدث الرجل القوي البنية إليها مجدداً. لقد دخلوا إلى غرفة نوم آش وويل قبل أن يدخلوا إلى غرفتها، ولم يعثروا عليهما.

"أين الآخران؟"

"بعيداً". قالت، وأومأوا برؤوسهم، وركضوا على السلالم الخلفية، فيما تساءلت هي عن مكان وجود رجال الشرطة.

ركن الخاطفون عربتهم المقفلة في المرآب، ولم يرهم أحد وهم يفعلون ذلك. بدوا غير مؤذيين حين وصلوا، وكانوا شبيهين بالعمال، دخلوا إلى الجهة الخلفية من المنزل، وكسروا نافذة باستعمال منشفة، وفتحوا قفل النافذة، ودخلوا عبرها إلى المنزل. لقد عطلوا جهاز الإنذار، وقطعوا الأسلاك قبل أن يكسروا النافذة. إنها مهارة اكتسبوها على مرّ السنوات ويعرفونها جيداً. لم يشاهد أحد أي شيء. ولم يشاهدهم الآن أحد حين فتحوا باب المرآب للوصول إلى عربتهم المقفلة، وراقبتهم وهم يفتحون الباب الخلفي ليرموا سام في الصندوق. لو كانت تملك مسدساً، لاستطاعت قتلهم، لكن كما هي الأمور الآن، لا تستطيع فعل أي شيء لمنعهم، وهي تعرف ذلك. خافت حتى أن تصرخ لمناداة رجال الشرطة، خشية أن يقتل الخاطفون سام.

صعد الرجل الذي كان يحمل الكيس الذي في داخله سام إلى العربة، وسحب الكيس إلى الداخل فارتطم سام بالمصدّ الخلفي. رمى الرجلان الآخران الأسلحة داخل السيارة، وركضا إلى العربة، فيما أغلق الباب الخلفي بقوة. وبعد ثوانٍ قليلة، ابتعدت العربة فيما وقفت فرناندا تبكي على الرصيف. وما أرعبها خصوصاً هو أن أحداً لم يسمعها أو يرها. كانت نوافذ العربة ملونة بالأسود القاتم، وحين نزع الرجال الأقنعة عن وجوههم، كانوا قد تجاوزوا المنعطف ولم تشاهد أي شيء. لم تشاهد حتى

لوحة السيارة، ولم تفكر في الأمر إلا لاحقاً. كل ما استطاعت فعله هو مراقبتهم وهم يأخذون ابنها بعيداً، وصلّت ألا يقتلوه.

ركضت مسرعة إلى الداخل، وهي لا تزال تبكي بقوة، وصعدت السلالم الخلفية، ودخلت إلى المطبخ، عبر السجادة الملطخة بالدماء، لتعثر على رجال الشرطة. وما وجدته هناك كان مسرحاً لمجزرة كاملة. الأول رأسه مسحوق، فيما الجهة الخلفية لرأس الثاني متطايرة نتيجة طلقات الأم 16. كان دماغه متطايراً في كل مكان على جدار المطبخ. لم تشاهد أبداً من قبل شيئاً مرعباً مثل هذا، وكانت مذعورة جداً لتبكي. كان بوسعهم أن يفعلوا ذلك بها أو بسام، ولا يزال باستطاعتهم فعل ذلك. أما عنصرا مكتب التحقيقات الفدرالي فكانا مقتولين نتيجة طلقات في الصدر والقلب، كان أحدهما مرمياً فوق طاولة المطبخ مع فجوة في ظهره بحجم طبق الطعام، والثاني مستلقياً على ظهره على أرض المطبخ. كان رجلا مكتب التحقيقات الفدرالي يمسكان بمسدساتهما سيغ ساور بعيار 40، فيما أمسك رجلا الشرطة بمسدسات غلوك نصف الأوتوماتيكية عيار 40 في يديهما. لكنّ أياً منهم لم يكن لديه الوقت لإطلاق النار قبل أن يقتلهم الخاطفون. صرف انتباههم لبرهة، إذ كانوا يتحدثون ويشربون القهوة، وكانوا غير مدركين تماماً لما يجري. لقد ماتوا جميعاً. خرجت مسرعة من الغرفة لاستعمال الهاتف والاتصال بأحد. عثرت على البطاقة التي عليها رقم هاتف تيد، فطلبت رقم هاتفه الخلوي. كانت مذعورة جداً بحيث لم تفكر في طلب الطوارئ، وتذكرت إنذار الخاطفين لها "بعدم إبلاغ أحد". أصبح هذا الأمر مستحيلاً الآن مع وجود أربعة شرطيين قتلى في منزلها.

أجاب تيد بعد الرنة الأولى، وكان في المنزل، ينجز بعض الأعمال المكتبية، وينظف مسدس غلوك عيار 40، وهذا ما كان ينوي فعله طوال الأسبوع. كل ما سمعه كان تمتمة غير مفهومة، كما لو أنها صادرة عن وحش بري. لم تستطع العثور على الكلمات لإخباره، وبكت بقوة عبر الهاتف.

"من المتكلم؟" قالت بانفعال. لكنه خشي معرفة الحقيقة. ثمة شيء في قرارة نفسه أخبره فوراً أنها فرناندا. "تحدثي إليّ". قال، وهو يبدو قوياً، فيما فتحت هي أسنانها المطبقة وبحثت عن الهواء لتتنشقه عبر فمها. "تحدثي إلي. أين أنت؟"

"لقد... أخخخخخذوه.....". نجحت أخيراً في القول، وهي ترتجف من رأسها وحتى قدميها، عاجزة تقريباً عن التنفس أو التكلم.

"فرناندا...". فهم المسألة. حتى في أقصى درجات الانفعال، عرف صوتها. "أين هم الآخرون؟" عرفت أنه يقصد رجاله، ولم تستطع إخباره.

بكت من دون سيطرة مجدداً. كل ما تريده الآن هو عودة ابنها. وهذه مجرد البداية. "قتلى... كلهم قتلى". نجحت في القول. لم يجرؤ على سؤالها ما إذا قتل سام أيضاً، لكن لا يفترض ذلك. فلن يجديهم نفعاً أن يقتلوه أمام أمه. "قالوا إنهم سيقتلونه إذا أخبرت...". صدقتهم هي وتيد. "سآتي فوراً". أقفل الخط من دون طرح المزيد من الأسئلة، واتصل بغرفة العمليات وأعطاهم عنوانها مع تحذير بضرورة عدم إطلاق الصفارات لإبقاء الصحافة بعيدة. نقل إليهم المعلومات برموز مشفّرة. اتصل بعد ذلك بريك، وطلب منه بسرعة إحضار مندوبيه الإعلاميين إلى منزل فرناندا. عليهم الانتباه إلى ما يقولونه، لعدم المجازفة بحياة سام. بدا ريك منزعجاً بقدر ما كان سام، وخرج من الباب مسرعاً مع هاتفه الخلوي، فيما كانا يتحدثان، وأقفلا الخط بعد ثوانٍ قليلة.

خرج تيد مسرعاً من الباب الأمامي لمنزله، بعد أن جمع مسدسه مجدداً، ووضعه في المحمل الخاص به. لم يزعج نفسه حتى في إطفاء الأنوار في منزله. وضع ضوءاً أحمر فوق سيارته، وأداره، وقاد بأسرع ما يمكن للوصول إلى منزلها. لكن قبل فترة طويلة من وصوله إلى هناك، كان شارعها مليئاً بسيارات الشرطة، والأضواء الوامضة، وصفارات الإنذار. لقد أرسلوا ثلاث سيارات إسعاف. وحين وصل إلى

هناك بعد دقائق قليلة من وصولهم، كانت هناك تسع سيارات شرطة في الشارع، مع سيارة تسدّ الممر المؤدي إلى منزلها. وصلت سيارتا إسعاف إضافيتان بعدما وصل هو، ووصل ريك خلفه مباشرة.

"ماذا حصل بحق الله؟" ركض ريك قربه حين وصلا إلى السلالم الأمامية. لقد دخلت الشرطة إلى المنزل، ولم يرَ تيد أي أثر لفرناندا، أو عميلي مكتب التحقيقات ورجلي الشرطة المكلفين بحمايتها هي وسام.

"لا أعرف بعد... أخذوا سام... هذا كل ما أعرفه... قالت "كلهم قتلى"، ثم أقفلت الخط، واتصلت بغرفة العملية ومن ثم بك". حين دخلا مسرعين إلى المنزل، شاهد تيد الدم على سجادة المدخل، وكما لو أنهما لحقا بقع الدم، دخلا إلى المطبخ، وشاهدا كل ما رأته فرناندا. كان هذا المشهد الأكثر رعباً الذي شاهداه طوال حياتهما المهنية، مما أثّر فيهما في الصميم.

"يا الله". قال ريك بهمس، فيما حدّق تيد بصمت. كان الرجال الأربعة قتلى، وكان موتهم فظاً ووحشياً. حيوانات من فعلوا ذلك. هذه هي صفة أولئك الرجال. شعر تيد بالغضب يسيطر عليه، فيما استدار للبحث عنها، وركض إلى الممر. وصل عشرون رجل شرطة إلى المنزل، وكانوا جميعاً يصرخون ويركضون، ويبحثون عن مشتبهين. توجب على تيد شق طريقه بصعوبة بينهم فيما كان مسؤول الإعلام في مكتب التحقيقات الفدرالي يعطي الأوامر بضرورة إبقاء الصحافة بعيدة. كان تيد على وشك الصعود إلى الطابق العلوي حين شاهد فرناندا راكعة على ركبتيها في غرفة الجلوس، مستلقية هناك تبكي، فيما رأسها على السجادة. أصبحت هستيرية حين ركع قربها وأخذها بين ذراعيه، ومشط شعرها، وأمسك بها. اكتفى تيد بإمساكها ولم يقل أي شيء. كانت عيناها مذعورتين حين نظرت إليه ثم انحنت عليه مجدداً.

"لقد أخذوا طفلي... أوه يا الله... لقد أخذوا طفلي...". لم تصدق أبداً أنهم قد يفعلون ذلك. ولا هو أيضاً. فالأمر جريء جداً، وفظ جداً، ومجنون جداً. لكنهم فعلوا ذلك الآن. وقتلوا أربعة رجال حين خطفوه.

"سنعيده. أعدك". لم تكن لديه فكرة ما إذا كان يستطيع فعل ذلك، لكن عليه قول أي شيء لها لتهدئتها. دخل حينها اثنان من رجال الإسعاف إلى الغرفة، ونظرا إليه. لا يظن أنها مصابة، لكنها في وضع سيئ، ركع أحد الرجلين قربها وتحدث إليها. إنها تعاني من صدمة كبيرة جداً.

ساعداها للاستلقاء على الأريكة، وخلعا حذاءها قبل أن يفعل هو. ثمة دم عليه، ومشت فيه في كل الغرفة. لا جدوى من وصول الدم إلى الأريكة أيضاً. أصبح مصورو الشرطة في كل مكان حينها، يأخذون الصور الفوتوغرافية، ويصوّرون مسرح الجريمة. هذا أبعد من التصديق. كان رجال الشرطة في كل مكان، بعضهم يبكي، والكل يتحدثون، فيما بدأ عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي بالوصول تدريجياً. وفي غضون نصف ساعة، أصبح خبراء التحقيق الجنائي في كل مكان، يجمعون الألياف، والزجاج، والأقمشة، والبصمات، ودلائل الدي أن آي لإرسالها إلى مختبرات شرطة سان فرانسيسكو ومكتب التحقيقات الفدرالي. وكان هناك مفاوضان للخطف يقفان قرب الهاتف، ينتظران اتصالاً. كان الجو الإجمالي غاضباً وساخطاً.

كان الوقت متأخراً بعد الظهر حين غادروا، وأصبحت فرناندا في غرفتها حينها. وضعوا شريطاً أصفر على باب المطبخ، يشير إلى أنه مسرح جريمة ويجب إبقاؤه من دون مساس أو "عقيماً" مثلما أسموه. غادرت معظم سيارات الشرطة، وتم فصل أربعة رجال آخرين لحمايتها. جاء النقيب لاستطلاع الوضع، وغادر مجدداً، وهو يبدو متأثراً وحزيناً. لم يشرحوا أي شيء للجيران. ومنعوا وصول الصحافة. قال البيان الرسمي إن حادثاً حصل. وأخرجوا الجثث من الباب الخلفي، بعدما غادرت

الصحافة. عرفت الشرطة من دون شك أنه لا يمكن إصدار أي بيان علني قبل استرجاع الصبي. ويمكن لأي شيء أن يقال علنياً أن يؤذي الصبي أكثر. لا يمكن قول أي شيء إضافي.

قال النقيب لتيد قبل أن يغادر: "ظننت لوهلة أنك مجنون. تبين أنهم هم المجانين". لم يقل أي شيء متجهم كهذا منذ أعوام، وسأل تيد فوراً ما إذا كانت فرناندا سمعت أو شاهدت أي شيء يمكن أن يفيدهم، مثل رقم لوحة السيارة، أو وجهة الخاطفين. لكنها لم تتنبه لشيء. كانوا يضعون جميعاً أقنعة تزلج، وتفوهوا بالقليل من الكلام أو لا شيء منه. كانت خائفة جداً لتلاحظ تفاصيل بشأن العربة المقفلة. كل ما يعرفونه الآن هو ما عرفوه قبل حصول ذلك. من يمكن أن يكون المنفذ، ومن يمكن أن يكون المخطط. ما من شيء جديد، باستثناء مقتل اثنين من رجال الشرطة واثنين من مكتب التحقيقات الفدرالي وخطف صبي عمره ستة أعوام. ذهب المحققون إلى فندق تندرلوين الذي كان ينزل فيه بيتر بعد دقائق قليلة من اتصال فرناندا بتيد، لكن موظف الاستقبال قال إنه خرج هذا الصباح ولم يعد. خرج ضيوف بيتر في الليلة الفائتة من المدخل الخلفي ولم يشاهدهم أحد. فتشت الشرطة غرفته، لكن لا يوجد أي أثر له، وعرف تيد أنه لن يكون هناك أي أثر. لقد غادر إلى الأبد، رغم أن كل أغراضه لا تزال موجودة في الغرفة. وكانت هناك بلاغات مرمّرة لكل من بيتر وكارلتون واترز، وسيارة بيتر. عرف الجميع أنه يجب التصرف بحذر كبير لعدم تنبيه الخاطفين أو تعريض الصبي للخطر.

اتصل كارلتون واترز ورفيقاه ببيتر ما إن عبروا جسر الخليج وتوجهوا إلى بيركلي. استعملوا الرقم الذي أعطاه لهم، على هاتفه الخلوي الجديد الذي لا يمكن تعقب أثره.

"واجهنا مشكلة صغيرة". قال له واترز. بدا هادئاً وإنما غاضباً.

"أية مشكلة صغيرة؟" للحظة مجنونة، خشي بيتر أن يكونوا قد قتلوها أو قتلوا سام.

"نسيت أن تذكر لنا أنه يوجد أربعة رجال شرطة معها، يجلسون في مطبخها". بدا واترز شاحباً. لم يتوقعوا أنه عليهم قتل أربعة رجال شرطة لخطف الولد. لم يكن هذا جزءاً من الاتفاق. ولم يحذرهم بيتر.

"ماذا؟ هذا سخيف. لم أشاهدهم أبداً وهم يدخلون. استقبلت بعض الأصدقاء ذلك اليوم، وهذا كل شيء. ما من أحد معها". بدا واثقاً. لكنه غادر في الليلة السابقة قبل العاشرة مساء، وربما وصلوا بعد ذهابه. تساءل إذا كان هذا هو السبب الكامن وراء عدم رؤيتها كثيراً خلال الأيام القليلة الماضية. لكن ما من أحد لإنذارها بما يحصل. لا مجال لكي تعرف أبداً. لم يحصل أي شيء، باستثناء توقيف أديسون لمشاكل ضرائبية. لكن ما من شيء في ذلك كفيل بتحذير الشرطة أو مكتب التحقيقات الفدرالي، إلا إذا قال هو شيئاً ما عن طريق الخطأ. عرف بيتر أنه ذكي جداً ليفعل ذلك. لم يستطع تصور ما حصل، أو ما هي المشكلة التي حصلت.

"حسناً، أياً كان الأشخاص معها، لم تعد هذه مشكلة إذا فهمت وجهة نظري". قال واترز وهو يبصق القليل من التبغ الممضوغ عبر نافذة العربة المقفلة. كان ستارك يقود العربة. وجلس فري في المقعد الخلفي. كان الصبي في الكيس الذي وضعوه داخله، في الجهة الخلفية من العربة المقفلة، مع أسلحتهم والحاجيات التي اشتروها. وضع فري بندقية أم 16 تحت قدميه، مع مجموعة من المسدسات، معظمها من طراز راغرز وبيريتا عيار 45، وهي كلها أسلحة شبه أوتوماتيكية. اشترى كارل السلاح المفضل لديه، أوزي ماك 10، وهي بندقية صغيرة أوتوماتيكية بالكامل أعجب بها، وتعلم استعمالها قبل دخوله إلى السجن.

"هل قتلتهم؟" سأل بيتر وهو يبدو مذهولاً. سيعقّد هذا كل شيء، وعرف أن أديسون لن يرحب بالأمر. لا يفترض أن يحدث شيء مثل هذا. إنه يراقبها لأكثر من شهر. كيف دخل أربعة رجال شرطة إلى الصورة؟ ومن كانوا يراقبون؟ فجأة، شعر بيتر بقشعريرة في جسمه. كما قال

أديسون، ما من شيء اسمه الغداء المجاني. وفجأة أيضاً، عرف بيتر أنه على وشك الحصول على عشرة ملايين دولار.

لم يعلّق كارلتون واترز على سؤال بيتر. "من الأفضل تحذير الشرطة بضرورة عدم التحدث عن كيفية موت أولئك الرجال. إذا ذكروا هذا الأمر في الصحف، سنقتل الولد. أخبرتها هذا، لكن من الأفضل ربما أن تذكرهم أنت أيضاً. نريد كل شيء هادئاً إلى أن نحصل على المال. إذا ذكروا الأمر على التلفزيون، سيبحث عنا كل سافل في الولاية. لا نحتاج إلى ذلك أيضاً".

"إذاً، لم يكن يجدر بكم قتل الشرطيين الأربعة. ماذا يجدر بي أن أفعل الآن؟ لا تتوقع مني أن أبقيهم هادئين".

"من الأفضل أن تتصرف بسرعة. تركنا المكان منذ نصف ساعة. إذا تحدثت الشرطة، سينتشر الأمر في الأخبار خلال خمس دقائق".

عرف بيتر أنه لا يمكن تعقب أثر هاتفه الخلوي، لكنه يكره اختبار الحدود القصوى. إلا أنه لا يملك أي خيار آخر. واترز محق. إذا عرفت الصحافة بعملية الخطف ومقتل رجال الشرطة الأربعة، سيتم البحث عنهم في كل الطرقات الرئيسية والفرعية، وفي كل زاوية من زوايا الولاية، وعلى كل الحدود، ليس فقط من أجل البحث عن سام، وهذا ما يعتبر سيئاً كفاية. لكنّ قتل أربعة شرطيين أضاف بعداً جديداً إلى القضية. لا يزال سام على قيد الحياة، وتعرف الشرطة أنه كذلك. لكنّ أربعة رجال ماتوا الآن. وهذه قصة مختلفة تماماً. لم يكن بيتر يريد ذلك، لكنه طلب مرغماً رقم مركز الشرطة، وطلب التحدث إلى ضابط. عرف أنه لا يهم أبداً بمن يتصل، لأن الشخص الذي سيتلقى الرسالة سينقلها إلى المراجع الصحيحة خلال ثوانٍ. هكذا، نقل ما أبلغه به كارل.

قال بيتر: "إذا وصل أي شيء عن مقتل الشرطيين أو خطف الصبي إلى الصحافة، سيموت الصبي". وأقفل الخط. وصلت الرسالة إلى تيد

والنقيب خلال أقل من دقيقتين. وهذا يمثل مشكلة بالنسبة إليهما لأن شرطيين وعميلين من مكتب التحقيقات الفدرالي ماتوا، لكن حياة ولد على المحك.

اتصل النقيب برئيس الشرطة، وتوصلا إلى إصدار بيان يبلغ الصحافة بأن أربعة رجال قتلوا أثناء تأدية الواجب. سيقول البيان إن حادثاً حصل أثناء مطاردة سريعة. وستعطى التفاصيل في الوقت الملائم، لمنح عائلات الضحايا الوقت لإبلاغ محبيهم. هذا كل ما يستطيعون فعله، وهذا أبسط وأفضل شرح لموت أربعة رجال، من وكالتين مختلفتين، واحدة محلية والأخرى فدرالية. سيكون من الصعب تمويه المسألة. لكنهم عرفوا جميعاً أنهم مضطرون لفعل ذلك إلى حين العثور على الخاطفين أو استرجاع الصبي. بعد ذلك، يمكنهم فعل ما يشاؤون إذ لا تعود حياة الصبي في خطر. كتب النقيب بنفسه البيان الذي سيوزع للصحافة بمساعدة مندوب الإعلام في مكتب التحقيقات الفدرالي، وسمعه كارل واترز على الراديو بعد ساعتين، فيما كانوا لا يزالون في طريقهم إلى تاهو. اتصل واترز ببيتر وقال له إنه أبلى بلاءً حسناً. لكن في هذه المرحلة، أصبح بيتر يواجه معضلة صعبة فيما جلس في غرفة الفندق في لومبار. لم تحصل الأمور وفق الخطة تماماً، وشعر أنه يجدر به إخبار أديسون. لم يخبر كارل بأنه كان يُفكّر في فعل ذلك، رغم أنه توقع من بيتر الاتصال بالمسؤولين عنه لإبلاغهم بما حصل. كان واترز لا يزال غاضباً من مورغان بسبب مراقبته الفاشلة والتي أدت إلى المشكلة. لا شك في أن مقتل أربعة شرطيين يمثل مشكلة.

كان بيتر يملك رقم هاتف أديسون في جنوب فرنسا، فاتصل به من هاتفه الخلوي، فيما كان فيليب يجلس في غرفته في الفندق. لم تكن هناك أية خطة لينضم بيتر إلى الآخرين في تاهو. في الواقع، عليه البقاء بعيداً عنهم قدر الإمكان، بحيث لا يظهر أي رابط به أو بأديسون. سيقول إنه تم الاعتداء على هذا المنزل المستأجر، بعد فترة من طلب الفدية.

وصل أديسون إلى مدينة كان في اليوم السابق، وقد بدأ للتو الاستمتاع بعطلته. عرف بما يحصل وبالجدول الذي يعتمدونه. وما أراد سماعه هو النتائج الجيدة وليس المشاكل. طلب منهم الانتظار يومين قبل طلب الفدية. أراد إعطاء فرناندا الوقت لتخاف كثيراً. عرف أنهم إذا أخافوها، فستدفع أسرع. افترض أنها ستدفع الفدية بسرعة.

"ماذا تقول لي؟" قال فيما حام بيتر حول الموضوع لدقيقة. لا يريد بيتر القول له إن واترز والآخرين قتلوا أربعة رجال شرطة. سيكون صعباً أيضاً شرح سبب عدم معرفته أصلاً بوجودهم هناك. بدأ بيتر يقول له إنهم خطفوا سام فقط، فيما كان الولدان الآخران بعيدين.

قال بيتر وهو يحبس أنفاسه لدقيقة: "أريد أن أخبرك عن مشكلة".

"هل تعرضوا بالأذى للصبي أو أمه؟" كان صوت أديسون جليدياً. إذا قتلوا الولد، لن تكون هناك أية فدية. فقط صداع، وصداع كبير.

قال بيتر وهو يدعي الهدوء: "لا، لم يفعلوا. يبدو أن أربعة رجال شرطة دخلوا إلى المنزل في الليلة الفائتة بعدما غادرت. لم يكن هناك أي رجل شرطة قبل ذلك، وأنا أقسم بهذا. لم يكن يوجد أحد في المنزل سوى هي والأولاد. لم يكن هناك حتى خادمة. لا أعرف كيف دخل رجال الشرطة. لكنّ واترز يقول إنهم كانوا موجودين حين دخل هو والآخران إلى المنزل".

"وماذا حصل حينها؟" أضاف أديسون ببطء.

"يبدو أنهم قتلوهم".

"أوه، بحق الله... يا الله... هل انتشر الخبر؟"

"لا. اتصل بي واترز من الطريق. وطلب مني الاتصال بالشرطة وإبلاغ رسالة. قلت إنه إذا عرفت الصحافة بمقتل الشرطيين الأربعة أو خطف الصبي، سنقتل الصبي. أصدروا للتو بياناً على الراديو يقولون فيه

إن أربعة رجال قتلوا أثناء مطاردة سريعة. حذرهم رجالنا بأنهم سيقتلون الصبي إذا تحدثت هي أو رجال الشرطة".

"الحمد لله أنك فعلت هذا. سيبحثون عن الصبي في كل مكان على كل حال، لكن إذا حذروا الرأي العام، فسيكون الأمر أسوأ بكثير. سيتم البحث عن الخاطفين من هنا إلى نيوجرسي. كل ما نحتاج إليه هو رجال شرطة يمشطون الولاية، ويبحثون عن قتلة رجال الشرطة. إنهم يهتمون لذلك أكثر مما يهتمون للخطف. وهم يعرفون أنكم ستبقون الصبي على قيد الحياة حتى الحصول على الفدية. لكنّ مقتل أربعة شرطيين هو قضية أخرى". لم يكن مسروراً البتة. عرفا أنه لأجل سلامة سام، ستبقي الشرطة فمها مغلقاً، لعدم تعريض سام للمزيد من الخطر.

"يبدو أنك عالجت الأمر جيداً، لكنّ الآخرين أغبياء فعلاً. أفترض أنه لم يكن لديهم أي خيار آخر. لا يمكنهم أخذ أربعة شرطيين معهم".

جلس أديسون على شرفة جناحه في فندق الكارلتون في كان لبرهة طويلة، يراقب غروب الشمس، ويفكر في ما يجب فعله. "من الأفضل أن تذهب إلى هناك". إنه تعديل في الخطة، لكنه قد يشكل فرقاً مهماً.

"إلى تاهو؟ هذا جنون. آخر ما أريده هو ربطي بهم". أو الأسوأ، التعرض للاعتقال معهم، إذا فعلوا شيئاً غبياً آخر، مثل سرقة 7 – 11 للحصول على شطيرة، قال بيتر لنفسه لكنه لم يذكر الأمر لرئيسه. كان أديسون غاضباً كفاية بشأن مقتل رجال الشرطة الأربعة، وكذلك كان بيتر.

"آخر ما نحتاج إليه هو خسارة مئة مليون دولار. فكّر في حماية استثمارنا. أقول إن الأمر يستحق العناء".

"لكن لماذا تريدني أن أذهب إلى هناك؟" بدا بيتر مذعوراً.

"كلما فكّرت في الأمر، أجد أنني لا أثق بهم مع الصبي. إذا تعرضوا له بالأذى، أو قتلوه عن غير قصد، نصبح في ورطة. لست واثقاً من أن مهاراتهم في الاهتمام بالأولاد جيدة بما يكفي. أنا أعتمد عليك لحماية هدفنا

الأساسي". تبيّن أنهم أكثر عنفاً مما اعتقد. كل ما يحتاجون إليه هو خروج واحد منهم عن السيطرة. لن يفيدهم أبداً قتل الصبي، وقد يكونون أغبياء كفاية لفعل شيء مثل هذا. ومع وجود ولد واحد فقط للتفاوض بشأنه، لم يشأ أديسون المجازفة. قال بحزم: "أريدك أن تذهب إلى هناك".

هذا آخر ما يريد بيتر فعله، لكنه فهم وجهة نظر أديسون. وعرف أنه إذا ذهب إلى هناك، يمكنه عندها إبقاء عينه على سام. "متى؟"

"ليس أبعد من الليلة. في الواقع، لماذا لا تذهب الآن؟ يمكنك مراقبتهم. والصبي. متى تنوي الاتصال بأمه؟" كان يتحقق فقط. لقد راجعا كل التفاصيل معاً قبل سفره. لكنه لم يتوقع حتماً أن يقتلوا أربعة شرطيين. لم يكن هذا جزءاً من الخطة.

قال بيتر: "خلال يوم أو يومين". هذا ما خططا له، واتفقا عليه.

قال: "اتصل بي من هناك. حظاً سعيداً". وأقفل الخط، فيما جلس بيتر في غرفة فندقه يُحدّق في الحائط. لا تسير الأمور وفق الخطة. لم يشأ الذهاب إلى أي مكان قرب تاهو أثناء وجودهم هناك. كل ما أراده هو العشرة ملايين دولار والانتهاء من ذلك. لم يكن واثقاً حتى من أنه يريد ذلك. فالسبب الوحيد الذي دفعه إلى فعل هذا هو إنقاذ ابنتيه. والذهاب إلى تاهو للتواجد مع واترز والآخرين سيجعله أكثر عرضة للاعتقال. لكنه عرف، منذ بداية هذه الفوضى، أنه لا سبيل أبداً للهروب. حاول ألا يُفكّر في فرناندا وما يحصل معها، فيما حمل حقيبة أغراض الحلاقة وعدة الحمام، مع قميصين نظيفين وملابس داخلية أحضرها في كيس ورقي، وخرج من غرفة الفندق بعد عشر دقائق. لكن مهما كان شعورها الآن، أو مهما كانت مرعوبة حالياً، إنه واثق من أمر واحد، مع وجود مئة مليون دولار على المحك، سيعيدون لها ابنها. لذا، مهما اشمأزت الآن من الوضع، ستجري الأمور على ما يرام في النهاية. طمأن بيتر نفسه بهذه الفكرة، فيما غادر الفندق وأوقف سيارة أجرة. نزل من سيارة الأجرة في

وارف فيشرمان، واستقل هناك سيارة أجرة أخرى أوصلته إلى مرآب للسيارات المستعملة في أوكلاند. لقد ترك السيارة التي كان يستعملها خلال الأسابيع الأخيرة في طريق خلفي في المارينا. نزع عنها لوحات الأرقام، وطمرها في مكب للنفايات قبل متابعة طريقه سيراً على الأقدام حتى الفندق، حيث دفع أجرة الغرفة نقداً.

في أوكلاند، اشترى سيارة هوندا قديمة، ودفع ثمنها نقداً، وبعد نصف ساعة من اتصاله بفيليب أديسون، كان في طريقه إلى تاهو. بدا له أكثر أماناً استعمال سيارة مختلفة عن تلك التي كان يستعملها لملاحقتها خلال الشهر الماضي، في حال رآه أحد من الجيران. فبعدما قتل واترز والآخران أربعة رجال شرطة، أصبح الخطر أكبر عليهم جميعاً، ورأى بيتر أن الذهاب إلى تاهو يزيد المخاطر أكثر فأكثر. لكنه عرف أنه لا يملك أي خيار في هذه المسألة. أديسون محق. لا يثق بيتر فيهم مع سام، ولا يريد أن يحصل شيء أسوأ من الذي حصل.

قبل وقت طويل من وصوله إلى فاليجو، تم توزيع صور بيتر وكارلتون واترز على كل أجهزة كمبيوتر الشرطة في الولاية. كما تم توزيع لوحة أرقام وأوصاف سيارة بيتر السابقة مع الصور، بالترافق مع تحذير بضرورة عدم نشر أية معلومات، طالما أن الخطف مستمر. لم يتوقف بيتر أبداً على الطريق، وقاد السيارة ضمن السرعة المسموح بها، لتفادي أي حادث محتمل. وفي ذلك الوقت، كان أديسون تحت مراقبة مكتب التحقيقات الفدرالي في فرنسا. وكل ما تحتاج إليه فرناندا الآن هو اتصال هاتفي من الخاطفين، لتتمكن الشرطة مع مكتب التحقيقات الفدرالي من العثور على سام.

الفصل الخامس عشر

تم التقاط كل الصور الفوتوغرافية التي تحتاج إليها الشرطة تلك الليلة. وتم إبلاغ عائلات الضحايا، وأرسل ما تبقى من الجثث إلى المشرحة. تم إطلاع زوجات الضحايا وعائلاتهم على الظروف، وقيل لهم إن حياة طفل على المحك، ولا يستطيع أحد التفوه بكلمة أو قول الحقيقة إلا بعد إطلاق الخاطفين لسراح الصبي. فهموا الوضع، ووافقوا جميعاً. إنهم أشخاص طيبون، وبما أنهن زوجات لرجال شرطة وعملاء في مكتب التحقيق الفدرالي، عرفوا صعوبة الوضع. إنهم يواجهون حزنهم الخاص بمساعدة علماء نفس مدربين من كلا القسمين.

في ذلك الوقت، كان خبراء التحقيق يعملون على بيتر مورغان وكارل واترز. تم تفتيش غرفتيهما على التوالي بإسهاب، واستجواب أصدقائهما، وقال لهم مدير مركز إعادة التأهيل في موديستو إن مالكولم ستارك وجيم فري - وكليهما سجينين سابقين يخضعان للمراقبة - قد غادرا مع واترز، مما أفضى إلى تحقيقات إضافية ونشر المزيد من الصور والمعلومات الشخصية عبر الإنترنت إلى كل وكالات تنفيذ القانون في الولاية. وعمل خبراء مكتب التحقيقات الفدرالي في كوانتيكو على جمع مهاراتهم مع مهارة شرطة سان فرانسيسكو. تحدثوا إلى المراقبين المسؤولين عن واترز وستارك وفري، وإلى مدرائهم، والمراقب المسؤول عن بيتر، الذي قال إنه بالكاد يعرفه، وإلى رجل زعم أنه المسؤول عن عمل بيتر لكن تبين أنه لا يعرفه على الإطلاق. بعد ثلاث ساعات، كشف

الخبراء في مكتب التحقيقات الفدرالي أن الشركة التي زعمت توظيفها بيتر هي في الواقع فرع غير مباشر لشركة يملكها فيليب أديسون. شكّ ريك هولمكويست في أن وظيفة بيتر كانت تغطية أمامية، وهذا ما وجده تيد منطقياً أيضاً.

اتصل تيد أيضاً بخدمة التنظيف الصناعي التي كانوا يستعينون بها في مسارح الجريمة، أو يوصون بها. إنهم يمزقون مطبخ فرناندا إرباً تلك الليلة. توجب عليهم حتى نزع الغرانيت عن الأرض، بسبب الأسلحة التي تم استخدامها والضرر الكبير الذي حصل. عرف تيد أنه بحلول الصباح، سيكون المكان مسلوخاً وغير أنيق البتة، لكنه سيكون نظيفاً، ولن تظهر أية أدلة واضحة - لناحية بقع الدم على الأقل - على المذبحة التي حصلت هناك حين قتل رجال الشرطة وألقى الخاطفون القبض على سام.

تم فصل أربعة شرطيين إضافيين لها، وكانوا جميعاً من قسم الشرطة هذه المرة. كانت فرناندا في الأعلى مستلقية على سريرها. بقي تيد هناك طوال الصباح والمساء، ولم يغادر أبداً. أجرى الاتصالات اللازمة من هاتفه الخلوي، أثناء مكوثه في غرفة جلوسها. وكان هناك مفاوض مدرّب يقف قرب الهاتف، ينتظر اتصال الخاطفين. لم يشك أحد في تلقي الاتصال. لكنّ السؤال الوحيد هو متى.

كانت الساعة التاسعة ليلاً تقريباً حين نزلت إلى الأسفل، وبدت شاحبة. لم تأكل أو تشرب أي شيء طوال اليوم. سألها تيد بضع مرات إذا كانت تريد ذلك، ثم تركها أخيراً لوحدها. إنها تحتاج إلى بعض الوقت لنفسها. وهو موجود هنا لأجلها، إذا أرادته. لم يشأ التطفل عليها. اتصل بشيرلي قبل دقائق قليلة، وأخبرها بما حصل، وأنه سيمضي الليل مع رجاله. أراد أن يراقب الأمور عن كثب. قالت إنها تفهم. في الأيام الماضية، حين كان يحتجز في العمل، أو يعمل في مهام سرّيّة في شبابه، كان يغيب أحياناً عن المنزل لأسابيع. إنها معتادة على ذلك. أدت حياتهما

المجنونة وجداول مواعيدهما إلى فصلهما عن بعضهما على مرّ السنوات، وبدا ذلك جلياً. تشعر أحياناً أنها لم تعد متزوجة منه منذ أعوام، منذ أن كبر الأولاد، أو حتى قبل ذلك. إنها تفعل ما تريده، ولديها أصدقاؤها، وحياتها الخاصة. وكذلك هو. يحصل هذا كثيراً مع رجال الشرطة وزوجاتهم. عاجلاً أم آجلاً، تسرقهم الوظيفة. لكنهما محظوظان أكثر من غيرهما. فهما لا يزالان متزوجين على الأقل، فيما الكثير من أصدقائهما القدامى لم يعودوا كذلك. مثل ريك.

تجولت فرناندا في غرفة الجلوس مثل الشبح. وقفت، ونظرت إليه لدقيقة، ثم جلست.

"هل اتصلوا؟" هزّ تيد رأسه. كان ليخبرها لو فعلوا ذلك. إنها تعرف ذلك، لكنها أرادت السؤال. هذا كل ما تستطيع التفكير به الآن وهذا ما فعلته طوال اليوم.

"لا يزال الوقت باكراً جداً. يريدون أن يعطوك الوقت لتفكري في الأمر وتشعري بالخوف". أخبرها المفاوض بذلك أيضاً. كان في الطابق العلوي، في غرفة نوم آشلي، مع هاتف خاص موصول بخطهم الأساسي.

"ماذا يفعلون في المطبخ؟" سألت من دون اهتمام حقيقي. لم تشأ أبداً رؤية الغرفة مجدداً، وعرفت أنها لن تنسى أبداً ما رأته هناك، وعرف تيد ذلك أيضاً. ارتاح لمعرفة أنها ستبيع المنزل. بعد هذا، عليهم الابتعاد.

"تنظيف". استطاعت سماع آلة تكشط الغرانيت. بدا وكأنهم يهدمون المنزل بكامله، وتمنت لو أنهم يفعلون ذلك. قال، محاولاً صرف انتباهها: "قد يرغب الشاري في إعداد مطبخ جديد". وابتسمت رغماً عنها.

قالت وهي تحدق في تيد: "وضعوه في كيس". ما زال المشهد يعبر فكرها مراراً وتكراراً، أكثر من المشهد الذي رأته في المطبخ، والذي كان مزعجاً أيضاً. "مع شريط لاصق على فمه".

قال تيد مجدداً: "أعرف. سيكون بخير". مصلياً أن يكون هذا صحيحاً. "يفترض أن نسمع منهم خلال يومين. قد يسمحون لكِ بالتحدث إليه حين يتصلون". أخبرها المفاوض قبلاً أن تطلب ذلك حين يتحدثون إليها، للتأكد من أنه على قيد الحياة. فما من جدوى لدفع فدية لولد ميت. لم يقل تيد هذا لها. جلس هناك، يُحدّق فيها، وحدّقت هي فيه. شعرت أنها ميتة في الداخل. وهكذا بدت في الظاهر. كان وجهها يتراوح بين الرمادي والأخضر، وبدت مريضة. سألها بعض الجيران عما حصل قبلاً. وقال أحدهم إنه سمعها تصرخ. لكن حين طوّقت الشرطة المكان، لم يرَ أحد أي شيء. لم تقدم الشرطة أية تفاصيل.

"مسكينة هي عائلات أولئك الرجال. لا بد أن الأمر مريع بالنسبة لهم. لا بد أنهم يكرهونني". نظرت إلى تيد، وهي تشعر بالذنب. لقد كانوا موجودين لحمايتها هي وأولادها. شعرت أن موتهم هو بسببها بطريقة غير مباشرة، تماماً مثلما هو بسبب الخاطفين.

"هذا ما نفعله. تحصل مثل هذه الأمور. نجازف بالمخاطر. في معظم الأحيان، تجري الأمور على ما يرام. وحين لا تجري، نعرف جميعاً أن هذا هو واجبنا، وكذلك تعرف عائلاتنا".

"كيف يتأقلمون مع الأمر؟"

"يتأقلمون. لا تنجح الكثير من الزيجات". أومأت برأسها. لم ينجح زواجها هي أيضاً بطريقة ما. لقد اختار ألان الهروب بدل مواجهة مسؤولياته، وتركها مع فوضى، بدل محاولة تسوية أوضاعه. تركها هي لتفعل ذلك بدلاً منه. أصبح هذا الأمر يحصل معها أكثر فأكثر في الآونة الأخيرة. وقد حصل مع تيد أيضاً. وعليها الآن مواجهة ذلك. شعر بالأسف عليها. كل ما يستطيع فعله لمساعدتها هو بذل ما بوسعه لإعادة ابنها إليها. وهو ينوي فعل ذلك. وافق النقيب على بقائه في المنزل طوال المدة. ستصبح الأمور خطرة ما إن يتصل الخاطفون.

"مــاذا ســأفعل حين يطلبون مني المال؟" كانت تُفكّر في ذلك طوال الــيوم. ليس لديها أي مال لتعطيه لهم، وتساءلت ما إذا كان جاك يستطيع تدبر القليل. إنها تعرف أن هذه ستكون أعجوبة، وفق المبلغ الذي يريدونه. ربما الكثير.

"إذا كنا محظوظين، سنتمكن من تعقب الاتصال، ونلقي القبض عليهم بــسرعة". إذا كانــوا محظوظــين. عرف تيد أنه يجدر بهم العثور عليهم بسرعة وتحرير الصبي.

قالت بهمس تقريباً: "ماذا لو لم نتمكن من تعقب أثر اتصالهم؟"

"ســوف نفعــل". بدا واثقاً، لطمأنتها، لكنه عرف أن الأمر لن يكون ســهلاً مــثلما أراده أن يبدو. عليهم فقط الانتظار ورؤية ما سيحصل عند تلقي الاتصال. كان المفاوضون جاهزين.

لم تمشط شعرها طوال اليوم، لكنها بدت جميلة على كل حال. لطالما بدت كذلك بالنسبة إليه.

"إذا أحضرتُ لكِ شيئاً للأكل، هل تحاولين؟ عليكِ الحفاظ على قوتكِ لتبقــي قــوية حين يتصلون". لكنه عرف أن الوقت لا يزال باكراً جداً. لا تزال مصدومة من كل ما رأته وعاشته في ذلك اليوم. هزّت رأسها.

"لست جائعة". عرفت أنها لا تستطيع الأكل. كل ما استطاعت التفكير بــه هو سام. أين هو؟ ماذا فعلوا به؟ هل تأذى؟ أو مات؟ أو خاف؟ مرّت في رأسها آلاف الأفكار المرعبة.

بعــد نصف ساعة، أحضر لها تيد فنجان شاي، وشربته وهي جالسة على الأرض في غرفة الجلوس، تعانق ركبتيها. عرف أنها لن تنام أيضاً. سيكون الانتظار طويلاً جداً بالنسبة إليها. بالنسبة إليهم جميعاً. لكنه أصعب علــيها. ولم تخبر الولدين الآخرين. وافقت الشرطة على ضرورة الانتظار حتــى تــسمع شيئاً. لا جدوى من بث الرعب فيهما، وهذا ما سيحصل. تم إبــلاغ الــشرطة المحلية في كلا الموقعين، وباتا يراقبان آشلي وويل عن

كــثب. لكــن بعد أن أصبح سام لديهم الآن، شعر تيد أن الولدين الآخرين بأمان، ووافق مدراؤه على ذلك. لن يحاولوا خطف الولدين الآخرين. لديهم كل ما يحتاجون إليه الآن بوجود سام معهم.

استلقت على السجادة في غرفة الجلوس، ولم تقل أي شيء. جلس تيد قــربها، يكــتب التقارير، ويلقي عليها نظرات خاطفة بين الحين والآخر. ذهــب للتحقق من رجاله، وبعد برهة، حين عاد إلى الغرفة وجدها مستلقية علــى الأرض ونائمــة، فتركها هناك. إنها بحاجة إلى النوم. فكّر في نقلها إلى الغرفة، لكنه لم يشأ إزعاجها. استلقى هو على الأريكة قرابة منتصف الليل، ونام لساعات قليلة. كانت الدنيا لا تزال مظلمة حين استيقظ وسمعها تبكــي، مــستلقية على الأرض وعاجزة عن التحرك. لم يقل أية كلمة لها، وإنما جلس على الأرض قربها وأمسكها، واستلقت هي بين ذراعيه، وبكت لــساعات. كانــت الشمس تشرق حين توقفت أخيراً عن البكاء، وشكرته، وصــعدت إلى الأعلى إلى غرفتها. لقد نظفوا الدم عن سجادة الممشى. لم يعــاود تــيد رؤيــتها حتــى الظهــر تقريباً. لم يسمعوا بعد أي شيء من الخاطفين. وبدت فرناندا أسوأ حالاً في كل ساعة.

اتــصل بهــا جاك واترمان بعد ظهر ذلك اليوم، أي في اليوم التالي للخطــف. رنّ الهاتف، وقفز الجميع. قالوا لها قبلاً إنه عليها الإجابة على الهاتــف بنفــسها، كــي لا يخاف الخاطفون من رجال الشرطة، رغم أنهم يشكون في وجودهم في منــزلها، لأنهم كانوا أصلاً موجودين في المنــزل حين جاءوا لخطف سام. أجابت، وكادت تنفجر في البكاء حين أدركت أنه جاك. كانت تصلي أن يكونوا الخاطفين.

سأل وهو يبدو عفوياً ومرتاحاً، "كيف حال الأنفلونــزا؟"

"ليست جيدة".

"تــبدين مريعة. أنا آسف لسماع ذلك. كيف حال سام؟" ترددت لبرهة طــويلة، وانفجــرت في البكاء على رغم جهودها الكبيرة لعدم فعل ذلك.

"فرناندا؟ هل أنتِ على ما يرام؟ ماذا حصل؟" لم تعرف حتى ما يجب قوله. استمرت في البكاء، فيما ازدادت مخاوفه أكثر فأكثر. "هل أستطيع المجيء؟" سألها وهزّت رأسها، ثم وافقت أخيراً. في النهاية، تحتاج إلى مساعدته على كل حال. فستحل الكارثة حين يطلبون المال.

كان واقفاً أمام الباب بعد عشر دقائق، وأصيب بالذهول حين دخل إلى الغرفة. نصف دزينة من الرجال المسلحين بثياب عادية وعملاء من مكتب التحقيقات الفدرالي يمشون في المنزل. نزل أحد المفاوضين إلى الأسفل لتغيير المشهد. كان تيد يتحدث إلى مجموعة صغيرة في المطبخ، الذي بدا نظيفاً بطريقة مفاجئة. ووقفت فرناندا في وسطه، وهي تبدو حزينة. انفجرت في البكاء مجدداً حين رأت جاك. لم تعرف ماذا تقول، فيما قاد تيد بقية الشرطيين والعملاء إلى المطبخ، وأغلق الباب.

"ماذا يحصل هنا؟" سأل جاك وهو يبدو مذعوراً. بدا جلياً أن شيئاً مرعباً حصل. احتاجت إلى خمس دقائق أخرى حتى تخرج الكلمات، فيما جلسا جنباً إلى جنب على الأريكة.

"لقد خطفوا سام".

"من خطف سام؟"

"لا نعرف". أخبرته القصة المرعبة كلها من البداية إلى النهاية، بما في ذلك إدخال سام إلى كيس قماش القنب، ومقتل الشرطيين الأربعة في مطبخها.

"أوه، يا الله. لماذا لم تتصلي بي؟ لماذا لم تخبريني في ذلك اليوم؟" أدرك الآن أن الأمر حصل حينها، عندما ألغت موعدهما في نابا. لقد صدق فعلاً أنها تعاني من الانفلونزا. لكنها تعاني من شيء أسوأ بكثير. بالكاد استطاع تصديق القصة التي أخبرته إياها، لأنها كانت مرعبة جداً.

"ماذا سأفعل حين يطلبون الفدية؟ لا أملك شيئاً لأعطيه لهم لاسترجاع

سام". إنه يعرف ذلك أفضل من أي أحد كان، وهذا سؤال صعب. "تظن الشرطة ومكتب التحقيقات الفدرالي أن الخاطفين يظنون أنني ما زلت أملك كل مال ألان. هذا ما يظنونه على كل حال".

قال جاك وهو يشعر باليأس: "لا أعرف، أتمنى أن يلقوا القبض عليهم قبل أن تضطري إلى دفع المال". فمن المستحيل العثور على مال نقدي لها بمبالغ كبيرة، أو حتى صغيرة. "هل تملك الشرطة أية دلائل على أماكن وجودهم؟" في الوقت الحاضر، لا يوجد شيء.

جلس جاك معها لساعتين، مع ذراعه حولها، وجعلها تعده بأن تتصل به في أية ساعة، إذا سمعت أي شيء أو أرادت رفقة. وقدّم لها اقتراحاً كئيباً قبل أن يغادر. قال لها إنه يجدر بها التوقيع على وكالة عامة له، بحيث يتمكن من اتخاذ القرارات، ونقل الاعتمادات لها، في حال وجودها، إذا حصل أي شيء لها. ما قاله كان محزناً بقدر مشاهدة الشرطة تقص شعر أولادها، لمطابقة الدي أن آي في حال عثر عليهم أمواتاً. في المبدأ، كان جاك يقول الشيء نفسه. أخبرها إنه سيرسل إليها الأوراق لتوقعها في اليوم التالي. وبعد دقائق قليلة، غادر.

تجولت في المطبخ، وشاهدت الرجال يشربون القهوة. أقسمت ألا تدخل إلى الغرفة مجدداً، لكنها دخلت. بات المكان لا يعرف تقريباً. فقد تمت إزالة كل الغرانيت، وتوجب عليهم استبدال طاولة المطبخ بواحدة عملية، لأن دم الرجال الأربعة تغلغل في خشب الطاولة التي كانت لديها. لم تتعرف حتى إلى الكراسي. بدا المكان وكأن قنبلة أصابته، لكن لا يوجد على الأقل أي دليل على الرعب الذي شاهدته هنا في اليوم السابق.

فيما دخلت إلى المطبخ، وقف الرجال الأربعة المسؤولون عن حراستها. كان تيد متكئاً على الجدار يتحدث إليهم، وابتسم لفرناندا حين دخلت. ابتسمت له، وتذكرت الراحة التي قدمها لها في الليلة الفائتة. حتى في خضم المأساة التي تعيشها، ثمة شيء مسالم ومطمئن فيه.

قدّم لها أحد الرجال فنجان قهوة، وعرض عليها علبة من الدوناتس، فأخذت واحدة، وأكلت نصفها قبل أن ترمي ما تبقى منها. هذا هو أول شيء تأكله منذ يومين. إنها تعيش على الشاي والقهوة، وأصبحت على وشك الانهيار. عرفوا جميعاً أنه لا توجد أخبار جديدة. لم يسأل أحد. تحدثوا قليلاً في المطبخ، وبعد برهة، صعدت إلى الأعلى، واستلقت على سريرها. شاهدت المفاوض يمرّ أمام بابها المفتوح، ويدخل إلى غرفة آشلي. لم تعد تخلع ثيابها، إلا للاستحمام. كان ذلك أشبه بالعيش في مخيم عسكري، حيث يوجد حولها في كل مكان رجال مسلحون. أصبحت معتادة على الأمر الآن. لم تعد تهتم للأسلحة. تهتم فقط لابنها. إنه كل ما تهتم به، وكل ما تعيش من أجله، وكل ما تريده، وكل ما تعرفه. استلقت على سريرها، مستيقظة طوال الليل، نتيجة السُكر والقهوة، منتظرة أخبار سام. وكل ما استطاعت فعله هو الصلاة ليبقى حياً.

الفصل السادس عشر

حين استيقظت فرناندا في صباح اليوم التالي، كانت الشمس تشرق للتو فوق المدينة ضمن هالة ذهبية. لم تدرك ذلك إلا حين نزلت إلى الأسفل وشاهدت الصحيفة التي تركها أحد الرجال على الطاولة. إنه الرابع من يوليو. لم يكن يوم أحد، لكن كل ما عرفته حين جلست ونظرت إلى شروق الشمس هو أنها تريد الذهاب إلى دار العبادة، وعرفت أنها لا تستطيع ذلك. لا تستطيع ترك المنزل في حال اتصلوا. لم تقل أي شيء حول ذلك لتيد، فيما جلسا في المطبخ بعد برهة، وفكّر هو في الأمر لدقيقة ثم سألها ما إذا كانت تودّ رؤية رجل الدين. بدا لها الأمر غريباً. كانت تحب اصطحاب الأولاد إلى دار العبادة أيام الآحاد، لكنهم عارضوا الذهاب منذ وفاة آلان. وأصبحت هي محطمة الفؤاد كثيراً بحيث لم تذهب هي أيضاً إلى دار العبادة في الآونة الأخيرة. لكنها عرفت أنها تريد رؤية رجل الدين الآن. أرادت التحدث إلى أحد والصلاة معه، وشعرت أنها نسيت كيف تفعل ذلك.

"هل هذا غريب؟" سألت تيد، وهي تبدو محرجة، وهزّ هو رأسه. لم يتركها منذ أيام. إنه في المنزل معها. لقد أحضر ثيابه معه. عرفت أن بعض الرجال ينزلون في غرفة نوم ويل. إنهم يتناوبون على النوم فيها، بحيث ينام واحد كل مرة فيما يتولى الآخرون مراقبة المنزل، والهواتف، ومراقبتها هي. يستعمل أربعة أو خمسة رجال السرير في المناوبات خلال أربع وعشرين ساعة.

"ما من شيء غريب إذا كنت تريدين ذلك. هل تريدين مني أن أسأل لك إذا كنت أستطيع إحضار أحد إلى هنا، أو هناك رجل دين تريدين الاتصال به؟"

"لا يهم". قالت وهي تبدو خجولة. هذا غريب، لكن بعد الأيام القليلة التي أمضياها معاً، شعرت وكأنهما صديقان. يمكنها قول أي شيء له. في مثل هذه الحالة، لا يوجد كبرياء أو تصنّع، وإنما فقط صدق وألم.

اكتفى بالقول: "سأجري بعض الاتصالات". وبعد ساعتين، وقف رجل شاب أمام الباب. بدا أنه يعرف تيد، ودخل بهدوء. تحدثا لدقائق قليلة، ثم لحق بتيد إلى الطابق العلوي. كانت تستلقي في سريرها، فطرق على الباب المفتوح. جلست، وحدّقت في تيد، متسائلة من يكون الرجل الآخر. كان يرتدي صندلاً، وقميصاً قطنياً، وسروال جينز. كانت تستلقي هناك، تنتظر اتصال الخاطفين، حين دخل.

"مرحباً". قال تيد وهو يقف في باب غرفتها، ويشعر بالغرابة إذ كانت مستلقية على سريرها. "إنه صديقي. واسمه ديك واليس. إنه رجل دين". نهضت حينها عن السرير ووقفت، وتوجهت نحوهما وشكرته على قدومه. بدا شبيهاً بلاعب كرة قدم أكثر من رجل دين. بدا شاباً، في منتصف الثلاثينيات، لكن حين تحدثت إليه، لاحظت أن عينيه لطيفتان. وفيما دعته للدخول إلى غرفة نومها، نزل تيد بهدوء إلى الأسفل.

قادت فرناندا رجل الدين الشاب إلى غرفة جلوس صغيرة متفرّعة من غرفة نومها، ودعته للجلوس. لم تكن واثقة مما يجب قوله له، وسألته إذا كان يعرف بما حصل. قال إنه يعرف. أخبرها أنه احترف لعب كرة القدم لمدة سنتين بعد الثانوية، ثم قرر أن يصبح رجل دين. أخبر فرناندا التي أصغت إليه بهدوء أنه الآن في التاسعة والثلاثين، ومضى على وجوده في الكهنوت خمسة عشر عاماً. قال إنه التقى بتيد قبل أعوام عدة حين عمل قسيساً في الشرطة، وقتل أحد أصدقاء تيد المقرّبين. جعله ذلك يطرح

الكثير من التساؤلات حول معنى الحياة، وكم هي تافهة.

"تطرح جميعاً مثل هذه الأسئلة على أنفسنا في بعض الأحيان. لا بد أنك تطرحين الأسئلة نفسها الآن. هل تؤمنين بالله؟" سألها حينها، وفاجأها.

"أظن ذلك. لطالما آمنت به". ثم نظرت إليه بغرابة. "خلال الأشهر القليلة الماضية، توفي زوجي، أظن أنه انتحر".

"لا بد أنه كان خائفاً جداً لفعل مثل هذا الشيء". إنها فكرة مثيرة، وأومأت برأسها. لم تفكر أبداً في المسألة بهذه الطريقة. لكنّ ألان كان خائفاً، واختار الهروب.

"أظن أنه كان كذلك. أنا خائفة الآن". قالت بصدق، ثم بدأت تبكي. "أنا خائفة جداً من أن يقتلوا ابني". لم تستطع التوقف عن البكاء الآن.

سألها برفق، "هل تظنين أنه يمكنك الوثوق بالله؟" ونظرت إليه لوقت طويل.

"لست واثقة. كيف يمكنه أن يسمح بحدوث ذلك لي، ويترك زوجي يموت؟ ماذا لو قتل ابني؟" قالت فيما بكت.

"يمكنك ربما محاولة الوثوق فيه، والوثوق في هؤلاء الأشخاص الموجودين هنا لمساعدتك وإعادته إليك. أينما كان ابنك الآن، فهو في رعاية الله. الله يعلم أين هو فرناندا. هذا كل ما تحتاجين إلى معرفته. كل ما يمكنك فعله. اتركيه بين يدي الله". ثم قال شيئاً غريباً جداً لها بحيث لم تعرف بماذا تجيبه. "تخضع جميعاً لتجارب مريعة أحياناً، لأشياء نظن جميعاً أنها ستحطم روحنا وتقتلنا، لكنها تجعلنا أقوى في النهاية. تبدو مثل ضربات قاسية جداً، لكنها بطرق ما أشبه بتجارب يجربنا بها الله. أعرف أن هذا قد يبدو جنوناً بالنسبة إليك، لكن هذه هي الحقيقة. لو لم يكن يحبك، لما منحك مثل هذه التحديات. إنها فرص للنعمة. ستكونين أقوى بعد هذا. أعرف ذلك. هذه هي طريقة الله في إخبارك أنه يحبك. إنه اختبار لك. هل تفهمين ذلك؟"

نظرت فرناندا إلى رجل الدين الشاب مع ابتسامة حزينة، وهزّت رأسها. "لا". لا تريد أن تفهم ذلك. "لا أريد مثل هذا النوع من التجارب. أو موت زوجي. كنت بحاجة إليه. وما زلت".

"لا نرغب أبداً في مثل هذه التجارب فرناندا. لا أحد يرغب. في الواقع، إن الله يحبنا كثيراً. وهو يحبك أيضاً". جلسا بهدوء لفترة طويلة بعدها، وعلى رغم اعتبارها ما قاله لها حول أن الخطف هو تجربة من الله بمثابة جنون، شعرت بتحسن، ولم تكن واثقة من السبب. لقد نجح حضور رجل الدين الشاب في تهدئتها نوعاً ما. وقف بعد برهة، وشكرته. لمس رأسها برفق قبل أن يغادر، وباركها، الأمر الذي أراحها نوعاً ما. "سأصلي لأجلكِ ولأجل سام. أودّ أن ألتقي به يوماً ما". ابتسم لها واليس.

"أتمنى ذلك". أومأ برأسه، ثم تركها. لا يبدو أبداً مثل رجل دين، لكنها أحبت ما قاله لها. جلست لوحدها في غرفتها لوقت طويل بعد ذلك، ثم نزلت إلى الأسفل للعثور على تيد. كان في غرفة الجلوس، يتحدث على هاتفه الخلوي، وأنهى الاتصال عندما دخلت إلى الغرفة. كان يتحدث إلى ريك لمجرد إضاعة الوقت. ما من أخبار جديدة.

"كيف كان؟"

قالت مبتسمة: "لست أكيدة. فهو إما رائع أو مجنون. لست متأكدة".

"ربما الاثنان. لكنه ساعدني كثيراً حين توفي صديقي، ولم أستطع استيعاب الأمر. كان الرجل يملك ستة أولاد، وكانت زوجته حاملاً بطفل جديد. قتله رجل مشرّد طعنه من دون سبب، وتركه هناك ليموت. لا بطولة ولا موت بطولي. فقط مجنون وسكين. كان الرجل المشرد مجنوناً. خرج من مستشفى الأمراض العصبية قبل يوم واحد. هذا غير منطقي. على الإطلاق". من غير المنطقي أيضاً قتل أربعة رجال في مطبخها، وخطف ابنها. بعض الأشياء غير منطقية.

قالت لتيد: "قال إن هذا اختبار من الله".

"لست أكيداً من أنني أوافقه الرأي. ربما كان يجدر بي الاتصال برجل دين آخر". بدا تيد مرتبكاً.

"لا. أحببته. أود رؤيته مجدداً. ربما بعد انتهاء كل ذلك. لا أعرف. أظن أنه ساعدني".

قال تيد بهدوء: "هذا ما شعرت به دوماً معه. إنه شخص مؤمن جداً. يبدو أنه لا يشكك أبداً في ما يؤمن به. أتمنى لو أستطيع قول الشيء نفسه عني". ابتسمت فرناندا. بدت أكثر ارتياحاً. لقد أفادها التحدث إلى رجل الدين، مهما كانت كلماته غريبة.

"لم أذهب إلى دار العبادة منذ أن مات ألان".

قال تيد: "لديك الحق في ذلك".

"ربما لا. قال إن هذه فرصة للنعمة".

قال تيد بصدق: "أظن أن كل الأشياء الصعبة هي كذلك. أتمنى لو نمرّ بتجارب أقل للحصول على النعمة". لقد نال حصته هو أيضاً، رغم أنها لم تكن سيئة بهذا القدر.

قالت بهدوء: "نعم، وأنا أيضاً".

توجها إلى المطبخ حينها لملاقاة الآخرين. كان الرجال يلعبون الورق على طاولة المطبخ، ووصلت للتو علبة من الشطائر. من دون تفكير، أخذت شطيرة وتناولتها، ثم شربت كوبين من الحليب. لم تقل كلمة واحدة لتيد حين فعلت ذلك. كل ما استطاعت التفكير به هو ما قاله رجل الدين واليس عن أن هذا اختبار من الله. بدا الأمر غريباً نوعاً ما، لكنه صحيح، حتى بالنسبة إليها. وللمرة الأولى منذ اختطافه، شعرت أن سام لا يزال على قيد الحياة.

وصل بيتر مورغان إلى بحيرة تاهو في سيارة الهوندا بعد ساعتين من وصول كارل ورفيقيه مع سام. وحين وصل إلى هناك، كان سام لا يزال في كيس القنب.

قال بيتر لمالكولم ستارك الذي وضع الكيس في غرفة نوم خلفية، ورماه على السرير: "ليس هذا ذكياً جداً، أفترض أن الشريط اللاصق لا يزال على فم الولد. ماذا لو كان لا يستطيع التنفس؟" بدا ستارك مرتبكاً، سرّ بيتر لأنه جاء. كان أديسون محقاً. لا يمكن الوثوق فيهم مع الصبي. عرف بيتر أنهم وحوش. لكن وحدها الوحوش تستطيع تنفيذ هذه المهمة.

سأله كارل عن سبب مجيئه إلى تاهو، وقال له بيتر إنه بعد مقتل الشرطيين، يريده الرئيس أن يكون معهم.

بدا كارل قلقاً، "هل انزعج؟"

تردد بيتر قبل الإجابة، "تفاجأ. فقتل الشرطيين يعقد الأمور. سيبحثون عنا بجدية أكثر مما لو خطفنا فقط الصبي". وافق كارل. كان حظاً سيئاً.

قال لبيتر، وهو لا يزال يبدو منزعجاً: "لا أعرف كيف فاتتك رؤية رجال الشرطة".

"ولا أنا". ظل بيتر يتساءل ما إذا كان شيء مما قاله أديسون في استجواب مكتب التحقيقات الفدرالي قد أفشى بهم. فما من احتمال آخر. كان حذراً جداً أثناء مراقبة فرناندا. وحتى ذلك الحين، لم يرتكب واترز وستارك وفري أية أخطاء يعرفها. لذا، حين وجدوا رجال الشرطة في مطبخ فرناندا، لم يكن لديهم أي خيار سوى قتلهم. حتى بيتر وافق على ذلك. لكنه حظ سيئ. بالنسبة إليهم جميعاً. "كيف حال الولد؟" سأل مجدداً وهو لا يريد أن يبدو قلقاً جداً. لكن ستارك لم يذهب بعد إلى الغرفة الخلفية لإحضاره.

قال كارل بغموض: "أظن أنه يجدر بأحد التحقق منه". كان جيم فري يحضّر الطعام في المطبخ، وكانوا جميعاً جائعين. لقد كان يوماً طويلاً ورحلة طويلة.

"أنا سأفعل". تطوّع بيتر بطريقة عفوية، وذهب إلى الغرفة الخلفية، وفك عقدة الحبل التي كانت تربط الكيس. فتح الكيس بسرعة، وهو يخشى

أن يكون سام قد اختنق، ثم شاهد عينيه البنيتين الكبيرتين. وضع بيتر إصبعه على شفتيه. لم يكن واثقاً إلى جانب من يقف في الوقت الحاضر، إلى جانب أم الصبي، أو جانبهم هم. أو ربما جانب الصبي نفسه. أبعد الكيس عن سام، ونزع الشريط اللاصق برفق عن فمه، لكنه أبقى يديه وقدميه موثوقتين. "هل أنت بخير؟" همس له، وأومأ سام برأسه. كان وجهه متسخاً وبدا خائفاً. لكنه على الأقل لا يزال حياً.

همس سام، "من أنت؟"

أجابه بيتر هامساً،"لا يهم".

"هل أنت شرطي؟" هزّ بيتر رأسه. "أوه". لم يتفوه سام بالمزيد وإنما راقب فقط، وبعد بضع دقائق، غادر بيتر الغرفة، ودخل إلى المطبخ حيث كان الآخرون يتناولون الطعام، ووضع أحدهم صينية من اللحم والفول داخل الفرن. ثمة فلفل حريف أيضاً.

قال بيتر لواترز: "من الأفضل أن نطعم الولد". وأومأ برأسه. لم يفكّروا في ذلك أيضاً. ولا حتى الماء. لقد نسوا ذلك. ثمة أشياء أهم في رؤوسهم من إطعام سام.

"بحق الله". تذمر مالكولم ستارك، فيما ضحك جيم فري، "لا ندير هنا حضانة للأطفال. اتركه في الكيس".

قال بيتر بطريقة عملية: "إذا قتلته، لن يدفعوا لنا". فضحك كارل واترز.

"إنه محق. قد ترغب أمه في التحدث إليه حين نتصل بها. اللعنة، يمكننا إطعامه بين الحين والآخر لأنه سيحضر لنا مئة مليون دولار. أعطه الغداء". نظر إلى بيتر حين قال ذلك، وطلب منه تنفيذ المهمة. هزّ بيتر كتفيه، ووضع شريحة لحم بين شريحتين من الخبز، وعاد إلى الغرفة الخلفية. وحين وصل إلى هناك، جلس على السرير قرب سام، ووضع الشطيرة في فمه. لكنّ سام هزّ رأسه.

"هيا سام، عليك أن تأكل". قال بيتر، كما لو أنه يعرفه جيداً. بعد مراقبته لأكثر من شهر، شعر أنه يعرفه فعلاً. تحدث إليه بيتر برفق كما لو أنه يتحدث مع ابنتيه محاولاً إقناعهما بفعل شيء ما.

"كيف تعرف اسمي؟" بدا سام مرتبكاً. سمع بيتر أمه تناديه باسمه مئات المرات.

لم يكف بيتر عن التساؤل عن حالها، وكم هي مضطربة. فبعدما لاحظ كم هي قريبة من أولادها، عرف مرارة ما يحصل معها. لكنّ الصبي في حال جيدة، خصوصاً بعد الصدمة التي عاشها، وبقائه محتجزاً داخل كيس قنب لأربع ساعات. الولد شجاع، وقد أعجب بيتر بشجاعته. عرض عليه الشطيرة مجدداً، وهذه المرة تناول سام قضمة. في النهاية، أكل نصف الشطيرة، وحين نظر إليه بيتر من الباب، قال له سام: "شكراً". خطر حينها في بال بيتر أمر آخر والتفت لسؤاله إذا كان يريد الدخول إلى الحمام، وبدا سام غريباً لدقيقة، ثم عرف بيتر ما حصل. لقد بوّل في ثيابه قبل وقت طويل. ومن لا يفعل ذلك. فهو لا يعرف أين هو، وكان خائفاً من الرجال الذين خطفوه، بما في ذلك بيتر. أخرجه بيتر من الكيس بشكل كامل، وأخذه إلى الحمام، وانتظره حتى بوّل، ثم أعاده مجدداً إلى الغرفة، وتركه على السرير. لا يستطيع فعل المزيد له. لكنه غطاه ببطانية قبل أن يغادر، وراقبه سام فيما كان يغادر.

تلك الليلة، عاد بيتر إليه قبل أن يخلد إلى النوم وأخذه إلى الحمام مجدداً. أيقظه لفعل ذلك، كي لا يبوّل في ثيابه ثانية. وأعطاه كوباً من الحليب وقطعة بسكويت. التهم سام الاثنين، وشكره مجدداً. وحين رآه سام يظهر في اليوم التالي، ابتسم له.

"ما اسمك؟" سأله سام بحذر.

تردد بيتر قبل إخباره، ثم رأى أنه لا يملك شيئاً ليخسره. لقد رآه الصبي على كل حال. "بيتر". أومأ سام برأسه. وعاد بيتر بعد برهة مع

الفطور. أحضر له اللحم مع البيض المقلي. أصبح سريعاً المسؤول الرسمي عن الولد. كان الآخرون سعداء بعدم فعل ذلك. أرادوا مالهم وليس الاهتمام بصبي عمره ستة أعوام. وبطريقة غريبة، شعر بيتر أنه يفعل ذلك من أجل فرناندا، وعرف أن هذا صحيح.

جلس مع الصبي لفترة خلال بعد الظهر، وعاد مجدداً تلك الليلة. جلس بيتر على السرير قربه، ومشط شعره.

"هل ستقتلني؟" سأل سام بصوت خافت. بدا خائفاً وحزيناً، لكنّ بيتر لم يشاهده أبداً يبكي. عرف كم أن الأمر مرعب بالنسبة إليه، لكنه شجاع كثيراً، وكان كذلك منذ بداية الحادثة.

"لا. لن أفعل. سنعيدك إلى المنزل إلى أمك بعد أيام قليلة". بدا أن سام لم يصدقه، لكنّ بيتر بدا جدياً حين قال ذلك. لم يكن سام واثقاً من الآخرين. استطاع سماعهم في الغرفة الأخرى، لكنهم لم يدخلوا أبداً لرؤيته. كانوا سعداء بترك بيتر يتولى هذه المهمة. أخبرهم أنه يحمي استثمارهم، الأمر الذي اعتبروه مضحكاً.

"هل سيتصلون بأمي ويطلبون المال؟" سأل سام بنعومة وأومأ بيتر برأسه. أحب الصبي أكثر مما أحب الآخرين. بكثير. إنهم مزعجون كثيراً. كانوا يتحدثون عن رجال الشرطة الذين قتلوهم وكيف فعلوا ذلك. شعر بيتر بالقرف بمجرد الاستماع إليهم. من الأفضل كثيراً التحدث إلى سام.

"في النهاية". قال بيتر إجابة على سؤاله حول طلب المال من فرناندا. لم يقل له فيليب متى سيفعلون ذلك، ولم يكن واثقاً هو نفسه من ذلك. ربما بعد يومين، وفق الخطة.

قال سام بهدوء وهو يراقب بيتر، كما لو أنه يحاول حسم الأمر، وهذا ما كان يفعله، "لا تملك أمي أي شيء". لقد أحبه، ولكن ليس تماماً. فهو في النهاية أحد الخاطفين. لكن كان لطيفاً معه على الأقل.

"أي ماذا؟" سأل بيتر وهو يبدو شارد الذهن. كان يفكر في أمور أخرى. مثل هروبهم. لقد أعدوا خططهم، لكنه كان قلقاً على كل حال. سيتوجه الثلاثة الآخرون إلى المكسيك، ومن هناك إلى أميركا الجنوبية بجوازات سفر مزورة. سيذهب بيتر إلى نيويورك، لمحاولة رؤية ابنتيه. ومن هناك، سيتوجه إلى البرازيل. لديه بعض الأصدقاء هناك من أيام تجارة المخدرات.

"لا تملك أمي أي مال". قال سام بهدوء، كما لو أن هذا سرٌ يجدر به الاحتفاظ به، لكنه يتشاركه مع بيتر.

ابتسم بيتر، "بلى تملك".

"لا، لا تملك شيئاً. لهذا السبب، قتل والدي نفسه. لقد خسر كل شيء". جلس بيتر على السرير وحدّق فيه لبرهة طويلة، متسائلاً ما إذا كان يعرف عما يتحدث. إنه يحب الصراحة والصدق عند الأولاد.

"ظننت أن والدك مات في حادث، فقد سقط من مركب".

"لقد ترك رسالة إلى أمي. أخبرت محامي البابا أنه انتحر".

"وكيف عرفت؟"

بدا سام محرجاً لدقيقة، ثم اعترف. "كنت أسترق السمع عبر الباب".

"هل تحدثت معه بشأن المال؟" بدا بيتر قلقاً.

"مرات عدة. إنهما يتحدثان عن المال كل يوم. قالت إن كل شيء ذهب. هناك الكثير من الرهونات أو ما شابه. هذا ما تقوله لنا دوماً. لم يبقَ شيء سوى الرهونات". فهم بيتر الموضوع أكثر منه. إنها تتحدث عن الديون وليس عن الرهونات. "ستبيع المنزل. لكنها لم تخبرنا بعد". أومأ بيتر برأسه ثم نظر إليه بحزن.

"لا أريدك أن تقول هذا لأي شخص آخر. هل تعدني؟" أومأ سام برأسه وهو يبدو حزيناً جداً.

قال سام بعينين حزينتين: "سيقتلونني إذا لم تدفع لهم المال، أليس كذلك؟" فهز بيتر رأسه وهمس له، "لن أسمح لهم بفعل ذلك. أعدك". ثم غادر الغرفة للانضمام إلى الآخرين.

تذمر ستارك، "يا الله، أنت تمضي الكثير من الوقت مع الصبي". فنظر واترز إلى ستارك باشمئزاز.

"كن مسروراً لأنك لست أنت من يفعل ذلك. لن أفعل ذلك أنا أيضاً".

قال جيم فري: "أحب الأولاد، أكلت واحداً ذات مرة". ضحك بصوت عالٍ على ذلك. كان يشرب شراب الشعير طوال الليل. لم يحكم عليه أبداً بإيذاء ولد، وافترض بيتر أنه يتمرّ، لكنه لم يحب ذلك على أية حال. لم يحب أي شيء فيهم.

لم يقل بيتر أي شيء لواترز حتى صباح اليوم التالي، ثم نظر إليه بقلق، كما لو أنه خائف من أمر ما.

سأله بيتر بصراحة، "ماذا لو لم تدفع لنا؟"

"ستدفع. إنها تريد استرداد ابنها. ستدفع كل ما نطلبه". كانوا يتحدثون عن هذا الموضوع طوال الليلة الفائتة، ويفكرون في طلب المزيد، للحصول على حصة أكبر.

"وإذا لم تفعل؟"

قال كارل ببرودة: "ما رأيك؟ إذا لم تدفع، لن يهمنا، سنتخلص منه ونهرب". هذا ما كان يخشاه هو وسام. لكنّ اعتراف سام له في الليلة الفائتة بشأن الوضع المالي لأمه فتح آفاقاً جديدة أمام بيتر. لم يخطر في باله أبداً أنها مفلسة. رغم أنه طرح السؤال على نفسه مرة أو مرتين، لم يشك بيتر أبداً في أنها مفلسة. لكنه يشعر الآن بشيء مختلف. فثمة أمر في ما قاله سام أنذر بيتر بأن الأمر صحيح. ويشرح ذلك أيضاً سبب عدم ذهابها إلى أي مكان، أو فعل أي شيء، وعدم وجود خدم في المنزل. لقد توقعها أن تعيش حياة أكثر فخامة. ظن أنها تمكث في المنزل لأنها تحب أولادها،

لكن ثمة سبب إضافي ربما وراء ذلك. وكان لديه إحساس بأن المحادثات التي سمعها سام بين أمه والمحامي حقيقية فعلاً. لكن عدم امتلاك أي مال يبقى نسبياً لمختلف الأشخاص. فربما لا يزال لديها البعض منه، ولكن ليس كل ما كانوا يملكونه. إلا أن ملاحظة الانتحار مهمة. إذا كان هذا صحيحاً، يعني ذلك أنه لم يبقَ أي شيء من ثروة ألان بارنز. شعر بيتر بالكثير من القلق، وفكّر في الأمر طوال اليوم، وفي ما قد يعنيه ذلك له وللآخرين. والأسوأ من ذلك، لسام.

بقوا هكذا ليومين إضافيين، ثم قرروا الاتصال بها. أجمع الرجال الأربعة على أن الوقت قد حان. استعملوا هاتف بيتر الخلوي الذي لا يمكن تعقب أثره، وطلبوا رقم هاتفها. أجابت بنفسها بعد الرنة الأولى، وبدا صوتها خشناً. كاد يختفي ما إن عرفت من يكون المتصل. تحدث بيتر بهدوء، وهو يتألم بصمت عنها، وعرّف عن نفسه بالقول إنه يملك أخباراً عن ابنها. كان المفاوض يصغي على الهاتف، وكانوا يحاولون تعقب أثر الاتصال.

"لديّ صديق يرغب في التحدث إليك". قال بيتر ودخل إلى الغرفة الخلفية فيما حبست فرناندا أنفاسها، ولوحت بعصبية لتيد. لقد عرف من هو المتصل. كان المفاوض يستمع مثلها إلى الاتصال، وكانوا يسجلون المكالمة.

قال سام فيما ملأت الدموع عينيها وحبست أنفاسها: "مرحباً أمي".

"هل أنت بخير؟" بالكاد استطاعت الكلام، إذ كانت ترتجف كثيراً.

"نعم، أنا بخير". وقبل أن يتمكن من قول المزيد، أبعد بيتر الهاتف عنه فيما راقب واترز. خشي بيتر أن يقول لها سام إنه كان لطيفاً معه، بهدف طمأنتها، وهو لا يريد أن يسمع الآخرون ذلك. استردّ بيتر الهاتف، وتحدث إليها بوضوح. بدا واضحاً وبارداً، الأمر الذي فاجأها. فحسب ما رأته في منزلها قبل أربعة أيام، توقعتهم أن يكونوا حمقى. لكنّ هذا الرجل ليس أحمق بالتأكيد. بدا مثقفاً، ومهذباً، ولطيفاً في نبرته.

"إن بطاقة عودة ابنك إلى المنزل ستكلفك مئة مليون دولار". قال بيتر من دون أن يرف له جفن، فيما أصغى إليه الآخرون ووافقوا على كلامه. أحبوا أسلوبه. بدا عملياً، ومهذباً، وبارداً. قال لها: "باشري في عدّ أموالك. سنتصل بك بعد فترة وجيزة لنخبرك بطريقة التسليم". وقطع الاتصال قبل أن تجيب. التفت إلى الآخرين الذين حيّوه. سأل بيتر، "كم من الوقت سنعطيها؟" لقد تحدث مع أديسون عن أسبوع أو أسبوعين على الأكثر، لإنجاز المعاملات. في ذلك الوقت، أجمعوا كلهم على أن الانتظار لأكثر من ذلك ليس ضرورياً. لكن بعد ما قاله سام، لم يعد واثقاً ما إذا كان الوقت مهماً أو سيشكل فرقاً. إذا كانت لا تملك المال، فلن تستطيع إحضاره من أي مكان. حتى لو كان بارنز يملك بعض الاستثمارات الصغيرة، تستطيع ربما الحصول على مليون أو اثنين. لكن حسبما قاله سام عن ديونها، وانتحار والده، تساءل بيتر ما إذا كانت تملك حتى هذا المبلغ. ومن غير المجدي تقسيم مليوني دولار على خمسة أشخاص.

تلك الليلة، شرب الثلاثة الآخرون الكحول حتى الثمالة، وجلس هو يتحدث إلى سام مجدداً لوقت طويل. كان ولداً لطيفاً، وشعر بالحزن بعد التحدث إلى أمه.

من جهتها، جلست فرناندا في غرفة الجلوس وهي مصدومة، تنظر إلى تيد.

"ماذا سأفعل؟" كانت في قمة اليأس. لم تظن أبداً أنهم سيطلبون هذا المقدار من المال. مئة مليون دولار شيء يفوق الخيال. ولا شك في أنهم مجانين.

قال تيد بهدوء: "سنجده". هذا هو الخيار الوحيد الآن. لكنهم لم يستطيعوا تعقب أثر الاتصال. فقد انقطع الاتصال بسرعة، رغم أنه كان بوسعهم تعقبه لو اتصل الخاطف من هاتف يمكن كشفه. لكنه كان يستعمل هاتفاً خلوياً لا يمكن تعقب أثره. إنه من الهواتف القليلة التي لا يمكن تعقب

أثرها. إنهم يعرفون تماماً ماذا يفعلون. لكنها تحدثت على الأقل مع سام.

اتصلت بجاك واترمان فيما كان تيد يتحدث إلى النقيب. أخبرته عن مقدار الفدية، فجلس صامتاً ومذهولاً في الطرف الآخر. كان بوسعه مساعدتها لغاية نصف مليون دولار حتى تبيع المنزل، لكن أكثر من ذلك لا يستطيع، وهي لا تملك أي شيء في المصرف. تملك حالياً خمسين ألف دولار تقريباً في حسابها. لذا، فإن أملهم الوحيد هو العثور على الصبي قبل أن يقتله الخاطفون. صلى جاك أن ينجحوا في العثور عليه. أخبرته أن الشرطة ومكتب التحقيقات الفدرالي يفعلان كل ما بوسعهما، لكنّ الخاطفين هم من المجرمين المحترفين. لقد اختفى تماماً الخاطفون الأربعة. ولا يعرف المخبرون المعتمدون أي شيء عنهم.

بعد يومين، اتصل ويل بالمنزل، وعرف لحظة سماع صوتها أن شيئاً ما حصل. لكنها أنكرت. إلا أنه يعرفها أكثر مما تظن. أخيراً، انهارت، وبكت، وأخبرته أنه تم اختطاف سام، فتوسلها ليعود من المخيم إلى المنزل.

"لا حاجة إلى ذلك. فالشرطة تفعل كل ما بوسعها، ويل. من الأفضل أن تبقى في المخيم". رأت أن وجوده في المنزل سيكون مزعجاً جداً له.

قال لها وهو يبكي على الهاتف: "أمي، أريد أن أكون معك". اتصلت بجاك، وطلبت منه الذهاب لإحضاره، وبعد ظهر اليوم التالي، دخل ويل إلى المنزل، وانفجر في البكاء حين رمى نفسه بين ذراعيها. وقفا يمسكان ببعضهما لوقت طويل، وأمضيا ساعات طويلة تلك الليلة وهما يتحدثان في المطبخ. بقي جاك معهما لبعض الوقت، ثم غادر، إذ لم يشأ التطفل. تحدث مع تيد والرجال الآخرين لبضع دقائق، وأخبروه أنهم لا يملكون أية أخبار جديدة. المحققون يمشطون الولاية، لكن لم يشاهد أحد لغاية الآن أي شيء يثير الشبهة. وكانت الشرطة تبحث عن الرجال من خلال الصور، لكنّ أحداً لم يرهم، ولا يوجد أي أثر لسام أو لأي شيء

يملكه أو كان يلبسه. لقد اختفى الولد من دون أي أثر وكذلك اختفوا هم. الآن، يمكن أن يكونوا في أي مكان؛ على حدود الولاية في مكان ما، أو حتى في المكسيك. عرف تيد أنهم يستطيعون الاختباء لوقت طويل، طويل جداً بالنسبة إلى سام.

نام ويل في غرفته تلك الليلة، ونام الرجال في غرفة نوم آشلي. كان باستطاعتهم النوم في غرفة سام، لكنّ الأمر بدا بمثابة تدنيس لحرمة غرفة المخطوف نوعاً ما. وحتى الساعة الرابعة فجراً، بقيت فرناندا عاجزة عن النوم، فنزلت إلى الأسفل لترى ما إذا كان تيد مستيقظاً. كان مستلقياً على الأريكة، وعيناه مفتوحتان، وهو يُفكّر. كان الرجال الآخرون في المطبخ يتحدثون، فيما أسلحتهم جاهزة، كما هي الحال دوماً. بدا المطبخ أشبه بغرفة طوارئ، أو وحدة للعناية الفائقة، حيث يبقى الأشخاص مستيقظين طوال الليل، وهم يحملون المسدسات، وينتظرون لمد العون لها. لم يعد هناك فرق واضح بين الليل والنهار. كل شيء متماثل، وهناك دوماً أشخاص يتحدثون على الهواتف الخلوية، ويبقون مستيقظين.

جلست على كرسي قرب تيد، ونظرت إليه بيأس. بدأت تفقد الأمل. إنها لا تملك المال، ولم تعثر الشرطة على ابنها. لا يعرفون حتى أين يختبئ الخاطفون. وكانت الشرطة ومكتب التحقيقات الفدرالي حريصين على عدم التصرف بطريقة علنية. قالوا إن هذا سيعقد الأمور ويجعلها أسوأ. وإذا أغضبوا الخاطفين، لا شك في أنهم سيقتلون سام. لا يريد أحد المجازفة بهذا. ولا هي أيضاً.

تلك الليلة، ذهب تيد إلى منزله لبضع ساعات، وتناول العشاء مع شيرلي. تحدثا عن القضية وقالت إنها تشعر بالأسف على فرناندا. لاحظت أن هذا هو شعور تيد أيضاً. سألته ما إذا كانوا سيعثرون على الصبي في الوقت المناسب، وقال لها إنه بصراحة لا يعرف.

سألته فرناندا حين عاد إلى منزلها، "متى تظن أننا سنسمع منهم مجدداً؟" كانت غرفة الجلوس مظلمة، والضوء الوحيد في الغرفة كان آتياً من الممر.

فطمأنها قائلاً: "سيتصلون سريعاً ليخبروك عن كيفية دفع المال. لكنها لم تلاحظ الفرق الذي قد يحدثه ذلك. لقد أجمعوا على أنها ستحاول المواربة عليهم. لكنهم سيكتشفون عاجلاً أم آجلاً أنها لن تدفع. عرف تيد أنه يجدر بهم العثور على سام قبل ذلك. اتصل برجل الدين واليس بعد ظهر ذلك اليوم. لا يسعهم فعل أي شيء سوى الصلاة. ما يحتاجون إليه هو الراحة. تسخّر الشرطة ومكتب التحقيقات الفدرالي كل المخبرين لديهم، لكن لم يسمع أحد أية كلمة عن الخاطفين أو سام.

اتصل بها الخاطفون في صباح اليوم التالي. سمحوا لها بالتحدث إلى سام مجدداً، وبدا عصبياً. كان كارل واترز يقف بالقرب منه فيما وضع بيتر الهاتف على أذنه، وبالكاد استطاعت فرناندا سماعه يقول: "مرحباً أمي". قبل أن يبعدوا الهاتف عنه مجدداً. أخبرها الصوت الذي تحدث معها على الهاتف أنها إذا أرادت التكلم مع ابنها، فعليها دفع الفدية. سيعطونها خمسة أيام لتحضّرها، وقالوا إنهم سيعطونها تفاصيل عن طريقة الدفع حين يتصلون بها في المرة التالية، وأقفلوا الخط مجدداً. أصيبت بالجنون بعدما استمعت إليهم هذه المرة. ما من طريقة للدفع. ومرة جديدة، لم يتمكنوا من تعقب أثر الاتصال. كل ما عرفته الشرطة أن أياً منهم لم يتوجه إلى مراقب إقامته هذا الأسبوع، وهذه أخبار قديمة. إنهم يعرفون من فعل ذلك. لكن ما لا يعرفونه هو إلى أين ذهبوا، وماذا فعلوا بسام. وفي هذا الوقت، امتلك فيليب أديسون العذر المثالي، وكان يجلس في جنوب فرنسا. تحقق مكتب التحقيقات الفدرالي من اتصالاته الهاتفية في الفندق. لم يجر أية اتصالات دولية بهواتف خلوية في الولايات المتحدة، ولم يحصلوا على أي شيء حول الاتصالات الواردة إليه. ومن الوقت الذي بدأ فيه مكتب التحقيقات

الفدرالي يراقب اتصالاته، بعد ساعات قليلة على الخطف، لم يتلقَّ اتصالاً واحداً من الخاطفين. إنهم يملكون التعليمات، ويتصرفون لوحدهم، فبيتر يبذل ما بوسعه لحماية سام. وشعر كارل والآخران بقلق أكبر للحصول على المال. أما تيد وريك، والشبكات، والوكالات، والمخبرون الذين استخدموهم فلم يتوصلوا إلى أي شيء. وشعرت فرناندا أنها ستصاب بالجنون.

الفصل السابع عشر

الاتصال الأخير الذي تلقته فرناندا من الخاطفين قال لها إنه بقي يومان لتسليم المال. وبدوا هذه المرّة غير صبورين. لم يسمحوا لها بالتحدث إلى سام، والناس الذين يقفون معها في محنتها عرفوا جميعاً أن الوقت بدأ ينفد، أو ربما نفد. لقد حان الوقت للتحرك، لكن ما من شيء يمكن فعله. فلا توجد أية دلائل على أي شيء، ولا تستطيع الشرطة فعل أي شيء. إنهم يستعملون كل المصادر التي لديهم، لكنهم لم يحصلوا على أي أثر أو دليل على وصولهم إلى شيء ما.

شرح بيتر تفاصيل تسليم المال إلى فرناندا عند انتهاء اليومين. عليها تحويل المئة مليون دولار كاملة إلى حساب شركة في باهاماس، وليس إلى الحساب الذي خططوا قبلاً لاستعماله في جزر الكايمان. وتم إبلاغ المصرف في باهاماس لتوزيع المال على سلسلة من الشركات الوهمية، ومن هناك، تنتقل حصتا بيتر وفيليب إلى جنيف. أما أموال الثلاثة الآخرين فستنتقل إلى كوستاريكا. وحين يصل واترز وستارك وفري إلى كولومبيا أو البرازيل، يمكنهم نقل المال إلى هناك.

لم تفهم فرناندا أي شيء من التفاصيل المعقدة. كل ما عرفته هو اسم المصرف في باهاماس حيث يفترض بها تحويل مئة مليون دولار خلال يومين، لكنها لا تملك شيئاً لتحويله. إنها تعتمد على الشرطة ومكتب التحقيقات الفدرالي للعثور على سام قبل بلوغ الموعد النهائي، وشعرت بذعر أكبر ألا يعثروا عليه في الوقت المناسب. لقد أصبح الأمل يتضاءل كل ساعة.

"سأحتاج إلى وقت أطول من ذلك لتدبر المال". قالت فرناندا لبيتر أثناء الاتصال، محاولة ألا تدع الذعر يبدو في صوتها، لكنه كان موجوداً على كل حال. إنها تكافح من أجل حياة سام. وعلى الرغم من كل جهودهم، والتكنولوجيا المتطورة، والرجال الكثيرين لم يفلح مكتب التحقيقات الفدرالي ولا الشرطة في المساعدة. أو على الأقل، لم يحصلوا على أية نتائج.

قال بيتر بحزم: "الوقت ينفد، لا يرغب شركائي في الانتظار". قال وهو يحاول عكس يأسه. عليها فعل شيء ما. في كل يوم، يتحدث واترز والآخران عن قتل سام. لا يهمهم الأمر. وإذا لم يحصلوا على المال، يرون أن هذا انتقام ملائم. فالصبي لا يعني لهم أكثر من زجاجة تكيلا أو زوج أحذية.

لم يكترثوا حتى لأن سام رآهم واستطاع التعرف إليهم. فالرجال الثلاثة يُفكّرون في الاختفاء في أميركا الجنوبية إلى الأبد. ثمة جوازات سفر غير شرعية في انتظارهم على الحدود المكسيكية. كل ما عليهم فعله هو الوصول إلى هناك، وإحضار الجوازات، والاختفاء والعيش مثل الملوك لبقية حياتهم. لكن أولاً عليها دفع الفدية. وساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم، بدأ بيتر يدرك أن سام أخبره الحقيقة. لا تملك شيئاً لتحويله إلى الحساب المصرفي في باهاماس. لا يملك بيتر فكرة عما ستفعله. ولا فرناندا. كان يودّ سؤالها، لكنه افترض أن شخصاً ما سيخبرها بما يجب فعله.

أخبرها جاك قبلاً أن أكبر قرض يستطيع الحصول عليه لأجلها هو سبعمئة ألف دولار، مقابل رهن المنزل، علماً أنها لا تستطيع تسديد الدفعات على كل حال. وبما أنهم لا يعرفون الظروف – أو حتى لو عرفوا – قال لها المصرف إنه لا يستطيع الموافقة أو منحها المال قبل ثلاثين يوماً. لكنّ واترز وأصدقاءه يريدون المال خلال يومين.

لا يسعها فعل أي شيء، ولا تيد، ولا ريك، ولا مجموعة عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي الذين أقسموا أنهم لم يتركوا حجراً إلا وقلبوه، لكنهم برأي فرناندا لم يتوصلوا إلى العثور على سام أفضل مما كانوا يوم اختطافه. وشعر بيتر بذلك أيضاً.

"إنها تراوغ". قال واترز بغضب بعدما انتهى الاتصال. ومن جهتها، كانت فرناندا تبكي.

"لا يسهل جمع مئة مليون دولار". قال بيتر، وهو يشعر بالخوف عليها. استطاع تخيل درجة الضغط المفروض عليها. "أموال زوجها تحت الوصاية، وعليها دفع الضرائب على ممتلكاته، وقد لا يتمكن منفذو الوصية من تحرير المال بالسرعة التي نريدها".

كان بيتر يحاول شراء الوقت لها، لكنه خشي إخبارهم كم أصبح مقتنعاً بأنها لا تملك المال، خشية أن يغضبوا كثيراً، ويقتلوا سام على الفور. إنه فاصل دقيق بالنسبة إلى بيتر. وبالنسبة إلى فرناندا أيضاً.

قال واترز بتجهم: "لن ننتظر. إذا لم تحوّل المال خلال يومين، سنقتل الصبي، ونهرب، لا يمكننا الجلوس هنا إلى الأبد، ننتظر قدوم الشرطة". أصبح مزاجه سيئاً بعد الاتصال، وقال إنها تحتال عليهم، وأصيب بنوبة غضب شديدة حين اكتشف أنهم نفدوا من التكيلا والبيرة، وقال إنه سئم من طعامهم، فوافقه الآخران.

في سان فرانسيسكو، كانت فرناندا كل يوم تجلس في غرفتها طوال اليوم، تبكي، خائفة من أن يقتلوا سام، أو من أن يكونوا قد فعلوا ذلك قبلاً. وكان ويل يتحرك في المنزل مثل الشبح. جلس مع الرجال في المطبخ، لكنّ التوتر لا يحتمل أينما ذهب، ومع من تحدث. وحين اتصلت آشلي، أخبرتها فرناندا أن كل شيء على ما يرام. لا تزال آشلي لا تعلم أن سام قد خطف، ولم تشأ فرناندا إخبارها. فهذا سيجعل الأمور أسوأ حين تصبح هيستيرية هي أيضاً.

"سيقتلونني، أليس كذلك؟" قال سام لبيتر بعينين حزينتين، بعدما اتصلوا بأمه. لقد سمع الرجال يتحدثون، وكانوا غاضبين لأن العملية استغرقت وقتاً طويلاً.

"أعدك أنني لن أسمح بحدوث ذلك". همس له بيتر حين جاء إلى الغرفة الخلفية للتحقق منه بعدما اتصل بفرناندا. لكن حتى سام عرف أنه لا يستطيع الوفاء بهذا الوعد. حتى إذا حاول بيتر ذلك فسيقتلونه أيضاً.

حين عاد بيتر إلى غرفة الجلوس، كانوا مستائين جميعاً من نفاد البيرة، وكذلك من تأخرها في دفع الفدية. وأخيراً، عرض عليهم بيتر الذهاب إلى المدينة لشراء البعض منها. إنه من النوع الذي لا يلفت الانتباه أبداً. إنه أشبه برجل وسيم يزور البحيرة لقضاء عطلة. طلبوا منه شراء البيرة، إضافة إلى بعض التكيلا والطعام الصيني أيضاً. لقد سئموا من تحضير الطعام بأنفسهم، وكذلك هو.

ذهب بيتر إلى المدينة، ونسي مسألة البيرة المشؤومة. اجتاز ثلاث مدن أخرى، وهو يُفكّر في ما يجب فعله. لا شك في أن سام محق. الوقت ينفد منهم. وحسب ما يعرفه الآن، كانت الفدية قضية خاسرة. القرار الوحيد الذي بقي هو السماح لهم بقتل سام أو لا. ومثلما خاطر بحياته لإنقاذ ابنتيه، عرف أنه سيفعل ذلك هذه المرة من أجل سام.

ركن العربة المقفلة جانباً، قرب مخيم، وحمل هاتفه الخلوي. الشيء الوحيد الذي يعرفه هو أنه لن يعود إلى بيليكان باي مجدداً. فكّر لبرهة في الاستمرار في قيادة العربة بعيداً، لكنه إذا فعل، سيقتلون سام بالتأكيد حين لا يعود إليهم.

طلب الرقم وانتظر، وكما تفعل عادة، أجابت فرناندا على الهاتف بعد الرنة الأولى. كان صوته مهذباً، وأخبرها أن سام على ما يرام، ثم طلب منها التحدث إلى أحد رجال الشرطة الموجودين معها. ترددت لبرهة، ونظرت إلى تيد، وقالت إنه لا يوجد رجال شرطة معها.

"لا بأس". قال بيتر وهو يبدو متعباً. لقد انتهى الأمر بالنسبة إليه وهو يعرف ذلك، ولم يعد يهتم. الشيء الوحيد الذي يهمه الآن هو سام. أدرك حين تحدث إليها أنه يفعل ذلك لأجلها. قال بهدوء: "أفترض أن أحداً ما يسمع المكالمة، سيدة بارنز، دعيني أتحدث إلى أحد الرجال". نظرت إلى تيد بعينين خائفتين وسلمته الهاتف. لا تملك فكرة عما يعنيه ذلك.

قال تيد بصرامة: "أنا المحقق لي".

قال بيتر: "لديك أقل من 48 ساعة لإخراجه من هناك. هناك أربعة رجال، من بينهم أنا". لم يكن بيتر يقدم لهم المعلومات فقط وإنما أيضاً تحالفه. عرف أنه يجدر به فعل ذلك. من أجله هو وكذلك من أجل سام. هذا كل ما يستطيع فعله.

"مورغان، هل هذا أنت؟" إنه الشخص الوحيد المحتمل. عرف تيد أنه يتحدث إليه. لم يؤكد بيتر ولم ينكر. لديه أشياء أكثر أهمّيّة لفعلها. أعطى تيد عنوان المنزل في تاهو، ووصف له شكل المنزل.

"في الوقت الحاضر، إنهم يحتجزون الصبي في الغرفة الخلفية. سأفعل ما بوسعي لمساعدتكم، لكنهم قد يقتلونني أيضاً".

طرح عليه تيد حينها سؤالاً، وأراد الجواب. يتم تسجيل الاتصال، مثل بقية الاتصالات التي كانت تسأل عن الفدية. "هل فيليب أديسون وراء ذلك؟"

تردد بيتر ثم أجاب. "نعم". لقد انتهى الأمر بالنسبة إليه. عرف أن أديسون سيعثر عليه ويقتله أينما ذهب. لكن ربما سيقتله واترز ورفيقاه قبل ذلك.

قال تيد: "لن أنسى ما تفعله الآن أبداً". وكان يعني ذلك، فيما راقبت فرناندا، وهي لا تجرؤ على إبعاد عينيها عنه. عرفت أن شيئاً ما يحصل، لكنها لم تكن واثقة مما هو، وما إذا كان جيداً أم سيئاً.

قال بيتر بحزن: "إنني لا أفعل هذا من أجلكم أو من أجلي، أنا أفعل هذا من أجل سام...ولأجلها هي... لأقول لها أنا متأسف". بعد ذلك، أقفل

الخط، ورمى الهاتف الخلوي على المقعد قربه، ونزل إلى المتجر حيث اشترى البيرة والتكيلا ليبقوا ثملين إلى الأبد. وحين عاد إلى المنزل، كان يحمل أربعة أكياس من الطعام الصيني وكان يبتسم. أحس فجأة بالحرية. ولمرة واحدة في حياته، فعل الشيء الصحيح.

سأله ستارك، "لماذا تأخرت أيها اللعين؟" لكنه سكت ما إن شاهد الطعام والشراب، وثلاث زجاجات من التكيلا الجيدة.

تذمر بيتر، "احتاجوا إلى ساعة لتحضير الطعام"، وذهب للتحقق من سام. كان نائماً في غرفته. حدّق فيه بيتر لبرهة طويلة، ثم استدار، وخرج من الغرفة. ليس لديه فكرة متى سيأتون. أمل أن يأتوا سريعاً.

الفصل الثامن عشر

سألت فرناندا تيد، "ماذا حصل؟" بدا الذعر على وجه تيد ما إن أنهى بيتر مورغان الاتصال.

نظر تيد إليها وكاد يبكي. "إنهم في تاهو. أخبرنا مورغان أين هم". هذا ما يحتاجون إليه. الأمل الوحيد الذي كان لديهم.

قالت بهمس: "يا الله. لماذا فعل ذلك؟"

"قال إنه يفعل ذلك لأجل سام ولأجلكِ. قال إنه يريد أن يقول لكِ إنه متأسف". أومأت برأسها، متسائلة عما جعله يغيّر رأيه. لكن على كل حال، إنها ممتنة لذلك. لقد أنقذ حياة ابنها، أو على الأقل، حاول ذلك.

بعد ذلك، حصلت كل الأمور بسرعة، أجرى تيد ألف اتصال هاتفي. اتصل بالنقيب، وريك هولمكويست، ورؤساء ثلاث فرق مكافحة. اتصل برئيس الشرطة والشريف في تاهو، وطلب منهم عدم التحرك. اتفقوا على إرسال فريق من مكتب التحقيقات الفدرالي وفرقة مكافحة من شرطة سان فرانسيسكو. يجب تنفيذ كل شيء بدقة عملية القلب المفتوح، وأخبرها تيد أنهم سيكونون جاهزين للذهاب إلى تاهو بعد ظهر اليوم التالي. شكرته، وذهبت إلى ويل، الذي انفجر في البكاء.

في صباح اليوم التالي حين نهضت، كان تيد يتحدث عبر الهاتف مع عشرات الأشخاص، وأنهى ويل فطوره للتو حين كان تيد على وشك المغادرة. أخبرها تيد أن خمسة وعشرين رجلاً في طريقهم إلى تاهو. سيرسل مكتب التحقيقات الفدرالي فريق كوماندوس من ثمانية رجال،

إضافة إلى ثمانية رجال آخرين للقيادة، مع ثمانية رجال آخرين أيضاً في فرقة المكافحة، إضافة إلى ريك وتيد. وسيكون هناك عشرون شرطياً تقريباً من المنطقة لينضموا إلى المهمة حين يصل الرجال إلى هناك. اصطحب ريك أفضل رجاله من المدينة، مع بارعين في الرماية والتقنيص، إضافة إلى طائرة مع طيارين. كما اختار تيد أفضل الرجال لديه، وأرسل معهم مفاوض الخطف. وما زال ينوي إبقاء أربعة رجال معها ومع ويل.

قالت له، وهي تبدو يائسة: "خذني معك، أريد أن أكون هناك أنا أيضاً". تردد، وهو غير واثق مما إذا كان هذا أمراً جيداً. قد يحدث الكثير، وقد تحصل الكثير من المشاكل مع تورط العديد من الرجال. سيكون إخراج الصبي من المنزل عملاً دقيقاً، حتى بمساعدة مورغان. وقد يقتل سام حتى بنيران الشرطة إذا اشتبكوا مع الآخرين. إن احتمال عدم خروج سام حياً في هذه الظروف كبير جداً. وإذا حصل الأسوأ، لا يريد أن تكون أم الصبي هناك. قالت والدموع تنهمر على وجنتيها: "أرجوك". ورغم أنه يعرف الحالة جيداً، لم يستطع تيد المقاومة.

لم تخبر ويل إلى أين هي ذاهبة. ركضت إلى الأعلى، وأحضرت جزمة عالية وكنزة، وأخبرت ويل أنها خارجة مع تيد. لم تقل إلى أين. طلبت منه البقاء في الداخل مع الرجال. وقبل أن يعارض، خرجت من الباب الأمامي، وبعد برهة، ابتعدت مع تيد. اتصل بريك هولمكويست، وكان يقود السيارة بنفسه مع أربعة عملاء خاصين إضافيين وفريق الكوماندوس. سيكون هناك عدد كافٍ من الرجال في تاهو للعمل. طلب النقيب من تيد إبقاءه على اطلاع بما يجري، وقال تيد إنه سيفعل.

كانت فرناندا صامتة حين عبروا جسر الخليج. تقدموا في السيارة لنصف ساعة إضافية قبل أن يتحدث إليها تيد أخيراً. ما زال ضميره يؤنبه لأنه سمح لها بالمجيء، لكنّ الأوان قد فات ليغير رأيه. وحين توجهوا

شمالاً، بدأت تسترخي، وكذلك هو. تحدثا عن بعض الأمور التي قالها رجل الدين واليس. حاولت أن تفعل ما اقترحه عليها، والتصديق بأن سام بين يدي الله. أخبرها تيد أن ما بدّل الأمور معهم هو اتصال مورغان الهاتفي.

سألت فرناندا وهي تبدو محتارة، "لماذا فعل هذا برأيك؟" فهي لم تفهم، ولا تيد أيضاً، قوله إنه فعل ذلك لأجلها.

قال تيد بهدوء: "يفعل الأشخاص أشياء مضحكة أحياناً. حين لا تتوقعين منهم ذلك". لقد رأى ذلك قبلاً. "ربما لا يهتم للمال. وإذا كشفوا أمره، سيقتلونه بالتأكيد". وإذا لم يفعلوا، سيضعونه في برنامج حماية الشهود حين يخرج. إذا أرسلوه إلى السجن، يكون هذا أفضل من الموت. لكنه قد يذهب إلى السجن على كل حال إذا ألقي القبض على الآخرين.

قالت فرناندا بعدما اجتازوا ساكرامنتو: "لم تذهب إلى المنزل طوال الأسبوع الماضي".

نظر إليها تيد وابتسم، "تبدين مثل زوجتي".

قالت فرناندا بتعاطف: "قد يكون الأمر قاسياً عليها". لم يعلق على الموضوع لوقت طويل. "أنا آسف. لم أشأ إزعاجك. كنت أفكّر فقط، ولا بد أنه زواج صعب".

أومأ برأسه. "إنه كذلك. أو كان هكذا قبل زمن بعيد. اعتدنا على الأمر الآن. نحن متزوجان منذ كنا ولدين. أعرف شيرلي منذ أن كنت في الرابعة عشرة".

قالت فرناندا مع ابتسامة: "هذا وقت طويل، كنت في الثانية والعشرين حين تزوجت ألان. نحن متزوجان منذ سبعة عشر عاماً".

أومأ برأسه. الحديث عن حياتهما وزوجيهما ساعد في تمرير الوقت. شعرا في الطريق كأنهما صديقان قديمان. لقد أمضيا الكثير من الوقت معاً خلال الأسبوع الماضي، في ظروف صعبة. كانت فترة صعبة جداً بالنسبة إليها.

قال تيد بتعاطف: "لا بد أن الأمر كان قاسياً عليكِ حين.... حين مات زوجك".

"نعم. كان صعباً على الأولاد، وخصوصاً ويل. أظن أنه يشعر أن والده خذلنا". ستكون ضربة موجعة أخرى حين نبيع المنزل.

"يحتاج الصبية في هذا العمر إلى رجل معهم". وحين قال تيد ذلك، كان يُفكّر في أولاده. لم يجلس معهم كثيراً حين كانوا بعمر ويل. وهذا أحد الأشياء التي يندم عليها في حياته.

"لم أكن أبداً في المنزل حين كان أولادي صغاراً. هذه هي الضريبة التي تدفعينها ثمن العمل، أو إحدى الضرائب".

قالت برفق وهي تحاول تحسين موقفه حيال ذلك: "لديهم أمهم". لكنها لاحظت أن الأمر أثر فيه.

قال بحزن، ثم نظر إليها باعتذار: "ليس هذا كافياً، أنا آسف. لم أكن أقصد ما قلته".

"بلى، تقصد. ربما أنت محق. أنا أبذل كل ما بوسعي، لكن أشعر في معظم الوقت أن هذا لا يكفي. لم يترك لي ألان الكثير من الخيارات في هذه المسألة. لقد اتخذ قراره لوحده".

من السهل التحدث إليها. أسهل مما يريده أن يكون، كانا يتحدثان فيما يتوجهان بسرعة إلى الشمال نحو ابنها الصغير. "انفصلنا أنا وشيرلي عن بعضنا تقريباً حين كان الأولاد صغاراً. تحدثنا عن الموضوع لفترة، ثم رأينا أنها فكرة سيئة". شعر بالغرابة لاعترافه لها بهذه السهولة.

أعجبها موقفه، وكذلك موقف زوجته، "ربما هو كذلك. من الجيد أنكما بقيتما معاً".

"ربما. نحن صديقان جيدان".

"آمل ذلك بعد ثمانية وعشرين عاماً". لقد أخبرها ذلك قبل بضعة أيام. إنه الآن في السابعة والأربعين، وتزوج حين كان في التاسعة عشرة. تأثرت فرناندا بذلك، فلقد بدا لها هذا وقتاً طويلاً جداً، ورابطاً رائعاً.

ثم قال لها شيئاً لم تتوقع سماعه منه. "ترعرعنا معاً منذ وقت بعيد جداً. لم أنتبه إلى ذلك إلا قبل أعوام قليلة. استيقظت يوماً ما ووجدت أن ما كان قائماً قد اختفى. أظن أن ما نملكه عوضاً عن ذلك جيد. نحن صديقان".

سألته بتعبير غريب، "هل هذا كافٍ؟" كان هذا من نوع الاعترافات التي لا يدلى بها إلاّ في ساعات الاحتضار الأخيرة، وأملت ألا تكون ساعة احتضار ابنها قد اقتربت. لا تستطيع التفكير في ذلك، إلى أين يذهبون، أو لماذا. من الأسهل التحدث إليه في هذه المرحلة بدل التحدث عن سام.

قال بصدق: "أحياناً". وهو يُفكّر في شيرلي مجدداً، وما فعلاه ولم يتشاركاه، ولم يفعلاه أبداً. "من الجميل أحياناً العودة إلى المنزل لملاقاة صديق. لكن هذا غير كافٍ في بعض الأحيان. لم نعد نتحدث كثيراً. لديها حياتها الخاصة. وأنا أيضاً".

"إذاً، لماذا ما زلتما معاً تيد؟" طرح عليه ريك هولمكويست السؤال نفسه طوال سنوات.

"الكسل، والتعب، والوحدة. والخوف من المضي قدماً. والتقدم في العمر".

قالت فرناندا بكرم: "لكنك لست كذلك. ماذا عن الإخلاص؟ والاحترام؟ ربما قد تكون مغرماً بها أكثر مما تظن. ربما لا تنتبه كثيراً إلى سبب بقائكما معاً، أو سبب رغبتها في البقاء معك. إنها تحبك ربما أكثر مما تظن".

قال وهو يهزّ رأسه بينما كان يفكر في ما قالته: "لا أظن ذلك".

"أظن أننا بقينا معاً لأن الجميع توقع منا ذلك. أهلها، أهلي، أولادنا. لست واثقاً حتى ما إذا كان الأولاد ما زالوا يهتمون لذلك. لقد كبروا ورحلوا. بطريقة مضحكة، أصبحت مثل عائلتي الآن. أشعر أحياناً وكأنني أعيش مع أختي. الأمر مريح حسبما أظن". أومأت فرناندا برأسها. لم يكن هذا بالأمر السيئ حسب رأيها. لا تستطيع أن تتخيل نفسها وهي تخرج وتعثر على رجل آخر الآن. بعد سبعة عشر عاماً، لقد أصبحت معتادة كثيراً على ألان، بحيث لا تستطيع تخيل النوم مع رجل آخر. رغم أنها تعرف أنها قد تفعل ذلك يوماً ما. لكن ليس عمّا قريب. "ماذا عنكِ؟ ماذا ستفعلين الآن؟" كانت المحادثة خطيرة، لكنها عرفت أنها لن تؤول إلى أي شيء مُحظّر، فتيد ليس من هذا النوع من الرجال. وطوال الأيام التي أمضاها في منزلها، لم يكشف إلا عن الاحترام واللطف.

"لا أعرف. أشعر وكأنني سأبقى متزوجة من ألان إلى الأبد، سواء كان هنا أم لا".

"حسبما رأيته آخر مرة، لم يكن هنا"، قال تيد برفق.

"نعم، أعرف. هذا ما تقوله ابنتي. إنها تذكرني دوماً أنه يجدر بي الخروج. لكنّ هذا آخر ما يخطر في بالي. كنتُ مشغولة جداً، وقلقة بشأن تسديد ديون ألان. سيأخذ هذا وقتاً طويلاً. إلا إذا حصلت على سعر مذهل للمنزل. وسيعلن المحامي الإفلاس لتسوية ديون الشركة. حين أدركت للمرة الأولى ماذا فعل، كدتُ أموت".

قال تيد: "من العار أنه لم يحتفظ بالقليل من المال". فأومأت برأسها، لكنها بدت متفلسفة جداً في هذا الموضوع.

ابتسمت لما قالته حينها، "لم أرتح يوماً للمال الذي جناه، يبدو هذا جنوناً، لكن لطالما اعتبرته كثيراً جداً. لم يكن ملائماً". ثم هزّت كتفيها. "كان ممتعاً لبعض الوقت". أخبرته عن اللوحتين الانطباعيتين اللتين اشترتهما، وتأثر كثيراً.

"من المذهل امتلاك مثل هذه الأشياء".

"كان ذلك مذهلاً. لقد امتلكتهما لسنتين، وبعتهما منذ فترة، لقد اشتراهما متحف في بلجيكا، قد أزور المتحف يوماً ما وأشاهدهما". لم تكن حزينة لأنها باعتهما، الأمر الذي اعتبره نبلاً منها. كل ما تهتم به فعلاً هو أولادها. وتأثر خصوصاً كم هي أم جيدة. على الأرجح، لقد كانت زوجة جيدة لألان أيضاً، أكثر مما يستحق، برأي تيد. لكنه لم يقل لها هذا. رأى أنه من غير الملائم قول ذلك.

تابعا الطريق بصمت لفترة، وحين اجتازا مطعم إيكيدا ومتجراً صغيراً، سألها إذا كانت تريد التوقف لتناول شيء ما، لكنها أجابت بالنفي. بالكاد أكلت الطعام طوال الأسبوع.

"إلى أين ستنتقلين بعدما تبيعين المنزل؟" تساءل ما إذا كانت ستغادر المدينة، ولا سيما بعد شيء كهذا. لا يلومها إذا فعلت ذلك.

"ربما إلى مارين. لن أذهب بعيداً. لا يريد الأولاد ترك أصدقائهم". شعر بالغباء، لكنه ارتاح لسماعه ذلك منها.

قال وهو يلقي نظرة سريعة عليها: "أنا مسرور". فبدت متفاجئة.

"عليك المجيء وتناول العشاء معي ومع الأولاد يوماً ما". كانت ممتنة لكل ما فعله. لكنه، وحسب رأيه، لم يفعل شيئاً لغاية الآن. وعرف إنه إذا ساءت الأمور في تاهو، وقتل سام، فثمة احتمال كبير ألا ترغب في رؤيته مجدداً. سيكون جزءاً من ذكرى كابوس مرعب. وربما هو كذلك. لكنه عرف أنه إذا لم يرها أبداً مجدداً، سيكون حزيناً. أحب التحدث إليها، والطريقة السهلة والرقيقة التي تتعاطى فيها مع الأمور، واللطافة التي أظهرتها لرجاله. حتى في خضم محنة الخطف، اهتمت بهم جميعاً. لم يهمها أبداً كل المال الذي جناه زوجها، حتى لو كان له. وشعر تيد أنها متلهفة لترك منزلهما. لقد حان الوقت.

اجتازا أوبورن بعد فترة وجيزة، ولم تقل له الكثير طوال بقية الطريق. كل ما استطاعت التفكير به هو سام.

قال بنعومة فيما اجتازا دونار باس: "سيكون كل شيء على ما يرام". فالتفتت صوبه بقلق.

"كيف يمكنك التأكد؟" في الحقيقة لم يكن متأكداً، وهما يعرفان ذلك.

أجابها: "لست متأكداً. لكنني أفعل ما بوسعي حتى يكون كل شيء على ما يرام". لكنها تعرف ذلك على كل حال. لقد التزم بحمايتها منذ أن بدأت القصة.

أصبح الرجال متململين في المنزل في تاهو. كانوا يتجادلون مع بعضهم طوال اليوم. أراد ستارك الاتصال بفرناندا مجدداً بعد الظهر وتهديدها. قال واترز إنه يجدر بهم الانتظار حتى الليل. واقترح بيتر بحذر أن يعطوها يوماً واحداً إضافياً لإحضار المال، والاتصال بها غداً. بدا أن جيم فري لا يهتم، وكل ما أراده هو الحصول على المال والهروب. كان يوماً حاراً، وشربوا جميعاً الكثير من الشراب، باستثناء بيتر، الذي حاول إبقاء عقله صافياً، وكان يتحقق بانتظام من سام.

لا يستطيع بيتر التحقق من دون أن يعرف الآخرون، لكنه كان يتساءل متى سيتحرك رجال تيد. عرف أنه حين يحصل ذلك، سيكون الأمر سريعاً وجنونياً، وسيبذل ما بوسعه لإنقاذ سام.

كان الآخرون ثملين بعد ظهر ذلك اليوم. حتى واترز. وفي الساعة السادسة، وناموا جميعاً في غرفة الجلوس. جلس بيتر يراقبهم، ثم عاد إلى الجهة الخلفية من المنزل إلى غرفة سام. لم يقل أي شيء للصبي، وإنما استلقى على السرير قربه، ونام بعدما طوقه بذراعيه، وهو يحلم بابنتيه.

الفصل التاسع عشر

حين وصل تيد وفرناندا إلى تاهو، كانت الشرطة المحلية قد استأجرت فندقاً صغيراً لإيواء كل الفرق. كان الفندق قديماً، وفارغاً بمعظمه، حتى في فصل الصيف. وسرّ النزلاء القلائل الذين كانوا فيه بالمغادرة بعدما دفع لهم القليل من المال للرحيل. وكان اثنان من رجال الشرطة يحضران الطعام من مطعم قريب للوجبات السريعة. كان كل شيء جاهزاً. أرسل مكتب التحقيقات الفدرالي ثمانية رجال كوماندوس مدربين على إنقاذ الرهائن والمختطفين، وفريق مكافحة تلقى تدريبات مماثلة. كان رجال الشرطة المحليون يحتشدون، لكنهم لم يتبلغوا تماماً بعد بما يحصل. كان هناك أكثر من خمسين رجلاً ينتظرون حين خرج تيد من السيارة ونظر حوله. سيختارون الرجال الذين سيدخلون إلى المنزل وكيفية فعل ذلك. ثمة نقيب محلي يهتم بالمعدات، والطرق، والجنود المحليين. وكان ريك مسؤولاً عن كامل العملية، واستقر في غرفة قريبة من مكتب مدير الفندق، الذي تركه للنقيب المحلي. هناك أسطول كامل من شاحنات الاتصالات، وشاهد تيد ريك يخرج من إحداها، فيما لحقته فرناندا بعد خروجها من السيارة. كانت الفوضى المنظمة حولهم مرعبة ومطمئنة في الوقت نفسه.

"كيف الحال؟" سأل تيد ريك، وبدا الرجلان متعبين. لم ينم تيد لأكثر من ساعتين متتاليتين منذ أيام، فيما ريك مستيقظ منذ الليلة الفائتة. أصبح سام قضية مقدسة بالنسبة إلى الذين يعرفونه، وهذا ما بعث الارتياح في أمه. وطلب تيد من أحد الجنود تحضير غرفة لها.

قال ريك: "إننا على وشك الانتهاء". فيما كان يلقي نظرة سريعة عليها، فأومأت برأسها مع ابتسامة حزينة. بدت وكأنها بالكاد متماسكة. إن ما يجري يشكل مصدراً كبيراً للتوتر بالنسبة إليها، رغم أن التحدث مع تيد حول أمور أخرى أثناء الطريق ساعدها لبعض الوقت.

أخذها تيد إلى غرفتها، حيث كان طبيب نفسي من فريق المكافحة وشرطية في انتظارها. وحين تركها معهما، عاد تيد إلى ريك في الغرفة التي كان يستعملها لإصدار الأوامر. ثمة جبل من الشطائر، وعلب السلطة على الطاولة قرب الحائط، مع صورة للمنزل، وخريطة للمنطقة ملصقة على الحائط فوق الطاولة. كان الطعام المتوافر صحياً عادة لأن رجال كوماندوس مكتب التحقيقات الفدرالي، ورجال المكافحة لا يتناولون الأطعمة الغنية بالدهون أو السكر أو الكافيين، لأنها تبطئهم بعد تناولها، ولذلك ينتبهون كثيراً إلى ما يأكلونه. كان نقيب الشرطة المحلي يجلس معهم، فيما خرج للتو رئيس فرقة المكافحة من الغرفة لمعاينة جهوزية رجاله. بدت العملية بالنسبة إلى تيد مثل اجتياح النورماندي، فيما أمسك بشطيرة وجلس على كرسي، ووقف ريك قربه. بدا وكأنهما يخططان لحرب. إنها مهمة إنقاذ أساسية، وتعتبر القوة الفكرية والجسدية المخصصة للعملية مذهلة فعلاً. والمنزل الذي استقروا فيه يبعد ميلين تقريباً عن الطريق. لم يشغلوا أبداً أجهزتهم اللاسلكية خشية أن يمتلك الخاطفون أي نوع من أجهزة المراقبة، وكي لا تعرف الصحافة، وتفسد الأمر عليهم. إنهم يتخذون كل التدابير الاحتياطية الممكنة لإبقاء العملية نظيفة، لكن بالرغم من ذلك، بدا ريك قلقاً فيما ألقى نظرة سريعة على الخريطة مع تيد. لقد ذهبوا إلى مكتب الاستطلاع المحلي لإحضار خريطة للمنزل، وعمدوا إلى تكبيرها كثيراً.

قال ريك: "يقول مخبرك إن الولد موجود في الجهة الخلفية للمنزل". وهو يشير إلى غرفة في الجهة الخلفية، غير بعيدة كثيراً عن

حدود المنزل. "يمكننا إخراجه، لكن ثمة جرف وراء المنزل، والمنحدر كبير هناك. أستطيع إرسال أربعة رجال إلى الواجهة الصخرية، لكنني لا أستطيع استعادتهم بسرعة كافية، وإذا أخذوا الولد معهم، سيكونون مكشوفين". أشار إلى الجهة الأمامية من المنزل حينها. "ولدينا ممشى أمام المنزل بطول ملعب كرة. لا أستطيع الدخول بواسطة مروحية وإلا سيسمعوننا. وإذا فجرنا المنزل، يحتمل أن نقتل الصبي".

كان رئيسا فرقة المكافحة وفرق الكوماندوس في مكتب التحقيقات الفدرالي يتحاوران طوال الساعتين الماضيتين، ولم يتوصلا بعد إلى حل المشكلة. لكن تيد عرف أنهما سيتوصلان إلى الحل. لا مجال أبداً للاتصال ببيتر مورغان لإعداد خطة معه. ستتخذ فرق الإنقاذ والتحرير كل القرارات بنفسها، للجيد أو الأسوأ. شعر تيد بالارتياح لأن فرناندا ليست في الغرفة معهما لتصغي إلى المخاطر التي تبرز، فلقد كان ذلك سيصيبها بالانهيار. كانت الأفكار تناقش بصوتٍ عالٍ، وكل الأفكار التي توصلوا إليها لغاية الآن لا تستبعد إصابة الصبي أثناء العملية.

على كل حال، لم يكن تيد على قناعة تامة أن الخطر مستبعد. فمع عدم وجود أية فدية، كان واثقاً تقريباً من أنهم يخططون لقتل سام. وحتى لو جرى تسليم الفدية بنجاح، سيبقى ذلك الخطر موجوداً. سام كبير كفاية للتعرف إليهم، وهذا ما يجعل إطلاق سراحه محفوفاً بالمخاطر، حتى لو حصلوا على مالهم. كان أديسون مدركاً لهذا أيضاً، ولهذا السبب أرسل بيتر إلى تاهو لمراقبة الآخرين. في النهاية، سيكون أسهل عليهم قتله بدل إعادته حياً. وبما أنه لن يتم دفع أي فدية، فلديهم كل الأسباب لقتله، والتخلص منه بعدما يرحلون. كان ريك والآخرون في الغرفة يتحدثون عن هذه المخاوف العديدة. وبعد ساعة تقريباً، التفت ريك إلى تيد.

"أنت تدرك احتمالات إخراج الصبي من هناك حياً، أليس كذلك؟ إنها معدومة تقريباً. مع التشديد على معدومة". كان صادقاً جداً مع رفيقه. ثمة

احتمال كبير أن يقتل سام، إذا لم يكن ميتاً أصلاً.

قال تيد بصرامة، وهو ينظر بغضب إلى ريك: "إذن أحضر المزيد من الرجال إلى هنا". فهم لم يفعلوا كل ما فعلوه ليخسروا الصبي. رغم إدراكهم جميعاً بأنهم قد يخسرونه. لكن تيد في مهمة لإنقاذه، تماماً مثل ريك وجميع من في الغرفة والخارج. سام هو مهمتهم.

صرخ فيه ريك، "لدينا جيش صغير هنا، بحق الله، هل رأيت عدد الرجال في الخارج؟ لا نحتاج إلى المزيد من الرجال. نحتاج إلى أعجوبة فقط". كانت أسنان ريك مطبقة. حين يغضبان أحياناً على بعضهما، ينجزان أفضل الأعمال.

قال تيد وهو يبدو منزعجاً: "إذاً، أنجز أعجوبة ودعها تحصل. أحضر رجالاً أكثر ذكاء إلى هنا. لا يمكنك رفع يديك، وتركهم يقتلون الولد".

صرخ ريك فيه، "هل تدرك ماذا يمكن أن يحصل لها أيها الحقير؟" كان هناك الكثير من الأشخاص الآخرين يتحدثون في الغرفة، بحيث لم يسمعه أحد يصرخ، كما أن تيد لم يرد. إنهما يتصرفان مثل جنديين غاضبين، إلى أن جاء رئيس فرقة المكافحة بخطة أخرى، لكنهم أجمعوا كلهم على أنها لن تنجح. ستجعل المنقذين عرضة للنار المفتوح من المنزل. لقد اختار بيتر المكان المثالي. يستحيل تقريباً إخراج الصبي من المنزل والابتعاد عنه، وأدرك ريك تماماً مثلما فهم تيد، أن الكثير من الرجال سيموتون تلك الليلة لإنقاذ ولد واحد. لكن هذا ما يجدر بهم فعله. عرف الآخرون ذلك أيضاً.

قال رئيس فرقة المكافحة باستياء لتيد: "لا أستطيع الدفع برجالي إلى مذبحة، علينا إعطاؤهم فرصة جيدة لإحضار الصبي، ومن ثم الخروج من المنزل مجدداً".

قال تيد، وقد بدا يائساً: "أعرف أن الأمور ليست جيدة". وارتاح لأن فرناندا ليست في الغرفة لسماع ذلك. في التاسعة من مساء تلك الليلة، مشى

هو وريك في الخارج. لم يتوصلا بعد إلى خطة ناجحة، وبدأ يخشى ألا يتوصلا أبداً إلى خطة ناجحة، أو أن يتوصلا إليها بعد فوات الأوان. لقد اتفقوا جميعاً قبل ساعات عدة أن عليهم إنقاذ سام عند الفجر. فحين يستيقظ الخاطفون في صباح اليوم التالي، يصبح الخطر أكبر، وعرفوا تماماً أنهم لا يملكون يوماً آخر. إنهم ينوون الاتصال بفرناندا في اليوم التالي لقول كلمتهم الأخيرة. سيحل الفجر بعد تسع ساعات، وبدأ الوقت ينفد. "اللعنة، أكره ذلك". قال تيد ونظر إلى ريك فيما اتكأ على شجرة. لم يتوصل أحد إلى شيء مفيد. ستحلق طائرة الاستطلاع بعد ساعة، باستعمال أجهزة تقصي الحرارة والأشعة ما دون الحمراء، وهذا لن يجدي نفعاً داخل المنزل. كانت إحدى شاحنات الاتصالات مخصصة فقط لذلك.

قال ريك بهدوء: "أكره ذلك أيضاً". إنهما ينفدان من كل شيء. ستكون ليلة طويلة.

قال تيد وهو يبدو خائفاً: "ماذا سأقول لها؟ أأقول لها أن أفضل فرق المكافحة لدينا، ولديك، لا يستطيعون إنقاذ ولدها؟" لم يستطع حتى تخيل إخبارها بأن الولد مات. وقد يكون ميتاً فعلاً. لا تبدو الأمور جيدة، على الأقل.

قال ريك فجأة: "أنت مغرم بها، أليس كذلك؟" فيما حدّق فيه تيد كما لو كان مجنوناً. ليس هذا من الأمور التي يقولها الرجال لبعضهم البعض، لكنهم يفعلون ذلك أحياناً. وقد فعلها ريك.

"هل أنت مجنون؟ أنا شرطي. إنها ضحية، وكذلك ابنها". بدا غاضباً من الفكرة، ومن ريك لأنه اقترحها.. لكن صديقه ليس أحمق، حتى لو أنكر تيد الأمر على نفسه، وهذا أمر يعتبره ريك أكيداً.

"إنها أيضاً امرأة وأنت رجل. إنها جميلة وضعيفة. أنت تمكث في منزلها منذ أسبوع. لست مضطراً لفعل ذلك، لكنك فعلت. أنت أيضاً رجل لم ينم مع زوجته منذ خمسة أعوام تقريباً، إذا كانت ذاكرتي صحيحة

في هذا، حين تحدثنا آخر مرة عن الموضوع. أنت إنسان، بحق الله. لا تدع هذا يؤثر في عملك. الكثير من الرجال يعرضون حياتهم للخطر هنا. لا ترسل الكثير من الرجال إلى مذبحة، إذا كنا لا نستطيع إخراجهم أو الولد مجدداً". أمسك تيد برأسه ونظر إلى ريك مجدداً بعد دقيقة. ظهرت الدموع في عينيه، ولم يؤكد أو ينفي ما قاله ريك عن فرناندا. لم يكن واثقاً هو نفسه ما إذا كان على حق. لكنه فكّر في ذلك تلك الليلة. كان قلقاً كثيراً عليها وعلى ابنها.

قال تيد: "لا بد من وجود طريقة لإخراجه على قيد الحياة".

"بعض ما سيحصل يرتبط بالصبي، والرجل الذي لديك في الداخل. إننا لا نسيطر على كل شيء". هذا من دون ذكر الحظ، والقدر، والخاطفين الآخرين، ومهارة الرجال الذين سيدخلون. هناك الكثير من العناصر التي لا يمكن توقعها، والتي لا يمكن السيطرة على أي منها. في بعض الأحيان، يجري كل شيء ضدك وتنتهي محظوظاً. وفي أحيان أخرى، يكون كل شيء مخططاً تماماً، ولا تسير الأمور على ما يرام. إنها مسألة حظ.

سأل ريك بهدوء مجدداً: "ماذا عنها؟ ما هو شعورها؟" كان ريك يقصد حيال تيد، وليس حيال ابنها. إنه اختصار يفهمانه معاً، وقد نشأ معهما قبل أعوام.

"لا أعرف. أنا رجل متزوج". بدا تيد يائساً.

قال ريك بصراحة: "كان يجدر بكما أنت وشيرلي الانفصال قبل أعوام. تستحقان أفضل مما لديكما الآن".

"إنها أفضل صديقة لي".

"لست مغرماً بها. لست واثقاً من أنك أغرمت بها يوماً. لقد كبرتما معاً مثل أخ وأخته حين التقيت بك. إنها واحدة من تلك الزيجات المدبرة التي كانت سائدة قبل مئة عام. يتوقع منك الجميع الزواج، لأن هذا يناسبهم. وهكذا فعلت". عرف تيد أن ريك ليس مخطئاً. والد شيرلي كان

مدير والده لمعظم حياته، وكانا فخورين جداً به حين خطبها. لم يخرج أبداً مع فتيات أخريات، ولم يُفكّر أبداً في ذلك؛ إلى أن فات الأوان. وبعدها، كان مخلصاً لها، ولا يزال، وهذا نادر بالنسبة إلى شرطي. فالحياة المجنونة، وجدول الأعمال الشديد التوتر، ورؤية زوجاتهم وعائلاتهم نادراً، أو التواجد معهم على مدار الساعة، كل ذلك يسبب لهم الكثير من المشاكل، وقد حصل ذلك مع تيد مرتين تقريباً. لطالما أعجب به ريك على إرادته الحديدية حين عملا معاً. لا يستطيع قول الشيء ذاته عن نفسه. لكنّ طلاقه كان مصدر راحة في النهاية، وقد عثر الآن على المرأة التي يحبها فعلاً، وأراد الشيء نفسه لتيد. وإذا كانت فرناندا هي المرأة التي يريدها، أو المغرم بها، فسيكون ذلك جيداً له. أمل فقط ألا يخسروا ابنها؛ من أجلها، ومن أجل تيد. ستكون مأساة لن تتخطاها أبداً، أو تنساها، ولا هو أيضاً. وثمة احتمال كبير أن يلوم تيد نفسه، إذا لم تنجح المهمة. لكنّ التزام ريك بإخراج الصبي، وكذلك التزام تيد، لا علاقة له أبداً بالحب. إنه واجبهما، والباقي غير مهم.

قال تيد وقد بدا قلقاً: "إنها تأتي من عالم مختلف". كان غير واثق حتى من مشاعره حيالها، لكنه خشي أنه يجب التفكير ملياً في ما قاله ريك للتو. وقد فكّر في ذلك أكثر من مرة، رغم أنه لم يقل أي شيء لها. "إنها تعيش حياة مختلفة. لقد جنى زوجها نصف مليار دولار. كان رجلاً ذكياً". قال تيد بتواضع، وهو ينظر إلى صديقه في الظلمة خارج الفندق. كان الآخرون في الجوار.

"أنت رجل ذكي أيضاً. وكيف كان ذكياً؟ لقد خسر المال بالسرعة التي جناه فيها، وقتل نفسه، وترك زوجته محطمة مع ثلاثة أولاد". هذا صحيح. يملك تيد مالاً في المصرف أكثر منها في الوقت الحاضر. مستقبله آمن، وكذلك مستقبل أولاده. لقد عمل بكدّ طوال ثلاثين عاماً تقريباً.

"لقد ذهبت إلى ستانفورد. أما أنا فذهبت إلى الثانوية وأنا شرطي".

"أنت رجل طيب. ستكون محظوظة جداً". عرف كلاهما أن تيد شخص نادر في عالم اليوم. إنه رجل جيد ومحترم. وعرف ريك أن تيد رجل أفضل منه، وغالباً ما اعترف بذلك لشريكه القديم. لم ينظر تيد إلى الأمر أبداً بهذه الطريقة، ودافع دوماً عن ريك حتى الموت. وتوجب عليه أحياناً فعل ذلك، فقد سخر ريك من الكثير من الرجال قبل مغادرته قسم الشرطة. هذه هي طريقته، وقد فعل ذلك في مكتب التحقيقات الفدرالي أيضاً. إنه يملك لساناً سليطاً، ولم يتردد أبداً في التعبير عن أفكاره. إنه يفعل ذلك الآن، سواء أراد تيد سماع ذلك أم لا. فلقد رأى ريك أنه يجدر به فعل ذلك، حتى لو أدى إلى إغضاب أو إزعاج تيد. "أريدك أن تكون محظوظاً أيضاً. أنت تستحق ذلك". قال ريك بلطافة. لا يريد أن يرى صديقه وهو يموت وحيداً يوماً ما. وهما يعرفان تماماً إلى أين تتجه حياته، وهي كذلك منذ أعوام.

قال تيد باستياء: "لا أستطيع التخلي عن شيرلي". لقد شعر بالذنب، لكنه منجذب كثيراً لفرناندا.

"لا تفعل ذلك الآن. انتظر حتى ترى ماذا سيحصل بعد انتهاء هذه الفوضى. قد تتخلى عنك شيرلي يوماً ما. إنها أذكى منك. وإذا التقت بالرجل المناسب يوماً ما، أظن أنها ستكون أول من يخرج من الباب. أنا متفاجئ لأنها لم تفعل ذلك بعد". أومأ تيد برأسه، لأنه فكّر في ذلك أيضاً. بطريقة ما، كانت أقل تعلقاً منه بفكرة زواجهما. إنها فقط كسولة، وقالت ذلك بنفسها، رغم أنها تحبه أيضاً. لكنها قالت مرات عدة في الآونة الأخيرة أنها لا تمانع العيش لوحدها، وقد تفضل ذلك، وشعرت أنها تفعل ذلك على كل حال إذ إنهما لا يريان بعضهما كثيراً. وشعر هو بالطريقة نفسها أيضاً. الحياة موحشة معها، لم يعودا يحبان الأشياء نفسها أو الأشخاص أنفسهم. الشيء الوحيد الذي أبقاهما معاً طوال ثمانية وعشرين عاماً هو أولادهما. وقد ذهبوا الآن، لا بل منذ

أعوام. "لا تحتاج إلى حسم المسألة الليلة. هل قلت أي شيء لفرناندا؟" شعر ريك بالفضول حيال ذلك، وكان كذلك منذ أن التقى بها. فلقد كانت هناك علاقة حميمة سهلة بينها وبين تيد تكشف عن براءة كبيرة، وتمثل رابطاً لا يملكه أي منهما. إنه اقتراب طبيعي لفت انتباه ريك على الفور. فلقد بدت المرأة المثالية بالنسبة إلى تيد، برأي ريك وتيد على حدٍّ سواء. لقد شعر تيد بذلك، لكنه لم يقل أبداً أي شيء لها. لم يكن ليجرؤ، أو يريد ذلك، في الظروف التي جمعتهما معاً. وليس لديه فكرة إذا كانت تشعر بأي شيء حياله، باستثناء المهمة التي يؤديها لها، في محاولة لحمايتها هي وأولادها. وعلى كل حال مع اختطاف سام، ليس هذا انتصاراً بالنسبة إليه، على الأقل برأيه.

قال تيد: "لم أقل أي شيء. ليس هذا الوقت المناسب". وافقا معاً على ذلك. ولم يعرف حتى ما إذا كان يملك الشجاعة لذلك عند انتهاء المحنة. ليس الأمر مناسباً برأيه، لأنه عندها سيستغل الفرصة بطريقة غير عادلة.

اقترح ريك، "أظن أنك تعجبها". فابتسم تيد. كانا مثل ولدين في الثانوية، أو أصغر. ولدان يلعبان الكلل في الملعب أثناء الفرصة، ويتحدثان عن فتاة في الصف السادس. لكن من المريح التحدث عن مشاعر تيد حيال فرناندا، بدل التحدث عن وضع الحياة والموت الذي سيواجهه سام لدقائق قليلة. ريك وتيد بحاجة إلى هذه الراحة.

قال تيد بنعومة: "إنها تعجبني أيضاً". وهو يُفكّر في شكلها حين تحدثا لساعات طويلة في الظلمة، أو حين نامت على الأرض قربه، منتظرة أخباراً عن سام. حينها كاد قلبه ينفطر.

همس له ريك، "إذن، امضِ قدماً. الحياة قصيرة". عرف كلاهما ذلك، ولديهما الكثير من الأدلة على ذلك على مر السنوات.

قال تيد مع تنهيدة: "هذا أكيد". ثم ابتعد عن الشجرة التي كان يتكئ عليها أثناء حديثهما. كانت محادثة مثيرة، لكن عليهما فعل أشياء أكثر

أهمّيّة. لكنها استراحة جيدة لهما معاً. خصوصاً تيد. أحب سماع رأي ريك، في كل ذلك، فهو يُكِنّ له احتراماً كبيراً.

لحقه ريك إلى الداخل، وهو يُفكّر في ما اعترف به تيد للتو أمامه. وما إن دخلا عبر باب غرفة القيادة، حتى انغمسا سريعاً في المناقشات مجدداً. حل منتصف الليل حين اتفقوا أخيراً على خطة. لم تكن خالية من المخاطر، لكنها أفضل ما توصلوا إليه. قال رئيس فرقة المكافحة إنهم سيبدأون الاقتراب من المنزل قبل الفجر، واقترح على الجميع النوم قليلاً في غضون ذلك. غادر تيد المكتب في الواحدة فجراً، وتوجّه إلى غرفة فرناندا ليرى حالها.

كانت وحيدة في الغرفة حين وصل. كان الباب مغلقاً، لكنه لاحظ عبر النافذة أن الأنوار مضاءة، وكانت مستلقية على السرير، محدّقة بالسقف. لوّح لها، فنهضت على الفور، وفتحت له الباب، خائفة من أن يكون الخاطفون قد اتصلوا. تم تحويل خطوطها الهاتفية إلى شاحنة اتصالات في الخارج.

سألت بقلق، "ماذا يحصل؟" وأسرع إلى طمأنتها. بدت الساعات التي قضتها هنا طويلة جداً بالنسبة إليها، وبالنسبة إليهم جميعاً أيضاً. تعمل الفرق بحماس لمعالجة ما جاءوا لفعله هنا. كان العديد منهم يتجول في الخارج في ثياب مصفحة وأشكال مموهة.

"سنتحرك سريعاً".

"متى؟" بحثت عيناها عن عينيه.

"مباشرة قبل الفجر".

سألت بقلق، "هل سمعتم أي شيء من المنزل؟ لا يزال هناك رجال شرطة مع ويل، يراقبون هواتفها، لكنّ تيد عرف أنه قبل ساعة تقريباً لم يرد أي اتصال هاتفي من بيتر أو زملائه. كان تيد واثقاً أنه لا يستطيع أبداً الاتصال بهم. لقد فعل ما بوسعه. وإذا نجحوا في إنقاذ سام أساساً، فسيرجع

ذلك بنسبة كبيرة إلى مساعدة بيتر. فلولاه لمات الصبي حتماً. يعود إليهم الآن أن يأخذوا الكرة التي سلمهم إياها والركض بها بسرعة. وسيفعلون ذلك. قريباً.

أجابها تيد، "لم يتصل مجدداً". وأومأت برأسها. لم يكن يؤمل في هذه المرحلة بالكثير من الأخبار عن سام. "كل شيء هادئ". وضعوا شاحنة كبيرة قرب ممر منزلها، مع أجهزة اتصالات ومراقبة فيها، ولم تحصل أية حركة هناك أيضاً. وقال رجال الكوماندوس الذين جلسوا على أعلى هضبة مزودين بمناظير تعمل بالأشعة ما دون الحمراء إن المنزل مظلم منذ ساعات. تمنى تيد أن يكونوا نائمين حين يصلون إلى هناك. عنصر المفاجأة أساسي، حتى لو لم يوفر لهم أية مساعدة من بيتر. سيكون هذا كثيراً فعلاً. سألها تيد بهدوء، محاولاً ألا يفكّر في حديثه مع ريك في وقت سابق من هذه الليلة "هل أنتِ على ما يرام؟" لم يشأ قول أو فعل أي شيء أحمق، بعد أن اعترف له الآن بمشاعره، مما جعل مشاعره حيال فرناندا تبدو أكثر واقعية. أومأت برأسها، وبدا متردداً فيما راقبها.

قالت وهي تبدو خائفة: "أريد أن ينتهي كل ذلك، لكنني خائفة من النهاية". في الوقت الحاضر، يمكنهم الافتراض أن سام لا يزال حياً، أو هذا ما يأملونه على الأقل. في وقت باكر من تلك الليلة، اتصلت بواليس، وعثرت على الراحة في طمأنته.

وعدها تيد، "سينتهي الأمر قريباً". لكنه لم يؤكد لها أن كل شيء سيكون على ما يرام. إنها كلمات غير مجدية في هذه المرحلة، وهي تعرف ذلك. إنهم سيتحركون قريباً.

"هل ستذهب معهم؟" بحثت عيناها عن عينيه، وأومأ برأسه.

"لغاية الممر". أما الباقي فيعود إلى فرق المكافحة والكوماندوس. لقد حضرت لهم إحدى الفرق كميناً بين الأشجار. تم إخفاء الكمين بين الأوراق، لكنهم سيكونون على الأقل قريبين حين تحتدم الأمور، وهذا ما سيحصل حتماً.

"هل أستطيع المجيء معك؟ هزّ رأسه بثبات، رغم توسل عينيها. لا يستطيع أبداً السماح لها بذلك. هذا خطير جداً، ولا يمكنه السماح بذلك. إذا لم تحصل الأمور على ما يرام، فقد تعلق بين النار، أو تصاب بطلقة نارية إذا حاول الخاطفون الهروب واصطدموا بالكمين في طريق هروبهم. يستحيل توقع ما سيحصل. اقترح عليها رغم إدراكه بأن هذا صعب عليها، "لماذا لا تحاولين النوم قليلاً؟"

"هل ستخبرني حين تغادر؟" أرادت أن تعرف ماذا سيحصل ومتى، وهذا أمر طبيعي. فابنها هي الذين يخاطرون بحياتهم من أجله. وأرادت أن تكون متصلة نفسياً به حين يذهبون إليه، متمنية أن يبقى على قيد الحياة. أومأ تيد برأسه، ووعدها بأن يخبرها حين تتحرك الفرق، ثم بدت مذعورة. أصبحت تعتمد عليه. إنه مرشدها في هذا الخوف غير الاعتيادي. "أين ستكون حينها؟"

أشار إلى غرفته. "غرفتي على مسافة بابين من هنا". إنه يتشاركها مع ثلاثة رجال آخرين من المدينة. ويقيم ريك في الغرفة المجاورة.

نظرت فرناندا إلى تيد بغرابة لدقيقة، كما لو أنها أرادت منه البقاء في غرفتها. ووقفا هناك لبرهة طويلة، ينظران إلى بعضهما، فيما شعر تيد أنه يستطيع قراءة أفكارها. "هل تريدين أن أبقى معك لدقائق قليلة؟" أومأت برأسها. ما من شيء سرّي في ذلك. الستائر مفتوحة، والأنوار مضاءة، ويستطيع الجميع رؤيتهما في الغرفة.

لحق تيد بفرناندا إلى الغرفة، وجلس على الكرسي الوحيد الموجود في غرفتها، فيما جلست فرناندا على السرير، ونظرت إليه بعصبية. ستكون ليلة طويلة بالنسبة إليهما معاً، ولا مجال أبداً لأن تنام. حياة ابنها على المحك، وإذا حصل الأسوأ، أرادت أن تمضي الليل على الأقل وهي تُفكّر به. لا تستطيع حتى أن تتخيل ماذا ستقول للولدين الآخرين، إذا حصل شيء ما. آشلي لا تعرف حتى أنه تم اختطاف سام. وبعد خسارة

والـدهما قبل ستة أشهر، لا تستطيع البدء بتخيل الضربة التي ستوجّه لهما إذا قـتل سـام. لقد تحدثت إلى ويل قبل ساعات قليلة. إنه يحاول أن يكون قـوياً، لكن في نهاية المحادثة، كانا يبكيان. على الرغم من كل ذلك، رأى تـيد أنهـا تـصمد بطريقة مميزة. لا يظن أنه كان يستطيع الصمود مثلما فعلت، لو حصل هذا مع أحد أولاده.

قـال لها تيد مبتسماً: "لا أفترض أن هناك أية فرصة لكي تخلدي إلـى النوم". كان مرهقاً كثيراً بقدرها، لكنّ الأمر مختلف بالنسبة إليه. إنه عمله.

قالت بصراحة: "لا أظن ذلك". إنها مسألة ساعات معدودة قبل أن تبدأ فـرق المكافحة والكوماندوس اجتياحها للمنــزل. "أتمنى لو سمعنا أخباراً منهم مجدداً".

"وأنا أيضاً". كان تيد صادقاً أيضاً معها. "لكن ربما من الجيد أننا لـم نـسمع. أظـن أنهـم ربما ينوون الاتصال بكِ غداً لمعرفة ما إذا حـضرّتِ المال لهم". مئة مليون دولار. بدا الأمر غير عقلاني بالنسبة إليه. والأكثر غرابة أنه كان باستطاعة زوجها قبل سنوات قليلة دفع هذا المبلغ بارتياح. من الغريب فعلاً أن شيئاً مثل هذا حصل معه. وفي تلك الحالـة، كان تيد واثقاً تماماً من أن فرناندا ستكون هي الضحية، وليس الأولاد. "هـل أكلـتِ أي شــيء؟" هناك صناديق من الشطائر التي يتم توزيعها منذ ساعات، وشرائح البيتزا، وكمية كافية من الدوناتس لقتلهم جمـيعاً. كانــت القهوة المحور الرئيسي طوال السهرة للجميع باستثناء فرق المكافحة، إضافة إلى غالونات من الكولا. كانوا بحاجة جميعاً إلى الكافيـين أثـناء إعداد الخطط. ولذلك، ربما يجد معظمهم صعوبة في النوم. أما فرناندا فعجزها عن النوم كان بسبب القلق والرعب، فيما جلست على السرير تنظر إليه بعينين واسعتين، متسائلة ما إذا كانت الحياة ستعود إلى طبيعتها مجدداً.

سـألته بحزن، وقد بدت مثل فتاة صغيرة، "هل تمانع إذا جلست هنا معـي؟" سـتحل ذكرى ميلادها بعد أسابيع قليلة، وأملت أن يكون سام حياً حتى يحتفل بها معها.

ابتسم لها، "لا، أود ذلك، صحبتك جيدة".

قالت وهي تتنهد بعمق: "ليس في الآونة الأخيرة". من دون أن تدرك أنهـا تتنهد. "أشعر أن صحبتي لم تعد جيدة منذ أعوام. أو أشهر في أحسن الأحـوال". مضى وقت طويل جداً منذ أن أجرت محادثة مع شخص كبير، أو خـرجت لتـناول العشاء مع زوجها، أو ضحكت، وتحدثت عن أشياء عاديـة. كـان تـيد أقرب من تعاطت معه منذ وقت طويل. وما من شيء طبيعـي في هذه الأيام أيضاً. بدت أنها محاطة دوماً بالصدمات والمآسي. أولاً ألان، وكل ما تركه بعد موته. والآن سام.

قال تيد بإعجاب: "لقد عانيت كثيراً خلال هذه السنة، أظن أنني كنت الآن سأحتـضر لو كنتُ مكانكِ". حتى لو سارت الأمور على ما يرام مع سـام، وأمـل أن يحـصل ذلك، عرف تيد أنه لا يزال أمامها الكثير من التحديات. وبعد كل ما قاله ريك تلك الليلة، تساءل تيد ما إذا كان سيحصل معــه الشيء نفسه أيضاً. فما قاله ريك بشأن زواج تيد من شيرلي لم يمرّ مرور الكرام. خصوصاً أنها قد تتركه يوماً ما. لقد خطرت الفكرة في باله أيـضاً، رغـم أنــه لــن يفعل مثل هذا الشيء معها. إنها أقل التزاماً منه بالتقاليد، ولا سيما في السنوات الأخيرة، وتتصرف على هواها.

"أظـن أحـياناً أن حياتي لن تعود أبداً إلى طبيعتها مجدداً". لكن مرة جديدة، متى كانت كذلك؟ كما أن ارتقاء ألان الصاروخي في عالم الأموال لـم يكن طبيعياً. كانت الأعوام الماضية جنونية بالنسبة إليهم جميعاً. والآن هذا. "كنت أنوي البحث عن منـزل في مارين هذا الصيف". لكن الآن، إذا رحـل سـام، لا سمح الله، لا تعرف ماذا ستفعل. قد تنتقل إلى مكان آخر ربما للهروب من الذكريات.

قال لها بشأن انتقالهم إلى منزل صغير: "سيكون هذا تغييراً كبيراً لك وللأولاد، كيف ستكون ردة فعلهم برأيك؟"

"خوف. غضب. حزن. حماس. كل الأشياء التي يشعر بها معظم الأولاد حين ينتقلون. سيكون الأمر غريباً علينا جميعاً. لكنه ربما سيكون أمراً أفضل". طالما أنها لا تزال تملك ثلاثة أولاد، وليس اثنين. هذا كل ما تستطيع التفكير به الآن. وأخيراً، ساد صمت طويل بينهما. خرج على أطراف أصابع قدميه من الغرفة قرابة الثالثة فجراً حين خلدت أخيراً إلى النوم. بعد ذلك نجح تيد في النوم لساعتين، مستلقياً على أرض غرفته. ثمة رجلان آخران يناما في السريرين الموجودين في الغرفة، ولم يعد يهتم أين ينام. باستطاعته النوم واقفاً، وهذا ما قاله دوماً ريك بشأنه. وكاد يفعل ذلك تقريباً في إحدى المرات.

جاء رئيس فرقة المكافحة لإيقاظه في تمام الساعة الخامسة صباحاً. استيقظ على الفور وأصبح يقظاً فوراً. استيقظ الرجلان الآخران وخرجا من الباب فيما وقف تيد على قدميه. غسل وجهه، ونظف أسنانه، ومرره يده بسرعة في شعره، فيما سأله نقيب فرقة المكافحة إذا أراد الركوب معهم، وقال تيد إنه سيتبعهم كي لا يعرقل عملهم.

مرّ تيد أمام غرفة فرناندا فيما كان خارجاً، ولاحظ أنها استيقظت، وكانت تتجول في الغرفة. جاءت إلى الباب لحظة رأته، ووقفت تنظر إليه. توسلته عيناها لاصطحابها معه، وضغط على كتفها برفق بإحدى يديه فيما التقت عيونهما لبعض الوقت. إنه يعرف كل ما تشعر به تقريباً، أو يظن ذلك، وأراد طمأنتها. لكنه لا يستطيع إعطاء أية وعود. سيبذلون ما بوسعهم من أجلها ومن أجل وسام. لم يشأ تركها، لكن عليه ذلك. فسيبزغ الفجر قريباً.

"حظاً سعيداً". لم تبعد عينيها عن عينيه، وأرادت بشدة الذهاب معه. أرادت أن تكون قريبة من سام قدر الإمكان.

"سيكون كل شيء على ما يرام، فرناندا. سأتصل بك لحظة نعثر عليه".

لم تستطع حتى التكلم، فيما أومأت برأسها، وراقبته يختفي في سيارة، ويبتعد في اتجاه ابنها.

في اللحظة نفسها تقريباً، كان ثلاثة من رجال الكوماندوس ينزلون ببطء على الجرف الصخري وراء المنزل، باستعمال الحبال، وهم يرتدون البذلات السوداء، بعد أن لطخوا وجوههم بالأسود، وثبتوا أسلحتهم على أجسامهم.

أوقف تيد السيارة قبل ربع ميل تقريباً من ممر المنزل، وأخفاها بين مجموعة من الأشجار. مشى بصمت في الظلمة، ومرّ أمام الكشافة المختبئين في الأشجار وصولاً إلى الكمين الذي حضره فريق المكافحة. ألقى تيد نظرة سريعة على الرجال من حوله، كانوا يحملون أسلحة هيكلر وكوش إم بي 5. إنها أسلحة أوتوماتيكية بالكامل بعيار 223 ملم، يستعملها فريق المكافحة وفرق الكوماندوس في مكتب التحقيقات الفدرالي. كان هناك خمسة رجال آخرون في المخبأ معه، فيما ارتدى سترة مقاومة للرصاص، ووضع على أذنيه سماعات كي يتمكن من الاستماع إلى شاحنة الاتصالات. وفيما استمع إليهم يتحدثون ونظر في الظلمة، أحس بتحرك مفاجئ خلفه، وانزلق أحد الأشخاص في المخبأ وكان يرتدي سترة مصفحة وثياباً مموهة. التفت ليرى ما إذا كان واحداً من رجال ريك، لكنه لاحظ أنها امرأة. لم يتعرف إليها في البداية، ثم أدرك من تكون. إنها فرناندا ترتدي ثياب الكشافة. لقد نجحت في إحضار نفسها إلى هنا بعد أن أقنعت أحدهم بأنها عنصر من الشرطة المحلية، فسلّمها العدة. ارتدت الثياب اللازمة بسرعة البرق. وها هي الآن معه، حيث لا يجدر بها أن تكون، وسط الخطر، في الخطوط الأمامية، أو على الأقل قريبة جداً منها. كان على وشك الصراخ عليها وإعادتها. لكنّ الوقت قد فات لأن العملية

بــدأت، وعــرف كم أنها تريد أن تكون هنا حين يخرجون سام، إذا فعلوا. وجه إليها نظرة عتب وعدم موافقة، وهزّ رأسه، ثم لان من دون التفوه بأية كلمــة، وهو عاجز عن لومها. أمسك يدها بقوة، فيما جثمت قربه، وانتظرا بصمت قيام الرجال بإحضار سام إلى أمه.

الفصل العشرون

اســتلقى بيتــر نائماً قرب سام حتى الخامسة فجراً من ذلك الصباح، وكمــا لو أن غريزة باطنية عميقة طلبت منه الاستيقاظ، فتح عينيه وتململ بــبطء. كــان سام لا يزال نائماً قربه، فيما رأسه على كتف بيتر. وقال له الحــدس ذاتــه أن يفــك الرباط عن يدي سام وقدميه. أبقوه مربوطاً بهذه الطــريقة طــوال الوقت كي لا يتمكن من الفرار. لقد اعتاد سام على ذلك وتوصــل إلــى القبول به في الأسبوع الأخير. تعلم أنه يمكنه الوثوق ببيتر أكثــر من الآخرين. وفيما فك بيتر العقد، استدار سام وهمس كلمة واحدة: "أمي".

ابتــسم له بيتر، ونهض، ووقف ينظر خارج النافذة. لا تزال الظلمة مخــيمة خارجاً، لكن السماء باتت الآن رمادية وليست سوداء. وعرف أن الــشمس ستــشرق قــريباً فوق الهضبة. يوم آخر. ساعات لامتناهية من الانــتظار. عرف أنهم سيتصلون بفرناندا، ويقتلون الصبي إذا لم تؤمّن لهم المــال. مــا زالوا يظنون أنها تخبئه عنهم وتراوغهم. قتل الصبي لا يعني شيئاً بالنسبة إليهم. وإذا عرفوا ماذا فعل بهم، سيقتلونه أيضاً. لم يعد يهتم. لقــد قايض حياته بحياة سام. إذا تمكن من الفرار معه، فستكون هذه نعمة، لكــنه لــم يــتوقع حــصول ذلك. فمحاولة هروبه مع الصبي قد تبطئهما وتعرض سام لخطر أكبر.

كان لا يزال واقفاً أمام النافذة حين سمع صوتاً ظنه في البداية زقزقة عــصفور، ثم طار حجر صغير في اتجاهه واستقر في بركة وحل صغيرة

علــى الأرض. نظــر إلى الأعلى، وشاهد حركة ما، ثم حين نظر مجدداً، رأى ثلاثــة أشــكال تتــزلق على الصخور باستعمال حبال سوداء. ما من شيء ينذر بوجودهم، لكنه عرف أنهم هنا، وبدأ قلبه يخفق بقوة. فتح النافذة بهــدوء، وحــدّق فــي الظلمة، وراح يراقبهم وهم يخفضون أنفسهم حتى لختفوا. وضع يده فوق فم سام كي لا يصرخ، وحرّكه برفق، ففتح الصبي عينــيه، ولاحظ بيتر أنه مستيقظ. ما إن نظر إليه سام، وضع إصبعه على شــفتيه. أشار إلى النافذة فيما راقبه سام. لم يعرف سام ماذا يحصل، لكنه عــرف أن بيتــر سيــساعده في كل الأحوال. استلقى ساكناً على السرير، وأدرك أن بيتــر فــك قيوده، وبات باستطاعته تحريك يديه وقدميه بحرية للمرة الأولى منذ أيام. لم يتحرك أي منهما، ثم عاد بيتر إلى النافذة. لم يرَ أي شــيء في البداية، ثم رآهم، مختبئين في الظلمة، على بعد عشرة أقدام من المنــزل. لوّحت يد مغطاة بقفاز أسود، فاستدار ورفع سام عن السرير بذراعــيه. كــان يخشى فتح النافذة أكثر مما فعل، فأخرج سام عبر الشق المفــتوح. إنــه ارتفــاع بسيط، وعرف أن ذراعي الصبي وساقيه ستكون صــلبة. كــان لا يزال يحمله حين نظر إليه للمرة الأخيرة. التقت عيناهما للحظــة لامتناهية، وكان هذا أسمى عمل حب يقوم به بيتر في حياته فيما أنــزله عبــر الــنافذة وأشار إليه، فزحف سام مثل الطفل بين الأشجار الصغيرة. واختفى بعدها عن نظر بيتر، ثم شاهد يداً سوداء ترتفع وتلوح له مجدداً. وقف يحدق فيها وسمع صوتاً في المنــزل خلفه. هزّ رأسه، وأغلق النافذة، واستلقى مجدداً على السرير. لم يشأ فعل أي شيء قد يعرّض سام للخطر.

فــيما زحف سام بين الأوساخ والأشجار الصغيرة، لم تكن لديه فكرة إلــى أيــن يذهب. ذهب في الاتجاه الذي أشار إليه بيتر، فيما تمددت يدان وأمسكتا به، فاندفع بين الأشجار بقوة وسرعة بحيث انقطعت أنفاسه. نظر إلى خاطفيه الجدد، وهمس للرجل الذي أمسكه مع وجه أسود ورأس مغطى

بكــيس نايلــون أسود. "هل أنتم رجال طيبون أم سيئون؟" كاد الرجل الذي يحمله بقوة على صدره أن يبكي إذ ارتاح كثيراً لرؤيته. سارت كل الأمور وفق الخطة لغاية الآن، لكنّ الطريق لا تزال طويلة.

همس له، "رجال جيدون". أومأ سام برأسه وتساءل أين هي أمه، فيما أشار الرجال الذين حوله إلى بعضهم البعض، وسطحوا سام على الأرض. كان وجهه متسخاً، فيما بدأت السماء تمتلئ بالخيوط الوردية والصفراء. لم تشرق الشمس بعد، لكنّ الرجال عرفوا أن الأمر لن يطول.

لقــد حذفوا قبلاً إمكانية إنــزال سام على الجرف الصخري بواسطة الحــبال، لأن هذا سيجعله مكشوفاً جداً للنيران في حال تم اكتشاف غيابه. لقد أصبح مصدر خطر الآن لكل خاطفيه - باستثناء بيتر، لأنه كبير كفاية للتعرف إليهم - وإخبار الشرطة بما سمعه ورآه.

كان الأمل الوحيد لفريق المكافحة يتمثل في إخراجه من الممر، لكنّ هذا يجعلهم جميعاً مكشوفين أيضاً للنيران. سيشقون طريقهم عبر الأشجار الكثــيفة المجــاورة، لكــنّ بعضها كثيف جداً بحيث لا يمكن عبورها أبداً. أمــسك أحــد الرجال سام بقوة، بين ذراعيه القويتين، ثم ركضوا جميعاً، وشقوا طريقهم فيما بطونهم على الأرض. وطوال هذه الفترة، لم يقولوا أي شيء لبعضهم ولا لسام. تحركوا في إيقاع دقيق، وشقوا طريقهم بأسرع ما يمكن، فيما أشرقت الشمس فوق الهضبة، وبدأت ترتفع في السماء.

الصوت الذي سمعه بيتر كان صوت أحد الرجال يدخل إلى الحمام. ســمع صوت دورة المياه، ومن ثم شتيمة بسبب ارتطام إصبع قدمه بشيء مــا في طريق عودته إلى السرير. وبعد دقائق قليلة، سمع صوت شخص آخــر. استلقى بيتر ساكناً تماماً على السرير الفارغ، ثم قرر النهوض. لا يريدهم أن يدخلوا إلى الغرفة، ويكتشفوا أن سام قد ذهب.

ذهــب حافــي القدمين إلى غرفة الجلوس، ونظر عبر النافذة بحذر، لكنه لم يشاهد أي شيء، وجلس.

قال صوت من خلفه: "نهضت باكراً". أجفل بيتر قليلاً ثم استدار. إنه كارلتون واترز. بدا منهكاً جداً بعد شرب الكحول بإفراط في الليلة الفائتة. "كيف حال الصبي؟"

قال بيتر من دون اهتمام ظاهري: "إنه بخير". لقد رأى ما يكفي من هؤلاء الرجال بحيث يستطيع تذكره طوال حياته. كان واترز عاري الصدر ويرتدي فقط سروال الجينز الذي نام فيه، فيما فتح البراد بحثاً عن شيء لتناوله، وعاد مجدداً مع كأس من الشراب.

قال واترز: "سأتصل بأمه حين ينهض الآخرون". فيما جلس على الأريكة مقابل بيتر. "من الأفضل أن تحضر لنا المال، وإلا قضي علينا. لن أجلس هنا إلى الأبد، مثل الدجاجة، منتظراً قدوم رجال الشرطة إلينا. من الأفضل أن تفهم المرأة ذلك إذا كانت تحاول اللعب معنا".

قال بيتر فيما كان يهز كتفيه: "ربما لا تملك المال، وإذا كانت لا تملك، نكون قد بددنا الكثير من الوقت". لقد فهم بيتر اللعبة لكن واترز لم يفهم.

قال واترز: "ما كان رجلك ليتكبد كل هذا العناء لو لم تكن تملك المال". فيما نهض للنظر عبر النافذة. كانت السماء حينها قد أصبحت وردية وذهبية، وأصبح الممر واضحاً تماماً. وحين نظر عبر النافذة، تصلب جسمه وابتعد قليلاً. شاهد شيئاً يتحرك ثم يختفي. "اللعنة!" قال وركض بحثاً عن مسدسه، وصرخ للآخرين.

سأل بيتر فيما نهض عن كرسيه وبدا قلقاً، "ما المشكلة؟"

"لست واثقاً". نهض الرجلان الآخران حينها، وأمسك كل منهما بسلاحه، فيما بدأ قلب بيتر يخفق بسرعة. ما من طريقة لتحذير الرجال الذين يشقون طريقهم عبر ممر المنزل زاحفين على بطونهم مع سام. وعرف بيتر أنهم لم يبتعدوا كثيراً بعد ليصبحوا في أمان.

أشار واترز إلى ستارك وفري للخروج، ثم رأوهم مثل الأشباح. شاهد بيتر عبر واترز والآخرين رجلاً يرتدي الأسود، ويركض زاحفاً فيما

يحمل شيئاً بين ذراعيه. الشيء الذي يحمله كان سام. من دون أي إنذار، أطلق واترز النار عليهم فيما أطلق ستارك العنان لرشاشه.

سمعت فرناندا وتيد الأصوات من حيث كانا يجلسان. لا يوجد أي اتصال لاسلكي مع رجال الكوماندوس. أغمضت فرناندا عينيها، وأمسكت بيد تيد. لا مجال أبداً لأن يعرفا ماذا حصل، وكل ما يستطيعان فعله هو الانتظار. ثمة حراس يراقبون، لكنهم لم يشاهدوا أي شيء بعد. لكن من أصوات الأسلحة، أدرك أنهم في طريقهم مع سام. لا يعرف إذا كان بيتر معهم. سيكون الخطر أكبر على الصبي إذا كان معهم.

"يا الله، يا الله". همست فرناندا فيما سمعت إطلاق النيران مجدداً. "أرجوك... يا الله...". لم يستطع تيد النظر إليها. كل ما استطاع فعله هو التحديق في ضوء الفجر والإمساك بيدها بقوة.

تقدم ريك هولمكويست خطوة واحدة خارج المخبأ ووقف، فيما التفت تيد إليه. "هل من دليل عنهم؟" هزّ ريك رأسه، وسمع إطلاق النيران مجدداً. عرفا أن عشرات رجال الكوماندوس يطوقون الممر، بالإضافة إلى الثلاثة الذين نزلوا الجرف الصخري من الأعلى. وبالإضافة إليهم، ثمة جيش من الرجال في انتظارهم عند وصول سام.

في تلك الأثناء، توقف إطلاق النار، ولم يسمعوا أي شيء. التفت واترز إلى بيتر ونظر إليه. "أين الصبي؟" ثمة شيء أثار شكوكه، لكنّ بيتر لم يعرف أبداً ما هو.

"في الغرفة الخلفية. مربوط".

"هل هو كذلك؟" أومأ بيتر برأسه. "لماذا أظن أنني رأيت رجلاً يعبر الممر ويحمله... قل لي... هل...". ضرب بيتر بقوة على جدار المنزل، ووضع مسدسه مباشرة تحت عنق بيتر، بحيث كاد يخنقه، وحدّق فيهما ستارك وفري. التفت واترز نحو جيم فري، وطلب منه الذهاب إلى الغرفة الخلفية للتحقق، وعاد بعد ثوان قليلة.

"لقد رحل!" بدا ستارك مذعوراً.

"عرفت ذلك... أيها السافل...". نظر واترز مباشرة إلى عيني بيتر فيما راح يخنقه ببطء وصوّب مالكولم ستارك السلاح عليه. "أنت اتصلت بهم، أليس كذلك؟... أيها السافل... ماذا حصل؟ هل خفت؟ هل شعرت بالأسف على الصبي؟ من الأفضل أن تبدأ بالشعور بالأسف عليّ. لقد فوّت علينا خمسة عشر مليون دولار وعلى نفسك عشرة ملايين". كان واترز يحتدم غضباً وخوفاً. عرف أنه مهما حصل، لن يعود إلى السجن. عليهم قتله أولاً.

قال بيتر بصوت خشن: "لو كانت تملك المال، لكانت دفعته لنا الآن. ربما كان أديسون مخطئاً". إنها المرة الأولى التي يسمع فيها الآخرون اسمه.

"وكيف تعرف؟" استدار واترز للنظر إلى الممر، وابتعد خطوات قليلة عن المنزل فيما لحقه ستارك لكنهما لم يشاهدا أي شيء آخر. فالرجال الذين أخذوا سام أصبحوا في منتصف الطريق حينها. شاهدهم ريك لبرهة وهم يركضون، واستدار للإشارة إلى تيد. لكن في اللحظة نفسها تقريباً، شاهد كارلتون واترز ومالكولم ستارك الرجال وبدأا يطلقان النار عليهم. أفلتت سام من ذراعي الرجل، وأمسكه رجل آخر. بدأوا يمررونه مثل العصا في السباق، فيما استمر واترز وستارك في إطلاق النيران على كل ما استطاعا رؤيته.

حينها، فتحت فرناندا عينيها، وراحت تُحدّق هي وتيد في ممر المنزل. نظرت في الوقت المناسب لترى أحد رجال مكتب التحقيقات الفدرالي التابعين لريك يطلق النار مباشرة على واترز ويرديه قتيلاً مثل الشجرة. استلقى على وجهه على الأرض فيما ركض ستارك مسرعاً إلى المنزل والرصاص يتطاير من حوله. عاد بيتر وجيم فري إلى المنزل، وكان ستارك يصرخ حين دخل مسرعاً.

"لقد قتلوا كارل". صرخ عالياً، ثم التفت إلى بيتر وهو لا يزال يمسك بسلاحه. قال ستارك فيما أطلق النار مباشرة على بيتر: "أيها اللعين، أنت قتلته". استطاع بيتر النظر إليه لجزء من الثانية قبل أن تخترق الرصاصات جسمه، وتجعله يسقط على قدمي جيم فري.

سأل جيم فري ستارك، "ماذا سنفعل؟"

"الخروج من هنا، إذا استطعنا". إنهما يعرفان تماماً أن الأشجار سميكة جداً على الجانبين، وثمة جرف صخري وراءهما. لا يملكان المعدات لتسلقه، والطريقة الوحيدة للخروج هي عبر الممر الأمامي، الذي أصبح الآن مليئاً بالجثث، ليس فقط بجثة كارل وإنما أيضاً بجثث الرجال الذين قتلهم هو وستارك، قبل أن يقتل هو. هناك ثلاث جثث على الأرض بين الجهة الأمامية للمنزل والطريق، ورآها سام كلها فيما ركض الرجل الذي كان يحمله. كان مثل كرة مندفعة إلى مرماها الأخير. ركض بسرعة كبيرة وأصبح فجأة على مسافة قدمين من تيد وفرناندا. استطاعا رؤية سام الآن، فيما أشرقت الشمس على الطريق. كانت تبكي بقوة فيما راقبته، ثم أصبح سام فجأة بين ذراعيها وراح الجميع يبكي. كانت عيناه كبيرتين، وبدا مصدوماً جداً ومتسخاً كثيراً، لكنه كان يصرخ لأمه، من دون أن تتفوه هي بأية كلمة.

"ماما... ماما... ماما". كانت تبكي بشدة، بحيث لم تستطع قول أي شيء له، وإنما فقط أمسكته قربها، وسقطت معه على الأرض، واستلقت هي هناك، تمسك بطفلها، إنها تحبه، مثلما أحبته في كل ثانية كان بعيداً عنها. استلقيا هناك معاً على الأرض لوقت طويل، ثم رفعهما تيد معاً ببطء، وأشار إلى بعض الرجال خلفهما لاصطحابهما بعيداً. كان يراقبهما هو وريك، فيما انهمرت الدموع على وجنتيهما، تماماً مثل بقية الجنود. جاء مسعف طبي لمساعدتهما. حمل سام إلى سيارة إسعاف كانت في الانتظار، فيما ركضت فرناندا قربه وهي تمسك بيده. سيأخذونه إلى مستشفى محلي للتحقق من وضعه.

سأل تيد ريك، بعد أن مسح الدموع عن وجهه بمتن يده، "من بقي لدينا هناك؟"

"ثلاثة رجال، حسبما أظن. واترز مات. هكذا، يبقى مورغان واثنان آخران. لا أفترض أن مورغان لا يزال حياً الآن... وهذا يترك لنا رجلين...". لا شك في أنهما قتلاه، حين اكتشفا غياب سام، ولا سيما بعد مقتل واترز. شاهدوا ستارك يركض إلى المنزل، لكنهم عرفوا أيضاً أنهما لا يستطيعان الهروب إلى أي مكان. لديهم أوامر بإطلاق النار عليهما حتى يموتا، باستثناء مورغان، إذا كان لا يزال حياً.

حينها، دخل القناصون واختصاصيو الرماية إلى المنزل مع رجل من فريق المكافحة. طلب منهما الاستسلام ورفع أيديهما، وأبلغهما أنهم سيدخلون إلى المنزل. لم يصدر أي جواب، ولم يخرج أحد إلى الممر. وبعد دقيقتين، توجه أربعون رجلاً إلى المنزل، مع قنابل مسيلة للدموع، وبنادق محشوة بطلقات من العيار الثقيل، وأسلحة متطورة، وأضواء وامضة تجعل الشخص مشوشاً عند رميها نتيجة الانفجار وتطاير الشظايا في كل مكان بحيث تصبح مثل لدغات الدبابير. كان صوت الذخيرة التي تم إفراغها في المنزل مرعباً جداً، فيما ابتعدت فرناندا في سيارة الإسعاف مع سام. شاهدت تيد يقف ويتحدث مع ريك في الطريق حين غادرت، وكان يرتدي سترة واقية من الرصاص ويتحدث مع أحدهم على الجهاز اللاسلكي. لم يشاهدها وهي تذهب.

سمعت فرناندا من أحد رجال مكتب التحقيقات الفدرالي في الفندق أن حصار المنزل استمر أقل من نصف ساعة. خرج ستارك أولاً، وهو مختنق من الغاز المسيل للدموع، فيما اخترقت الرصاصات ذراعه وساقه، ثم خرج جيم فري مباشرة بعده. أخبرها أحد العملاء لاحقاً أنه كان يرتجف من رأسه وحتى قدميه، ويصرخ مثل الخنزير الصغير. تم توقيفهما على الفور، وسيرسلان إلى السجن بسبب اختراق فترة المراقبة، في انتظار

محاكمتهما. ستتم محاكمتهما بتهمة خطف سام في وقت ما من السنة المقبلة، وكذلك بتهمة قتل شرطيين وعميل من مكتب التحقيقات الفدرالي أثناء حصار المنزل، إضافة إلى الرجال الأربعة الذين قتلوهم أثناء خطف سام من منزله.

عثروا على جثة بيتر مورغان حين دخلوا إلى المنزل – شاهدها ريك وتيد أثناء رفعها – وشاهدوا الغرفة التي كان سام محتجزاً فيها، والنافذة التي ألقى منها بيتر سام للسماح له بالهروب. كل ما يحتاجون إليه موجود هنا. العربة المقفلة، الأسلحة، الذخيرة. تم استئجار المنزل باسم بيتر. ويعرف تيد المجرمين الثلاثة بأسمائهم. لم يكن موت كارلتون واترز خسارة لأحد. فقد خرج من السجن قبل شهرين فقط. تماماً مثل بيتر. حياتان ضائعتان، منذ البداية تقريباً.

خسر تيد وريك ثلاثة رجال جيدين في ذلك اليوم، تماماً مثل فريق المكافحة، إضافة إلى الرجال الأربعة الذين قتلوا في سان فرانسيسكو عند خطف سام. لن يرى فري وستارك نور الحرية أبداً من جديد، بسبب خطف سام، وأمل تيد أن يتم الحكم عليهما بالإعدام. لقد انتهت المسألة بالنسبة إليهما. ستكون المحاكمة شكلية فقط، إذا حصلت محاكمة. إذا اعترفا بالذنب، سيكون ذلك أبسط للجميع، رغم أن تيد عرف أنهما لن يفعلا ذلك على الأرجح. سيحاولان المماطلة لأطول وقت ممكن، والتقدم بطلبات استئناف وتمييز، لمجرد عيش يوم إضافي في السجن.

بقي ريك وتيد في مسرح الجريمة حتى فترة بعد الظهر. جاءت سيارات الإسعاف وذهبت، وتم رفع جثث رجال الكوماندوس وعميل مكتب التحقيقات الفدرالي، وجرى التقاط الصور والاهتمام بالمصابين، بحيث بدت المنطقة مثل ساحة حرب. قام الجيران الخائفون الذين استيقظوا على صوت النيران عند الفجر بقطع الطريق لمعرفة ما حصل وطلب

التفسيرات. حاولت الشرطة طمأنة الجميع، وحاولت إبقاء حركة السير طبيعية. بدا تيد مرهقاً حين عاد إلى الفندق، وذهب لرؤية سام في غرفة فرناندا. لقد عادا للتو من المستشفى، وكان بخير. هناك الكثير من الأسئلة التي يريدون طرحها عليه، لكنّ تيد أراد الاطمئنان على وضعه أولاً. كان يستلقي بين ذراعي أمه ويتشبث بها حين رآه تيد. كان يبتسم لها، ويتناول شطيرة كبيرة من الهمبرغر في طبق، ويشاهد التلفزيون. في الواقع، إن كل شرطي وعميل في المكان جاء لرؤيته والتحدث إليه، أو مداعبة شعره الجميل ومن ثم المغادرة. لقد عرّضوا حياتهم للخطر من أجله، وخسروا أصدقاء لهم. إنه يستحق ذلك. في ذلك اليوم، مات رجال من أجله. لكن لو لم يفعلوا، لكان سام قد مات بدل ذلك. والرجل الذي أحدث كل الفرق، وساعدهم على إنقاذه، مات أيضاً.

لم تستطع فرناندا إبعاد يديها عنه، وابتسمت ابتسامة عريضة لتيد حين دخل. كان متسخاً، ومتعباً، وملطخاً بالأوساخ على وجنتيه وذقنه. طمأنه ريك بأنه يبدو مثل المتشرد حين تركه، وذهب ليأكل شيئاً ما. قال إنه يريد إجراء بعض الاتصالات بأوروبا.

"إذاً، أيها الشاب". ابتسم له تيد ابتسامة عريضة فيما نظر إلى فرناندا، "من الجيد رؤيتك مجدداً. أقول إنك كنت بطلاً حقيقياً. أنت منتدب رائع". إنه لا يريد أن يطرح عليه أي سؤال الآن. أراد إعطاء الولد بعض الوقت والمجال للتنفس، لكن هناك الكثير من الأسئلة التي يريدون طرحها عليه. سيقابل الكثير من رجال الشرطة. "أعرف أن أمك سعيدة جداً بلقائك". ثم أصبح صوته ناعماً مجدداً، وقال: "وأنا أيضاً". مثل أي شخص آخر كان يعمل ليلاً ونهاراً للعثور عليه، بكى كثيراً في ذلك اليوم. استدار سام وابتسم له، لكنه لم يبتعد إنشاً واحداً عن أمه.

قال سام فيما أصبحت عيناه جديتين: "قال، إنه آسف". وأومأ تيد برأسه. عرف أنه يقصد بيتر مورغان. "أعرف. قال لي ذلك أيضاً".

"كيف عثرتم عليّ؟" نظر سام إلى تيد باهتمام، فيما جلس تيد على كرسي قربه، ومرر يده برفق فوق رأسه. لم يكن يوماً مرتاحاً إلى هذا الحدّ لرؤية شخص ما، باستثناء ابنه الذي ضاع ذات مرة وظن أنه غرق في بحيرة. لكنه لم يغرق لحسن الحظ.

"اتصل بنا".

"كان لطيفاً معي. لكنّ الآخرين كانوا مخيفين".

"أراهن أنهم كذلك. إنهم أشخاص مخيفون جداً. لن يخرجوا أبداً من السجن مجدداً، سام". لم يقل له إن الاثنين قد يواجها عقوبة الإعدام بتهمة الخطف. ظن تيد أنه لا يحتاج إلى مثل هذه المعلومات. "قتلت الشرطة واحداً منه، كارلتون واترز". أومأ سام برأسه، وألقى نظرة سريعة على أمه.

قال بنعومة: "لم أظن أبداً أنني سأراكِ مجدداً".

قالت بشجاعة: "لكنني فعلت". رغم أنها لم تفعل ذلك أحياناً. اتصلوا بويل حين وصلوا إلى الفندق، وبكى كثيراً حين تحدث إلى سام، وحين أخبرته أمه بما حصل. وبعد ذلك، اتصلت بواليس. لم تعرف آشلي أنه تم اختطاف سام. إنها على مسافة أميال قليلة فقط، وستتركها فرناندا مع أصدقائها لبضعة أيام حتى تهدأ الأمور، فلقد قررت عدم إزعاجها، إلى أن تنتهي المسألة. كانت ستخبرها بما حصل حين تعود إلى المنزل. فهذا أفضل. ولم تكف عن التفكير في ما قاله لها رجل الدين واليس حين التقاها، أي أن خطف سام كان بمثابة اختبار من الله. لم تعد ترغب في المزيد. وقد ذكّرها بذلك حين تحدثت إليه ذلك الصباح.

نظر تيد إليهما، "ما رأيكما لو أخذتكما إلى المنزل بعد قليل؟" وأومأ سام برأسه. تساءل تيد ما إذا كان سام يخشى العودة إلى المنزل الذي خطف منه. لكنه عرف أيضاً أنهم لن يبقوا فيه لفترة طويلة.

سأل سام وهو ينظر إلى أمه، "أرادوا الكثير من المال، أليس كذلك؟" فأومأت برأسها. "قلت له إننا لا نملك أي شيء. قلت له إن بابا خسر كل

شيء. لكنه لم يخبر الآخرين. أو ربما فعل، لكنهم لم يصدقوه". هذه خلاصة موجزة للوضع.

قالت فرناندا بعبوس، "وكيف عرفت أننا لا نملك المال؟" بدا أنه يعرف أكثر مما تظن. بدا سام محرجاً نوعاً ما، ثم ابتسم لها بخجل.

"سمعتك تتحدثين على الهاتف". اعترف لها، ونظرت إلى تيد بابتسامة حزينة.

"حين كنت فتاة صغيرة، كان والدي يقول لي إن الصغار يملكون آذاناً كبيرة".

"ماذا يعني ذلك؟" بدا سام مرتبكاً فيما ضحك تيد على المثل القديم. إنه يعرفه أيضاً.

"يعني ذلك أنه لا يجدر بك استراق السمع إلى حديث أمك". وبختها ولكن ليس بقوة. لم تعد تهتم لما يفعله الآن. يستطيع فعل ما يشاء لوقت طويل. إنها مسرورة جداً بعودته إلى المنزل.

بعد ذلك، طرح عليه تيد بعض الأسئلة، وبعد قليل دخل ريك، وطرح عليه بعض الأسئلة أيضاً. لم تفاجئهما أجوبة سام. لقد جمعا الأجوبة بدقة لوحدهما.

أخلت الشرطة الفندق في تمام السادسة مساء، فيما توجهت فرناندا مع سام إلى سيارة تيد. ذهب ريك مع بعض عملائه، وغمز تيد فيما غادر، فيما ردّ له تيد الغمزة بمزاح.

قال لريك بصوت خافت: "لا تفعل ذلك معي". فابتسم له ريك. إنه مسرور بنتيجة ما حصل. كان يمكن أن تكون النتيجة أسوأ كثيراً. لا تعرف أبداً النتيجة قبل أن تنتهي القصة. لقد خسروا رجالاً شجعاناً ذلك اليوم، ضحوا بحياتهم من أجل سام.

همس له ريك ممازحاً، "إنه عمل صعب، لكن يتوجب على أحد فعله". وهو يشير إلى فرناندا. إنها فعلاً امرأة لطيفة، وأعجبته. لكنّ تيد لا ينوي أبداً ارتكاب أية حماقة. والآن بعد انتهاء المحنة، لا يزال مخلصاً لشيرلي. فيما تواجه فرناندا حياتها ومشاكلها.

كانت طريق العودة إلى المنزل سهلة ومريحة. وجد المسعفون والأطباء في المستشفى أن سام في حال جيدة، نسبة إلى الأزمة الكبيرة التي عاشها. لقد فقد بعض الوزن، وكان يتضور جوعاً في طريق العودة إلى المنزل. توقف تيد أمام إيكيدا، واشترى له تشيزبرغر، وبطاطا مقلية، وعلبة حليب، وأربع علب من البسكويت. وحين وصلوا أمام المنزل، كان سام نائماً. كانت فرناندا تجلس على المقعد الأمامي قرب تيد، وكانت متعبة جداً للخروج من السيارة.

قال تيد بسهولة، فيما أطفأ المحرك: "لا توقظيه. سأحمله بنفسي". كانت الرحلة مختلفة تماماً عن طريق الذهاب التي كانت مليئة بالتوتر والدموع خشية خسارته. كانت الأسابيع الماضية كلها مليئة بالرعب.

قالت فرناندا وهي تنظر إليه: "ماذا أقول لأشكرك؟" لقد أصبحا صديقين في الأسابيع الماضية، ولن تنسى ذلك أبداً.

قال وهو ينظر إليها: "لستِ مضطرة إلى ذلك. أنا أؤدي عملي". لكنهما عرفا أن المسألة تجاوزت ذلك؛ لقد تجاوزت ذلك بكثير. لقد عاش كل لحظة من الكابوس معها، وكان ليضحي بحياته من أجل سام في أية لحظة. هذا هو تيد، وهكذا كان طوال حياته. انحنت فرناندا صوبه حينها، وقبّلت وجنته. علقت هذه اللحظة في الهواء. "أنا بحاجة إلى قضاء بعض الوقت معه، لأطرح عليه المزيد من الأسئلة من أجل التحقيق. سأتصل بكِ قبل أن آتي". عرف أن ريك يريد استجوابه أيضاً. أومأت فرناندا برأسها.

قالت بنعومة: "يمكنك المجيء في أي وقت تريده". ثم خرج من السيارة، وفتح الباب الخلفي، وحمل الصبي النائم بين ذراعيه، ولحقته هي

إلى الباب الأمامي. فتحه اثنان من رجال الشرطة المسلحين، وكان ويل يقف مباشرة خلفهما، وبدا فجأة مذعوراً.

"يا الله! هل هو مصاب؟" انتقلت عيناه من تيد إلى أمه. "لم تقولي لي".

"إنه بخير، حبيبي". وضعت ذراعيها حوله برفق. لا يزال ولداً هو أيضاً، حتى وإن كان في السادسة عشرة. "إنه نائم". بكيا حين تعانقا. سيمرّ وقت طويل قبل أن يتوقفوا جميعاً عن القلق. لقد أصبحت الكوارث جزءاً من حياتهم بسرعة. لم يحصل أي شيء طبيعي منذ وقت طويل ولن ينسوا ذلك البتة.

حمل تيد سام إلى غرفته، ووضعه برفق على السرير، فيما فكت فرناندا حذاءه. أصدر صوتاً خفيفاً، ثم استدار على جانبه، من دون أن يستيقظ، وجلس تيد مع فرناندا ينظران إليه. كان منظره جميلاً وهو ينام في سريره، ورأسه على الوسادة.

قال لها تيد فيما وقف أمام باب المدخل في الطابق السفلي: "سأتصل بكِ في الصباح". لقد غادر رجلا الشرطة للتو بعدما شكرتهما فرناندا.

فأجابته: "لن نذهب إلى أي مكان"، وعدته. لم تكن واثقة حتى ما إذا كانت تشعر بالأمان لمغادرة المنزل بعد الآن. سيكون غريباً جداً أن يتصرفوا على طبيعتهم مجدداً، متسائلين ما إذا كان هناك أشخاص في الخارج يراقبونهم ويتآمرون ضدهم. على أمل ألا يحصل أي شيء من ذلك مجدداً. اتصلت بجاك واترمان في تاهو. واتفقا على ضرورة إعداد بيان علني حول اختفاء ثروة ألان. وإلا ستبقى هي وأولادها أهدافاً إلى الأبد. لقد تعلمت هذا الدرس.

قال لها تيد: "ارتاحي قليلاً". فأومأت برأسها. إنه شعور سخيف، وهي تعرف ذلك، لكنها لم تكن ترغب برحيله. لقد اعتادت على التحدث إليه في وقت متأخر من الليل، وهي تعرف أنها تستطيع العثور عليه في

أي وقت، وتستلقي على الأرض قربه، حين لا تستطيع النوم في مكان آخر. شعرت بالأمان معه. إنها تدرك ذلك الآن. "سأتصل بكِ". وعدها مجدداً، وأغلقت هي الباب متسائلة عن كيفية شكره.

بدا المنزل فارغاً حين صعدت إلى الطابق العلوي. لا أصوات، ولا رجال، ولا أسلحة، ولا هواتف خلوية ترنّ في كل زاوية من المنزل، ولا مفاوض يراقب خطوطها الهاتفية. الحمد لله. كان ويل ينتظرها في غرفتها، بدا وكأنه نضج كثيراً بين ليلة وضحاها.

"هل أنتِ بخير أمي؟"

قالت بحذر: "نعم، أنا بخير". شعرت وكأنها سقطت من مبنى عالٍ، وتشعر بالرضوض في كل روحها. هناك الكثير منها، لكنها ستشفى كلها. لقد عاد سام. "ماذا عنك؟"

"لا أعرف. كان الأمر مخيفاً. يصعب عدم التفكير فيه الآن". أومأت له برأسها. إنه محق. سيفكرون جميعاً في الأمر، ويتذكرونه لوقت طويل طويل.

حين دخلت فرناندا إلى الحمام، وذهب ويل إلى السرير، دخل تيد إلى منزله عند غروب الشمس. لم يكن يوجد أحد في المنزل حين دخل. لم يعد يوجد أحد. شيرلي لا تأتي أبداً إلى المنزل. فهي إما في العمل، أو مع الأصدقاء الذين لا يعرف معظمهم. ثمة صمت رهيب في المنزل، وشعر بالوحدة للمرة الأولى منذ زمن بعيد. اشتاق إلى آشلي وويل، ومجيء فرناندا للتحدث إليه، ووجوده بين رجاله. ذكّره ذلك بشبابه في قسم الشرطة. لكنه لم يكن مشتاقاً فقط للرجال وإنما أيضاً إلى فرناندا.

جلس على كرسي، وحدّق في الفضاء، مفكراً في الاتصال بها. أراد ذلك. لقد سمع كل ما قاله ريك. لكن ذلك ريك. ولكنه ليس ريك، ولا يستطيع فعل ذلك.

الفصل الحادي والعشرون

تحــدث تيد إلى ريك في اليوم التالي، وسأله عما فعله بشأن أديسون. ســتوجه إليه التهم أيضاً، ويحاكم بجريمة التآمر للخطف، فور عودته إلى المديــنة. افترض تيد أنه يستحق ذلك. لقد طمأن القاضي ريك، وقال له إن أديسون لن يفلت من العقوبة. وأمل تيد في أن يكون محقاً.

قال ريك لتيد عبر الهاتف وهو يبتسم: "إنه في طريقه إلى الوطن في هذه الأثناء".

"هذا سريع. ظننت أنه كان سيغيب لفترة شهر".

"كــان سيفعل. لكنني اتصلت بالأنتربول البارحة، ومكتب التحقيقات الفدرالي في باريس. فأرسلوا رجال المراقبة لإلقاء القبض عليه. احتجزناه بــتهمة التآمــر على الخطف. واتصل بي أحد أفضل المخبرين لديّ اليوم. يبدو أن صديقنا الصغير يحب العلوم، لأنه يدير عملاً مشبوهاً في مختبرات الكريستال منذ فترة. سنستمتع في هذه القضية، تيد".

"لا بــد أنه أصيب بالذعر حين رأى الرجال". ضحك تيد عند التفكير فــي ذلك، رغم أنه ما من شيء مضحك في الموضوع. لكنه كان متعجرفاً جــداً ومتباهياً بمكانته الاجتماعية، حسب كل ما سمعه تيد، بحيث سيجعله ذلك في الحضيض.

"كادت زوجته تصاب بنوبة قلبية. صفعته هو والعميل".

"لا بد أن هذا كان ممتعاً". ابتسم تيد، وكان لا يزال متعباً.

"أشك في ذلك".

"بالمناسبة، أنت محق بشأن تفجير السيارة أيضاً. أخبرنا جيم فري أن واتــرز هو من فعلها. لم يكونوا مشاركين في ذلك، وإنما اعترف لهم في تاهو في إحدى الليالي بعد أن ثمل. ظننت أنك ترغب في معرفة ذلك".

"سيعرف النقيب على الأقل أنني لست مجنوناً".

أخبره تيد حينها أنهم عثروا على معظم المال الذي دفعه أديسون لستارك وفــري وواترز مسبقاً، داخل حقائب في محطة الباص في موديستو. سيكون هذا دليلاً دامغاً ضده. أخبرهم فري عن مكان وجود المال.

ثم غيّر ريك الموضوع بطريقة جذرية، مثلما يفعل في معظم الأيام، وتطــرق مباشرة إلى الموضوع. "هل قلت لها شيئاً حين أوصلتها؟" عرف كلاهما أنه يقصد فرناندا.

"حول ماذا؟" حاول تيد التظاهر بالغباء.

"لا تفعل هذا معي. تعرف ماذا أقصد".

تــنهد تــيد. "لا. لم أفعل. فكّرت في الاتصال بها ليلة أمس، لكن لا جدوى من ذلك ريك. لا أستطيع فعل ذلك بشيرلي".

"ستفعل. وأنت تفعل ذلك بنفسك، وبفرناندا. إنها بحاجة إليك تيد".

"ربما أنا بحاجة لها أيضاً. لكن لديّ امرأة الآن".

قال بفظاظة: "المرأة التي لديك فاسدة، وهذا غير عادل". وعرف تيد أن ريك محق. شيرلي امرأة جيدة، لكنها ليست مناسبة له، وهي كذلك منذ أعوام. إنها تعرف ذلك أيضاً. لقد خاب أملها بتيد. قال ريك بحماس: "أتمنى أن تصبح ذكــياً في يوم من الأيام، قبل أن يفوت الأوان، وبالمناسبة، ثمة موضوع أريد التحدث حوله معك. دعنا نتناول العشاء معاً الأسبوع المقبل".

"حــول ماذا؟" شعر تيد بالحيرة، وتساءل ما إذا كان الأمر على صلة بــزواجه الثانــي، ورأى أنــه ليس له علاقة في الموضوع. على العكس. لكنهما صديقان حميمان، وسيبقيان دوماً كذلك.

"صدق أو لا تصدق. أريد نصيحتك".

"أنا مسرور لذلك. متى ستقابل سام بالمناسبة؟"

"سأدعك أنت تفعل ذلك أولاً. أنت تعرفه أفضل. لا أريد إخافته وقد تحصل أنت على كل ما أحتاج إليه أنا".

"سأطلعك على كل شيء".

اتفقا على التكلم مجدداً بعد بضعة أيام. وفي اليوم التالي، ذهب تيد لزيارة سام. كانت فرناندا هناك مع جاك واترمان. بدَوَا وكأنهما يتحدثان عن الأعمال، وغادر جاك بعد فترة وجيزة من وصول تيد. لقد أمضى كل وقته مع سام. بدت فرناندا مشغولة وشاردة الذهن، ولم يكف تيد عن التساؤل ما إذا كانت على علاقة مع جاك. بدا الأمر منطقياً بالنسبة إليه، وسيكون زوجاً ملائماً. ولاحظ أن هذا هو رأي جاك أيضاً.

في اليوم التالي، صدر مقال في الصحف يذكر الكارثة المالية التي لحقت بمهنة ألان بارنز. الشيء الوحيد الذي لم يذكر في الصحف هو انتحار ألان المفترض. لكنّ تيد شعر حين قرأ المقال أن فرناندا تملك يداً في ذلك. وتساءل إذا كان هذا ما فعلته مع جاك، وسبب شعورها بالانزعاج نوعاً ما. لا يلومها، لكن من الأفضل التصرف بهذه الطريقة. لقد نجحوا لغاية الآن في إبقاء قضية الاختطاف بعيداً عن الصحافة. افترض تيد أن الأمر سيفضح في النهاية، أثناء المحاكمة. لكن لم يحدد أي موعد لغاية الآن، ولن يحصل ذلك قبل فترة. لكنّ ستارك وفري عادا إلى السجن، بعد رفض طلبهما بإخلاء السبيل.

كان سام متعاوناً جداً مع تيد. تذكر أشياء مذهلة، رغم الظروف الصعبة التي عاشها. سيكون شاهداً ممتازاً، بالرغم من صغر سنه.

بعد ذلك، حصلت الأمور بسرعة كبيرة مع فرناندا وأولادها. فبعد فترة وجيزة من ذلك، بلغت الأربعين عاماً، وأخذها أولادها إلى دار الفطائر العالمي للاحتفال بذكرى ميلادها. لم تكن هذه هي ذكرى الميلاد

الذي كانت لتتوقعها قبل عام واحد، لكنها كل ما أرادته هذه السنة؛ أي التواجد مع أولادها. وبعد فترة وجيزة من ذلك، أخبرتهم أنها ستبيع المنزل. أصيبت آشلي وويل بالصدمة، إلاّ أن سام لم يتفاجأ. فهو يعرف ذلك منذ فترة، مثلما اعترف لها، نتيجة استراقه السمع إلى محادثاتها. لقد تغيرت حياتهم بصورة جذرية، بعد أن نقلت إليهم الخبر. قالت آش إن الأمر سيصبح مخزياً في المدرسة، حين يكتشف الجميع أن والدها خسر كل ماله، وإن هناك فتيات لن يرغبن بعد الآن في مصادقتها، وقال ويل إن هذا مقرف فعلاً. إنه في السنة الثانوية الأخيرة. كما أن أياً منهما لن يتحدث أمام رفاقه بأنهم كانوا عرضة لمحاولة خطف في ذلك الصيف. فالقصة مرعبة جداً بحيث لا يمكن كتابتها في الفرض المدرسي الذي يحمل عنوان *"ماذا فعلتُ في عطلتي الصيفية"*. تحدثوا عن الموضوع فقط داخل المنزل، فلقد حذرتهم الشرطة بضرورة التحلي بالصمت لتفادي الصحافة والمجرمين الآخرين. وشهقت إحدى النساء التي جاءت لشراء المنزل حين شاهدت المطبخ.

"لماذا لم تكمليه أبداً؟ إن منزلاً مثل هذا يجب أن يحتوي على مطبخ رائع!" نظرت إلى السمسار وإلى فرناندا، وشعرت فرناندا أنها ترغب كثيراً في صفعها، لكنها لم تفعل.

قالت ببساطة: "كان مطبخاً رائعاً، لكننا تعرضنا لحادث بسيط هنا في الصيف الماضي".

"أي حادث؟" سألت المرأة بعصبية، وأرادت فرناندا لبرهة إخبارها أنه تم إطلاق النار على اثنين من رجال الشرطة واثنين من مكتب التحقيقات الفدرالي في مطبخها. لكنها قاومت هذه الرغبة ولم تقل أي شيء.

"لا شيء مهم. لكنني قررت نزع الغرانيت". لأنه كان ملطخاً بالدم، ويصعب تنظيفه، قالت لنفسها بصمت.

لا تزال عملية الخطف تبدو غير واقعية بالنسبة إليهم جميعاً. أخبر سام أفضل صديق له في المدرسة عن الحادثة، لكنّ الصبي لم يصدقه. ووبخته المعلمة بشدة لأنه يكذب، ويخترع الأشياء، وعاد سام إلى المنزل وهو يبكي.

قال لأمه: "لم تصدقني!" ومن يصدق؟ هي نفسها لا تصدق أحياناً ما حصل. فالأمر مرعب جداً بحيث لم تستطع بعد استيعابه. وحين تُفكّر في الأمر، تشعر بالكثير من الخوف، وينتابها القلق، بحيث تجبر نفسها على التفكير في أشياء أخرى.

وبعد كل ما حصل، أخذت الأولاد إلى طبيب نفسي متخصص في الصدمات. وتأثر الطبيب بالشجاعة الكبيرة التي تحلوا بها، رغم أن سام لا يزال يعاني من الكوابيس بين الحين والآخر، تماماً مثل أمه.

استمر تيد في زيارة سام طوال شهر سبتمبر، لجمع الأدلة والشهادات، وانتهى في شهر أكتوبر. لم يتصل بهم بعد ذلك، وفكّرت فيه فرناندا غالباً، وأرادت الاتصال به. عرضت المنزل للبيع، وحاولت العثور على منزل أصغر، وبحثت عن وظيفة. لم يعد لديها المال تقريباً، وحاولت ألا تخاف. لكنها كانت تخاف غالباً في وقت متأخر من الليل، ولاحظ ويل ذلك. عرض عليها البحث عن وظيفة بعد دوام المدرسة لمساعدتها. كانت قلقة عليه بشأن الجامعة أيضاً، ولكنه حقق لحسن الحظ علامات جيدة تؤهله لدخول جامعة كاليفورنيا، رغم إدراكها بأنه لا يزال عليها تأمين المال لدفع ثمن المنامة. يصعب التصديق أحياناً أن ألان امتلك مئات الملايين من الدولارات، وإن لفترة قصيرة. لم تكن يوماً مفلسة مثلما هي الآن، ولقد أخافها ذلك.

في أحد الأيام، أخذها جاك لتناول الغداء وحاول التحدث معها حول الموضوع. قال إنه لم يشأ فتح الموضوع معها في وقت باكر، أو مضايقتها بعد موت ألان مباشرة، ثم حصل الخطف، وكانوا جميعاً متضايقين. لكنه

قال إنه يُفكّر في الموضوع منذ أشهر، وقد اتخذ قراره. توقف لبرهة، كما لو أنه يتوقع الموسيقى، ولم تفهم فرناندا أبداً ماذا يجري.

سألت ببراءة، "أي نوع من القرار؟"

"أظن أنه يجدر بنا الزواج". حدّقت به عبر طاولة الغداء، وظنت لبرهة أنه يمزح، لكنها لاحظت أنه لا يمزح.

"أنت قررت ذلك؟ من دون سؤالي؟ أو التحدث معي؟ ماذا عن رأيي أنا؟"

قال بطريقة بديهية: "فرناندا، أنتِ مفلسة. لا يمكنك إرسال أولادك إلى مدارس خاصة. سيذهب ويل إلى الجامعة في الخريف. ولا تملكين مهارات لبدء وظيفة".

سألته، وقد أصبحت فجأة غاضبة، "هل تعرض عليّ وظيفة أو زواجاً؟" أراد التصرف في حياتها، من دون استشارتها. والأهم من ذلك أنه لم يذكر الحب. ما قاله بدا أشبه بعرض عمل، وليس عرض زواج، الأمر الذي أزعج فرناندا. ثمة شيء مهين جداً في طريقة تطرقه للموضوع.

قال جاك باستياء: "لا تكوني سخيفة. أريد الزواج منك بالطبع. بالإضافة إلى ذلك، يعرفني الأولاد". الأمر منطقي بالنسبة إليه، والحب غير مهم. إنها تعجبه. وهذا كافٍ برأيه.

"نعم" - رأت أن فظاظته تستحق فظاظتها مقابل ذلك - "لكنني لا أحبك". في الواقع، لم يعجبها عرضه، وإنما جرح مشاعرها. شعرت وكأنها سيارة معروضة للبيع، وليس امرأة يحبها.

قال بعناد: "يمكننا تعلم حب بعضنا البعض". لطالما أعجبها، وعرفت أنه مسؤول ويمكن الوثوق به، وشخص جيد، لكن لا يوجد سحر بينهما. تعرف أنها إذا تزوجت مجدداً، فإنها تريد السحر، أو الحب على الأقل.

"أظن أن هذه الخطوة ستكون مناسبة لنا نحن الاثنان. أنا أرمل منذ أعوام عدة، وتركك ألان في حالة فوضى كبيرة. فرناندا، أريد الاهتمام بكِ

وبأولادكِ". كاد يؤثر في قلبها لبرهة، ولكنه لم يصل إلى درجة التأثير الكافية.

تنهّدت بعمق فيما نظرت إليه، فيما كان ينتظر جوابها. لم يجد أي سبب لمنحها الوقت للتفكير في الأمر. لقد قدّم لها عرضاً جيداً، وتوقع منها قبوله، كما لو أنه يقدّم لها وظيفة أو منزلاً.

قالت بصوت ناعم جداً: "أنا آسفة جاك، لا أستطيع ذلك". بدأت تفهم سبب عدم زواجه أبداً من جديد. إذا كان يقدم عروض الزواج بهذه الطريقة، أو ينظر إلى الزواج بهذه الطريقة، فمن المنطقي أن ينتهي به الأمر هكذا.

بدا مرتبكاً، "ولمَ لا؟"

"قد أكون مجنونة، لكن إذا تزوجت مجدداً، أريد أن أقع في الغرام".

"لم تعودي طفلة، وعليك التفكير في مسؤولياتك". كان يطلب منها إرسال نفسها إلى العبودية، لتتمكن من إرسال ويل إلى هارفارد. لكنها تفضل إرساله إلى كلية المدينة. لا تريد بيع روحها إلى رجل لا تحبه، حتى ولو إكراماً لأولادها. "أظن أنه يجدر بكِ التفكير مجدداً في ذلك".

قالت فرناندا: "أظن أنك رائع، وأنا لا أستحقك". عندها وقفت، وأدركت أن السنوات الطويلة من الصداقة واستلام القضايا انتهت للتو في مهب الريح.

"قد يكون ذلك صحيحاً". قال وهو يشد على الحبل قدر الإمكان، فيما سمعت الحبل ينقطع في رأسها. "لكنني ما زلت أريد الزواج منك".

قالت وهي تنظر إليه: "لكنني لا أريد". لم تدرك ذلك أبداً من قبل، لكنه مهيمن وغير حساس أكثر مما ظنت طوال أعوام، ويهتم بمشاعره أكثر من مشاعرها، ولهذا السبب ربما لم يتزوج ثانية. لقد اتخذ قراره، ورأى أنه يجدر بها أن تنفذ ما يطلب منها، حتى لو تعلق الأمر بكيفية قضائها بقية حياتها. عليها تنفيذ ما يطلبه منها رجل لا تحبه. طريقة تقدمه

للزواج منها بدت إهانة أكثر مما هي إطراء، وكشفت عن قلة احترام. "وبالمناسبة"، قالت له بعد أن وضعت منديلها على الطاولة، "أنت مطرود جاك". بعدها، استدارت، وخرجت من المطعم.

الفصل الثاني والعشرون

تم بيع المنـــزل أخيراً في شهر ديسمبر. مباشرة قبل الكرسمس. لذا، قضوا آخر عيد لهم في هذا المنـــزل في غرفة الجلوس، ووضعوا الشجرة تحـت الثريا الإيطالية الساحرة. بدت الصورة مناسبة نوعاً ما، وكانت هذه نهايـة سـنة صـعبة بالنسبة إليهم جميعاً. لم تعثر بعد على وظيفة، لكنها تبحث. إنها تحاول الحصول على وظيفة سكرتيرة بدوام جزئي كي تتمكن مـن إحـضار آشلي وسام من المدرسة. أرادت البقاء معهما في المنـــزل عـندما يكونان في البيت. رغم أنها تعرف أمهات أخريات يتدبرن الأمور مع الحاضنات والرعاية اليومية، لكنها لا تريد ذلك. لا تزال تريد البقاء مع أولادها، قدر المستطاع.

علـيها اتخاذ الكثير من القرارات بعد بيع المنـــزل. اشتراه زوجان مـن نـيويورك، وشـرح لها السمسار أن بيع المنـــزل حقق ثروة كبيرة. أومأت فرناندا برأسها، وقالت إن هذا جميل. شرط أن تدوم تلك الثروة. في العـام الماضي، تعلمت دروساً كثيرة حول ما هو مهم. بعد خطف سام، لم يعـد لديها أي شك بأنّ أهم شيء لديها هو الأولاد أما الباقي فيأتي بالدرجة الثانية، والمال غير مهم إلاّ بمقدار الحاجة إليه.

كانـت تخطـط لتجـريد المنـــزل وبيع كل ما تستطيعه في المزاد العلنـي. لكن تبيّن أن الثنائي الذي اشترى المنـــزل أحب كل ما فيه ودفع مـبلغاً إضافياً لذلك، فوق السعر الأساسي للمنـــزل. رأى الزوج أن ذوقها رائع جداً. هكذا، كانت الأمور مناسبة للجميع.

تركت هي وأولادها المنـــزل في شهر يناير. حينها، بكت آشلي فيما بدا سام حزيناً. وكما هي الحال دوماً هذه الأيام، كان ويل مصدر دعم كبير لأمـه. حمـل الـصناديق، ونقل الأغراض، وكان معها يوم عثرت على المنـــزل الجديد. لقد بحثت عن منـــزل صغير بعد بيع منـــزلها الكبير. والمنـــزل الـذي عثـرت علـيه في مارين هو تماماً ما أرادته. إنه في سوسـاليتو، علـى أعلى هضبة، مع واجهة تطل على المراكب الشراعية، والخلـيج، وجزيرة أنجيل وبيلفيدير. إنه منـــزل هادئ، وحميم، وأنيق. لقد أحبه الأولاد حين رأوه. قررت وضع آشلي وسام في المدرسة الرسمية في مـارين، وسـيذهب ويـل بالـباص إلى المدرسة حتى يتخرج. انتقلا بعد أسـبوعين إلـى المنـــزل، وعثرت هي على وظيفة في معرض فني يبعد خمس دقائق عن منـــزلها. لم يعترض صاحب المعرض على تركها العمل فـي الـساعة الثالثة من بعد الظهر. لم يكن راتبها كبيراً، لكنه ثابت على الأقل. وفي ذلك الوقت، أصبح لديها محامٍ جديد، امرأة هذه المرة. ما زال جاك مستاءً جداً من رفضها لعرضه. وحين تفكر أحياناً في الأمر، ترى أن الأمـر محـزن ومـضحك في الوقت نفسه. بدا متبجحاً جداً حين قدّم لها العرض، ولم تلاحظ أبداً هذا الجانب لديه من قبل.

لكـن ما لم يعجبها، ولن يعجبها أبداً، هو ذكرى الخطف في الصيف الماضـي. لا تزال تعاني من الكوابيس بسبب ذلك. بدا الأمر غير حقيقي بالنسبة إليها، وكان ذلك أحد الأسباب العديدة التي دفعتها إلى عدم الاكتراث عـند مغادرة المنـــزل القديم. لم تعد تستطيع النوم فيه من دون أن يسطير عليها شعور بالخوف والذعر بسبب إمكانية حصول شيء مرعب. أصبحت تـنام أفـضل في سوساليتو. ولم تسمع أخبار تيد منذ سبتمبر الماضي. لقد مـضت أربعـة أشـهر. أخيراً، اتصل بها في شهر مارس، فلقد تم تحديد موعد لمحاكمة مالكولم ستارك وجيم فري في شهر أبريل بعد أن تم تأجيلها قبلاً مرتين، وقال تيد إن هذا لن يحصل مرة أخرى.

قال لها بغرابة بعدما سألها عن أحوالها: "سنحتاج إلى شهادة سام". كان يُفكّر فيها غالباً، لكنه لم يتصل أبداً، رغم إلحاح ريك هولمكويست عليه.

قال تيد بهدوء: "أخشى أن يسبب له ذلك صدمة".

"وأنا أيضاً". وافقته فرناندا. من الغريب التفكير به الآن. لقد أصبح مرتبطاً بتلك التجربة المريعة، وكان جزءاً منها، ولكن ليس تماماً. في الواقع، إن شعورها بهذه الطريقة هو تماماً ما كان يخشاه تيد، وجزء من سبب عدم اتصاله بها. كان واثقاً من أنه سيذكّرهم جميعاً بالخطف. أخبره ريك هولمكويست أنه مجنون. وفيما كانت فرناندا تتحدث عن سام مجدداً قالت له: "سيتجاوز المحنة".

"كيف حاله؟"

"رائع. وكأنّ شيئاً لم يحصل. إنه يذهب إلى مدرسة جديدة، وكذلك آش. أظن أن هذا جيد لهما. نوع من انطلاقة جديدة".

"أرى أن لديك عنواناً جديداً".

"أحب منزلي الجديد". اعترفت له مع ابتسامة عريضة، استطاع سماعها في صوتها. "أنا أعمل في معرض فني يبعد خمس دقائق عن المنزل. يجدر بك المجيء وزيارتنا في وقت ما".

"سأفعل". وعدها تيد، لكنها لم تسمع أي شيء منه مجدداً إلا قبل ثلاثة أيام من المحاكمة. اتصل بها ليطلعها على المكان الذي يجب الذهاب إليه، وحين أخبرت سام، راح يبكي.

"لا أريد فعل ذلك. لا أريد رؤيتهما مجدداً". ولا هي أيضاً. لكن الوضع أسوأ بالنسبة إليه. اتصلت بمعالجة الصدمات النفسية، وذهبت إليها هي وسام. تحدثا عن عدم قدرته على الشهادة، أو عدم جدوى ذلك. لكنّه في النهاية قال إنه سيفعل، ورأت المعالجة أن ذلك قد يعطيه حقه. لكنّ فرناندا خشيت أن يسبب له ذلك المزيد من الكوابيس. لقد نال سام حقه، فقد

مات اثنان من الخاطفين – بمن فيهم ذلك الرجل الذي ساعده على الهروب – وهناك اثنان في السجن. هذا يكفي برأيها، وبرأي سام أيضاً. لكنها ذهبت إلى المحكمة مع سام في اليوم المحدد، وهي تشعر بالتردد. في ذلك اليوم، عانى سام من أوجاع في المعدة بعد تناول الفطور، وكذلك هي.

كان تيد ينتظرها خارج المبنى. بدا كما كان في آخر مرة رأته فيها. هادئ، ومرتب، وذكي، وقلق حيال مشاعر سام.

"كيف حالك أيها الشرطي المنتدب؟" ابتسم لسام الذي كان مستاءً بوضوح.

"أشعر بالقرف".

"لماذا، ليس هذا بالأمر الجيد. دعنا نتحدث لدقيقة؟"

قال بصراحة: "أخاف أن يؤذياني". هذا منطقي، فلقد فعلا ذلك قبلاً.

"لن أسمح بحصول ذلك". فك أزرار سترته، وفتحها لثانية، ورأى سام مسدسه. "إنه هنا، كما أنهما سيأتيان إلى المحكمة مكبّلي الأيدي والأرجل".

قال سام بيأس: "لقد كبّلوني أنا أيضاً". وبدأ يبكي، إنه يتحدث عن ذلك على الأقل. لكن فرناندا شعرت بالقرف، ونظرت إلى تيد الذي بدا مستاء مثلها تماماً، ثم خطَرت له فكرة. طلب منهما عبور الشارع لشرب شيء ما، وأخبرهما أنه سيعود بأسرع ما يمكن.

احتاج إلى عشرين دقيقة. التقى بالقاضي والمدعي العام والنائب العام، ووافقوا جميعاً. سيتم استجواب سام وأمه في غرفة القاضي، في حضور هيئة القضاة، بدون حضور المتهمين. لن يضطر إلى مشاهدة الرجلين مجدداً. يستطيع التعرف عليهما من خلال الصور. أصرّ تيد على أن الأمر مزعج جداً لكي يشهد الصبي في المحكمة، ويشاهد خاطفيه مجدداً. وحين أخبر تيد ذلك لسام، ابتسم، وتنهدت فرناندا الصعداء.

قال تيد لسام: "أظن أنك ستحب القاضي كثيراً. إنها امرأة، وهي لطيفة جداً". بدت القاضية مثل جدة، وكانت ودودة حين دخل سام إلى مكتبها. قدمت له الحليب والبسكويت، وأرته صوراً لأحفادها. تعاطفت معه ومع أمه بسبب كل ما عاشاه.

استمر استجواب الادعاء طوال الصباح، وحين انتهوا، أخذهما تيد لتناول الغداء. سيستجوب الدفاع سام بعد الظهر، ولديه الحق في طلب استجوابه بعد ذلك في أي وقت يريده. لكنه تصرف لغاية الآن بطريقة جيدة، ولم يكن تيد متفاجئاً.

ذهبوا إلى مطعم إيطالي صغير يبعد قليلاً عن قصر العدل، فلم يملكوا الوقت الكافي للذهاب بعيداً، لكنّ تيد رأى أنهما يحتاجان إلى الاستراحة قليلاً، فيما يحب سام وأمه المعكرونة. كان صباحاً صعباً، أعاد الكثير من الذكريات المؤلمة لسام، وخافت فرناندا من تأثير ذلك عليه. لكنه بدا بخير، وهادئاً.

قال تيد أثناء دفع الفاتورة: "أنا آسف لأنكما تعيشان ذلك مجدداً". عرضت عليه دفع نصف الفاتورة، لكنه ابتسم ورفض. كانت ترتدي فستاناً أحمر وتنتعل حذاء عالي الكعب. ولاحظ أنها تضع الماكياج. تساءل ما إذا كانت تخرج مع جاك، لكنه لم يجرؤ على سؤالها. ربما تواعد شخصاً آخر. لاحظ أن وضعها العاطفي أفضل كثيراً مما كانت في يونيو ويوليو. فالانتقال إلى المنزل الجديد والوظيفة الجديدة كانا مفيدين لها. أخبرهما أنه سيترك الشرطة بعد ثلاثين عاماً من العمل فيها.

"واو، لماذا؟" كانت مذهولة. إنه شرطي ممتاز، وعرفت أنه يحب وظيفته.

"يريد شريكي القديم ريك هولمكويست إنشاء شركة حماية خاصة. تحقيق خاص، حماية المشاهير. الأمر جديد قليلاً عليّ، لكنّ العمل جيد. وقد أعجبني. وريك محق، بعد ثلاثين عاماً من العمل، حان وقت التغيير

الآن". عرفت أيضاً أنه بعد ثلاثين عاماً، يمكنه ترك العمل والحصول على معاش تقاعد يكفيه تماماً. إنها صفقة جيدة. وبدت فكرة هولمكويست مثل مصدر جيد لجني المال، حتى بالنسبة إليها.

حاولت هيئة الدفاع التقليل من أهمية شهادة سام بعد ظهر ذلك اليوم، لكنها لم تنجح. كان واثقاً، وهادئاً، وبدت ذاكرته ممتازة. كرر القصة نفسها مراراً وتكراراً. وتعرف إلى المتهمين من خلال الصور الفوتوغرافية التي عرضها عليه الادعاء. لم تستطع فرناندا التعرف إلى الرجلين اللذين خطفا ابنها، فهما كانا يضعان أقنعة التزلج، لكنّ شهادتها بشأن الخطف كانت مؤثرة جداً فيما كان وصفها للرجال الأربعة المقتولين في مطبخها مرعباً فعلاً. وفي نهاية اليوم، شكرتهما القاضية، وأرسلتهما إلى المنزل.

قال تيد وهو يبتسم إلى سام فيما غادروا قصر العدل معاً: "كنت نجماً. كيف حال معدتك؟"

قال سام وهو يبدو مسروراً: "جيدة". حتى القاضية أخبرته أنه أبلى جيداً. لقد بلغ السابعة، وأخبره تيد أن مثل هذه الشهادة صعبة حتى بالنسبة إلى شخص راشد.

اقترح تيد، "فلنذهب لتناول الآيس كريم". لحق بسام وفرناندا في سيارته، واقترح الذهاب إلى ساحة غيرارديلي، حيث الجو ممتع لسام، وكذلك لها. فقد ساد الجو الاحتفالي، فيما طلب سام الآيس كريم بالشوكولاته، وطلب تيد البوظة مع البيرة لهما.

قالت فرناندا وهي تضحك: "أشعر وكأنني طفلة في يوم العيد".

ارتاحت كثيراً لأن مهمة سام في المحاكمة انتهت. قال تيد إن هناك احتمالاً بعيداً جداً ليرسلوا وراءه للشهادة مجدداً. فكل ما قاله كان واضحاً تماماً للدفاع. رأى تيد أنه ستتم إدانة المتهمين بالتأكيد، وشعر أنه مهما كانت القاضية رؤوفة، فإنها ستصدر حكم الإعدام بحقهما من دون شك.

قيل لتيد إن فيليب أديسون تتم محاكمته بشكل منفصل في محكمة فدرالية، بسبب التآمر على الخطف، وكل جرائمه الفدرالية، بما ذلك التهرب من الضرائب، وتبييض الأموال، وتجارة المخدرات. سيسجن لفترة طويلة جداً، ومن غير المحتمل أن تطلب شهادة سام في هذه القضية. سيقترح على ريك استعمال نسخة من شهادة سام، لتوفير العناء على الصبي. لم يكن واثقاً من أن هذا ممكن، لكنه سيفعل كل ما بوسعه لإبعاد سام عن هذه القضية. ورغم أن ريك سيغادر مكتب التحقيقات الفدرالي، إلاّ أن تيد عرف أن قضية أديسون ستكون بين أيدٍ أمينة، وسيشهد هو نفسه. أراد ريك سجن أديسون إلى الأبد، أو حتى الحكم عليه بالإعدام. لقد كانت قضية خطيرة، وأراد أن تأخذ العدالة مجراها، تماماً مثلما أراد تيد. ارتاحت فرناندا، فمن الجيد أن تصبح كل القصة خلفهم. أخيراً، لقد انتهى الكابوس مع انتهاء دورهم في المحاكمة.

حصل آخر جزء من المحاكمة بعد شهر. وكان ذلك بعد سنة واحدة تماماً من بداية كل ذلك؛ حين رنّ تيد على جرس باب منزلها يوم تفجير السيارة في الشارع. اتصل بها تيد في اليوم نفسه الذي قرأ فيه خبر المحاكمة في الصحيفة. تم الحكم على مالكولم ستارك وجيم فري بالإعدام بسبب جرائمهما. لم تكن لديها فكرة عن موعد تنفيذ الحكم بحقهما، أو ما إذا كان هذا سيحصل أصلاً في حال استأنفا الحكم، وثمة أسباب كثيرة ليفعلا ذلك. أما فيليب أديسون فلم تتم محاكمته بعد، لكنه قيد التوقيف، ويحاول محاموه بذل ما بوسعهم لوقف المحاكمة. لكنّ فرناندا عرفت أنه عاجلاً أم آجلاً، ستتم إدانته هو أيضاً. وفي قضية الرجلين الآخرين، أخذت العدالة مجراها. والأهم من كل ذلك أن سام بخير.

سألها تيد حين اتصل بها، "هل قرأتِ خلاصة الحكم في الصحف؟" بدا وكأنه في مزاج جيد، وقال إنه مشغول. لقد ترك الشرطة، وأقيمت له مجموعة من حفلات الوداع في الأسبوع الماضي.

قالت فرناندا: "نعم قرأتها، لم أحبذ يوماً ما حكم الإعدام". لطالما بدا ذلك خطأً بالنسبة إليها، وكانت مؤمنة بما يكفي لترى أنه لا يحق لأحد سلب حياة الآخرين. لكنّ تسعة رجال قتلوا، وخطف ولد صغير. وبما أن هذا يطال ابنها، رأت للمرة الأولى في حياتها أن هذا الحكم محق. "لكنني أحبذه هذه المرة". اعترفت لتيد. "أظن أن الأمر يصبح مختلفاً حين يحصل معك". لكنها عرفت أيضاً أنهم لو قتلوا ابنها، لما كان حكم الإعدام ليعوض عليها خسارتها. لقد كانت هي وسام محظوظين جداً جداً. وعرف تيد ذلك أيضاً. فلقد كان هناك احتمال بأن تكون الأمور مختلفة، وكان ممتناً لأن هذا لم يحصل.

ثم فكّرت في شيء كانا يتحدثان عنه منذ زمن طويل. "متى ستأتي لتناول العشاء؟" إنها تدين له بالكثير بسبب لطافته، والعشاء هو أقل ما تستطيع فعله. لقد اشتاقت إلى رؤيته خلال الأشهر الأخيرة، رغم أن هذا دليل على أن كل شيء يجري جيداً في حياتهما. أملت ألا تحتاج أبداً إلى خدماته كشرطي مجدداً، أو لخدمات أي شرطي مثله، لكنها في النهاية أصبحت تعتبره صديقاً.

"في الواقع، لهذا السبب أتصل بكِ. أردت أن أسألكِ إذا كنتُ أستطيع المرور. لديّ هدية لسام".

"سيكون سعيداً برؤيتك". ابتسمت، ونظرت إلى ساعتها. عليها الذهاب إلى العمل. "ماذا عن العشاء؟"

"أودّ ذلك". ابتسم ودوّن عنوانها الجديد مجدداً. "في أي وقت؟"

"ماذا عن السابعة؟"

وافق، وأقفل الخط، وجلس في مكتبه الجديد ينظر خارج النافذة، ويُفكّر لوقت طويل. يصعب التصديق أن كل شيء حصل قبل عام. لقد فكّر في الأمر مجدداً حين شاهد دفن القاضي ماكينتر، فبعد أن كان محظوظاً لأن انفجار السيارة لم يقتله قبل عام، مات الآن لأسباب طبيعية.

"بمــاذا تحلم؟ أليس لديك عمل لتقوم به؟" صرخ فيه ريك فيما توقف أمام باب مكتب تيد. لقد بدأ عملهما الجديد وهما يبليان فيه حسناً. ثمة سوق كبيــر لخدماتهما، وقال تيد الأسبوع الماضي لشريكه السابق في الشرطة، جـيف ســتون، إنه لم يستمتع أبداً إلى هذا الحدّ في حياته، لا بل أكثر مما كان يتوقع. وأحب العمل مع ريك مجدداً، ففكرة شركة الحماية التي أنشآها كانت رائعة فعلاً.

"لا تتهمني بالأحلام حضرة العميل الخاص. لقد أخذتَ البارحة ثلاث ســاعات لتــناول الغداء. سأحسم من راتبك إذا فعلت ذلك مجدداً". ضحك ريــك. لقد خرج مع بيغ، فلقد اتفقا على الزواج بعد أسابيع قليلة. كان كل شــيء رائعاً بالنسبة لهما. وسيكون تيد الإشبين. "أعتقد أنك لا تتوقع مني دفع تكاليف الإجازة حين تكون في شهر العسل. نحن ندير عملاً جدياً هنا. إذا أردت الزواج والذهاب إلى إيطاليا، افعل ذلك على حسابك".

دخــل ريــك إلى مكتبه مع ابتسامة عريضة، وجلس. لم يكن سعيداً هكــذا منذ سنوات. لقد سئم وتعب من عمله في مكتب التحقيقات الفدرالي، ويفضل كثيراً إدارة عمله الخاص. "إذاً، ما الذي يجول في خاطرك؟" نظر ريك إليه. لاحظ أن شيئاً ما يشغل بال تيد.

"ســأتناول العشاء مع آل بارنــز ليلة غد. في سوساليتو. لقد انتقلوا إلى منــزل جديد".

"هــذا لطيف. وهل أستطيع طرح أسئلة فظة، مثل ما هي نواياك أيها التحــري لي؟" كانت عينا ريك جديتين أكثر من كلماته. إنه يعرف مشاعر تيد، أو يظن ذلك. لكن ما لا يعرفه هو ماذا ينوي أن يفعل بها. لكنّ تيد لا يعرف أيضاً.

"أريد فقط رؤية الأولاد".

"هــذا مؤســف جداً". بدا ريك خائب الأمل. كان سعيداً جداً مع بيغ، وأراد أن يكون الجميع سعداء أيضاً. "يبدو لي وكأنك تضيع امرأة جيدة".

"نعــم، إنهــا جيدة". وافق تيد. لكن هناك الكثير من المسائل التي لم يــستطع حلهــا، وربما لن يستطيع أبداً. "أظن أنها تواعد شخصاً ما. بدت رائعة في المحكمة".

"ربما كانت تبدو رائعة من أجلك". اقترح ريك، وضحك تيد.

"هذه فكرة سخيفة".

"وأنــت أيــضاً. أنت تصيبني بالجنون أحياناً. في الواقع، في معظم الأحــيان". وقف ريك، وخرج من مكتب تيد مجدداً. إنه يعرف أن صديقه القديم عنيد جداً لإقناعه.

كــان الرجلان مشغولين جداً خلال بعد الظهر. وعمل تيد حتى وقت متأخر من الليل، مثلما يفعل دوماً.

بقي خارج المكتب معظم اليوم التالي، وشاهده ريك في المساء حين كان على وشك الخروج من مكتبه للذهاب إلى سوساليتو، مع هدية صغيرة في يده.

سأل ريك، "ما هذا؟"

أجاب تيد بمرح، "ليس هذا من شأنك".

"هــذا لطيف". ابتسم له ريك، وتجاوزه تيد فيما تابع طريقه. قال له ريــك: "حظاً سعيداً". فيما ضحك تيد، وأغلق الباب خلفه. وقف ريك ينظر إلــيه لوقت طويل بعدما ذهب، وتمنى أن تجري الأمور معه بصورة جيدة فــي تلك الليلة. فلقد حان الوقت ليحصل معه شيء جيد أيضاً، فهو يستحق ذلك منذ زمن.

الفصل الثالث والعشرون

كانت فرناندا في المطبخ مع مئزر على خصرها حين رن جرس الباب، وطلبت من آشلي فتحه. لقد أصبحت أطول بثلاثة إنشات خلال العام الماضي، وبدا تيد مذهولاً حين رآها. في عمر الثالثة عشرة، لم تعد تبدو فجأة مثل طفلة وإنما مثل امرأة. كانت ترتدي تنورة جينز قصيرة، وصندلاً من صنادل أمها، وقميصاً قطنياً. كانت فتاة جميلة جداً، وبدت مثل الأخت التوأم لفرناندا. لديهما نفس الملامح، ونفس الابتسامة، ونفس المقاييس، رغم أنها أصبحت الآن أطول من أمها، مع نفس الشعر الأشقر الطويل.

سألها تيد فيما دخل، "كيف حالك آشلي؟" لطالما أحب أولاد فرناندا. إنهم مهذبون، ومنضبطون، وودودون، وممتعون. ويمكن أن تلاحظ بسهولة مقدار الوقت والحب الذي خصصته لهم.

حين دخل، أخرجت فرناندا رأسها من المطبخ، وعرضت عليه كأساً من الشراب الفرنسي، لكنه رفض. لا يشرب كثيراً، حتى لو لم يكن في العمل، وهذا ما أصبح عليه دوماً الآن. وفيما اختفت فرناندا في المطبخ مجدداً، جاء ويل وكان مسروراً بوضوح لرؤية سام فيما تصافحا. كان يبتسم ابتسامة عريضة، وجلسا يتحدثان معاً عن عمل تيد الجديد لبضع دقائق إلى أن دخل سام إلى الغرفة. لديه الشخصية التي تتناسب مع شعره الأحمر الساطع، وابتسم ابتسامة عريضة جداً حين شاهد تيد.

قال ضاحكاً: "قالت أمي إنكِ أحضرت هدية لي. ما هي؟" في نفس الوقت وصلت أمه من المطبخ، ووبخته.

"سام، هذه وقاحة!"

تجادل معها، "أنتِ قلتِ إنه أحضر لي....".

"أعرف. لكن ماذا لو غير رأيه، أو نسيها؟ سيشعر حينها بالإحراج".

"أوه". بدا سام متأثراً، فيما سلّمه تيد العلبة التي أحضرها معه من العمل. كانت علبة صغيرة ومربعة، وبدت غامضة بالنسبة إلى سام، فيما أخذها منه مع ابتسامة عريضة. "هل أستطيع فتحها الآن؟"

"نعم، يمكنك". شعر بالسوء لأنه لم يحضر معه شيئاً للآخرين، لكنّ هذه الهدية يحتفظ بها لسام منذ أيام المحاكمة. إنها تعني الكثير له، وأمل أن تعني لسام الكثير أيضاً.

حين فتح سام العلبة، رأى محفظة جلدية صغيرة داخلها. إنها المحفظة التي استعملها تيد طوال ثلاثين عاماً. وحين فتح سام المحفظة، نظر إليها ثم حدّق بتيد. إنها النجمة التي حملها طوال ثلاثين عاماً، مع رقمه عليها. لقد عنت الكثير بالنسبة إليه، وبدت فرناندا مذهولة بقدر ابنها.

نظر إليها سام ومن ثم إليه بتعجب، "هل هذه نجمتك الحقيقية؟" لاحظ أنها هي. كانت عتيقة، وقد لمّعها تيد خصيصاً له. كانت تلمع بين يدي الصبي.

"نعم، إنها هي. لقد تقاعدتُ الآن، ولم أعد بحاجة إليها. لكنها مميزة جداً بالنسبة إليّ. أريدك أن تحتفظ بها. لم تعد شرطياً منتدباً بعد الآن، سام. أصبحت تحرياً حقيقياً. إنها ترقية كبيرة بعد عام واحد". لقد مضى عام تماماً على تعيينه شرطياً منتدباً من قبل تيد بعد تفجير السيارة ولقائهما للمرة الأولى.

"هل أستطيع وضعها؟"

"طبعاً". ثبّتها له تيد، وذهب سام لرؤية نفسه في المرآة، فيما ألقت فرناندا نظرة سريعة على تيد والامتنان في عينيها.

قالت بنعومة: "هذا شيء رائع جداً".

"إنه يستحقها. لقد عانى كثيراً". وهم يعرفون جميعاً كيف، فيما أومأت فرناندا برأسها، وراقبه تيد يتجول في الغرفة وهو يضعها على صدره.

"أنا تحرٍّ!" كان يصرخ عالياً. ثم نظر إلى تيد مع سؤال غريب. "هل أستطيع اعتقال الأشخاص؟"

"عليك الانتباه جيداً إلى الذين تعتقلهم". حذره تيد مع ابتسامة عريضة. "لا أنصحك باعتقال أي أشخاص كبار قد يغضبون منك". شك تيد في أن فرناندا ترغب في حفظها له في مكان آمن، مع أشياء أخرى مهمة، مثل ساعة والده والأزرار المعدنية. لكنه عرف أن سام سيخرجها بين الحين والآخر لرؤيتها. فأي صبي سيفعل ذلك.

قال سام بفخر: "سأعتقل كل أصدقائي. أمي، هل أستطيع أخذها إلى المدرسة لأريها لهم وأخبرهم عنها؟" كان متحمساً جداً، وبالكاد يستطيع الانتظار، فقد بدا سام مسروراً فعلاً. كان هذا الشيء الصحيح الواجب فعله.

اقترحت أمه، "سآخذها أنا إلى مدرستك، ثم أعيدها إلى المنزل بعد العرض. لا أريدك أن تضيعها أو تخربها في المدرسة. إنها هدية مميزة جداً جداً".

قال سام وهو يبدو مذهولاً مجدداً: "أعرف".

بعد دقائق قليلة، جلسوا جميعاً لتناول العشاء. حضّرت اللحم المشوي، وبودينغ يوركشاير، والبطاطا المهروسة، والخضار، والكيك بالشوكولاته والآيس كريم. تأثر الأولاد بالعناء الكبير الذي تكبدته، وكذلك تيد. كانت وجبة مذهلة. كانوا ما زالوا جالسين على المائدة، يتحدثون بعد العشاء، حين نهض الأولاد وصعدوا إلى غرفهم. ما زالت لديهم أسابيع

قليلة قبل العطلة الصيفية، وقال ويل إن امتحاناته النهائية في الأسبوع المقبل، وعليه الدرس لذلك. أخذ سام نجمته الجديدة إلى غرفته ليتمكن من النظر إليها. وانسحبت آشلي للاتصال بأصدقائها.

قال وهو يشعر أنه بالكاد يستطيع التحرك: "كان هذا عشاء رائعاً. لم أتناول مثل هذا الطعام منذ عصور. شكراً لك". كان في معظم الليالي، يعمل حتى وقت متأخر، ثم يذهب إلى النادي الرياضي، ويعود إلى المنزل قرابة منتصف الليل. نادراً ما كان يتوقف لتناول العشاء، فلقد كان يذهب إلى مطعم أحياناً خلال النهار. "لم أتناول طعاماً محضراً في المنزل منذ أعوام". لطالما كرهت شيرلي الطهو، وفضلت إحضار الطعام الجاهز من مطعم أهلها. لم تحب أبداً تحضير الطعام للأولاد، وكانت تحب اصطحابهم للأكل خارجاً.

"ألا تطهو لك زوجتك الطعام؟" بدت فرناندا متفاجئة، ثم لاحظت فجأة، ومن دون سبب معين، غياب محبس الزواج. في العام الماضي، أثناء خطف سام، كان يضعه. والآن، لم يعد موجوداً.

قال ببساطة، ثم قرر أن يشرح لها: "ليس بعد الآن، لقد انفصلنا مباشرة بعد الكرسمس. أظن أن هذا تأجل لوقت طويل، وكان يجدر بنا فعل ذلك قبل أعوام. لكنه كان قراراً صعباً على كل حال". لقد مضت خمسة أشهر، ولم يخرج بعد مع أية امرأة أخرى. بطريقة ما، لا يزال يشعر أنه متزوج منها.

"هل حصل شيء محدد؟" شعرت فرناندا بالأسف عليه، وتعاطفت معه. عرفت كم هو مخلص لزوجته، وكم يقيم وزناً للزواج، رغم اعترافه بأن الأمور ليست مثالية بينهما، وقوله إنهما شخصان مختلفان تماماً.

"نعم ولا. أخبرتني في الأسبوع الذي سبق الكرسمس أنها ستذهب إلى أوروبا مع مجموعة من صديقاتها لقضاء العطلة هناك حتى السنة الجديدة. لم تستطع أن تفهم سبب غضبي حيال ذلك. رأت أنني أقف في طريق

استمتاعها، فيما رأيت أنا أنه يجدر بها القدوم إلى المنزل لتكون معي ومع الأولاد. قالت إنها تفعل ذلك منذ ثلاثين عاماً تقريباً، وقد جاء الآن دورها. أظن أنها ربما كانت محقة. إنها تعمل بكدّ، وقد جنت الكثير من المال. يبدو أنها تقضي وقتاً رائعاً، وأنا سعيد لأجلها. لكن تبيّن لي أننا لم نعد نلائم بعضنا. لم نكن كذلك منذ وقت طويل، لكنني ظننت أنه يجدر بنا البقاء متزوجين على كل حال. لم أكن أظن أن الطلاق كان مناسباً حين كان الأولاد صغاراً. على كل حال، فكّرت في الأمر قليلاً بعدما ذهبت، وسألتها عن رأيها حين عادت. قالت إنها تريد ذلك منذ وقت طويل، لكنها كانت تخاف من قول ذلك لي. لم تشأ جرح مشاعري، وهذا سبب بقائنا متزوجين.

التقت بشخص آخر بعد ثلاثة أسابيع من انفصالنا. أعطيتها المنزل، وحصلت أنا على شقة في المدينة قرب المكتب. أحتاج إلى بعض الوقت للاعتياد، لكن لا بأس في ذلك. أتمنّى الآن لو أنني فعلت ذلك من قبل. أصبحت كبيراً قليلاً على المواعدة مجدداً". لقد أصبح في الثامنة والأربعين، في حين أن فرناندا ستصبح في الواحدة والأربعين هذا الصيف، وتشعر بالطريقة نفسها. "ماذا عنك؟ هل تخرجين مع ذلك المحامي؟" كان واثقاً من أن المحامي ينوي ذلك في العام الماضي، وكان فقط ينتظر الوقت حتى تتكيف فرناندا مع وضعها كأرملة، ثم جاء الخطف؛ لم يكن تيد مخطئاً كثيراً.

"جاك؟" ضحكت عند الإجابة، وهزت رأسها. "ما الذي جعلك تظن ذلك؟" كان ذكياً جداً. لكنّ دراسة الأشخاص هي في الواقع عمله.

هزّ تيد كتفيه، "ظننت أنه معجب بك". ورأى أنه ربما ارتكب خطأً في تقييمه، نظراً لردّة فعلها.

"كان معجباً. رأى أنه يجدر بي الزواج منه من أجل الأولاد، حتى يساعدني في دفع الفواتير. قال إنه اتخذ قراره بشأن ذلك، وهذا الشيء

المناسب لي أنا والأولاد. المشكلة الوحيدة هي أنه نسي استشارتي بشأن القرار. ولم أوافق معه".

"ولماذا؟" بدا تيد متفاجئاً. جاك ذكي، وناجح، ووسيم. رأى تيد أنه مثالي لها، ولكنها لم توافق على ما يبدو.

قالت ببساطة كما لو أن هذا يشرح كل شيء: "لا أحبه". فيما ابتسمت له. "طردته بصفته محاميّ أيضاً".

"مسكين". لم يستطع تيد منع نفسه من الضحك عند تخيل الصورة التي رسمتها حين رفضت اقتراحه، وتخلصت من خدماته في اليوم نفسه. "هذا مؤسف جداً. بدا رجلاً لطيفاً".

"إذاً، تزوجه. لا أريده. أفضل أن أبقى لوحدي مع الأولاد". وكانت في الواقع كذلك. تكوّن لدى تيد هذا الانطباع الآن، بمجرد النظر إليها. ولم يكن واثقاً تماماً ما يجب قوله الآن. "هل تطلقت أم انفصلت فقط؟" وكأن هذا يهم. كانت تشعر بالفضول حيال جدية انتهاء علاقته مع شيرلي. بدا من الصعب التصديق أنه انتهى من ذلك الزواج، وكان هذا صعباً بالنسبة إليه أيضاً.

قال وبدا حزيناً: "سيكون الطلاق نهائياً بعد ستة أسابيع". هذا حزين بعد تسعة وعشرين عاماً. سيعتاد على ذلك، لكنه تغيير كبير بالنسبة إليه. قال بحذر: "ربما يمكننا الذهاب لحضور السينما في وقت ما". ابتسمت، وبدت هذه طريقة مضحكة للبداية، بعدما أمضيا أياماً طويلة معاً، وليالي على الأرض، وكان هناك يمسك بيدها حين أحضر لها فريق المكافحة سام.

قالت بصراحة: "أود ذلك. لقد اشتقنا إليك". شعرت بالأسف لأنه لم يتصل بها أبداً.

"كنت أخشى أن أكون ذكرى سيئة لكم جميعاً بعد كل ما حصل".

هزّت رأسها حينها. "لست ذكرى سيئة، تيد. أنت الجزء الجيد الوحيد فيها. بالإضافة إلى عودة سام". ثم ابتسمت له مجدداً، متأثرة برقته. لطالما

كان لطيفاً مع أولادها ومعها. "يحب سام نجمته".

"أنا مسرور. كنت أود إعطاءها لأحد أبنائي، ثم قررت أن سام يستحقها. إنه جدير بها".

أومأت برأسها. "نعم". وفيما قالت ذلك، تذكرت العام الماضي، وكل ما قالاه لبعضهما، والأشياء التي لم يبوحا بها لكنهما شعرا معاً بها. كان هناك رابط بينهما، والشيء الوحيد الذي حال دون تطور الأمور كان إخلاصه لزواجه الفاشل، لقد احترمته على ذلك. ويبدو الآن أنهما ينطلقان مجدداً. نظر إليها، ونسيا فجأة العام الماضي. بدا أنه ذاب أمامهما، ومن دون قول أية كلمة، انحنى صوبها حيث كانت تجلس على الطاولة وقبّلها.

همس لها، "اشتقت إليك كثيراً". وأومأت هي برأسها، وابتسمت له.

"وأنا أيضاً. حزنتُ كثيراً لأنك لم تتصل. ظننتُ أنك نسيتنا". كانا يتهامسان، ولا يستطيع أحد سماعهما. المنزل صغير جداً والأولاد قريبون جداً.

قال: "ظننت أنه لا يجدر بي... كانت هذه سخافة مني". ثم قبّلها مجدداً. لا يستطيع الآن الشبع منها، وتمنّى لو أنه لم ينتظر طويلاً. لقد أمضى أشهراً من دون الاتصال بها، ظناً منه أنه ليس جيداً كفاية أو غنياً كفاية ليستحقها. أدرك الآن أنه كان يجدر به التصرف بصورة أفضل. إنها أكثر من ذلك، إنها حقيقية. وعرف منذ حادثة الخطف أنه يحبها، وهي تحبه. هذا هو السحر الذي أخبرت جاك عنه، ولم يفهمه أبداً. هذا هو المديح الملائم من الله، وليس مثل ذلك المديح... النوع السهل الذي يشفي كل جروح الخسارة والخوف والمأساة. هذه هي السعادة التي حلما بها، ولم ينعما بها منذ وقت طويل.

جلسا يقبلان بعضهما على المائدة، ثم ساعدها على تنظيف الطاولة، ولحق بها إلى المطبخ، وقبّلها مجدداً. كان يقف ويضع ذراعيه حولها حين قفزا معاً عندما دخل سام إلى الغرفة، وصرخ فيهما.

"أنتما قيد التوقيف!" قال بطريقة مقنعة، وهو يصوّب نحوهما بمسدس وهمي.

"لماذا؟" استدار تيد مع ابتسامة. كاد سام يسبب له نوبة قلبية، وكانت فرناندا تضحك مثل الولد الصغير وهي تبدو محرجة.

"لأنك تُقبل أمي". أعلن سام مع ابتسامة عريضة، ووضع المسدس جانباً فيما ابتسم له تيد.

سأل تيد، "هل هناك قانون يمنع ذلك؟" فيما سحب سام نحوهما، وعانقه، وجعله في الدائرة معهما.

قال سام بطريقة بديهية: "لا، يمكنك أخذها". وبدأ يضحك بعد أن تحرر من عناقهما الذي وجده محرجاً. قال له: "أظن أنها تحبك. قالت إنها اشتاقت إليك. وأنا أيضاً". ثم اختفى ليخبر أخته أنه شاهد تيد يقبل أمه.

"الأمر رسمي إذاً". وضع تيد ذراعه حولها وبدا مسروراً. "قال إنني أستطيع أخذك. هل آخذك معي الآن أم آتي لاحقاً؟"

قالت بحذر: "يمكنك البقاء هنا". أحب هذه الفكرة أيضاً.

"قد تتعبين مني". لقد تعبت شيرلي، مما زعزع ثقته في نفسه قليلاً. من المؤلم جداً وجود شخص تهتم به ويتوقف عن حبك. لكنّ فرناندا امرأة مختلفة تماماً، وكان ريك محقاً. إنه يشكل مع فرناندا ثنائياً أفضل بكثير مما كان مع شيرلي.

قالت بهدوء: "لن أتعب منك". لم تشعر يوماً بهذا الارتياح مع أحد، مثلما شعرت معه خلال تلك الأسابيع، رغم الظروف المؤلمة. إنها طريقة استثنائية جداً للتعرف إلى شخص ما. لقد انتظرا حتى تحين الساعة المناسبة، ولقد حانت الآن.

كان يقف في الممر، يتمنّى لها ليلة سعيدة، ويعدها بالاتصال بها في اليوم التالي. أصبحت الأمور مختلفة الآن. أخيراً، إنه يملك حياة طبيعية.

وإذا أراد ذلك، يستطيع ترك مكتبه والعودة إلى المنزل في الليل. لا ساعات مجنونة، ولا مناوبات ليلية. كان على وشك تقبيلها قبل الذهاب، حين جاءت آشلي ونظرت إليهما. لكن يبدو أنها لم تنزعج، فلقد بدت مرتاحة تماماً لرؤيتهما معاً يطوقان بعضهما، وكان تيد مسروراً. هذه هي المرأة التي كان ينتظرها، والعائلة التي اشتاق إليها حين كبر أولاده، والولد الذي أنقذه وأحبه، والمرأة التي يحتاج إليها، لقد كان تيد هو السحر الذي حلمت به، وظنت أنها لن تعثر عليه مجدداً.

قبّلها مرة أخيرة، ونزل السلالم بسرعة متوجهاً إلى سيارته، ولوّح لها بيده. كانت لا تزال تقف عند الباب، وتبتسم له حين غادر.

كان في منتصف الجسر، يبتسم لنفسه، حين رن هاتفه الخلوي. أمل أن تكون فرناندا، لكنه كان ريك.

"إذاً. ماذا حصل؟ لا أستطيع الانتظار أكثر".

قال تيد وهو لا يزال يبتسم: "ليس هذا من شأنك". شعر أنه ولد، خصوصاً عند التحدث مع ريك. ومعها، شعر أنه رجل مجدداً.

أصرّ ريك، "بلى، من شأني. أريدك أن تكون سعيداً".

"أنا سعيد".

"فعلاً؟" بدا ريك مذهولاً.

"نعم. فعلاً. كنت محقاً. في كل شيء".

قال ريك وهو يبدو مرتاحاً وسعيداً لأجله: "اللعنة! حسناً، أنا مسرور لأجلك صديقي. إنها هدية من السماء". قال تيد ببساطة: "نعم. هذا صحيح". وبعد ذلك، أقفل خط هاتفه الخلوي، وابتسم لنفسه أثناء عبوره الجسر.